المكتبة الأندلسية
١٨

نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان

لابن الأحمر

(الأمير اسماعيل بن يوسف بن محمد ٨٠٧)

ودراسة في حياته وأدبه

دراسة وتحقيق
محمد رضوان الداية

دار الثقافة
بيروت - لبنان

نثر فرائد الجمان في نظم فحول الزمان

نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان

لابن الأحمر

(الأمير إسماعيل بن يوسف بن محمد ٨٠٧)

ودراسة في حياته وأدبه

دراسة وتحقيق

محمد رضوان الداية

**

دار الثقافة

للطباعة والنشر والتوزيع

ناقشت هذه الرسالة يوم الثلاثاء ٤ تشرين الاول ١٩٦٥ في كليـــة الآداب بجامعة القاهرة ، لجنة من الاساتذة :

الدكتور عبد العزيز الأهواني

الدكتور شوقي ضيف

الدكتور يوسف خليف

وقررت استحقاقها درجة الماجستير في الآداب بتقدير ممتاز .

بسم الله الرحمن الرحيم

طلع القرن الثامن الهجري على الأندلس وقـد انحصرت في اقليم ضيق من الطرف الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة ايبرية، واجتمع من بقي من المسلمين في مدينة غرناطة – التي أصبحت العـاصمة – وفيما انتثر حولهـا من مدن وقلاع وحصون . وآل الأمر في هذه الدولة الصغيرة منذ أواسط القرن السابع الى بني نصر المعروفين ببني الأحمر . واتصلت يـد بني نصر بمن وراء البحر من اهل العدوة من بني مرين سلاطين المغرب للوقوف في وجـه طغيان النصارى وفسادهم في ارض الاندلس .

لم تكن الصلة بين هاتين الدولتين علاقة حرب وجهاد فحسب ، بل انهـا تجاوزت ذلك الى ما يكون من علاقات تجارية وثقافية وفكرية ، فتنقل عدد من اعلام الدولتين بين الحواضر والمدن المختلفة منهما،وتولى كثير من الاندلسيين مناصب هامة في المغرب ، وكثير من المغاربة مناصب في الأندلس ، وانتقلت بعض الأسر من مواطنها الى البلد الآخر لأسباب سياسية او اقتصادية او طلباً للسلامة. ومن تلك الأسر فرع من بني نصر ينتمي الى ابي سعيد فرج بن اسماعيل امير مالقة [1] ، وينتسب اليه ابو الوليد اسماعيل بن يوسف بن الأحمر الاديب

(١) اللمحة البدرية ص ٢٤ .

المؤرخ النسابة [1] .

كانت الحياة الأدبية في الاندلس والمغرب نشيطة في القرن الثامن « فظل مستوى الثقافة رفيعاً في مملكة غرناطة [2] » ، وظهر في كلتا الدولتين عدد من الباحثين والكتاب والمصنفين والشعراء أعطوا لهـذا العصر صورة ناصعة من صور العهود السالفـة ، كلسان الدين بن الخطيب ، وابن زمرك ، وابي الحسن بن الجياب ، والقاضي ابي الحسن النّباهي ، والشريف السبتي ، ويحيى ابن هذيل ، واسماعيل بن الاحمر وسواهم .

وقد لفت نظري أديب من أدباء هذا العصر هـو الامير النصري اسماعيل ابن يوسف بن محمد بن الأحمر ، الذي نشأ في الاندلس وقضى فيها صدراً من حياته ثم لحق بالمغرب حيث يقيم والده ونفر من آله : بعد ان اهدر سلطان غرناطة دمه ، وازعجه عن الاندلس ، فاستقر بفاس لا يغادرها الا لمامـاً ، واتصل بملوك بني مرين يخدم في حضرتهم ، ويرفع اليهم وإلى وزرائهم وكتابهم قصائده ومؤلفاته ليستمين برفدهم على مطالب الحياة . وكان طوال عمره المديد لا يكل عن ارتياد حلقات العلماء ومطالعة الكتب والتصنيف في موضوعات شتى كالتاريخ والادب وتراجم الاعلام .

في دار الكتب المصرية كتابان مخطوطان لابن الاحمر في التراجم الادبية ، تناول فيهما تراجم نفر كبير من اعلام الاندلس والمغرب – وبعض المشارقة – تحدث عنهم وأورد نتفـاً من اخبارهم واثبت لهم مختارات شعرية او نثرية . وترجع اهمية هذين الكتابين الى ان المؤلف اقتصر في تراجمه على اعيان القرن الثامن ممن ادرك او عاصر ، فهما لهذا على جانب كبير من الاهميـــة سياسياً وفكرياً وادبياً .

---

(١) فهرس الفهارس والاثبات ١٠١/١ .
(٢) تاريخ الفكر الاندلسي ص ٢٤ .

وقد رأيت ان يكون موضوع هـذا البحث دراسة عن ابن الاحمر ، مع نشر احد كتابيه ، عسى ان يسهم ذلك في الدراسات الادبية عن الاندلس واعلامها ، وان يزيد من جلاء فترة هامة من اواخر عهد الاسلام بالاندلس . ويتألف هـذا البحث من كتابين ، اما الكتاب الاول فيتكون من اربعة فصول :

الفصل الاول: في عصر المؤلف ، وقد استعرضت فيه سريعاً الحالة السياسية والاجتماعية التي كانت عليها غرناطة وفاس بخاصة والاندلس والمغرب بعامة ، لما في ذلك من فائدة في ايضاح بعض جوانب حيـــاة ابن الاحمر ، وصلاته بكثير من السلاطين والوزراء والكتاب والفقهاء ، من الدولتين .

والفصل الثاني في حياته : واعتمدت في ذلـك على كتب التراجم – على حذر – لكثرة الاضطراب فيها : قديمها وحديثها ، وأكثرت من الاعتماد على مــــا ذكره في كتبه قصداً او عرضاً ، وحاولت ان أتم الصورة من بعض نصوصه الشعرية والنثرية .

والفصل الثالث في آثاره : فذكرت كتبه ومصنفاته من كتب التراجم ، ومن خلال مؤلفاته التي بين أيدينا ، ووصفت المطبوع من كتبه والمخطوط . وبينت منزلة ابن الأحمر باعتباره من مصنفي كتب التراجم الأدبية .

والفصل الرابع في أدبـه : فدرست نثره وشعره ، وحاولت أن أتبين أسلوبه في النــــثر ومذهبه في الشعر ، وعرضت لآراء نقدية قليلة مبثوثة في كتبه .

وأما الكتاب الثـاني فيحوي النص المحقق لمخطوطة ابن الأحمر (نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان) [1] ، وهو كتاب فريد في دار الكتب

---

(١) (محفوظ بدار الكتب المصرية – أدب ٧٩١٣ –) .

المصرية ، وقد نص بروكلمان في تاريخ الأدب العربي على ذلك . وقد وجدت من أهميـــة هذا الكتاب – وصنوه : نثير الجمـان في شعر من نظمني وإياه الزمان (١) – مـا دفعني الى نشره وتحقيقه ليكون عوناً على دراسة الأدب بخاصة في القرن الثامن في المغرب والأندلس . وسوف أفصّل في مقدمـــة الكتاب الثاني من هذا البحث الطرائق التي اتبعتها في التحقيق .

واني لأشكر استاذي الجليـل الدكتور عبد العزيز الاهواني على حسن رعايته ، وقبوله الاشراف على رسالتي هذه ، ومـا قدمه لي من مساعدة . ومــا أتاحت لي ملاحظاته القيمة ، وتوجيهاته الخالصة من وضوح السبيل وتقريب المقصد .

وبعد : فهذا جهد المقل ، أرجو أن يكون فيه مـا يخدم لغة القرآن ، وأن يسهم فيما تسعى اليه هذه الأمة من استعادة غابر عزها ، وتليد مجدها ، وما النصر إلا من الله .

محمد رضوان الداية

القاهرة : ١ صفر الخير ١٣٨٥
١ حزيران (يونية) ١٩٦٥

---

(١) (محفوظ بدار الكتب المصرية — أدب ١٨٦٣ —) .

الفصل الأول

مقدمات عامة

١ – غرناطة :

كانت مدينة غرناطة إبان الفتح بلدة صغيرة ملحقة بكورة البيرة، وظلت كذلك الى أن استقر بها حبوس الصنهاجي فمدنها وحصنها ، ثم خلفه ابنه باديس فكملت في أيامه [١] .

والمقصود بكلمة غرناطة في دراستنا هذه : هو المنطقة الواقعة في القسم الجنوبي من الأندلس ، والممتدة من ساحل جبل طارق حتى المرية ، والمنبسطة في الداخل حتى سلسلة جبال رندة وجبال البيرة [٢] . وقد اصبحت هذه الحدود التي تعين ابعاد مملكة غرناطة ، هي نفسها التي تعين الارض الاسلامية المتبقية للأندلسيين من جزيرتهم المترامية الأطراف ، وتضم من تبقى من اهل الأندلس في رباط لدى مواقع الجهاد . ويصف لسان الدين حال غرناطة في عصره بعد أن ضيق النصارى على المسلمين وحصروهم في اقليم ضيق فيقول :

---

(١) الروض المعطار : ٢٣ .

(٢) تاريخ الشعوب الاسلامية ٣١/٣ .

« إلا أنها اليوم لم يبق لها إلا علالة لا تروي غلة ، ونفاضة مزاد لا يحسن بهـا قلة ، لم تحفظ دماءها إلا فتن شغلت العدو وشرعت الهدو ، لطف الله يمر بها مرّ النسيم بقدرته [١] » .

وكانت المملكة تضم ثلاث مدن رئيسة هي : غرناطة والمريّة ومالقة [٢]. قال في صبح الأعشى «وقد عدّ في مسالك الابصار من هذه المملكة عدة بلاد مضافـــة الى مملكة غرناطة الآن : المرية ، وشلوبين ، والمنكب ، وبلش ، ومالقة ، ومربلـّة ، وأشبونة ، وجبل الفتح ، والجزيرة الخضراء ، ورندة ، ولوشة ، ووادي آش ، وبسطة ، واندراش [٣] » .

وقـد أطنب الجغرافيون المسلمون والمؤرخون في وصف غرناطة، وبسط مآثرها ومحاسنها حتى لقد شبهوها لحسنها بغوطة دمشق ، فهي جنات متصلة البساتين تغدق من خيراتها على الغرناطيين، ثم انها لم تضق ذرعاً بالوافدين عليها من مدن الاسلام المنكوبة بغزوات النصارى من كافة اطراف الاندلس .

وتخترق المملكة جبـــال الثلج (شلير) ، وهضاب البشرات الوعرة المسالك ، وتقطعها عـدة انهـار مثل نهر شنيل فرع الوادي الكبير ، ونهر اندرش ، ونهر المنصورة . ويحيط بمدينـــة غرناطة فحصها الذي يزيد عن « مسافة يوم في مثله[٤] » وتجري من تحته الانهار -- من كل طرف ، وتغمره كافة اصناف الشجر والنبات ، كما غنيت جبـــال غرناطة ووهادها بأنواع المعادن والأحجار الكريمة ، فجاءت مملكة غنية في كل شيء : تغري كل ذي طموح بأن ينازع في الملك ويستقل بالأمر .

---

(١) أعمال الاعلام ص ٥ .
(٢) الروض المعطار : ٢٣ .
(٣) نفح الطيب ١/١٥٦ .
(٤) صبح الأعشى ٥/٢١٣ .

٢ – بنو نصر في غرناطة :

١ – في التاريخ الاسلامي : لم يكن لغرناطة كبير ذكر اول الفتح ... الى ان صيّرها الحاجب المنصور زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي دار ملك ومقر إمرة لما تغلب جيش البربر مع الأمير سليمان بن الحكم على قرطبة سنة ٤٠٣ هـ . ولكنه لم يملك غير سبع سنين ، وخلف فيها ابن اخيه ثم باديس من بعده . ودخلت غرناطة في دولة المرابطين لما ملك يوسف بن تاشفين الاندلس الى آخر دولتهم سنة ٥٤٠ هـ . وتقلب عليها بعدهم ولاة الموحدين حتى سنة ٦٢٦ هـ ، حيث ثار ابو عبدالله محمد بن هود الجذامي ، ودعا لنفسه فأطاعته الاندلس وكادت تستقيم له الامور،لولا أن ثار عليه البيت النصري[1] بزعامة ابي عبدالله محمد بن يوسف بن نصر الذي ملك غرناطة سنة ٦٣٥ هـ – ١٢٣٧ م وجعلها عاصمة مكة . وظلت غرناطة عاصمة هذه الدولة الصغيرة وحاضرة هذه الامة المنكوبة الى ان سقطت ، فبدلت قوماً غير القوم ، ولساناً غير اللسان ، والله غالب على امره .

٢ – اوليــة بني نصر في غرناطة ، وأثرهم : ظل العرب في الاندلس ، كغيرهم من اهل الامصار الاخرى ، يحفظون انسابهم ويفخرون بالصلة التي تعود بهم الى قبيلة عربية كانت قد وصلت بعض اطرافها الى ذلك الصقع النائي من الدولة الاسلامية الكبرى .

ومن القبائل الشهيرة التي نزل بعض بيوتها الأندلس ، قبيلة (الخزرج) ، التي يتصل بها نسب محمد بن يوسف النصري اول مؤسس لدولة بني نصر في غرناطة . وينقل صاحب الاحاطة أن اقوى ما قيل عن نسبتهم هذه قول الرازي[2] انه : « دخل الاندلس من ذرية سعد بن عبادة رجلان نزل احدهما

---

(١) اللمحة البدرية ص ٢٠ – ٢٢ .

(٢) الاحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٢ ، ص ٦٠ .

ارض تاكرونا ، ونزل الآخر قريـــة من قرى سقرسطونة تعرف بقرية الخزرج [١] » .

ونشأ محمد بن يوسف بأحواز أرجونة من أعمال قرطبة بلده وبلد جده [٢]، في ظل أسرة تعالج الفلاحة ، وبين يدي نعمة وغنى وشهرة ، مهدت له سبيل الظهور ، ومكنته من اصطناع الاعوان ، الى ان بـدأ امره في أرجونة ، ثم في جيان أوائل عـام تسعة وعشرين وستمائة ؛ واستمر في الظهور والتمكن من دعوته حتى دخلت اشبيلية وقرطبة في دعوته ولكن الى حين .

ومضى على عادة الثائرين من أشباه ملوك الطوائف ، فبـايع ابن هود ، ووصل يده بملوك بر العدوة بالمغرب ، واصطنع الدعوة العباسية ، ثم أعرض عن كل ذلك ، الى ان دعته غرناطـة لتملكها سنة خمس وثلاثين وستمائة . فدخلها وجعلها قاعدة دولته وترك جيان للطاغية [٣] ، لشرط كان بينهما ، في حين كانت قرطبة واشبيلية وأحوازهما قد سقطت في يده فعلاً ، وانحصر ملك النصري ، ومن ثم ملك خلفائه من بعده، في حدود (مملكة غرناطة).

وهكذا ألقي عبء الجهاد على عاتق هذه الاسرة ، وفي اعناق المسلمين من اهلها واللاجئين اليها من أطراف الاندلس . واستمرت هذه الدولة الصغيرة تناجز العدو وتناوشه وتثبت امامه على قوته قرنين ونصف قرن من الزمان، بل انها هزمته غير مرة هزائم منكرة ، ولكنها لم تكن ضربات قاتلة تنفس

---

(١) ذكر ابن حزم في جمهرة أنساب العرب أن لسعد بن عبـادة (رضي الله عنه) ابنين : قيس وسعيد . ثم قال : « ولسعيد هذا عقب بالاندلس بقرية يقال لها قوبلان من عمل سرقسطة، من قبل الحسين بن سعيد بن سعد بن عبادة . وبشذونة بنو عرمرم بن جميل بن عصام بن قتادة بن وتاد بن قيس بن سعد...» ص ٣٤٦، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٤٨ .

(٢) الاحاطة : ج ٢ ص ٦٠ .

(٣) هو فرديناند ملك قشتالة (ت ١٢٥٢) انظر نهاية الاندلس ص ١٥٦ .

عن الاندلسيين كربة القلق والشعور بالضعف امام عدو ضخم لا قبل لهم به عَدداً ولا ُعدداً ، وان انضافت اليهم بعض قوة بني مرين من اهـــل بر العدوة .

واستمر الملك في بني نصر منذ عهد محمــد بن يوسف هذا ، الى سقوط الاندلس ، لا ينازعهم في ملكها احــد سواهم . إلا ان بأسهم كان بينهم : يشغب بعضهم على بعض ويستعين كل متشوف الى ملك الحضرة بـ « اللفيف والغوغاء ، والناعقين بالخلمان الشرهين الى تبديل الدعوات .. المعلنين بسوء الجوار وملال الايالات [1] » فلم تزد الدولة على الايام إلا ضعفاً . وبالرغم من الروح الدينية التي كان يبثها العلماء والفقهاء والامراء في الاندلس والمغرب [2] إلا ان الامور كانت تسير الى هاوية ، وكان المسلمون يحطبون في حبل عدوهم طوعاً او كرهاً .

ولا يصح أن نلقي عبء تراجــع المسلمين عن مواضع رباطهم شيئاً فشيئاً على الأندلسيين او المغاربة ، دون أن ندخل في الاعتبار ان عـــدد المسلمين وعُددهم منـــذ سقوط الموحدين كانت أضأل من مثيلاتها عند اعدائهم الذين وحــدوا صفوفهم وأضافوا الى اندفاعهم الهمجي قوة بعض الفرق الاوروبية

---

(١) اللمحة البدرية ، ص ٧٠ .

(٢) في سنة ٦٦٣ بعث الفقيه ابو القاسم العزفي من سبتة ، رسالة مطولة الى قبـائل المغرب وصلحائهم يستنفرهم الى الجهاد . كتب منها نسخاً وبعثها الى سائر بلاد المغرب وبلاد المصامدة . (الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية) لمؤلف مجهول – نشر محمـــد بن ابي شنب الجزائر ١٣٣٩ هـ – ١٩٢٠ م ، صفحة ١١٤ فما بعد . وفي سنة ٦٧٢ وصل كتاب من محمد بن محمد ابن يوسف بن نصر ثاني الامراء النصريين الى ابي يوسف يعقوب المريني يخبره بحال المسلمين ومـا هم فيه من الخوف والقتل والأسر . وكان والده (محمد الأول) قد اوصاه بالاستنجاد ببني مرين وأن يعطيهم ما يريدون لقاء الجهاد .. المصدر نفسه ص ١٦٢ .

الاخرى، من انكليزية وفرنسية وبابوية بشكل خاص [1]. فنحن هنا بالاضافة الى قــلة تقدير المسؤولية من جانب المسلمين ، أمام حرب صليبية سافرة لا ينفع فيها إلا مجابهة القوة بالقوة والسلاح بالسلاح عدداً بعدد ومثلاً بمثل . كما أن ظروف قــلة المسلمين في الأندلس ، وانقسام المغرب بعضه على بعض ، واضطرار سلطان بني مرين الى الانشغال بمناوئيه من بني عبد الوادي خاصة ، وببني حفص ، وما استتبع ذلك من ترك بعض الجيش حامية في المغرب من عدو داخلي ، كل ذلك ، كان له أثر كبير في اعطــاء الفرصة لقوات العــدو أن تتناول الجزيرة بلداً بلداً وأن تــتم استغلاب مــا بقي منها في ريث وبغير لجوء الى معركة حاسمة .

ولسنا هنــــا في معرض التأريخ لغرناطة ولا لبني نصر ، ولكننا سنلقي بعض الاضواء الضرورية على احداث بأعيانها ، وعلى اعلام بخاصة ، لصلة كل ذلك بالموضوع الذي نعالجه ، وسنكتفي غالباً بالاشارة العابرة والالماع المترفق بمــا يكفل حسن الصلة بين اجزاء البحث ويحكم الترابط فــيما بين افكاره . وسنتبع الحديث عن بني نصر بحديث مختصر مثله عن دولة بني مرين لملاقتها الوثيقة بدولة بني نصر ودورها في الأندلس الذي دام اكثر من قرنين .

٣ – دولة بني نصر :

هذه الفقرة معقودة في الاصل لاستعراض سريع يتناول تاريخ بني نصر الى آخر عهد المؤلف، وبخاصة ما يتعلق بالقرن الثامن الهجري الذي عاصره، وشارك جده في بعض احداثه المباشرة . ولكنني سأشير في هذا العرض السريع

---

(١) تاريخ العرب (مطول) ٣/٦٥٢ . والاحاطة ١/٤٢٣ . ونهــاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين ص : ١١٧ . وانظر :

History of Mohammadan Dynasties in Spain. II. 351 Pascal de Gayangos.

الى بعض الاعلام النصريين لايضاح مـكانة اسماعيل بن يوسف – صاحب الترجمة – من اسرته ، وما كان من جلائه مضطراً – كما يبدو – عن الاندلس وانزعاجه الى المغرب .

ذكرنا قبل قليل ان محمد بن يوسف هو اول امراء غرناطة (٦٢٩–٦٧١ هـ ١٢٣١ – ١٢٧٢ م) ، ثبت اركان الدولة ، واورث ابناءه حكمها ، وبالرغم من انه تورط في مهادنة النصارى ومحالفتهم حتى انه تخلى عن كثير من المدن والحصون والقلاع ، الا انه مات وهو على وفاق مع بني مرين ، وترك وصية لابنه :

محمد بن محمد بن يوسف (٦٧١ – ٧٠١ هـ ، ١٢٧٢ – ١٣٠١ م) الشهير بالفقيه ان يستجد ببني مرين ويشد أزرهم . وقد حقق الوصية ، فأجـاز المنصور المريني ابو يوسف يعقوب بن عبـد الحق الى الاندلس اربـع مرات وغزاها واثخن فيها ، ولكن الود لم يتأكد صافيـاً بينهما بغير شوائب ، وتوفي ابو يوسف على جفاء مع صاحبه .

وفي عهد هذين السلطانين : النصري والمريني ، اتفق الرأي على ان يترك ابو يوسف بعض قرابته وجنده في غرناطة تحت نظر النصري ، وعليهم رئيس من بني العلاء – وهم من قرابة بني مرين – يسمى (شيخ الغزاة) . وقـد كان هذا المنصب سلاحاً ذا حدين ، افاد منه المسلمون عوناً على العدو ، ثم ما لبث ان صار مشكلة جديدة تنضاف الى مشاكل غرناطة السياسية .

برزت في عهد هذا السلطان – ومن قبله في عهد والده – اسرة اليحصبيين في الكتابة ، فقد كتب له ابو بكر بن يوسف اللوشي اليحصبي، ثم اخوان من هذه الاسرة . وتولى له كتابة الانشاء : ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم الرندي (١) .

---

(١) قال المقري : «والكتابة بالأندلس اعلاها كاتب الرسائل، والكاتب الآخر كاتب الزمام» نفح الطيب : ج ١ ص ٢٠٢ .

ووُلي بعد محمد الفقيه ابنه .

محمد ، الشهير بالمخلوع (٧٠١ – ٨٠٧ هـ ، ١٣٠١ – ١٣٠٨ م) فأنهض للوزارة كاتبه ابن الحكيم الرندي ، ودبر اخذ سبتة من العزفيين بعد نكبتهم واحضارهم الى غرناطة سنة ٧٠٥ هـ ١٣٠٥ م. وشهد عهده أول الفتنة التي استمرت – على اشكال مشابهة ومختلفة – الى آخر زمن بني نصر . فقد ثارت عليه فئة من كبار رجال الدولة ، فقتلت الوزير ابن الحكيم ونصبت أخاه (ابا الجيوش نصرا) مكانه، ونقل محمد بن الفقيه مخلوعاً معتقلاً الى (المنكب).

وحكم نصر (٧٠٨ – ٧١٣ هـ. ١٣٠٨ – ١٣١٣ م) ابو الجيوش فكانت ايامه « كما شاء الله ايام نحس مستمر » [1] ، لم يحقق نصراً على العدو ولم يهيء استقراراً وهدوءاً لغرناطة . ووزر له ابو بكر عتيق بن محمد بن المول ، من اسرة شهرت بعلاقتها الوثيقة مع بني نصر ، وكتب له الى آخر مدته الكاتب الشهير استاذ لسان الدين : ابو الحسن علي بن الجياب .

ولما آنس ابو الفرج اسماعيل المستولي على الجزيرة ومالقة من نصر ارتباكاً ناوأه وشغب عليه ، وما لبث ابو الوليد بن ابي الفرج أن دخل غرناطة ملكاً بعد أن هُزم نصر مرتين متواليتين بجيوش مالقة ، وخرج المخلوع الجديد الى وادي آش ليشغب على الدولة من جديد .

واستمرت دولة اسماعيل بن فرج من (٧١٣ – ٧٢٥ هـ. ١٣١٣ – ١٣٢٤م) فوزر له علي بن مسعود المحاربي ، وكتب ابو الحسن بن الجياب . وكان على سيرة حسنة : اشتد في اقامة الحدود واراقة المسكرات ، واعتنى بأهل بيت رسول الله ﷺ . وفي عام ٧١٦ دارت عليه الهزيمة في معركة مع العدو

---

(١) اللمحة البدرية ص ٥٧ .

لمساعدة نصر المخلوع جيش الطاغية فسقطت عدة حصون ، وبعد مهلك نصر غزا السلطان فأخذ بسطة قهرا بعد أن ضربها بالآلة العظمى المتخذة بالنفط[1] ثم غزا في عام ٧٢٥ غزوة منصورة ، وفي قفوله منها طعنه ابن عمه محمد بن اسماعيل المعروف بصاحب الجزيرة فقضى عليه .

وولي بعده ابنه محمد (الرابع) (٧٢٥ – ٧٣٣ هـ ١٣٢٤ – ١٣٣٣ م) وكان اديباً شجاعاً ذا مروءة ، فتح حصن قبرة وباغوة [2] ، ومنع الاسبان بسياسة وملاينـــة من جبل الفتح . من وزرائه ابو بكر بن المول ورئيس كتابه ابن الجياب .

وقد تعرض هذا السلطان لفتنة ذر قرنها في أندرش ، اثارها رئيس الجند الغربي عثمان بن ابي العلاء . وسنسرد امر هذه الفتنة لعلاقتها بحياة « اديبنا » ابن الاحمر ، ولتكون نموذجاً للقلق السياسي والاستهتار الذي خيم على غرناطة في هذا القرن :

كان محمد بن احمد بن المحروق اول وزراء محمد (الرابع) على خلاف مع رئيس الجنـد الغربي عثمان بن ابي العلاء ، وتطور الخلاف بينهما الى أن غادر شيخ الغزاء غرناطة مغاضباً ، ومتظاهراً بالخروج عن الأندلس ، وكان « كثير التجني والدالة [3] » ، فانتهز الامير فرصة خروجه ، وأغلق الأبواب دونه ، وعين بدلاً منه في مشيخة الغزاة احد قرابته . فغادر عثمان الى مرسى المرية فضاقت به السبل ، « وتحامت جواره الملوك [4] ، فقصد حصن (اندرش)

---

(١) اللمحة البدرية ص ٧١ .

(٢) الاحاطة : ج ١ ص ٣٥٠ .

(٣) اللمحة ص ٦٧ .

(٤) الاحاطة ٣٥١/١ .

وداخله ، فدخل في طاعته ، وأضاف اليه ما يجاوره . وكان لا بـد له من (امير) من البيت النصري يكون سلطاناً للناس . فاستقدم محمـد بن ابي سعيد فرج عم السلطان [1] من تلمسان في صفر من عـام ٧٢٧ هـ ، ونصبه سلطاناً . وعزم شيخ الغزاة على اخـذ غرناطة ، فقامت بينه وبين الجيش الغرناطي حروب تناصفوا فيهـا النصر والهزيمة ، فاستغل الاسبان – على عادتهم – هذه الفتنة وعاثوا في الثغور فساداً وأخـذوا ثغر وبرة وجملة من الحصون [2] ، فصرف صاحب غرناطة رنـدة ومربلة الى ملك المغرب محاولة منه لتجنب استيلاء النصارى عليها واضطربت المملكة اي اضطراب .

ثم فتك امير غرناطة بوزيره ابن المحروق فزال سبب جفوة ابن ابي العلاء ، واتصل بينهما الود من جديد واستدعى شيخ الغزاة الى غرناطة ، فما كان منه الا ان صرف سلطانه محمد بن ابي سعيد فرج الى تلمسان ، فخرج من اندرش ، وانتهت دولته وكأنها لم تكن .

والظاهر من هـذه النتف القليلة ومن رواية حفيـد (محمد بن فرج)

---

(١) ذكر هذه الحادثة لسان الدين في اللمحة البدرية ص٨٠ ، وفي اعمال الاعلام ص ٢٩٦– ٢٩٨ ، وفي الاحاطة في ترجمة الامير محمـد بن اسماعيل ج ١ ص ٣٥١ ، وأغفل ذكرها في رقم الحلل ، كما أورد ابن خلدون طرفاً ملخصاً منها في العبر ج ٤ ص ١٧٤ . ولم يفصل لسان الدين – ولا ابن خلدون – بأكثر مما لخصت منها . ولعل ابن الخطيب استصغر شأن هـذه الحادثة لاخفاقها فما عرج الا على ملامح منها . ويلاحظ ان ابن خلدون يجعل استقدام (محمد بن فرج) من شلوبانية لا من تلمسان. ووجه الملاحظة ما قاله صاحب صبح الاعشى نقلاً عن مسالك الابصار في صبح الاعشى ج ٥ ص ١٨ ، من ان شلوبين « معـدة لارسال من يغضب عليه السلطان من أقاربه » .

(٢) ملكهم في هذا الوقت ألفونسو الحادي عشر (انظر نهاية الاندلس ، الطبعة الاولى : محمد عبدالله عنان ١٥٨) . قال لسان الدين : « ثم كبر ألفنش هذا (ابن فرذلند) فاستولى على ثغر وبرة عند فتنة الغزاة بأندرش ، ثم على بلد أطيبه والحضرة المنسوبة اليها . (انظر ص٣٣٥ اعمال الاعلام) .

« كاتبنا » اسماعيل بن يوسف بن محمد ان هذا السلطان المتوثب قد اتخذ صفة الملك وعلاماته ، وان كانت دولته لم تستمر مـــا يكمل السنتين (من صفر ٧٢٧ هـ ، الى محرم ٧٢٩ هـ فقط) . وهذا هو السلطان الذي قال حفيده ان لقبه : القائم بأمر الله محمد .

قال ابن الاحمر في (نثير فرائد الجمان) في ترجمة الكاتب الاندلسي : ابي علي حسن بن يوسف بن عبد السلام الخزرجي [١] : « هو كاتب امارة جدي والد أبي بأندرش ، وصاحب علامة صكوكه التي اليها الترفيع افترس وافترش ... ولم يزل يكتب لجدي في حضرة إمامته الاندرشية ما خط من الرقاع .. الى ان خلع جدي عن تأميره الاندرشي ، وفقد من كرسي ملكه سيف أمره الذي كان بالموشى [٢] » .

ونجا امير غرناطة من فتنة عمه ، وصرف همه الى استعادة المدن والحصون ، ومدافعة الاعداء ، ولكنه لم ينج من دسائس الجند الغربي إذ قضوا عليه سنة ٧٣٣ هـ ١٣٣٢ م وهو اشد ما يكون تحفزاً ونشاطاً .

ثم قام بالأمر اخوه يوسف (٧٣٣ – ٧٥٥ هـ ، ١٣٣٢ – ١٣٥٤ م) وهو حدث لم يجاوز المراهقة فوزر له أبو الحسن بن المول ، وكتب عنه ابو الحسن بن الجياب وتولى قضاء دولته الشريف الغرناطي . ومن أهم اعماله انه صرف المشيخة عن بني العلاء الى بني رحو ، وبنى حصناً متصلاً بقصبة مالقة ،

---

(١) ذكره ابن الخطيب فقال : « ابو علي الحسن بن عبد السلام بن يوسف ، وهو الانصاري رحمه الله : الشيخ الكاتب » ... وفي اسم ابيه وجده تقديم وتأخير . ولم يشر ابن الخطيب الى تولي هذا الكاتب منصباً ما في دولة القائم بأمر الله ، فانه لم يكترث اصلاً بفتنته . (الكتيبة الكامنة ص ٢٠٥) . ولم يترجم ابن الاحمر لهذا الكاتب في كتابه (مستودع العلامة ومستبدع العلامة) ، مع انه مخصص لمن تولى منصب كتابة العلامة .

(٢) نثير فرائد الجمان ، مخطوطة دار الكتب (ادب ٧٩١٣) الورقة ٥٢ / و .

وبنى « بكر المدارس » في غرناطة ، وانتهت حياته على يد ممرور بضربة خنجر دون ان يُعرف من بعثه لذلك .

ثم برز للملك ابنه محمد الغني بالله ، ورافق عهده عدد من الحوادث والاضطرابات ، فقد استمر على الملك من سنة ٧٥٥ ، حتى ٧٦٠ ووزيره حينها لسان الدين بن الخطيب الذي ارتقى الى رتبة الوزارة منذ سنة ٧٤٩ حين توفي شيخه الوزير ابن الجياب ، فاتخذه السلطان يوسف وزيراً. وفي سنة ٧٦٠ ثار بالغني بالله قريبه محمد بن اسماعيل بن (محمد صاحب اندرش) بن أبي سعيد فرج ، وعين أخا الغني بالله اسماعيل بن يوسف ، وتمكن الغني بالله من ان يفر مع وزيره الى وادي آش . ثم خاطب سلطان المغرب أبا سالم ابراهيم بن علي المريني في شأن قدومه اليــه فتلقاه بالقبول فخرج اليه ونزل في فاس ، وفي هذه الرحلة أنشد لسان الدين صاحب المغرب :

سلا هل لديها من مخبرة ذكر　　وهل أعشب الوادي ونم به الزهر

وعاد الغني بالله الى الاندلس مزوداً بالجيش والسلاح، واجتمع بملك الروم المعطي عن نفسه صفقة الاعانة [1] ولكن الجيش المريني عـاد بعد موت أبي سالم ، وأخل صاحب قشتالة هذا بشرطه اذ أخذ لنفسه كل ما استولى عليه باسم الغني بالله ، فأحجم الغني ، واعتذر للطاغية [2] وأقام في رندة ثم مال الى مالقة فأطاعته . وحين آنس المتغلب على غرناطة منه قوة ، غادر

(١) كان ابن خلدون اكثر صراحة وواقعية حين عرض لهذه الحادثة ، فقـــال : « وأجاز — يعني الغني بالله — باستدعاء الطاغية لاسترجاع ملكه حين فسد ما بين الطاغية وبين الرئيس المتوثب عليه بالاندلس من قرابته ». انظر : التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً : ٧٩.

(٢) كان ملك قشتالة في هذه الفترة بيدرو القاسي (٧٥١—٧٧٠هـ / ١٣٥٠—١٣٦٨م). وانظر تفاصيل العلاقة بين الملكين : نهاية الاندلس ، الطبعة الثانية : ١٦٠ — ١٦١ .

الحضرة الى صاحب قشتالة . فتقدم الغني بالله ودخل المدينة مرة اخرى . واستمر ملكه في هذه الدولة الثانية حتى ٧٩٣ هـ – ١٣٩٠ م .

وكانت دولة الغني بالله الثانية هادئة من حيث الصلة بالنصارى فالتفت الى اللهو بالوزراء والسلاطين ؛ فهو الذي دبر اجازة أبي العباس احمد المريني الى المغرب ، فلما تمكن هذا من حضرة فاس وفى بوعده وشرط ابن الاحمر عليه من تدبير مقتل لسان الدين بن الخطيب . وسأعرض لمكائده في المغرب في فصل خاص أختم به العرض التاريخي . كما انه نكب وزيره الآخر ابن زمرك ولكنه ترك مهمة الاجهاز عليه الى ولي عهده فيما بعد !

أما فترة غياب الغني بالله عن غرناطة فقد شغلها اميران : اخوه القاصر اسماعيل بن يوسف (٧٦٠ – ٧٦١ هـ . ١٣٥٨ – ١٣٥٩ م) وكان الاسم له ، والرسم للمستبد بأمره ، والواثب على السلطان محمد بن اسماعيل بن محمد بن فرج . ثم بدا لهذا المتوثب ان يحكم منفرداً فدبر مقتل اسماعيل واستقر على عرش غرناطة ... الى ان لاحت بوادر انتصار الغني بالله ، فغادر الى صاحب قشتالة بلا عهد سابق ، فقتله مع حاشيته وأرسل برؤوسهم الى الغني تألفاً له ، وكسب شيئاً آخر هو انه انتقم لنفسه من هزيمة كان أجراها عليه .

ولا بد من أن اسجل هنا ان الاسبان ما كانوا يجرؤون على منازلة المسلمين في معركه حاسمة لأخذ غرناطة ، بل كانوا يقنعون بسرقة الحصون واستلابها واحداً بعد واحد . كما أن صاحب قشتالة كان يستخدم قوته في التلاعب بعرش غرناطة وسلطنة فاس معاً . ومثال ذلك أن ابا سالم ابراهيم المريني الذي نزل عنده الغني بالله ، كان في دار الحرب ، كما أن الغني غادر ابا سالم من فاس بطلب من صاحب قشتالة ايضاً ، وجاءت ثالثة الأثافي حين لجأ المتوثب على الغني بالله الى عدوه صاحب قشتالة. كل هذا في سنوات متقاربة ، وعن خطة واحدة رسم بعضها بدقة ومكر ، وجاء بعضها بقدر . ولم يخجل

الطاغية حين أخذ حصون الأندلس لنفسه لمّا اطاعته باسم الغني بالله ، رغم العهود بينهما . نقول هذا ، والأندلس من طرف والمغرب من طرف آخر يجاوزان القمة ، ويميلان الى الانحدار . وما ان اطل القرن التاسع حتى مالت شمس الاسلام في الاندلس الى المغيب شيئاً فشيئاً ، دون إن تجد في المغرب صدى لاستغاثة ، كلا ولا في المشرق [1] المهيض الجناح المستعجم اللسان .

وولي بعد الغني بالله ابنه يوسف (الثاني) ٧٩٣ – ٧٩٧ هـ . ١٣٩٠ – ١٣٩٤ م ويبدو ان عهده كان عهد هدوء نسبي ، اذ صالح صاحب قشتالة باطلاق بعض الاسرى ، وحاول اخوه محمد الثورة عليه فأخفق . وفي عهده برز الكاتب الشهير الشاعر ابن زمرك تلميذ لسان الدين والساعي في قتله ، ولكن هذا الكاتب يلقى مصرعه في عهد هذا السلطان . ويختم القرن الثامن بامارة محمد بن يوسف بن محمد الغني بالله (٧٩٧ – ٨١٠ هـ . ١٣٩٤ – ١٤٠٧م) وينقضي القرن الثامن الذي يمثل فترة الازدهار السياسي والفكري والأدبي في غرناطة وفاس ليبدأ القرن التاسع ويبدأ معه الانحدار الى هوة السقوط .

٤ – المغرب في القرن الثامن الهجري :

شهدت الجزيرة الاندلسية حركتين سياسيتين اجتاحتا المغرب الواحدة بعد الاخرى : حركة المرابطين ، ثم دعوة الموحدين ، طغى عليها مدهما ، واطالا في بقاء الاندلس والاندلسيين قروناً ، واثبتا ان بقاء الاندلس رهين بنجدة المغرب وإجابة الصريخ كلما حزب أمر ودعا داع ، بل وبتسلّم المغاربة زمام الامور من يد الاندلسيين .

---

(١) كان اهل غرناطة وملوكها يتصلون بالدول المسلمة ذات القوة لمساعدة غرناطة ، ومن ذلك سفارة بعض الغرناطيين الى مصر . انظر : (سفارة سياسية من غرناطة الى القاهرة) بقلم الاستاذ الدكتور عبد العزيز الاهواني . مجلة كلية الآداب ، المجلد السادس عشر الجزء الاول سنة ١٩٥٤) وقد أخفقت هذه السفارة كغيرها .

ولما بدأ الضعف يتسرب الى دولة بني عبد المؤمن من الموحدين ، ظهر المتوثبون كعادتهم في المغرب والاندلس ، يتناولون اطراف الدولة ثم قواعدها بالاستيلاء والاستقلال . وكان من سوء الطالع انه لم تقم دولة قوية تعدل في عنفوانها اندفاع المرابطين ، ولا بأس الموحدين ، فظهرت من جديد دول طوائف تقتسم الاندلس والمغرب كبني مردنيش وابن هود وابن الاحمر في الاندلس ، ومثل بني مرين في المغرب وبني عبد الوادي بتلمسان وبني حفص بتونس وبجاية. وجلا القرن السابع عن دولة واحدة في الاندلس لبني الاحمر، وعن بقاء دويلات المغرب على ما هي عليه .

واستمرت هذه الدويلات الاربع – في القرن الثامن – على حالها من الاستقلال والتغلب في احوال الفتن ، هـــذا الى ان القرن الثامن في المغرب والاندلس كان عهد رخاء مادي ونبوغ فكري وازدهار حضاري شامل . وقد برزت دولة بني مرين دون غيرها في القوة والغلبة العسكرية ، فأبلوا بلاء حسناً في الجهاد بأرض الاندلس ، وسادوا على تلمسان وتونس وبجاية مرات وكانت الدولتان المغلوبتان تعودان سريعاً الى سابق عهدهما ، وحمل المرينيون عبئين : عبء الجهاد وعبء القضاء على المناوئين .

وظلت دولة بني نصر على صلة بالمغرب لا تنقطع . غير ان أهواء الامراء والخلق السياسي القُلـّب في تلك الفترة ، والطمع المؤدي الى قلة الاكتراث بالعواقب أدت كلها الى التسامح في صـلة بني الاحمر بقشتالة ، والتقلب بين الاستنجاد ببني مرين اقرب دول المغرب الى الاندلس ، وبين الاستنامة الى العهود الخلب من ملوك قشتالة . والناظر الى تاريـخ هذه الفترة لا يعدم أدلة كثيرة على هذا الازدواج في النظرة السياسية .

وكان من حسن العناية ان حظيت دولة بني مرين الى منتصف هذا القرن بسلاطين أقوياء مكنوا لدولتهم وبسطوا نفوذهم على ما جاورهم من دويلات

اكثر من مرة ... وجرت محاولات لضم اجزاء المغرب بعضهـا الى بعض . ولكن الظروف آنذاك من قبلية وسياسية أبت ان تتم تلك الخطوات الرائعة. ولو تمت لتغير وجه التاريخ الاسلامي كله في المغرب والاندلس معاً ، والله غالب على أمره .

٥ – دولة بني مرين :

المغرب : يقصد بكلمـة المغرب هنـا الجزء المعروف اليوم باسم المغرب الأقصى تقريباً . والحقيقة أنه لم تكن هناك حدود نهائية بين هذه الاقاليم ، ولم تنشأ هذه التسميات إلا عن اصطلاحات جغرافية وادارية في الغالب، لأن المنطقة الممتدة ما بين مصر وبين البحر المحيط (الاطلسي) كانت غالباً – في التاريخ الاسلامي– تحت نظر دولة واحدة او انها لم تستقر على هذه التقسيمات إلا في القرن السابع حـين ظهرت دولة بني مرين في المغرب ثم دولة بني عبد الوادي في تلمسان ودولة بني حفص في تونس .

أما دولة بني مرين فقد انحصرت في هذه الحدود تقريباً :

فمن الشمال البحر الشامي : من جزائر بني مزغنانة في بلاد بجاية الى البحر المحيط .

ومن الجنوب الصحراء الكبرى الآخذة من بلاد البربر الى جنوب افريقية (مملكة تونس) .

ومن الشرق جزائر بني مزغنانة ، وما هو آخذ على حدهـا الى الصحراء الكبرى .

ومن الغرب البحر المحيط ، من بحر الزقاق الى نهـاية بلاد البربر المتصلة بالصحراء الفاصلة بين هذه المملكة وبلاد السودان .

وأهم قواعد المغرب : فاس ، وسبتة ، ومراكش ، وسجلماسة .

ومن مدنهـا المشهورة : آسفي ، وسلا ، ولمطة ، والسوس ، وطنجة ، وأغمات ، ودرعة ، وتادلا ، وأزمور ، ومدينة باديس [1] .

فاس : اتخذ المرينيون فاس عاصمة لهم . وكان قد بنى (فاس) الشريف الأمير ادريس بن ادريس سنة ١٩١ هـ. وكان ان نزل بقسمها الشرقي الوافدون من الاندلس فسميت عدوة الاندلسيين، ويقسمها الغربي الوافدون من القيروان فسميت عدوة القرويين . وبني جامع القرويين المشهور سنة ٢٤٥ ، وفيـه وضع سيف الشريف ادريس [2] .

وفي سنة ٦٧٤ بنى السلطان ابو يوسف يعقوب المريني مدينة ملاصقة لفاس سماها (المدينة البيضاء) وسميت من بعـده (فاس الجديدة) ، وبنى ابنـه ابو سعيد عثمان الى جانب المدينة البيضاء مدينة حمص ، وقـام بعيداً عنها ربض النصارى يفصل بينها النهر الذي يتلاقى مع وادي سبو .

وقد كثرت في المدينتين الجوامع والمساجد والحمامات والاسواق والمدارس والخوانق والربط وجرت الميـاه في بيوتها لكثرة العيون فيها ، وفي كتاب « تأسيس مدينة فاس [3] » صورة رائعـة للأحوال المادية والرخاء وبسطة العيش التي كانت عليها فاس . وقد مدح هـذا المؤلف الذي عاش في القرن الثامن هذه المدينة ببعدها من اطراف الارض التي تخاف فيها الفتن والغارات،

---

(١) صبح الاعشى ج ٥ ص ١٥٢ وما بعدها .

(٢) كتـاب تأسيس مدينـة فاس – لمؤلف مجهول – مخطوط بدار الكتب المصرية (ح ٩٧٣٢) : ٦٣ . وقد افرد ابن الاحمر باباً من ابواب كتـابه (نثير الجمان) للشعر الذي قيل في هذا السيف ، وذكر بعض هذا الشعر صاحب (تأسيس فاس) ومن المستغرب ان صاحب جذوة الاقتباس قد نقل هذا الكتاب برمته مع تعديل طفيف في بعض المواطن وجعله مقـدمة للجذوة دون اشارة الى هذا مع انه يشير عادة الى نقوله ومآخذه .

(٣) المرجع السابق .

وبقرب العيون السخنة منها ، وبأن أهلها مخصوصون برفاهية العيش وحسن الصنعة .

٦ - بنو مرين :

ينتسب بنو مرين الى زناتة من البربر. وقد لفق الكثير من المؤرخين للبربر عامة ، ولبني مرين خاصة نسباً عربياً . ومن هؤلاء ابو الوليد اسماعيل بن الاحمر الاديب الكاتب في (روضة النسرين) . فقد اثبت لبني مرين – مجارياً صاحب الذخيرة السنية، دون اشارة، نسباً عربياً ، كما اورد لهم – وان كان بصيغة التمريض – نسباً شريفاً يرقى الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه[١].

كان بنو مرين قبائل تسيح في زاب افريقية والزاب الأسفل ، وهم من جبل هناك يقال له (ايكجان) [٢] ، لهم رؤساؤهم منهم ، وكثيراً ما كانوا يغيرون على المغرب وبخاصة بواديه مثل (بوادي زناتة) الى ما يلي تلمسان فيجعلونها تحت نظرهم . الى ان دخل (عبد الحق بن محيو) أبو ملوكهم المغرب من الصحراء من زاب افريقية موضع امارته مع قوم من بني مرين عام عشرة وستمئة فامتلك جميع بوادي المغرب وضيق الواسع على ملوك الموحدين ، فأطاعته قبائل البربر وعظم سلطانه .

وتتابع الامراء منهم الى ان وصل الى الحكم : يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦ – ٦٨٥ هـ).

وكان بنو مرين قد ظهروا على الموحدين ، وبدأ نجمهم بالظهور منذ هزيمة الموحدين من بني عبد المؤمن في (العقاب ٦٠٩ هـ) بالاندلس . وما ان

---

(١) روضة النسرين في دولة بني مرين ، ص ٩ .

(٢) روضة اللسرين في دولة بني مرين : ١١ .

ثسلم يعقوب الزمام حتى جعل همه أنهاء دولة الموحدين ، فتم له ذلك بعد أن قضى على آخر ملوكهم ودخل مراكش سنة ثمان وستين وستمائة .

وكانت لهذا السلطان وقائع مشهودة ضد الروم بالاندلس ، حتى انه توفي مرابطاً بالجزيرة الخضراء ، وهو معسكر للجهاد .. وجاء بعده ابنه الناصر يوسف بن يعقوب (٦٨٥ – ٧٠٦ هـ ، ١٢٥٨ – ١٣٠٦ م) .

وقد جاز الى الاندلس واجتمع بمحمد الثاني النصري بظاهر مربلة ، إلا ان وحشة نشأت بينهما أدت الى تعطل الجهاد وضياع جزيرة طريف . وهو الذي أمر بعمل المولد النبوي [1] وتعظيمه والاحتفال له ، وجعله من الاعياد في جميع بلاده . كما انه غزا تلمسان. وقتله بعض خصيانه معسكراً خارجها. ثم اختلف بنو مرين على السلطة اختلافاً أدى الى مقتل نفر من وجوههم ثم اتفق القوم على تمليك: أبي ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف(٧٠٦ – ٧٠٨ هـ. ١٣٠٦ – ١٣٠٨ م) .

فلم تطل مدتـه ، وتوفى بأحواز طنجة ، ثم آل الامر الى أخيـه : أبي الربيع سلـيمان بن عبد الله بن يوسف (٧٠٨ – ٧١٠ هـ ، ١٣٠٨ – ١٣١٠ م) وفي عهده عـادت سبتة الى بني مرين ، وانتهت فتنة عثمان بن أبي العلاء بأن صرف الى مشيخة الغزاة بالاندلس . ثم حـكم الدولة : ابو سعيد عثمان بن يعقوب (٧١٠ – ٧٣١ هـ ، ١٣١٠ – ١٣٣٠ م) .

ومن أهم الاحداث في عهده انه سار الى تلمسان سنة ٧١٤ فأخذهـا من موسى بن عثمان العبد الوادي ، وبنى عدة مدارس ، وأصهر بابنه ابي الحسن الى بني حفص اصحاب افريقية ، وقصده وفـد غرناطي لطلب المعونة ضد

---

(١) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى ٣/٦٨ .

الأسبان . ولكن المريني اشترط على الوفد أن يسلموه عثمان بن ابي العـــلاء فأسقط في يد الوفـــد لانه لم يتوقع مثل هذا ، وعاد الوفد خائباً . وينفرد صاحب صبح الاعشى بخبر يزعم ان أبا سعيد عثمان أجـاز الى الاندلس وهزم بدرو وجوان [١] وهذا وهم لأن الذي قهرهمـا في معركة سريعة هو شيـخ الغزاة ، وكان نصره مؤزراً .

وولي بعده ابنه ابو الحسن علي (المنصور) ٧٣١ - ٧٥٢ هـ ، ١٣٣٠ - ١٣٥١ م) أثنى عليه في روضة النسرين ووصفه بالتقوى والعفة ونبذ الراحات وعدم شرب الخمر وحب الصلحاء والعدل في الرعية . وكان هذا السلطان عالي الهمـــة قوي الشكيمة ذا بأس شديد ، قضى معظم مدته في حروب ومعارك ، فقد زاره [٢] يوسف الاول بن الاحمر وطلب معونته فأمده بجيش وسلاح ، ثم اجاز بجيشه سنة ٧٤١ ، ولكن الهزيمة تقع على المسلمين ويخرجون من المعركة ممحصين . واخذ العدو الجزيرة الخضراء ، فعـاد ابو الحسن الى المغرب ليستجمع قواه .

كان ابو الحسن قد اخذ تلمسان سنة ٧٣٧ وقتل صاحبها عبد الرحمن بن موسى العبد الوادي ، ولكنه اضطر الى الخروج ثانية اليها سنة ٧٤٨ ، فترك ولي عهده أبا عنان فارس على تلمسان ثم قصد بجاية وتونس فضمها الى دولته ، واصبح المغرب كله من حدود مصر الى البحر المحيط دولة مرينية واحدة . ولكن الثائرين من بني حفص في افريقية لم يذعنوا فثـاروا على ابي الحسن وآزرهم في ذلك عرب سليم فاضطربت اموره وتضاربت الاخبار في تلمسان عنه حتى زعموا ان ابا الحسن غرق بأسطوله في مياه بجاية ، فبويع لابنه ابي عنان في تلمسان ، وعاد الى فاس بعد ان ترك على تلمسان اميراً من بني عبد الواد ، ملحقاً به .

---

(١) صبح الاعشى للقلقشندي ١٩٨/٥ .
(٢) الاستقصاء للسلاوي ١١٤/٣ .

ولما عاد ابو الحسن ناجياً مع قلة من اصحابه سد ابو عنان ابواب فاس دون ابيه ودارت معارك بينهما تحاشى كثير من المؤرخين التفصيل فيهـا ، وتوفي الأب سنة ٧٥٢ في جبل هنتانة بعد ان خسر ملكه ، وفقدت الدولة وحدة المغرب [١] .

وكان من ابرز كتاب هذا السلطان عبد المهيمن بن محمد الحضرمي ، الذي كان كاتباً لأبيه من قبل ، وعلي بن علي القبائلي .

وحكم ابو عنان فارس (٧٤٩ – ٧٥٩ هـ ، ١٣٤٨ – ١٣٥٧ م) .
فاستعاد تلمسان من بني عبد الوادي سنة ٧٥٣ . ثم تحرك الى افريقيـــة فأخذ بجاية صلحاً ، ثم قسطنطينة واحتل تونس سنة ٧٥٨ . ولكن الحفصيين بعد عودة المريني – كانوا اسرع في استعادة تونس منهم في المرة السابقة ، ثم اخذوا بجاية سنة ٧٦١ [٢] .

كان ابو عنان محباً للعلم ، مقرباً الأدباء ، فقيهـــاً يناظر العلماء ، عارفاً بالمنطق وأصول الدين . وزر له نفر كثير اشتهر منهم : عبدالله بن علي الياباني ، والحسن بن عمر الفودودي وكتب له نفر : منهم عبدالله بن ابراهيم بن الحاج ، وعبدالله بن يوسف بن رضوان الخزرجي . وكان ابو عنان ممن قـدم عليهم لسان الدين ، وحصلت بينهما الفـة ورسائل [٣] . وازدهرت في عهد هـذا السلطان الحضارة وكثر العمران كما سنعرض في فصل تال .

---

(١) ظهرت نتائج هذه الفتنة سريعاً في الاندلس. قال لسان الدين : « ثم أملى الله له – يعني ألفونس ملك قشتالة – بشق عصا الامة ، ومـا نال امير المسلمين المرجو لنصرها من التمحيص بالقيروان ، واستبداد ولده عليه بملك المغرب، فانتهز الفرصة في الاندلس، ليأس اهلها من نصرة الاسلام ، فتحرك ونازل جبل الفتح » . اعمال الاعلام ص ٣٣٥ .
(٢) الخلاصة النقية في أمراء افريقية : ص ٧٦ .
(٣) نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ، الورقة ٤٠ / و .

وبانتهاء دولة ابي عنان تبدأ فترة الضعف في الدولة المرينية ، اذ يتسلط الوزراء والحجاب على السلاطين الذين كانوا ينصبون – غالباً – ضعافاً او في سن الطفولة والمراهقة . وصارت الامور تسير على هوى الوزير او الحاجب في أحسن الاحوال ، او على هوى بلاط غرناطة او بلاط قشتالة اذ تبعث من الأمراء الوافدين من بني مرين من يضمن لهم حقوقاً وامتيازات وتنازلات سنعرض لبعضها في فصل آخر .

وكان ينبغي ان نختم هذا الحديث عن تاريخ بني مرين السياسي لأنـــه لا جديد فيه الا منازعات داخلية لم تنته الا بانتهاء الدولة ، ولكننـــا سنعرض سريعـــاً للسلاطين الى آخر القرن لصلة ابن الأحمر الاديب الكاتب بهم ، او ببعضهم على الأصح .

مات ابو عنان مقتولاً : خنقه وزيره الحسن بن عمر الفودودي [١] وقدم للملك ابنه [٢] أبا بكر السعيد بن ابي عنان (٧٥٩ – ٧٦٠ ﻫ ، ١٣٥٧ – ١٣٥٨ م) .

وخرج الجيش المريني في عهـــده الى تلمسان ، فبايع الأمير منصور بن سليمان ، وقفل الامير بالجيش الى فاس منازعاً السلطان السعيد فتحصن الوزير وامتنع عنهم . وفي هذه الاثناء اجاز سلطان قشتالة أبا سالم ابراهيم بن ابي الحسن الى المغرب فدخلت في طاعته أصيلا وطنجة وسبتة ، فانفض الناس عن منصور بمالأة ابن خلدون كاتبه لأبي سالم وسعيـــه في انفضاض رؤوس بني مرين من حوله [٣] ، ودخل الوزير الحسن بن عمر في طاعة ابي سالم وخلع السعيد محمداً

---

(١) روضة النسرين : ص ٢٧ .

(٢) كان الوزير قد بايع محمد بن ابي عنان ، الا انه غير رأيه وبايع ابا بكر ثم خنق محمـداً من يومه . روضة النسرين : ص ٣٠ .

(٣) التعريف بابن خلدون : ص ٦٩ .

ثم قبض على منصور وقتله .

ابو سالم ابراهيم بن علي (٧٦٠ – ٧٦٢ ﻫ ، ١٣٥٨ – ١٣٦٠ م) .

وفي عهده قدم الغني بالله ابن الاحمر ووزيره لسان الدين مخلوعين من غرناطة ، ولما استدعى صاحب قشتالة الغني بالله أمده بجيش وسلاح لطلب ملكه . ولم تطل مدته اذ قتله وزيره عمر بن عبد الله، وذكر الاديب الكاتب ابن الاحمر انه شهد مقتله . وجاء الوزير بأبي عمر : تاشفين بن ابي الحسن (ذي القعدة ٧٦٢ – صفر ٧٦٣ ﻫ ، ١٣٦٠ – ١٣٦١ م) .

وكان معتوهاً موسوساً « ميئوساً من افاقته »[1] ، فاستدعى الوزير محمد ابن يعقوب بن علي المريني: أبا زيان (٧٦٣ – ٧٦٧ ﻫ ، ١٣٦١–١٣٦٥م).

فقدم من دار الحرب[2] (قشتالة) ، وقضى مدة ملكه في عبث ولهو فسئم منه وزيره عمر بن عبدالله ودبر مقتله ، واستدعى سلطاناً آخر . وفي عهد هذا السلطان بعث الغني بالله ابن الاحمر ثائراً مرينياً ليطالب بملك آبائه، وستكون هذه البدعة فاتحة لسلسلة من عبث النصري بالعرش الفاسي كما سنعرض في الحديث عن (الصلة بين الاندلس والمغرب في القرن الثامن) .

ابو فارس عبد العزيز بن ابي الحسن (٧٦٧ – ٧٧٤ ﻫ ، ١٣٦٥ – ١٣٧٢ م)

واستردت الدولة في عهده بعض عنفوانها ، فأعان سلطان غرناطة على استرجاع الجزيرة الخضراء ، وفتك بالوزير عمر بن عبد الله بن علي الياباني الذي اكثر من العبث بهيبة الدولة .

---

(١) الاحاطة : ج ٢ ص ٢١ .

(٢) الاستقصاء : ج ٤ ص ٤٤ .

وخرج الى تلمسان سنة ٧٧٢ فأخذها من ابي حمو ، واستقبل لسان الدين في تلمسان ايضاً ، بعد ان غادر غرناطة متظاهراً بتفقد الثغور ، وأكرمه وسعى في طلب اهله . وذكر الاديب الكاتب ابن الاحمر في روضة النسرين أنه « كان عفيفاً متمسكاً بالدين محباً في الخير واهله ، لم يقع قط في فاحشة ، ولم يشرب الخمر وهو صالح الملوك [1] » .

السعيد بالله ابو زيان محمـــد بن عبد العزيز (ربيع الآخر ٧٧٤ – محرم ٧٧٦ ، ١٣٧٢ – ١٣٧٤ م) .

فيه ألف لسان الدين كتابه اعمال الاعلام ، وكان الوزير ابن غازي هو المدبر لأمره والمستبد بدولته . وكان ان فسد ما بين ابن غازي وابن الاحمر لاستمرار لجوء لسان الدين في المغرب والتمنع عن اسلامه ، فسرح ابن الاحمر أبا العباس احمد بن أبي سالم المريني بجند وسلاح ليأخذ الملك على ان يسلم ابن الخطيب ، فظهر ابو العباس على الوزير ابن غازي وآلت الدولة اليـه .. وفي عهده امتحن لسان الدين ، وقضى صريع الفتن والاهواء .

ثم خرج ابو العباس الى تلمسان فأخذها ثانيـــة من ابي حمو ٧٨٦ فخالفه موسى بن ابي عنـــان المتوكل على الله (٧٨٦ – ٧٨٨ ، ١٣٨٤ – ١٣٨٦) بمساعدة ابن الاحمر الذي اشترط عليه ان يتنازل له عن سبتة ففعل . وعاد ابو العباس الى فاس فبعث بـه موسى مكبلا الى الاندلس . ولكن هـذا السلطان يقتل مسموماً بيد وزيره مسعود بن ماساي، فيقدم للحكم « المستنصر بالله أبا زيان محمد بن ابي العباس احمد » (٧٨٨ رمضان – ١٥ شوال ٧٨٨) الا ان الوزير يغربه للأندلس ويقدم للحكم : الواثق ابا زيان محمد بن ابي الفضل ابن ابي الحسن ١٥ شوال ٧٨٨ – ١٥ رمضان ٧٨٩ .

---

(١) روضة النسرين في دولة بني مرين : ٣٣ .

ووزيره المتغلب عليه مسعود بن ماساي . واختلف الوزير المريني مع ابن الاحمر على سبتة التي كانت تحت نظر النصري منذ عهد موسى بن ابي عنان ، فسرح النصري ابا العباس احمد ثانية ، وتمكن هذا بعد فتنـة جديدة من ان يتسلم عرش فاس ، وان يخضع تلمسان مرة اخرى .

ثم حكم ابنه ابو فارس عبد العزيز(٧٩٦ - ٧٩٩ هـ، ١٣٩٣ - ١٣٩٦م).

وقد أثنى عليه ابن الاحمر الاديب الكاتب بكثرة الشفقة والامتنـاع عن سفك الدماء وبقرض الشعر وذكر انه لم يفارق خدمته مدة حياته .

ثم أخوه عبد الله بن احمـــد (صفر ٧٩٩ - جمادى الآخرة ٨٠٠ هـ ، ١٣٩٦ - ١٣٩٧ م) .

ومن بعده اخوه الآخر [1] عثمان بن احمد (٨٠٠ - ٨٢٣ هـ ، ١٣٩٧ - ١٤٢٠ م) .

٧ - الصلة بين بني نصر وبني مرين في القرن الثامن :

أ - خطة الجهاد :

كان واضحاً لغرناطة ان انفرادهم بالجهاد غير مجد، لأن الاندلس بقواعدها الكبرى قبل سقوطهـا كانت تنوء بذلك ، وكان المسلمون في هجرة مستمرة عن الاندلس من دار الحرب ، ومن غرناطة ، الى المغرب والمشرق ، في حين كانت الممالك النصرانية تضيف عدداً الى عدد ، ومدداً الى مدد ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك .

---

(١) قدم ابن الاحمر كتابه (روضة النسرين) لهذا السلطان وألفه في عهده ، قال : « طرزته باسم هذا السلطان المطاع ، الواجب لعظيم قدره في الملوك ، الانقياد والاهطاع » . ص ٨ .

ولما استقر محمد بن الاحمر في غرناطة – وما كاد – أحس بخطر النصارى رغم مجاملته اياهم ، وادرك أن بقاء الاندلس رهن بمدد المغرب ، إلا أن المغرب في أول عهد بني نصر كان مضطرباً بين أواخر امراء الموحدين الضعاف ، وبـين المتوثبين على الملك من بني زيان وبني حفص وبني مرين ، حتى برز المرينيون دولة قوية قضت على آخر الموحدين ، ودخل صاحبهم مراكش سنة ٦٦٨ . وكانت قدرة بني مرين على حمل المسئولية التي ناء بها الموحدون ، الى غاية أدنى من قدرة الموحدين ، إلا أنهم أثبتوا انهم ، إذا ما انضافت قوتهم الى قوة غرناطة ، قوة كبيرة . ولم تكن هـذه القوة لتستطيع اكتساح الاندلس في معركة عظيمة فاصلة أو استرجاع ما فقد من القواعد والعواصم . رغم ان جواز بني مرين الى الاندلس كان يتقد بالرغبـة في الجهاد ، وينعقد بنداءات الفقهاء والعلماء والشعراء وخطباء المساجد وكتب السلاطين ، ويصدر عن نفوس مشبعة بروح اسلامية .

ومن هذا قصيدة لابن عبد المنان الخزرجي يمدح فيهـا أبا عنان المريني ، أوردها ابن الاحمر في نثير فرائد الجمان ٩٠ / و :

يا أيهـا الملكُ الذي أضحى به ... دينُ الإله قريرَ عَـين والعـُلا
إنهد لأرضِ الروم وارمِ غُواتِهم ... بالشُّهب من أطراف ميّاد القَنا
فكأنني ببلادهم ، واجتَثَّ ما ... لم يُلف الاسلام منهـا للبلا (١)
واستَشرَفتك لمُرتجى إنقاذها ... أعلامُ ذات النهر حمص(٢) والقرى

وكان بنو مرين يجيبون في الغالب نـداء الاندلس او يتريثون لتفادي

---

(١) هكذا في الاصل .
(٢) يعني اشبيلية .

مخالفة بني زيان او اخذ المواثيق عليهم . ويذكر صاحب الذخيرة السنية [1] ان يعقوب المنصور سلطان بني مرين سر سروراً عظيماً وأخرج الصدقات حين صالحه يغمراسن ووعد بلزوم بلاده فترة غياب المريني في الاندلس للجهاد.

امـــا بنو الاحمر فكانوا في موقفين : فاما مراوغة الطاغية حتى يستبين خطره وينعدم المسعف،واما الجهر بعصيانه ومداهمة مدنه وقراه والاعتصاب ببني مرين وبمن يمكن من دول الاسلام . وكان الاندلسيون من علمـاء وفقهاء وحكام يفضلون الجهاد على المداهنة وطاعة الطاغية ، ومـا كانوا يلجؤون الى السلم الا مضطرين: لحال اضطرب في المغرب، او لنشوب فتنة بين ظهرانيهم.

وقد لخص بروكلمان – فيما ارتأى – هذه العلاقة بين بني نصر وبني مرين بعد أن ذكر الخلاف الذي نشب بـــين محمد الفقيه ويعقوب المريني واستعانة النصري بأذفونش فقال « ... وهكذا استطاع بنو نصر بمـــا انتهجوه من سياسة لبقة دائمـــة التقلب أن يعمروا مئتين وخمسين سنة اخرى ... [2] » وهذا الكلام فيـه تعسف شديد ، واخلال واضح بحقيقة الاحداث ، لأن ركون النصريين الى الطاغية لم يكن صادقاً بـل كان في الأغلب الأعم تلافياً لشره الواقع لا محالة ، او نتيجة لسوء التفاهم بين اصحاب العدوتين . وقـد ذكر صاحب مسالك الابصار مـا يوحي بأن خوض الحرب في الاندلس هو الاصل وان السلم والهدوء هو العرض ، قال : « وبينهم وبين الافرنج حروب ووقائع جمـــة في كل سنة ، إلا أن يكون بينهم صلح الى امد ، وحروبهم سجال ، والنصر في الأغلب المسلمين [3] » . وهو يدون هذا الكلام في سنة

---

(١) الذخيرة السنية حوادث سنة ٦٧٣ (ص ١٦٥) .

(٢) تاريخ الشعوب الاسلامية : بروكلمان ٣/١‏٢٠ .

(٣) مسالك الابصار ، نسخة مصورة بالفوتوستات بـدار الكتب المصرية رقم (٢٥٧٧) (الجزء الخامس — الباب الرابع عشر — الورقة ١٢٨/ و) .

٧٣٧ هـ ولا بأس في أن نشير ثانية الى ان الغني بالله النصري ، استغنى عن ملك غرناطة بعد أن وجد ان تحالفه مع الطاغية سوف يودي بنصف المملكة على الاقل ، لأن النصارى أخلوا بشروطهم وعهودهم . واذا اعتبرنا بما اورده لسان الدين من ان الغني بالله انف من فعلة الطاغية غيرة واسلاماً ، اضفنا سبباً الى سبب ، وعلة الى علة .

ب - العلاقات السياسية :

لم تكن العلاقة بين البلدين تأثيراً من المغرب وتأثراً من غرناطة ، بل ان الأمر كان « صلة » بكل مـا في معنى الصلة ، إلا أن الجهاد صبغ العلاقة بطابع العون المريني ، فغلب على مـا سواه لدى المؤرخين . فقد تصدى بنو الاحمر لسبتة التي كانت في يـد بني العزفي ، وتحت نظر بني مرين وأخذوها سنة ٧٠٥ وجعلوها تابعة لغرناطة مباشرة ، إلا انها ظلت تتردد بين الطرفين وأثرت في تعيين بعض سلاطين فاس اكثر من مرة .

وأثار الغني بالله حرباً شعواء على الوزير ابي بكر بن غازي « وصي الملك السعيد ابي زيان » لاجارته لسان الدين ، وأرسل ابا العباس احمد سلطاناً على فاس فدخلها بعد وقائع وجرى الحكم النصري في البلاط المريني (سنة ٧٧٥-٧٧٦) . كما بعث الغني بالله نفسه ابا فارس موسى بن ابي عنان ليملك فـاس على ان ينزل له عن سبتة ففعل سنة ٧٨٦ هـ ثم اعـاد ابا العباس ثانية سنة ٧٨٩ الى حكمه ... ولا شك في ان النصف الثاني من القرن شهد بداية ضعف الدولة المرينية .

وكانت للغني بالله محاولات اخرى في هـذا المجال لم تؤت اكلها ، منها : حادثة تحالف فيها مع الطاغية سنة ٧٥٦ ثم اعتذر لأبي عنان عنها ، واخرى في عهد المتوكل على الله ابي زيان محمد ، ذكر طرفاً منها اسماعيل بن يوسف بن

الاحمر في نثير الجمان [1] .

ومن الظواهر البارزة كثرة الرسل ، والرسائل والهدايا المتبادلة بـين بني نصر وبني مرين من طرف ، وبـــين هاتين الدولتين ودول المغرب والمشرق والسودان والنصارى من طرف آخر . فقد كثرت السفارات بـين بني نصر وبني مرين في امر الجهاد والاستعانة والمصالحة والمصاهرة والمهاداة ، فكانت السفارات والرسائل لا تنقطع بين البلدين ، لقرب المسافة وعمق الصلة . كما ان الهدايا والرسائل ذاعت بين هاتين الدولتين وبين ملك مالي والحفصيين وامراء المماليك ، وامير مكة. ولما يئسوا من خليفة يمثل دولة الاسلام بعثوا برسائل التضرع والولاء الى المقام النبوي الشريف ! وكتاب لسان الدين (ريحانـــة الكتاب) نموذج حي لكل هذا .

ج - اللجوء السياسي :

ان لجوء الامراء والوزراء والكبراء من دولة الى دولة ومن بلد الى بـلد مألوف معروف في مختلف العصور وفي كافة الاقطار. وكان مألوفاً في التاريخ العربي اكثر لارتباط الاستجارة بالاعراف العربية والقـيم الاسلامية . ولكن ذيوع هذا النوع من « الملاقات » بين بني نصر وبني مرين خاصة استحق ان نفرد له هذا العنوان في مقدمة تاريخية قصيرة .

كانت ظاهرة اللجوء السياسي ، امراً طبيعياً ، نشأ عـــن الاضطراب السياسي والقلق الذي رافق هذا القرن الثامن ، بل انه يمتد بجذوره الى مـــا قبل هذا القرن ، ومن ثم الى مـــا بعده . وسأقتصر في امثلتي التي اضربها

---

(١) (نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان) . مخطوطة دار الكتب المصرية (ادب ١٨٦٣ ، الورقة ٨٨ / و) .

لتوضيح هذه الفكرة على اعلام الدولتين دون غيرهما ، مع ان الشواهد ماثلة من كل دويلات المغرب ومـــدن الاندلس ، حتى ان الدويلات النصرانية في الاندلس المحتلة – وبخاصة قشتالة – شاركت في ذلك لجوءاً وايواء .

وتشمل عبارة اللجوء السياسي : كل نزوح اضطراري بسبب المشاركة في الشغب على السلطة ، او خشية فتك السلطان لبادرة غضب او لرغبة السلطان في إبعاد نفر يحتمل أن تثور في نفوسهم يوماً شهوة الملك .

وقد لجأ عدد كبير من الاسرة النصرية الى ملوك المغرب ، وكل ما لدينا من أخبار قليلة مبثوثة في الكتب عرضاً دون اهتمام ، تشير الى عناية السلطان المضيف الملجىء . وفي كتاب اللمحة البدرية [1] اشارات سريعـــة الى نفر كثير من النصريين الذين خرجوا عن الاندلس الى بني مرين ، وقد ذكر أسماء كثير ممن عاشوا وتوفوا هناك .

أما لجوء بني مرين الى الاندلس فلم يَستشْرِ إلا منـــذ أواسط القرن الثامن حين اضطرب حبل الدولة ، وكثر التشوف الى كرسي فاس ، وكان في أغلبه تغريباً من السلطان المريني لمناوئه وابعاداً له . وقد أعقب هـــذا (التغريب)نتائج وخيمة لأنه رافق ضعفـاً في الدولة وتطاولاً من صاحب قشتالة ، ومن صاحب غرناطة فأضحى هؤلاء اللاجئون ، وعروشهم عرضة لأهواء ذينك الملكين ، وانحدرت الدولة من ضعف الى ضعف .

سرح ابو عنان المريني اخويه أبا الفضل وأبا سالم الى الاندلس تخلصاً ممـا يتوقع من شغبهما ولكنهما خالفاه بأسطول قشتالي لقي على يديه الهزيمة. وجاء السلطان ابو سالم ابراهيم الى ملكه من ملجئه لدى صاحب قشتالة ، وكذلك

(١) من صفحة (٢٣ – ٢٥) .

ابو عمر تاشفين الموسوس . اما المتوكل على الله ابو زيان فقد اخمد فتنة لبعض الامراء المرينيين الذين سرحهم ابو عنان الى الاندلس فيمن سرح ، وحكم ابو العباس احمد مرتين يأتي في كل مرة من ملجئه لدى الغني بالله . وكذلك ابو فارس موسى والسلسلة طويلة ولها ذيول وتوابع .

وتجاوز لجوء السلاطين والامراء حتى شمل بعض الوزراء والكتاب .

وذكر ابن الاحمر (١) حالة من هذه الحالات فقال : « وأصيب (محمد بن محمد ابو عبد الله بن جزي) بالمحنة النازلة .. لما ضربه بالسياط السلطان يوسف بن عم أبينا من غير ذنب اقترفه بل ظلمه ظلماً مبيناً .. ثم أمر ضاربه بنفيه ». وأقام هذا الكاتب في الدولة المرينية محتلا رتبة الكتابة . ولسان الدين بن الخطيب ايضاً من الأمثلة البارزة للجوء السياسي . وقد مر من حادثة لجوئه ما فيه الدليل والعبرة .

٨ – الحياة الاجتماعية في غرناطة والمغرب :

عاش اسماعيل بن يوسف بن الاحمر فترة من حياته في بلد آبائه بني نصر في غرناطة ، ثم انتقل الى المغرب في خبر سنعرض له في ترجمته ، فقضى معظم حياته في المغرب متنقلاً مع بعض سلاطينها في مدن المغرب أو مقيماً (في خدمة السلطان) بفاس . ولهذا ، فاننا سنلم بصور الحياة العامة في كلا البلدين وبخطوطها العريضة ومعالمها البارزة ، عسى أن نربط بين بعض مظاهرها ، وشيء من حياة الأديب الذي نتحدث عنه ، وسنعرض للحال في البلدين معاً ، فنجري الكلام عليهما ما داما متفقين فيه او متقاربين في المظاهر والعادات والمشارب ، ونعين كل بلد باسمه وصفته ان برز خلاف او انفردت خصيصة .

(١) نثير فرائد الجمان الورقة ٤٣/ ظ — ٤٤/ و .

أ – أهل العدوتين :

يختلف السكان في الاندلس عنهم في المغرب في بعض عاداتهم ، وطباعهم وطرائفهم خلافاً يضيق حيناً ، ويتسع أحياناً .

فسكان غرناطة – في القرن الثـامن – في أغلبهم من اصول عربية ، والمرينيون من البربر . وبالرغم من ان هذا الفارق لم يكن أمراً ذا بال في بلد وزمن يتفجر بالعاطفة الإسلامية بدافع الجهاد ، الا أن له وجوهاً اخرى تبرز في مناحي مختلفة . فقد ذكر لسان الدين في اعمال الاعلام ان بعض بني حكيم استقلوا برندة زمناً ، ثم اتفقوا مـع السلطان على النزول له عن البلد على شروط ، كان منها [١] « ألا ينزل غاز من المغاربة بدار من دور المدينة ». فان حياة النعيم ورقة الحضارة قد اصطدمت بخشونة المرينيين وحداثة عهدهم بالبـداوة .

وقد وصف المرينيون بالخشونة والقسوة بينما وصف الاندلسيون بالرقة ، و « الحلاوة » . فنقـل صاحب صبح الاعشى [٢] عن مسالك الأبصار أن : « لأهل افريقية لطف أخلاق وشمائل بالنسبة الى بر العـدوة وسائر بلاد المغرب ، بمجاورتهم مصر .. ومخالطة من سكن عندهم من اهل اشبيلية وهم من هم خفة روح وحلاوة بادرة » ونقل عن ابن سعيد [٣] ان الغالب على اهل المغرب الأقصى كثرة التنافس المفرط والمحـافظة وقلة التغاضي ... « يضاف الى ذلك ما عرف من رقة النساء الاندلسيات اللواتي كن مضرب المثـل في الحسن والجمال [٤] » .

---

(١) اعمال الاعلام : ٢٩٢ .
(٢) صبح الاعشى ٥ : ١١٥ .
(٣) صبح الاعشى ٥ : ١١٥ .
(٤) اللمحة البدرية : ٢٩ .

ولكن هذه الطباع تتناقض ان نظرنا الى علاقة السلطان بالعامة ، فأهل فاس « في العادة أقل خلافاً على امرائهم واكثر طاعة لحكامهم [١] » وبالرغم من ان لسان الدين يصف اهل غرناطة بأن « طاعتهم للامراء محكمة » إلا انه يفهم من الحوادث المختلفة في الاحاطة ، واللمحة ، ان الغرناطيين أسرع الى الثورة بالسلطان او القاضي ما بدر لهم ذلك ، وزادت هذه الظاهرة في القرن التالي زيادة عظيمة .

ب – المعاش والعمران :

وكان البلدان على حال من الرخـــاء المادي والاقتصادي حسنة ، لتوفر الخيرات وكثرة الجباية وازدهار التجارة والصناعة . وان بساتين غرناطـــة وحقول المغرب كانت تدر على اهلها نعماً وفيرة تكفيهم وتزيد عن حاجتهم، حتى ان اهل الاندلس كانوا يدفعون الجباية وما يلزم خطة الجهاد راضين غير متبرمين « وأخلاقهم في احتمال المعاون الجبائية جميلة [٢] » . وقـــد أطنب الجغرافيون والمؤرخون في وصف خيرات البلدين والجباية فيهما وبساطة عيشهما.

وانتشرت في البلدين الفنادق والحوانيت والحمامات والدباغات ودور عمل الصابون والقيساريات ، ودور سك العملة ، ودور الصناعة ، مما يؤكد رخاء البلدين وازدهار المجتمعَين بالرغم من انهما شُغِلا معظم هـــذا القرن بحروب طويلة غير متكافئة القوة مع العدو؛ إلا أن نضارة العيش اكتأبت عما قبل ، واضطرب ذلك الازدهار العظيم بسبب الطاعون الجارف سنة(٧٤٩ هـ) ، إلا انه لم يحولهما الى فقر او ضنك . ويبدو ان الاندلس كانت اكثر رخـــاء من المغرب ، وأهلها أعظم سعياً لطلب العيش ، لمـــا ذكره صاحب النفح من

---

(١) تأسيس مدينة فاس : ٤٨ .

(٢) اللمحة البدرية : ٢٧ .

ان « طريقـــة الفقراء على مذهب – مسلك – اهل المشرق في الدروزة التي تـكسل عن الكد مستقبحة عندهم [١] .. في حين نجـد في جامع القرويين بفاس بابـاً شهر باسم « باب العميان » لكثرة ملازمتهم للقعود يسألون الناس » [٢] .

أما العمران فقد ازدهر في كلتـا الدولتين ازدهاراً عظيماً ، وكان البناء يتم لهدفين : إما لتلبية طلب السلطان من قصور وما يتبعها ، وإمـا لقضاء مصالح الناس من مساجد ومدارس وربط . فقـد بنيت « المدينة البيضاء » في اواخر القرن السابع، وظل السلاطين المرينيون يزينونها بالقصور والمساجد والمدارس والقنـاطر والقلاع ، بنى أبو سعيد عثمان مدرسة (سنة ٧٢٠) ، وولي العهـد ابو الحسن (سنة ٧٢١) ، وأخرى (سنة ٧٢٣) ... كما بنى ابو عنان المدرسة العنانية . كل هذا بالاضافة الى حركة العمران المعتادة التي ينشط لها الوزراء والكبراء وجمهور العامة .

وخلف بنو الاحمر قصراً من اعظم الآثار الاسلامية هو « حمراء غرناطة » الذي بدأ بناءه محمد الاول الغالب بالله ، ثم أتمه يوسف الأول وابنه من بعده محمد الغني بالله . كما أنشأوا مدرسة كبيرة [٣] وقلاعاً وحصوناً لمدافعة العدو ، وحال غرناطة – على العموم – في العمران لا يقل عما ذكرناه عن حال فاس .

ولم تكن حياة الشعبين كلها توثباً وقتالاً ، بل انصرف الاندلسيون خاصة

---

(١) نفح الطيب ٩ : ٢٠٥ . والدروزة من الفارسية « درويزه » بمعنى الكدية .

(٢) تأسيس مدينة فاس : ١١٧ .

(٣) قال لسان الدين في اللمحة البدرية عن هذه المدرسة انهـا « بكر المدارس » – انظر ص ٩٦ – .

بنى هذه المدرسة السلطان يوسف بن اسماعيل ، وقد كان الاندلسيون يعتمدون على المساجد ، ويتخذون منها دوراً للعلم .

الى الغنـــاء والمسليـات ، كما أولع السلاطين من بني مرين بحفلات « مقتل الأسود [١] » وحفلات الفروسية ، الى غير ذلك ممـــا كان شائعـاً في تلك الفترة [٢] .

٩ – الحياة الدينية :

كان المسلمون في المغرب والاندلس على صـلة وثيقة بالاحكام الشرعية ، ونزعة الى تطبيقها والتزام مبادئها ، وحماسة بالغـة في نصرة الاسلام وظهوره على اعدائه . فـان الحروب المتوالية مـع مستغلي الانداس بعثت في نفوسهم الحمية جيلاً بعد جيل ، خاصة انهم ادركوا منذ البداية ان بقاءهم في الاندلس رهـين ببقاء الاسلام والتزام احكامه . كما ان سيادة مذهب واحد هو مذهب مالك – وحمل السلطان النـاس عليـه بالرضا والكره – قلـّل من المذاهب المخالفـة للمذهب المالكي ، وضيق السبل على مخالفي السنة عمومـاً ، وجعل الناس من عامة وعلماء يصدرون في الغالب عن عاطفة واحدة ورأي واحد .

أ – سيادة الروح الدينية في القرن الثامن :

اشتهر عـن السلاطين انقيادهم للشريعة واستماعهم نصائح الفقهـاء ، وكان بعضهم يهـتم بالامور الفقهية والاحكام الشرعية اهتمام المتخصص ، ومنهم محمد الثاني النصري ، حتى انـه لقب بالفقيه . ولكن خوض كثير من السلاطين والامراء والوزراء من كلتا الدولتين في الفتن والمؤامرات والركون الى مـلوك قشتالة احياناً يدل على ان التدين عند هذا النفر كان روحاً دينية مبهمة اكثر منه وازعـاً يدفعهم الى التزام احكامه مهما كانت صارمة او ضارة بمصالحهم .

---

(١) نثير الجمان ٩٠/ و وانظر نثير فرائد الجمان ٧٧/ و .

(٢) نهاية الاندلس ٤٣٠ .

غير أن هذه الروح الدينية ظهرت لدى بعض الاعلام والفقهاء على صورة وعي دقيق وفهم مركز كما هو الحال عند ابي عبدالله محمد بن محمد العبدري المشهور بابن الحاج [1] صاحب كتاب « المدخل » وابراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي الغرناطي صاحب كتابي « الاعتصام » و « الموافقات [2] » ولكنهما وأمثالهما ضاعت اصواتهم في دوامات البدع ، والدوران في حلقات المتصوفة .

وقد كان اسماعيل بن يوسف بن الاحمر ممن تمثلوا الثقافة الاسلامية، وتأثروا في كتاباتهم وآرائهم بالروح الدينية السائدة ، حتى انه صدر في أحكامه النقدية الأدبية عن تفكير فقيه ملتزم كما هي الحال عند الشاطبي الغرناطي صاحب « الاعتصام » ، وسنسهب في هذا الموضوع عند الحديث عن « النقد عند ابن الاحمر » .

وكان المغرب بوجه عام أبعد عن المخالفات الشرعية ، وأظهر في التدين من الاندلس . وأبدى الفقهاء والقضاة تشدداً في تطبيق الاحكام حتى ان القاضي ابا الحسن الصغير أقام الحد على سفير غرناطي شرب الخمر ، وأعرض عن شفاعة الشافعين [3] . وقد ذكر في الاحاطة ان « محمد بن محمد الانصاري – من كتاب محمد الفقيه – كان معاقراً للخمرة حتى زعموا انه قاء يوماً بين

---

(١) لابن الحاج كتاب : « مدخل العلم الشريف الى المذاهب الأربعة » المشهور باسم المدخل، مطبوع ، في ثلاثة اجزاء . وهو : « يعطي صورة واضحة عما كان عليه المجتمع الاسلامي في مصر والبلاد الشرقية على العموم ، في القرن الثامن الهجري ، من انحلال في الاخلاق ، وخراب في الذمم وابتداع في الدين ، وذلك على عكس ما كان عليه الحال في المغرب في ذلك كله او جله ... » انظر العدد الخاص عن ابن الحاج الفاسي العبدري في سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب العدد ٢٢ انظر ص ١٨ — ١٩ .

(٢) من كتب الشاطبي : « الموافقات » وهو في اصول الفقه ، و « الاعتصام » ، وقد خصصه لبيان حقيقة مذهب السلف ولمحاربة البدع التي استشرت مخالفة للكتاب والسنة .

(٣) الاستقصا ٣/١٠١ .

يديه فأخره عن الرتبة »[1]، ومع هذا فان العامة في الأندلس كانوا يثورون بالقاضي إن جانب العدل ، وبالحاكم إن ولج في معصية ظاهرة ، حتى انهم « يدخلون عليه قصره ... حتى يخرجوه من بلدهم »[2] .

وعني السلاطين من الدولتين بالمساجد والربط وتأثيثها واصلاحها، وترتيب القائمين عليها . ومن أشهرهم في هـذا بالاندلس محمد الفقيه ويوسف الاول ، وبالمغرب ابو الحسن علي ، وأبو عنـــان فارس الذي امر « بأن يجعل بأعلى الصومعة من جامع القرويين بفـاس – صار ينشر فيه علم ابيض في اوقات صلاة النهار ، وفنار فيه سراج زاهر لأوقات صلاة الليـل ، ليستدل بذلك من بعد عن المدينة ، ولم يسمع النداء [3] » ، كما جروا في المغرب على عـادة وضع « عصبة على عيون المؤذنين حين الأذان بالنهار » . ووصف ابن الأحمر في روضة النسرين كثيراً من ملوك بني مرين بالتقى والورع واجتناب المعاصي والإقبال على العلوم والآداب .

ب – الاحتفال بالمولد النبوي :

كان المشرق قد جرى على عادة تعظيم المولد النبوي ، والاحتفال به على رسوم لم تكن مألوفة من قبل [4] ، وقد انتقلت هذه العادة الى المغرب على يد أبي العباس العزفي [5] ، وجعـــل السلطان المريني ابو يوسف يعقوب يوم

---

(١) الاحاطة ١/٣٧٠ .

(٢) نفح الطيب ١/٢٠٤ .

(٣) تأسيس مدينة فاس ص ٧١ ، ٧٥ .

(٤) وفيات الاعيان . وفيـــه ان « ابا سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين الملك المعظم صاحب اربيل « بالعراق » المتوفى سنة ٥٨٦ هو الذي عظم الاحتفال بالمولد النبوي .. وصارت الناس تتوافد عليه من انحاء البلاد في كل عام » .

(٥) ازهار الرياض ١/٣٩ .

المولد النبوي « عيداً من الاعياد في جميع بلاده [1] » . ثم انتقل هذا الرسم الى الاندلس فيما بعد وصار السلاطين يحتفلون به ، وفي هذا قال ابن خلدون : « وكان يحتفل في الصنيع فيها والدعوة ، وانشاد الشعراء اقتداء بملوك المغرب [2] » . وكان الاحتفال يستمر اياماً يتلى فيها القرآن الكريم ، وتنشد الاشعار والعيديات « المولديات » — وهي قصائد خاصة بهذا اليوم وتلك الليلة — وتنحر الذبائح وتقام الولائم ، ويُنشد « يُغنى » بعض الشعر وبعض المولديات [3] ... فكانت تخرج عن الوقار الديني الى صور الحفلات والمآدب وحلقات الغناء ، فأعرض نفر من العلماء عنها ، ممن له بصر بالسنة مثل ابن الحاج ، والشاطبي الغرناطي وسواهما . أما « المولديات » او العيديات فظلت فناً شائعاً في هذا القرن ومرتعاً لمعظم الشعراء ، وبخاصة المقربين من السلطان المنشدين في المناسبات : مثل ابن خلدون ، وأبي الحسن بن الجياب ، ولسان الدين بن الخطيب وابن الأحمر . وسنعرض لهذا الفن في الحديث عن شعر ابن الأحمر .

حـ – بعض الظواهر الأخرى :

ولا بد من أن نشير الى بعض الظواهر الدينية ولو لماماً فمن ذلك :

العطف على آل البيت الذي أخذ شكل عاطفة عارمة في بعض الاحيان. فقد اعتنى السلطان النصري اسماعيل بن فرج بأهل بيت رسول الله ﷺ فبذل في فداء بعض اعلامهم ما يعز بذله ونقل منهم بعضاً من حرف خبيثة [4] » . وذكر ان « السلطان أبا عنان المريني رحمه الله كان له من

---

(١) الاستقصا للسلاوي ٣/٢٩٠ .

(٢) التعريف بابن خلدون : ٨٥ ، والدعوة : الدعاء الى الطعام ، والوليمة .

(٣) ازهار الرياض ١ : ٢٤٥ .

(٤) اللمحة البدرية : ٧١ .

التشيع في حب آل البيت والتوسع عليهم في المرتبات ما سبق من قبله ، واعجز من يأتي بعده . وكان لا تهدأ له عين اذا كان ببلد الا اذا ورد عليه من ولد الشرفاء [١] » ؛ حتى ان الامر بلغ في الاندلس حد « الرضا عن الامام المعصوم المهدي المعلوم [٢] » الى مدة بعيدة في القرن الثامن في حين كثر اعتقاد الناس في المغرب بكرامات الامام العلوي ادريس بن عبد الله .. « وازدحموا عليه من سائر اقطار المغرب حتى خيفت الفتنة بسبب ذلك فبعث ابو سعيد عثمان جيشاً لتفريقهم عنه وتحسيم الفتن [٣] » .

ومن ذلك ذيوع طرائق المتصوفة استمراراً لما سلف ، واغراقاً في اساليبهم الى حد جعل أنصار السنة وذوي الفكر من العلماء يشنعون عليهم ويفندون مخارقهم . وقد أفرد لسان الدين باباً خاصاً في كتابه « الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالاندلس من شعراء المئة الثامنة » للمختار من شعر الخطباء والصوفية وكان ابن الاحمر يشير الى من تقلد هذه الطريقة حين يترجم للأعلام في كتابيه. ومهما كان الرأي في المتصوفة فانهم كانوا في القرن الثامن على حال لا تسمح للمتساهلين معهم بالدفاع عنهم . وهذا صاحب الاعتصام يرى في الصوفية انه انما داخلتها المفاسد وتطرقت اليها البدع من جهة قوم تأخرت أزمانهم ، حتى صارت في هذا الزمن الأخير كأنها شريعة اخرى غير ما أتى به محمد ﷺ وأعظم من ذلك انهم يتساهلون في اتباع السنة [٤] .

وذاعت في هذا العصر رسائل كانت تبعث الى المقام النبوي الشريف ،

---

(١) الدر السني في بعض من بفاس من اهل النسب الحسني لعبد السلام بن الطيب القادري – (فاس ١٣٠٩ هـ) صفحة ٢٣ .
(٢) الاعتصام للشاطبي ٢٠٦/١ .
(٣) تأسيس مدينة فاس ص : ١٨ .
(٤) الاعتصام : ٦٤/١ .

يُنشئها الكتاب عن سلاطينهم ويحملها موكب الحاج الى المدينـة المنورة او الكعبة المشرفة ، وفي « ريحانة الكتاب » للسان الدين عدد من هذه الرسائل تستهل الكتاب . وقد كتب ابو الحسن المريني ثـــلاثة مصاحف بخط يده وبعث من أودعها المدن المقدسة الثلاث .

اذن ، انعكست آثار الدين على الناس في سلوكهم وحياتهم ، واصابت آثارهم وأدبهم في الاندلس والمغرب لهـذا العصر ، وسنرى هذه الآثار في ادب ابن الاحمر ، في موضعه .

١٠ – الحياة الفكرية :

اشتهر عن سلاطين الدولتين – في هذا القرن بخاصة – حدبهم على العلماء والأدباء وإنفاقهم المستمر على إقامة المدارس والمكتبات وتحبيس الاوقاف عليها لسد نفقاتها . ولئن كثرت اسمـــاء المضطهَدين من رجال الفكر في المدوتين فان معظم ذلك يرجع الى اسباب سياسية ، فقد كان الكتاب وكثير من الوزراء من اهل الأدب والعلم يشاركون في ذلك من طرف ، ويخوضون في الاهواء مع الخائضين ، فتنالهم النكبة ، او تلحقهم الغربة ، او يفرون إن أمنوا المسلك هاربين .

وفي اللمحة البدرية ان محمداً الفقيه : « آثر العلمـــاء من الاطباء والمنجمين والحكماء والكتاب والشعراء »[١] وأن محمـداً المخلوع : « كان يعرف مقادير العلماء ويجيز الشعراء »[٢] . وفي أيام يوسف الاول بنيت المدرسة العجيبة : « بكر المدارس في حضرته »[٣] . وذكر اسماعيل بن يوسف بن الاحمر ان

---

(١) اللمحة البدرية : ٣٨ .
(٢) المرجع السابق : ٤٨ .
(٣) المرجع السابق : ٩٦ .

أبا عنان المريني كان « فقيهاً يناظر العلماء الجلة »[١] ، كما ان سلاطين بني مرين في النصف الاول من هذا القرن استكثروا من بناء المدارس بعد عصر ابي يوسف يعقوب ، ذلك العصر الذهبي الرائع ، مثـــل السلطان ابي سعيد عثمان ، وأبي الحسن علي ، وأبي عنان فارس . وجرى السلاطين بعد بنـــاء المدرسة على عادة « ترتيب امام ومؤذنين وقومة يقومون بأمرها ، وترتيب الفقهاء لتدريس العلم ، واجراء المرتبـات والمؤن فوق الكفاية ، وشراء عدة املاك ووقفها عليها »[٢] ...

وشارك السلاطين من الدولتين في بعض الامور الثقافيــة ، وبخاصة الفقه والأدب فقد أورد لسان الدين في تراجمه لملوك غرناطة نتفاً من شعرهم ، وقال في محمد ثاني النصريين : « وكان يقرض الشعر ويصغي اليــه ويثيب عليه .. وكان شعره مستطرفاً من مثـــله مثله ، لا بل يفضل الكثير ممن ينتحل من الملوك الشعر ، وقفت على مجموع منه ألفه بعض خدامه »[٣] .

وقد عقد ابن الاحمر في كتابه « نثير الجمان: بابـــاً في شعر ملوك بني مرين »[٤] وباباً آخر « في شعر ملوك بني الاحمر وأبنائهم »[٥] فأورد أبياتاً لأبي الحسن علي بن عثمان المريني، ولابنه فارس ابي عنان، ولعبد بن العزيز فارس وسواهم .. كما ذكر ابياتاً ومقطعات شعرية لبعض الملوك النصريين مثل محمد ابن اسماعيل بن فرج وسواهما . وغالب شعر هؤلاء في الفخر ، ولا يزيد في الجودة عن وصف لسان الدين إلا انه يدل على اهتمام « القصر » بالعلم والأدب، وتذوّق السلاطين للشعر واجازتهم اصحابه .

---

(١) روضة النسرين : ٢٨ .
(٢) الاستقصا ١٠١/٣ .
(٣) اللمحة ٤٩ .
(٤) الورقة ١٧/ و .
(٥) الورقة ٢٠/ و .

وكان جمهور الناس ايضـــاً على جانب من القدرة على التذوق الادبي ، والمشاركة في التحسين والتقبيح . فمن ذلك مـــا ذكره ابن الأحمر في « نثير الجمان »[1] من انه احسن الاجابة في مجلس احد الفقهاء فقام احدهم من المجلس وقبل رأسه ومدحه بأبيات مرتجلة ، فـاذا هي سخيفة المعنى وفاسدة الوزن ... ثم قال «وذاعت ابياته – بزعمه – بسماط شهود فاس واستفسخها اكثرهم » ، فرد على الابيات كثير ممن سمعوها ، وتندروا بقائلها .

ولم يكن غريباً في هـــذا العصر ان نسمع شكاوى من بعض الكتّاب والشعراء لأن النكبة كانت تصيبهم ، والغربة تلحقهم ، ولا بد من ان يظهر ذلك في تراثهم . غير اننا نسمع شكوى اخرى اشبه بما كان يتردد في هـذا الزمان بالمشرق. كان ابن الاحمر قد طلب من نفر من ادباء عصره ان يتحفوه ببعض ما عندهم من شعر او نثر ليسلكهم في نظام كتابه « نثير الجمان [2] » فأجابوه الى طلبه ، ومـــن هؤلاء عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي «الفاسي» الذي كتب اليه – بعد ان كان أبطأ بالجواب مدة – ... « ابطأت استحقاراً لشعري ، واستضعافاً لما صدر من نظمي ونثري ، وهجراً للأدب وطريقته ، وقِلىً لمجازه وحقيقته ، طريقة كثر قائلها ، وقـــل نائلها ، فلو امكن ان يجتمع في زماننا هذا ابو تمام باغترافه من بحره ، وابو الطيب باقتطافه من زهره ، وابو العلاء بنحته من صخره ، على استخراج درهم واحد من اهل زماننا لما حظوا منهم بنائل ، ولما وقفوا في امورهم على طائل ، دهر وقى الله من حوادثه ، سيان ذو الجهل فيه والعالم » . ثم اختار له قصيدة طويلة قدم لها بعبارات الثناء والاطراء .

---

(١) الورقة ٢٢٣/ و .

(٢) الورقة ١٠٢/ و .

أ – علوم الاوائل :

لم تزدهر علوم الاوائل من فلسفة وطبيعـــة ورياضة في هذا القرن ، لهجرة عدد غـير قليل من العلماء من الاندلس ، واستمرار سلطان الفقهاء على منتحلي هذه العلوم، حتى شملت حملتهم الازراء بالعلوم المرغوب فيها كالطبيعة والرياضة والفلك ، والمرغوب عن اعتقادها كالفلسفة .. وقـد لمح ابن الاحمر بصورة غير مباشرة الى هـذه الظاهرة ، في ترجمته ليحيى بن هذيل التجيبي الفيلسوف الاديب العالم ، قال : « وفيه تقول ، وعلى الطعن فيــه ُعوِلّ ، وبه ُغمزت الاندية ، واجريت الاودية ، في مجال الطعان الشيقية لا في رجال المعاني الزينية، ولاستغراقه في العقليات ، واطراحه النجاة بالنقليات قيل، بما شانه ، لما اعمل في الشيء ... شانه ... [1] » وقد تحدث القاضي النباهي في « المرقبة العليا » عمـــا يجب عمله ان وجد لدى احد : « شي من المذاهب الفلسفية المخالفة للشريعة او ما (هو) بمنزلتها [2] » .

اما في المغرب فقد كان العصر المريني كما وصفه الاستاذ عبد الله كنون « من اكثر العصور تسامحاً ، ولذلك تقدمت فيه العلوم وكثر المشتغلون بهـا بين المغاربة انفسهم بشكل لم يسبق له مثيل ... [3] » ومع ذلـك فقد نبغ في غرناطة نفر غير قليل من المشتغلين بالحساب والهندسة لضرورات التوقيت الشرعي ، والهندسة المعمارية التي شغلت لب كثير من السلاطين . وقـد ذكر لسان الدين ان حسن بن محمد بن باضة : رئيس الموقتين بالمسجد الاعظم مـن غرناطة كان فقيهاً، اماماً في علم الحساب والهيئة وأخذ عنه الجلة والنبهاء[4] »

---

(١) نثير فرائد الجمان الورقة ٦٠/و .
(٢) المرقبة العليا للنباهي – ص ٢٠١ .
(٣) ذكريات مشاهير رجال المغرب للاستاذ عبدالله كنون ، العدد ١٦ ص ٢٢ .
(٤) الاحاطة : ٢٩٧/١ .

واشتهر يحيى بن هذيل بالطب ، وأصاب لسان الدين طرفاً منه ، وألف ابن خاتمة الانصاري [1] « تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد » عن الطاعون الجارف الذي اهلك الناس وخرب البـلاد سنة (٧٤٩) . وظهر في المغرب رياضي شهير هو : ابن البنا المراكشي ، واحمد ابن شعيب الجزنائي [2]، وسواهما .

واستمر اصطناع هذه العلوم او بعضها مظنة سوء ، وكثيراً مـــا كانت ستاراً تختفي وراءه نكبات سياسية ، وقد نال خصوم لسان الدين منه بهذه الحجة ، وذكر القاضي النباهي انه وجدت في غرناطة « كتب ألفيت بها من تواليف محمد بن الخطيب فيما يرجع الى العقائد والاخلاق ، فأحرقت بمحضر من الفقهاء والمدرسين من العلماء واماثيل الفقهاء ، لما تضمنته الكتب المذكورة التي أوجبت ذلك عندهم وحققته لديهم [3] » . وكانت هذه الحادثة ارهاصاً لمقتله بعد ثلاث سنوات .

ب – العلوم الاسلامية :

اتجهت العناية من الدولتين الى العلوم الاسلامية بتيسير اسبابها والانفـاق عليها وتشجيع العلماء واجازة الفقهاء ... وكان لهذه العلوم القدح المعلى بين سائر المعارف لاهتمام كل مثقف بالأخذ منهـا بطرف ان لم يكن متخصصاً ، منقطعاً لها ؛ والسبب في هذا ما تمليه الشريعة من ضرورة معرفة مبـــادىء الاسلام وأولياته ووجوب ذلك على كل فرد ، أما التفقه « التخصص » ففرض كفاية ينقطع اليه نفر من المسلمين بما يكفي حاجاتهم . وقد ظهر في هـــذا

---

(١) ترجم له في نثير فرائد الجمان : الورقة ٦٤/ ظ .

(٢) المصدر السابق ٦٧/ و .

(٣) المرقبة العليا ٢٠٢ .

القرن نفر من القراء والمحدثين والمفسرين والفقهاء ذاع صيتهم ، وانتشر بعضهم في الارض فوصل القاهرة ، وحماة وحلب من بلاد الشام . ولكي ندرك ضخامة عددهم نشير الى حادثتين ، الأولى : ما روي من أن أبا الحسن المريني لما أقلع من تونس قافلاً الى المغرب أصابت مراكبه ريح عاتية اغرقت معظمها ، ونجا بنفسه مع نفر قليل ، وفقد فيمن فقد في هذه الحادثة عــدد كبير من العلماء [1] الذين صحبوه في رحلته ، فما بالك فيمن لم يصحبه ؟ والثانية : أن لسان الدين عدد العلماء والفقهاء الذين شهدوا مبايعة محمــد بن اسماعيل عرش غرناطة فكانوا نفراً عظيماً . وفي كتب التراجم التي تناولت هذا القرن اسماء كثيرة وأعلام مشهورون لا ضرورة لاستقصائهم .

فمن المفسرين : ابو القاسم عبد الله بن جزي الكلبي الغرناطي (٦٩٣ – ٧٤١ هـ) [2] .

ومحمد بن يوسف بن علي المشهور بأبي حيان الغرناطي ، وتفسيره « البحر المحيط » مطبوع مشهور (٦٥٤ – ٧٤٥ هـ) .

ومن المحدثين : ابو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن رشيد السبتي (٦٥٨– ٧١١ هـ) صاحب الرحلة وأبو الحسن علي بن احمد بن محمد الانصاري الاندلسي (٧٢٣ – ٨٠٣) الذي جلس للاقراء والتدريس في دمشق والقاهرة. وشيخ ابن الاحمر الرحالة ابو عبد الله محمد بن سعيد الرعيني المعروف بالسراج [2] ،

---

(١) قال ابن خلدون في التعريف ص ٤٤ – ٤٥ « وكان في جملة السلطان ابي الحسن جماعة كبيرة من فضلاء المغرب وأعيانه ، هلك كثير منهم في الطاعون الجارف بتونس ، وغرق جماعة منهم في اسطوله لما غرق ، وتخطت النكبة منهم آخرين الى ان استوفوا ما قدر من آجالهم » . وانظر الاستقصا ٣/١٧١ وأعمال الأعلام ص : ٢٩٩ .

(٢) وتفسيره : التسهيل في علوم التنزيل .

وقد حدث ابن الاحمر عنه في نثير الجمان ، وأخذ عنه « الشفاء » للقاضي عياض [1] .

ومن الفقهاء : ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي صاحب « الاعتصام » والموافقات ، ومحمد بن محمد بن الحاج الفاسي المستقر ان بالقاهرة ، وأحمد بن يوسف بن مالك الرعيني المستقر ببعض اعمال حلب .

وقد ترجم القاضي النباهي لكثير من القضاة في « المرتبة العليا » وأتى على كثير من مآثرهم .

كما ان ابن الاحمر أفرد بابين في كتابه نثير الجمان أحدهما لشعر القضاة بغرناطة والآخر لشعر قضاة بني مرين .

ج – علوم العربية وآدابها :

كان نمو علوم اللغة العربية في هذا القرن طبيعياً لأنه ملازم لازدهار العلوم الاسلامية ، فالعربية آلة العلوم الشرعية . فمن النحويين واللغويين أبو حيان الغرناطي السالف ذكره في المفسرين ، وابن آجروم محمد بن داود الصنهاجي (ت ٧٢٣ هـ) ، وابنه ابو المكارم منديل استاذ ابن الاحمر ، وأبو عبد الله محمد ابن علي الفخار (ت ٧٥٣ هـ) وفرج بن قاسم الشاطبي (ت ٧٨٢ هـ) بغرناطة .

ومن المؤرخين : ابن خلدون : وتاريخه غني عن الاشادة ، ولسان الدين بن الخطيب الذي ارخ للأندلس والمغرب ، وألف ارجوزة في دول الاسلام . وقد اعتمدت على كتبهما في التاريخ للعصر وتصويره . وابراهيم بن علي بن

---

(١) ترجم له في جذوة الاقتباس: ١٤٧ ، وشجرة النور الزكية : ص ٢٣٦ ، وانظر ٤٦٧ .

فرحون ت (٧٩٩) صاحب كتاب الديباج المذهب . وابن الاحمر: وسنعرض لمؤلفاته في الفصل الخاص بكتبه ، ومنها كتب في الانساب والتاريخ .

ومن اصحاب الرحلات : ابن رشيد السبتي ، السالف ذكره في المحدثين ، ومحمد بن جابر بن محمد بن قاسم « ابن جـــابر » (ت ٧٤٦) بغرناطة وله رحـــلة مخطوطة بالاسكوريال . وابو البقاء خالد بن عيسى البلوي ، وابن بطوطة محمد بن محمد اللواتي الطنجي ، وقد دون رحلته ابن جزي « محمد بن محمد بن احمد بن جزي الكلبي» وترجم له ابن الاحمر في نثير فرائد الجمان[1].

د – الكتاب والشعراء :

يعتبر القرن الثامن عصراً ذهبياً للكتابة والشعر بالقياس الى مـا تلاه من عصور ، وبالقياس الى المشرق، ففي حين نبغ امثال لسان الدين وابن زمرك وابن خلدون وابن الجياب ، في المغرب والاندلس . كان المشرق اعجز عـن اللحاق بهم ، وعن اظهار شاعر آخر يخلف امثال صفي الدين الحلي .

وقـد سبق ان السلاطين كانوا في المغرب والاندلس يصدرون عن ثقافـة عربية ، ويتمثلون الادب العربي، وينظمون الشعر ويميزون حسنه من قبيحه، حتى ان احدهم وهو سلطان غرناطة يوسف الثالث خلف لنا ديواناً كاملاً ينـم عن اصالة وذوق وشاعرية مبدعـــة . فكثر في بلاطهم الشعراء ، ونظمت القصائـــد في مدائحهم وذكر انتصاراتهم وتسجيل احتفالاتهم في المواسم والاعياد ، والمولد النبوي الشريف . وفي كتب التراجم لهـــذا العصر نماذج واضحة للشعر والشعراء ، مثل كتب لسان الدين: الاحاطة، واللمحة البدرية، والكتيبة الكامنة . وكتابي ابن الاحمر : نثير الجمان ، ونثير فرائد الجمان ،

---

(١) للتوسع في هذه الفقرة : انظر تاريخ الفكر الاندلسي : ٣١٨ .

وما صنفه المقري بعد ذلك . وقد خلف هذا القرن بعض الدواوين الشعرية مثل ديوان ابن خاتمة الانصاري ، وديوان ابي الحسن بن الجياب ، ومجموع شعر لسان الدين المسمى « الصيب والجهام » وسواها . اما الرسائل « الكتب الديوانية » فقد راج سوقها لكثرة الكتاب في بلاطات غرناطة وفاس وسواها من مدن المغرب والاندلس، وقد كان ولي العهد المريني يتخذ لنفسه الكتاب المختصين به ، بالاضافة الى كتاب الدولة الملحقين بالسلطان (١) . وفي الاحاطة ونثير فرائد الجمان ، ونثير الجمان وتاريخ ابن خلدون نماذج مختلفة لهذه الرسائل من سلطانية واخوانية وسواها ، وأما « ريحانة الكتاب » للسان الدين – الذي يضم معظم رسائله – فصورة صادقة لهذا الفن .

ويلاحظ في هذا القرن كثرة الرسائل المتبادلة بين ادباء العدوتين من شعر ومن نثر وتأكد الود بين عدد عظيم منهم.. وكتابا ابن الاحمر معرض حسن لهذا الغرض .. إلا أن هذه الصداقات بين الادباء كانت تصطدم بالاهواء السياسية والطموح الشخصي المبني على المصلحة الخاصة والاثرة المفرطة بين كثير منهم ؛ ففسد ما بين لسان الدين وابن زمرك ، وما بينه وبين القاضي النباهي ، وابن فركون ، وابن قطبة الدوسي وسواهم . كما ذكر ابن الاحمر ان خلافاً وقع بينه وبين لسان الدين ، وآخر وقع بينه وبين احمد بن يحيى ابن عبد المنّان الفاسي (٢) . وقد برز كتّاب مشهورون في كلتا الدولتين : مثل محمد بن الحكيم الرندي ، وابي الحسن بن الجياب (٣) ، ولسان الدين بن الخطيب وابن زمرك ، وابن جزي الكلبي ، وابن خلدون وعبد المهيمن الحضرمي كاتب الحضرة المرينية الذائع الصيت . ويلاحظ ان معظم هؤلاء

---

(١) الاستقصا ٣/١٣٢ .

(٢) ترجم له في نثير فرائد الجمان ٧٦/ و ونثير الجمان ٨٧/ظ .

(٣) في دار الكتب المصرية مخطوطة فريده لديوان ابن الجياب برقم (ادب ٢٤٢٤) .

الكتّاب هم اعلام الشعر ايضاً ، وهـذه ظاهرة جديرة بالعناية ، كما يلاحظ ايضاً ظهور اسر كبيرة قدمت للكتابة الديوانية نفراً غـير قليل مثل بني الحكيم - واصلهم من رندة - واسرة ابن الخطيب ، واسرة القبائلي واسرة الحضرمي بالمغرب .

وسنستعرض شعر ابن الاحمر ونثره في فصل لاحق ، دون ان نعرض هنا لهذين الفنين ، فمجال ذلك في بحث يؤرخ للأدب العربي في هـذا القرن بعامة في المغرب والاندلس ، وهـذا - في الحق - بحث جدير بالدراسة والعناية .

الفصل الثاني

سيرة ابن الأحمر

١ – أوهام الدارسين حوله :

لم يكن اسماعيل بن يوسف بن الأحمر مغموراً في عصره خامل الذكر ، بل كان معروفاً مشهوراً لمشاركته في ضروب من العلوم الاسلامية ، والآداب العربية والبحوث التاريخية ، ولمخالطته الكثير ممن وفدوا على فاس من العلماء والأدباء وذوي السلطان القائم او الدائـــل ، ولأنه ينتمي بنسب وثيق الى الاسرة التي كانت تحكم مـا تبقى للاسلام فيما وراء بحر الزقاق وعرف بـين شيوخه واصحابه بالرئيس أبي الوليد اسماعيل بن يوسف . ولكن العنـاية به وبآثاره فيما بعد كانت قليلة ، لأن وجود ابن الخطيب وابن زمرك وابن خلدون وأضرابهم في عصره غطى عليـه – وعلى كثيرين سواه – بسحب كثيفة ، وأخمل ذكره لدى معظم الباحثين الذين تعرضوا لهذا العصر . ومن العجيب ان اوائل الذين ترجموا له مثل ابن القاضي [١] والتنبكتي [٢] اضطربوا

(١) درة الحجال ١/١١٦٦ وانظر جذوة الاقتباس ٩٩/١٠٠ .

(٢) نيل الابتهاج ص ٩٩ .

في ترجمته ، واختلفوا في ذكر كتبه ومصنفاته ، ولم يتفق اثنـان من الذين ترجموا له قدماء ومحدثين في عدد كتبه ، ولا في اسمائها كلها ، وبدأ الأمر من بدايته مضطرباً غاية الاضطراب . وسنعرض أمثلة لهذا الأضطراب لكي نجلو غموضه ، ويكون البحث على بصيرة :

ورد ذكر ابن الأحمر – هذا – في تاريخ الادب العربي لبروكلمان ثلاث مرات[١]: فذكره مرة في الملحق – الكتاب الثاني – ص ٣٤٠ باسمه الحقيقي: اسماعيل بن يوسف بن محمد بن الأحمر، وذكر له كتاب النفحة النسرينية واللمحة المرينية او روضة النسرين في دولة بني مرين ، واشار الى طبعتي الكتاب ، وقد أفـاد في هذه الفقرة ممـا ورد في فهرس مخطوطات الاسكوريال [٢] .

وذكره ثانية في الملحق ٢ / ٣٧٠ باسمه الحقيقي ، ونقـل عن الكتاني في فهرس الفهارس والاثبات ، اسمين لكتابين : هما روضة النسرين ، ومشاهير بيوتات فاس . لتحققه من طبــع الاول ، ولأن الكتاني ذكر ان الكتاب الآخر قد طُبع له مختصر ، صنفه ابو زيد الفاسي [٣] .

وذكره ثالثة في الملحق ٣ / ٤٠٣ باسم اسماعيل بن يوسف بن القائم بأمر الله محمد بن الاحمر ، ملك غرناطة فيما بين (٧١٣ – ٧٢٥ هـ) . ونسب اليه كتاب « نثير الجمان في شعر من نظمني واياه الزمـان » ، وأحال على فهرس دار الكتب المصرية، ونقل وصف الكتاب عن هذا الفهرس كما ورد فيه تماماً.

والواقع ان مؤلف الكتب السابقة مؤلف واحــد ، وهو اسماعيل بن محمد بن الاحمر المتوفي سنة ٨٠٧ او ٨١٠ ، وهو لم يملك غرناطة ، بل انـه

---

(١) Brock. S. 11. 340, 370. Brock. S 111. 403 .

(٢) Les Manuscrites Arabes de L'Escurial 3 : 1773 .

(٣) فهرس الفهارس والاثبات ١/١٠٠ – ١٠١ .

قضى معظم حياته لاجئاً في بني مرين في فاس . امـا السلطان الذي ملك غرناطة فـيما بين (٧١٣ – ٧٢٥ هـ) فهو السلطان اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر ، وهذا السلطان هو شقيق القائم بأمر الله محمد ، جد المؤلف ابن الاحمر . ولم يذكر احـد من المؤرخين او اصحاب التراجم لهذا السلطان اي كتاب في الأدب او غيره .

ونشر المستشرق الاسباني « خوسيه باسكث » الباب الثالث من كتاب ابن الاحمر « نثير الجمان في شعر من نظمني واياه الزمـان »[١] ، وصدّر مقدمته للباب المنشور بعنوان : « كتاب نثير الجمـان لاسماعيل بن يوسف ملك غرناطة » ثم شك في أثنـاء تقديمه ، في نسب الكتابين « نثير الجمان » هذا ، و « نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان » الآخر الى ابن الاحمر فقال : « وكلا الكتابين على ما يظهر من تأليف الامير اسماعيل بن يوسف ابن القائم بأمر الله محمد بن الاحمر احد ملوك غرناطة » ولعل ما ساقه الى هذا الوهم ، ما رآه في بروكلمان .

وقال اسماعيل البغـدادي في هدية العـارفين [٢] : واسماعيل ابن الأحمر الامير ابو الوليد الغرناطي نزيل فاس ، توفي في حدود ٧٧١ ، صنف البديع في وصف الربيع وفرائد الجمان فيمن نظمني وإياه الزمـان ، في التاريخ وتراجم الرجال . وفي هذا وهم من وجهين الأول : انه جعل وفاتـه (سنة ٧٧١) ، وهذا خطأ ظاهر ، لأنه ألف روضة النسرين مثلاً (سنة ٨٠٧) والثاني : ان كتاب « البديع في وصف الربيع » هو لأبي الوليد اسماعيل بن محمد الحميري المتوفى نحو (سنة ٤٤٠) وليس لابن الاحمر كتاب بهذا الاسم .

---

(١) في مجلة معهد المخطوطات المجلة ٦ مايو – نوفمبر ١٩٦٠ ، ١٣٨٠ هـ . ص ١٨٧ .
(٢) ٢١٥/١ .

وقد أورد البغدادي اول الكتاب « اما بعد حمد الله على فضله المتناهي ...» وهذا هو اول كتاب الحميري[1] .

وقد وقع في مثل هذه الاخطاء وسواها : جرجي زيدان [2] ، والزركلي[3] ، وكحالة [4] ، وغيرهم .

وقد ساعد على الوهم في معرفة شخصية « ابن الاحمر » وفي نسبة كتبه اليه ان المقري اكثر من النقل عنه ، وعن ملك غرناطة يوسف بن يوسف بن محمد الغني بالله الذي ألّف كتاب « البقية والمدرك من كلام ابن زمرك » الذي خلف ديوان شعر ايضاً [5] . وكان المقري لا يتحرى الدقة حين ينقل من كتب اسماعيل بن الأحمر ، فينسب النص لكتاب دون آخر ، كما فعل مثلاً في ترجمة « محمد بن محمد الشبوكي » ، اذ نقل ترجمته عن نثير الجمان ، ونسبها الى نثير فرائد الجمان [6] .

وكان يشير الى « ابن الأحمر » مؤلف البقية والمدرك حين ينقل عنه دون ان يعين من هو ابن الأحمر ، في حين انه يسمى اسماعيل بن الأحمر في

---

(١) نشر الكتاب بتحقيق هنري بيريس في الرباط ١٣٥٩ ، ١٩٤٠ .
(٢) تاريخ آداب اللغة العربية : جرجي زيدان ٣/٢٣٠ — دار الهلال بالقاهرة ١٩٥٧ .
(٣) الاعلام (قاموس تراجم) : خير الدين الزركلي . الطبعة الثانية ١٩٥٤ — ١٩٥٩ . ١/٣٢٩ .
(٤) معجم المؤلفين : ٢/٣٠١ باسمه الحقيقي ، ونسب اليد « البديع في وصف الربيع » وذكره مرة اخرى ٢/٢٨٩ باسم اسماعيل بن محمد الاندلسي المعروف بالأحمر متابعاً في ذلك كله، ما جاء في ايضاح المكنون وهدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي ؛ انظر ايضاح المكنون ١/١٧٢ ، ٢/١٨١ وهدية العارفين ١/٢١٥ .
(٥) انظر مقدمة (ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث) الذي حققه الاستاذ عبدالله كنون — تطوان — ١٩٥٨ .
(٦) ازهار الرياض ١/٢٩١ وانظر نثير فرائد الجمان ٩١/و — ظ ، ونثير الجمان١٢٣/ظ .

مواضعه ، فسبب هذا وهماً عند كثير ممن ينقلون عن كتب المقري بغير تثبت .

أما مؤلفاته فقد اضطرب القول فيها مثلما اضطرب القول فيه ، سواء في ذلك القدماء ممن ترجم له ، والمحدثون ، وسنترك الحديث عن كتبه الى آخر هذا الفصل ، لنتحدث الآن عن ابن الأحمر وحياته .

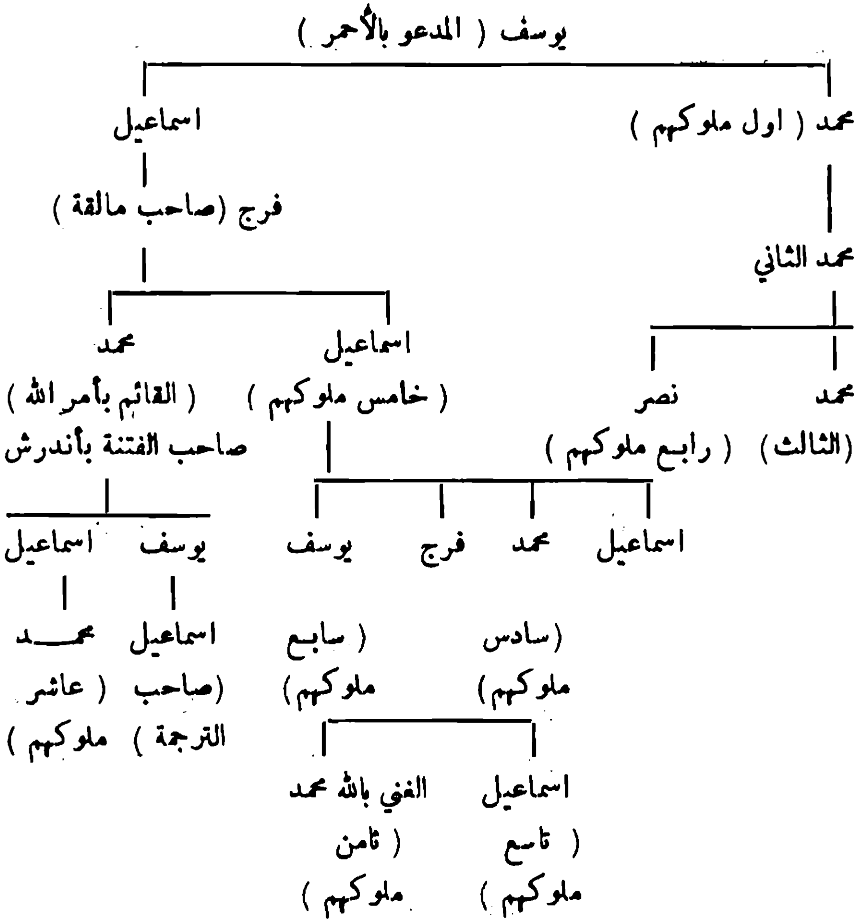
٢ – اسرته ونسبه :

هو : « اسماعيل بن يوسف بن القائم بأمر الله محمد بن الامير الرئيس أبي سعيد فرج بن اسماعيل شقيق محمد الاول بن يوسف المدعو بالاحمر بن الرشيد بالله(؟) محمد بن احمد بن محمد بن خميس بن نصر بن محمد بن محمد بن نصر بن علي بن يحيى بن سعيد بن قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي » . كما اورده ابن القاضي في جذوة الاقتباس ، وقال انه نقله عن نسخة من « روضة النسرين » كتبها ابن الاحمر بخط يده [١] .

وقد سبق ان أصل هذا البيت يرجع الى الصحابي سعد بن عبادة الانصاري الخزرجي ، فكانت هذه النسبة من مفاخر ابن الاحمر على لسانه ، او على لسان مادحيه ومعظميه .

---

(١) جذوة الاقتباس ص : ٩٩ ويختلف هذا مع ما ورد في مقدمة نثير فرائد الجمان ١/ ظ في انه اسقط « خميس » من السلسلة في حين اثبتها احد الذين حازوا النسخة فوق السطر ، وبدل « نصر » الثانية في تتمة سلسلة النسب « نصير » .



اما مجده الطريف فقد أثّله محمد بن يوسف اول امراء غرناطة والذي اورث هذا البيت عزاً وسؤدداً ولم يكن اسماعيل بن الاحمر من احفاد هذا السلطان ، بل كان من احفاد اخيه اسماعيل صاحب مالقة . وورث حكم هذه المدينة ابنه ابو سعيد فرج ، وخلف ولدين : « اسماعيل » وهو الذي آل اليه ملك غرناطة سنة ٧١٣ ﻫ واستمر حتى ٧٢٥ ﻫ ، و « محمد » وهو الذي ثار على ابن اخيه محمد بن اسماعيل بأندرش وتلقب بالقائم بأمر الله ثم اخفقت محاولته كما سبق .

وخلف القـائم بأمر الله محمـد اولاداً : منهم يوسف ، وخلف يوسف فيما نعلم اثنين هما : « اسماعيـــل » صاحب الترجمة وأخ آخر ذكره في نثير الجمان اسمه محمد [١] .

والاخبار عن القائم بأمر الله محمد قليلة ، الا ان ترجمته في الدرر الكامنة توضح لنا مبدأ علاقة هذه الاسرة بدول المغرب ، وبدولة بني مرين خاصة . قال : محمد بن فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر اخو السلطـان ابي الوليد « اسماعيل » . كان ساذجاً كثير التهور منهمكاً في الأكل ثم انتقل بعد ابيه لما ولي اخوه الملك ، الى تلمسان ، ثم ثار منها قصداً للملك فلم يتفق (له ذلك) واستمر مشرداً الى ان أعيد الى بعض البلاد فقطنها الى ان مات في ذي القعدة سنة ٧٣٥ هـ [٢] .

وهذا يدل على ان هذا الفرع انفصل عن الاندلس الى المغرب بعد الخلاف الذي نشب بين ابي سعيد فرج صاحب مالقة وابنه اسماعيل الذي آل اليه امر الاندلس كلهـــا سنة ٧١٣ هـ . ولكن هذه المغادرة لم تتم في فترة واحدة لأن اسماعيل صاحب الترجمة عاش فترة في الاندلس كما سوف نذكر .

أما والده يوسف فأخباره أقل من اخبار القائم بأمر الله لعدم مشاركته — على ما يبدو — في الشئون السياسية ، ولكن ابن الأحمر يذكر في كتـــابه « مستودع العلامة » « ان أباه وفد على مدينة بجاية ، ونزل بهـا على الوزير محمد بن محمد بن ابراهيم الحميري المالقي الذي كان وزيراً لجده أبي سعيـد فرج امير مالقة ، ثم لقي حظوة عنـد بعض الامراء الحفصيين هنـــاك ... ثم انتقل يوسف الى فاس ... [٣] » .

---

(١) نثير الجمان ٢١/ ظ .
(٢) الدرر الكامنة ٤/٥ ١٣ .
(٣) مستودع العلامة ص ٦٧ — ٦٨ .

وهـــذا الخبر لا يفصح عن سنة مغادرة والد المؤلف الى بجاية ، ولا الى مغادرته بجاية الى فاس ، واستقراره بها ، وربمــا كان ذلك في عهد ابي سعيد عثمان المريني (٧١٠ – ٧٣١) فقد قال اسماعيل بن الاحمر بعــد أن ذكر احدى الحوادث « اخبرني بذلك ابي رحمـــه الله تعالى وكان شاهده في دولة السلطان ابي سعيد حين قدم عليه من الأندلس [1] » . ونحن لا ندري هــل كان والده يتردد على فاس ، ام ان مشاهدته لذلك الحادث كان بعد مغادرته بجاية واستقراره نهائياً في فاس، ويكون عدم ذكره بجاية في هذا الخبر ضرباً من الايجاز وبعداً عن زمنه القديم .

وقـــد اجمل لسان الدين ما آل اليه هذا الفرع بقوله [2] « وأما محمد (القائم بأمر الله) ثاني ولدي الرئيس ابي سعيد فرج فأعقب اولاداً : منهم يوسف ، وفرج ، ومحمد ، واسماعيل . فأما يوسف منهم فهو الآن [3] قـــد اسنّ بالمغرب تحت علالة جراية ، وله ابن [4] يبـــاشر خدمة السلطان ، وأما فرج فحج ثم هلك بالمغرب . وأمـــا محمد فهو ايضاً بالباب المريني حميد الحالة متصف بعقل وحشمة مشتغل بالصيد واضراء الجوارح تحت ستر ونعمــــة . وأما اسماعيل فهلك في بعض الغزوات « النزوات ؟ » بالمغرب ، وتخلف ابناً اسمه محمد هو المتصير اليه ملك الاندلس اليوم غلابا [5] ، من غـــير وراثة ، مصنوعاً له ، غريب الحال في باب الحظ وتأتي الأمر » . فأولاد القائم بأمر الله محمد كلهم عاشوا بين الاندلس والمغرب ، ثم استقروا بالمغرب ، عند بني

---

(١) روضة النسرين ص : ٢٠ .

(٢) اللمحة البدرية ص : ٢٤ .

(٣) حوالي سنة ٧٦٣ وقت تأليف اللمحة .

(٤) لعل المقصود هنا « اسماعيل » صاحب الترجمة فهو المشهور بالخدمة السلطانية .

(٥) انفرد محمد بن اسماعيل هذا بحكم الاندلس من شعبان ٧٦١ – الى جمادى الآخرة ٧٦٣ : اعمال الاعلام ٣٠٧ .

مرين ، فكأنهم اعرضوا عن الاندلس بعد أن اعرض عنها جدهم فرج وأبوهم محمد ، او انـــه ضُيق عليهم حتى وجدوا الغربة اخف وطأة من الاضطهاد السياسي ، او ان مغادرتهم الى المغرب كانت موقتة – بدليل بقـــاء بعض ابنائهم في الاندلس ؛ ثم استمرت لاستمرار ظروف الاندلس التي ازعجتهم ، او لاعتياد البُعد عـن غرناطة . وكان بنو مرين وأصحاب تلمسان وافريقية يستقبلون هؤلاء الوافدين من اسرة السلاطين بالقبول والترحاب ، ويسلكونهم في حاشيتهم ويجرون عليهم الجرايات والهبات ، وربـــما افادوا منهم او من ابنائهم وأقاربهم خدمة في دواوينهم او خبرة في شؤون بلادهم .

٣ – ولادته ونشأته :

لم يحدثنا ابن الاحمر في كتبه ، ولا من ترجموا له ، عـن مولده اين كان ، ولا في اي سنة وقع . وسوف نرى ان ابن الاحمر قضى فتوته وصدرا من شبابه في الاندلس ، وهـذا يرجح ان مولده كان في الاندلس دون غيرها . أما عن زمن مولده فقد نستطيع تحديده بالاستعانة ببعض القرائن، وسنستفيد من بعض الاخبار المبثوثة في كتبه .

جرى ابن الاحمر على تحديد علاقته بمن ذكرهم من الاعلام في كتبه وبخاصة في نثير الجمان ، ونثير فرائد الجمان ، فتراه ينص حين يترجم لأحدهم على انه شاهده، او لقيه او تتلمذ له او افاده او صاحبه. فان كان معاصراً له ولم يلقه قال فيه « ادركته » او «ادركته بسني». ولا تخلو ترجمة من تراجمه من واحدة من هذه العبارات او اكثر ، وقد التزمها التزاماً شديداً في كلا الكتابين .

ذكر ابن الاحمر في ترجمة ابراهيم بن محمد الساحلي انـــه توفي سنة اربع واربعين وسبعمائة ، ثم قال ادركته [1] ؛ وقال في ترجمـــة احمد بن شعيب

---

(١) نثير فرائد الجمان ٥٥/ ظ .

الجزنائي التازي [١] انـه « توفي عـام خمسين وسبعمائة – ادركته [٢] » ، ثم اضاف في اثناء ترجمته لهذا الكاتب « وكتب للسلطان في الحضرة المرينيـــة لعليها – ويعني ابا الحسن علياً المريني – فكان بادراكه يدعى بعليها ، وبها أدركته في الكتـّاب ، في التعظيم المبرأ من الاعتاب [٣] » . وقـال في ترجمة الكاتب عبدالمهيمن بن محمد بن عبدالمهيمن الحضرمي ادركته ورأيته[٤]. وقد توفي سنة ٧٤٩ هـ في تونس حين كان مصاحباً أبا الحسن المريني .

كما ان ابن الاحمر ذكر حادثة في روضة النّسرين [٥] ، حين عرض لدولة أبي حمو موسى العبد الوادي فقال « ... حتى اني ادركته بفاس ، وهو يسكن بها في عين آصلتين يتعيش برد الفك للمفكوكين ، وذلك في دولة المولى امير المسلمين ابي الحسن المريني » .

هذه الأخبار كلها تدل على ان لجوء ابن الاحمر الى بني مرين كان في دولة ابي الحسن المريني ؛ قبل مغادرته فاس مشرّقاً الى تلمسان وافريقية اي قبل سنة ٧٤٨ هـ او في اوائلها على اقل تقدير .

وبعد هذا يحق لنا ان نتساءل : ما الذي اخرج ابن الاحمر من الاندلس؟ انه لا يفصح لنا عن سبب ذلك ، ولا ورد شيء في كتب التراجم من هـذا القبيل ، وغاية ما يقوله هو ان بني عمه ملوك الاندلس اخرجوه منها . وقد خصص مقدمة كتابه « نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان » للحديث عن الوطن وحب الوطن ، ثم قـال « وقلت انا في ذلك – حب الوطن –

---

(١) نثير فرائد الجمان ٦٧/ و .
(٢) وانظر : التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً : ٥٨ .
(٣) نثير فرائد الجمان ٩٧/ ظ .
(٤) المرجع السابق ٦٢/ ظ ، وانظر : التعريف بابن خلدون : ٣٨ .
(٥) صفحة ٥٨ .

حين قدمت بر العدوة في حضرة ملوك مرين لمـــا اخرجنا بنو عمنا الملوك النصريون لما قدمنا » :

فؤادي يشتـكي داء دفينا لبعدي عن مزار الظاعنينا

... الخ ... فلولا ان هدر الملوك بنو عمي بوطني دمي لسرت اليه على رأسي لا على قدمي ، على ان مثلي لا تنهنهه الزواجر ، ولا تصده عن مطلبه السيوف ولا الخناجر ، بل يقتحم من مراده الاهوال ... اذ كنت من بيت الملك السعيد ، ومن احفاد السلطان الرئيس الامير ابي سعيد [1] ... » فهذه العبارات على غموضها واختفاء حقائقها وراء الخداع الاسلوبي تبين ان خروج ابن الاحمر عن الاندلس كان لغضب السلطان عليه (يوسف الاول ٧٣٣–٧٥٥) او بعض القرابة أولي الشأن في غرناطة ، حتى ان النقمة عليه بلغت حـــد إهدار دمه ، ونحن مع هذا لا ندري هل كان واحداً من جماعة بيّتت فتنة او ُخص بالنكال دون سواه ، ولا ندري ايضاً طبيعة تلك الفتنــة ولا الى أي مدى ذهبت [2] .

وعلى كل حال ، فان اخراج امرىء عن بلده انتقاماً منه او خشية فتلته واتقاء لشره يستدعي ان يكون قد جاوز او بلغ اول الشباب ، فإذا قدّرنا عمر شخص مثل هذا بعشرين عاماً او حولها ، جـــاز لنا أن نحدد مولد ابن الاحمر فيما بين (٧٢٥ – ٧٢٧) على وجه التقريب .

---

(١) نثير الجمان : ١/ ظ — ٢/ و .

(٢) اما قول الامير العبد الوادي محمد بن مسعود بن عبد الرحمن « في نثير الجمان ٣٢/ ظ » في مديح ابن الاحمر هذا :

انت الذي ما تحت خضراء السما ملك سواك احق بالحمراء

فيظهر انه من مبالغات الشعراء ، وارضاء لنفس ابن الاحمر المتعالية ، لاننا لا نملك اي دليل على ان اسماعيل بن الاحمر طلب الملك او ثار في سبيله .

٤ – ابن الاحمر عند بني مرين :

لحق ابن الاحمر – اذن – بالمغرب في عهد ابي الحسن على المريني ، ولكنه لم يدركه فيه طويلاً كما يبدو ، اذ ارتحل سريعاً الى افريقيـة وتلمسان سنة ٧٤٨ . ولم يذكر لنا في « روضة النسرين » حيث أرخ لأبي الحسن ، شيئاً عن خدمته في دولته . ولكننا نشعر بحرارة الاسلوب وجزيـل الثناء حين يذكر أبا عنان في روضة النسرين [١] ، وفي نثير الجمـــان [٢] . قال فيه : « رأيته ، وكنت في حضرته بفاس تحت ايالته وسيب انعامه مدة حياته[٣]، واعطى عني صداق ابنة عمي حين تزوجتها محبة منه إلي رحمه الله تعالى ... وحين ارتحل الى أرض افريقية من فاس ليملكها في عام ثمانية وخمسين وسبعمائة سرت معه فأتاحني من العطايا ما قرت به عيني ، ولم أزل معه تحت بره حتى فرق الدهر بيننا بموته [٤] . وقد أفادنا هذا الخبر شيئاً عن صلته الوثقى بأبي عنان ، وانه تزوج ابنة عمه في المغرب في مدة حـكم أبي عنان ، وانه رحل معه – على عادة المرينيين في غزواتهم إذ يصطحبون العلماء والفقهاء والادباء – ونلاحظ هنا أن ابن الاحمر لا يذكر انه غادر فاس الا في هـــذا الموقف ، ويبدو أيضاً أنه لم يعد الى الاندلس منذ غادرها أول مرة ، وأما شيوخه من الاندلسيين فقد لقيهم في فاس أو أجازوه كتابة كما سنرى فيما بعد .

وكان ابن الاحمر كما يظهر من بعض الاخبار مقرباً الى السلطـان أبي عنان أثيراً عنده ، معدوداً في الحاشية ، يجالسه مع العلمـاء والوزراء والقرابة ، قال : « وكنت يوماً جالساً معه بمقعد ملكه من المدينـــة البيضاء من فاس

---

(١) روضة النسرين : ٢٧ .

(٢) نثير الجمان : ١٧/ و.

(٣) حكم ما بين (٧٤٩ – ٧٥٩) .

(٤) نثير الجمان : ١٧/ ظ .

فدخل عليه رجل من المنخرطين في سلك المتصلّحين فلما نظر الى المتصلح قال بديهة :

ترام في ظواهرهم كراماً   ويُخفون المكيدةَ والخداعا

وقال في موضع آخر: « وأنشدني – أحمد بن عبد المنان الكاتب الشاعر – لنفسه يمدح أبا عنان ويصف قتل الأسد بين يديه ، وكان السلطان مولعاً بقتل الأسود ، فسيق اليه يوماً أسد فقتل بين يديه بقصره من دار الامارة بالمدينة البيضاء ، والسلطان المتوكل بأعلى عِليّةٍ بالقصر ينظر للاسد وأنا إذ ذاك جالس في ذلك الموضع أتنزه في قتل الاسد في جملة من حضر ذلك الموطن مع السلطان ، ووصف فيها أيضاً أكرة الاسد الخ ... [1] » .

وعهد أبي عنان في الجملة عهد رخاء وبحبوحة ويسر على ابن الاحمر ، اصطحبه في أسفاره وأجزل له الاعطيات ، وقربه من مجلسه ، وجعله أثيراً لديه .

ولما اضطرب الحكم المريني ، وتسلط الوزراء على السلاطين بعد ابي عنان ضعفت صلة ابن الاحمر بالسلاطين ، أو أنها نزلت عن المكانة التي رأيناها في عصر ابي عنان ، حتى انه يشكو ضيق ذات اليد ، ويذم الزمان الذي أخنى عليه ، وجعله من أموات الاحياء . ولا يظهر من آثار ابن الاحمر انه افاد من تقارب الدولتين حين اعتلى ابو سالم المريني العرش ، ولا حين لجأ الغني بالله اليه (٧٦١ – ٧٦٢) ، بالرغم من ان ابن الاحمر ملأ كتبه بمدائحه للغني بالله ومدائح شعراء كثيرين فيه . وحين ترجم للسلطان عبد العزيز المريني (٧٦٧ – ٧٧٤) في نثير الجمان قال : « كنتُ بحضرته

---

(١) نثير الجمان : ٥٤/ ر .

وتحت إيالته ، ولكنه لم يذكر مكانته من السلطان ولو كان قربه لما سكت عن هذا الفضل ، لأن هذا دأبه .

ويبدو ان أشد الفترات صعوبة عليه ، كانت حين لجـأ لسان الدين بن الخطيب الى فاس ، وبخاصة بعد وفاة عبد العزيز المريني ، وتسلّم الوزير ابي بكر بن غازي مقاليد الحكم باسم السلطان الطفل: محمد السعيد بن عبد العزيز فقد ساء ما بين الدولتين سوءاً عظيماً ، وظل كذلك نحو سنتين (٧٧٤ — ٧٧٦) .

قال ابن الاحمر في ترجمة الفقيه الكاتب يحيى بنِ احمد بن محمد بن البغلة الاموي : « وهو الآن كاتب الانشاء بالحضرة المرينية لأمير المسلمين .. ابي العباس احمد ... وبيني وبينه وداد عظيم . ولما كنت بالحضرة المرينيـة حين اخرجنا عن الاندلس بنو عمنا الملوك من بني الاحمر آل نصر كان يستخلص لي حوائجي من ملوك بني مرين فتعرضت لي يوماً عند الوزير ابي يحيى ابي بكر بن الوزير ابي مجاهد غازي بن الكاس الجدولي المدبر للملك امير المسلمين السعيد بالله ابي زيان محمد ، وكان الفقيه ابو زكريا هذا له جاه مكين عند هذا الوزير فطلبت منه أن يتقضاها لي منه ، وكتب له في ذلك ابياتاً من قولي وهي :

أيحيى ميتُ الأحياء يرجو ... كلامك للوزير بغير ريث
فأنت نصيرُ من اخنى عليه ... زمان قد اناخ بكل ليث
ومهما ارسلت كفاك جُودا ... يكف بجوده وكـفّ غيثٍ[1]

---

(١) نثير الجمان : ٨٦/و .

ويلاحظ ان ابن الاحمر التفت الى الوزراء والكتّاب بعـــد ان يئس من ارتياد ابواب السلاطين فقد ضرب صفحاً عن التعريف بنكرة الكاتب محمـد ابن حسن البجائي كاتب ابي العباس احمد المريني في دولتـه الاولى (٧٧٥ — ٧٨١) [١] لأنه أثنى عليه في حضرة سلطانه . وإن دل هذا على بعـــد ابن الاحمر عن السلطان او ضعف علاقته به،فانه يدل على ان ابن الاحمر استعاض عن ذلك بالصلة مع من هم دونه .

واستمرت صلته بالحجاب والكتّاب وثيقة بعد ذلك فقد ذكر في ترجمة الفقيه الكاتب محمـد بن محمد بن ابي عمرو التميمي ، حاجب ابي فارس موسى المريني (٧٨٦ — ٧٨٨) ان الصحبـة تأكدت بينهما وآلت الى ود وصفاء : « وقف الخلوص بين يديها على قدم الوفاء ، قضى لي بهـا من دار السلطان الحاجات وأدار من كؤوس البدار بها زجاجات [٢] ... »

اما الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى ابو زكريا يحيى بن ابي علي الحسين ابن ابي دلامة كاتب ابي العباس احمد المريني في دولته الثانية (٧٨٩ — ٧٩٦ هـ) فقد قدم له ابن الأحمر كتابه « مستودع العلامة ، ومستبدع العلامة » وقال في ذلك : « رفعته اليه لفضله الذي هو اشرق من ضياء النهار، ولمجده الظاهر الذي هو المثل في الاستشهار ، ولمآثره المنضدة عجب في الانتظام ، معدودة في مـــآثر اولي المظام ، ليكون العون على حاجي الى سلطانه ، الذي هو رئيس كتّابه بأوطانه [٣] » .

---

(١) قال في ترجمته : « .. ضربت صفحاً عن التعريف بنكرته ، لكلمة طيبة قالها في حاجي بين يدي اميره بحضرته .. » انظر مستودع العلامة ص : ٧٤ .

(٢) المصدر نفسه ص : ٣٨ .

(٣) المصدر نفسه ص : ٢٠ .

وقدم ابن الاحمر كتاباً آخر سماه « النفحة النسرينية واللمحة المرينية » للسلطان ابي العباس احمد في دولته الثانية – كما سنفصل في الحديث عن كتبه –. ولكننا لا نقع على اكثر من هذا الخبر عن صلة المؤلف بهذا السلطان، ونجد بعد هذا في آثار ابن الأحمر ما يشير الى صلة وثيقة بالقصر في اواخر هذا القرن الثامن . فقد قال في روضة النسرين [1] ، حين ذكر عبد العزيز بن ابي العباس المريني (٧٩٦ – ٧٩٩) « لم افارق خدمته حتى مات » وهذه الجملة غامضة لأنها لا تبين كالعادة نوع تلك الخدمة غير انها تميز عهده من غيره من العهود .

ونقع على مولدية قال في تقديمها : « .. ورفعتها في عام تسعة وتسعين وسبعمائة بالمدينة البيضاء من فاس الى السلطان ابي عامر عبدالله [2] » ومدة هذا السلطان في الحكم قصيرة (صفر ٧٩٩ – جمادى الآخرة ٨٠٠) ، كما اننا نلاحظ علاقة وثيقة بينه وبين الحاجب احمد بن علي القبائلي الذي حجب في دولة ابي العباس المريني الثانية (٧٨٩ – ٧٩٦ هـ) ، وفي دولة ابي عامر، وصدراً من دولة خلفه ابي سعيد عثمان الى ان قتله مع ابنه عبد الرحمن سنة (٨٠٢ هـ) . وقد رفع ابن الاحمر اليه عدداً من القصائد والرسائل تلفت كثرتها النظر [3] .

وكان ابو سعيد عثمان المريني (٨٠٠ – ٨٣١ هـ) آخر سلطان عاصره ابن الاحمر وقد مدحه في « روضة النسرين » بقصيدة « منها في المطلع الغزلي » [4] :

---

(١) ص : ٣٩ .
(٢) نثير فرائد الجمان ٩٣/ و – ٩٩ ظ .
(٣) نثير فرائد الجمان ٩٧/ و – ٩٩/ ظ – ١٠١/ ظ – ١٠٥/ و .
(٤) روضة النسرين : ٤١ .

يا من تملك مهجتي رفقاً بها رفقُ التملُّكِ لم يَزل ممدوحا
صِلْ بالذي أعطاكَ بهجةَ مُصعب وجمالَه وقضى ليَ التّبريحا

ومنها في المدح :

ما شتّتْ شملَ المالِ مثلُ بنانِه جُوداً ولا جمعَ الثناء صَريحا
فترى له للشُّح باباً مُغلقـا أبداً ، وبابـاً للعطا مفتوحا

ولهذا السلطان ألف كتابه « روضة النسرين » في دولة بني عبد الواد وبني مرين سنة (٨٠٧ هـ) .

٥ – وفاتـــه :

أما وفاته فاختلف فيها ايضاً ، فقد ذكر ابن القاضي في جذوة الاقتباس [١] ودرة الحجال [٢] انه توفي سنة (٨٠٧ هـ) ، في حين ذكر التنبكتي في نيل الابتهاج انه توفي سنة (٨١٠ هـ) عشر وثمانمائة [٣] .

٦ – مع اعلام عصره :

عمر بن الاحمر طويلاً فقد عاش ثمانين – او خمسة وثمانين عاماً وهذا زمن طويل . كما انه قضى معظم هذه المدة بفاس « يخدم » في الحضرة المرينية ، ويتصل برجال السياسة والعلم والادب والشريعة من كل الدول المجاورة . وقد ساعده عمله او مركزه باعتباره ملحقاً بالدولة المرينية وانتسابه الى الاسرة النصرية الحاكمة بغرناطة ، على الاتصال بهم ومصاحبتهم ،

(١) جذوة الاقتباس : ٦٩ .
(٢) درة الحجال : ١/١١٦ .
(٣) نيل الابتهاج : ٩٩ .

والافادة منهم . ولا ننسَ ان فاس باعتبارها حاضرة الدولة المرينيـة – التي كانت في تلك الفترة أقوى دول المنطقة – جمعت الآلاف من الاعلام إقامـة او زيارة او سفارة . وكتاب « نثير الجمان » طريف في هـــذا الباب وله أهميته اذ عقد فيه فصولاً مختلفة الملوك والامراء والشعراء والكتاب والقضاة والوزراء والفقهاء ممن لقيهم وعرف لهم شعراً . وهو يطلعنـا على عمق صلته بالأعلام الذين أموا فاس ، فاذا هو يستجيز بعضهم ، ويستنشد بعضهم شعراً ليدرجه في كتبه ، ويمدح هذا ، ويمدحه آخر ، فيخرج القارىء من هـــذا الكتاب بصورة واضحة لهذا العصر في الفكر والعلم والأدب .

٧ – مع لسان الدين بن الخطيب :

العلاقة بين ابن الاحمر ولسان الدين غامضة وغير واضحة لسببين اثنين ، الاول : أن ما ذكره ابن الاحمر عن تلك العلاقة كان تلميحاً دون الايضاح . والثاني اعراض لسان الدين عن ذكر اسماعيل بن الاحمر باسمـه في اي موضع مما نعرف من مصنفاته ، فمنهجه في اللمحة البدرية ، والكتيبة الكامنة ، وحق الإحاطة يقتضي أن يذكر اسماعيل هذا فيها او في بعضها باعتباره من الاسرة النصرية او ممن عنوا بالفقه والادب والثقافة . وما كان حظ اسماعيل هـذا من لسان الدين الا اشارة عابرة فيها من التنكير اكثر ممـا فيها من التعريف حين قال : « وليوسف هذا ابن يباشر خدمة السلطان [1] » . ولا نعلم شيئاً عن علاقتها في الاندلس ، وعلى كل حال فان ابن الاحمر غادر الاندلس قبل أن يحتل لسان الدين مكان استاذه ابن الجياب بعـد أن توفي في الطاعون الجارف سنة (٧٤٩) .

أما في المغرب ، فقد تردد لسان الدين على فاس مرات ، منها سفرة سنة

---

(١) اللمحة البدرية : ٢٤ .

(٧٥٥) قدم فيها من الغني بالله على ابي عنان ، ومنها إقامة في فاس وغيرها من المدن المغربية وقت لجوئه مع مخدومه النصري سنة (٧٦١) ، وآخرها حين لجأ لسان الدين الى البلاط المريني سنة (٧٧٣) . وكان دأب ابن الاحمر ان يتصل بالقادمين من وطنه ، يتسقط اخباره ، ويفيد علماً وأدباً . ومن ذلك ما رواه في نثير الجمان : من انه لقي ابا البركات البلفيقي « محمد بن محمد السلمي » لما قدم رسولاً من الغني بالله الى السلطان المريني ابي سالم ابراهيم [1] . ولقي ايضاً لسان الدين كما سنذكر .

ترجم ابن الاحمر لابن الخطيب مرتين : في نثير الجمان ، وفي نثير فرائد الجمان ، وذكر نتفاً من اخباره متفرقات خلال الكتابين . ومما يؤسف له حقاً ان ترجمة لسان الدين مفقودة من كتاب نثير الجمان ، وهي كما اظن اهم من ترجمته في نثير فرائد الجمان لأنها كتبت في وقت قريب من مصرع ابن الخطيب . ولكن نقول صاحب الجذوة ، والمقري في النفح والازهار قد تجزىء .

وقد مرت العلاقة بينهما بفترتين :

الاولى : تشمل المدة التي سبقت لجوء ابن الخطيب الى بني مرين . وهي فترة عادية لا يشوبها شيء يعكر صفوها ، بل ربما كانت بينهما صداقة او علاقة شيخ بمستفيد ، فقد سماه في ترجمته لمحمد بن محمد العريف الغرناطي [2] « شيخنا ذو الوزارتين ابن الخطيب ... » وقال في موضع آخر « وانشدني في الحنين الى الاوطان ذو الوزارتين الحاجب القائد الخطيب الفقيه الكاتب صاحب القلم الاعلى ابو عبد الله محمد بن الفقيه الخطيب الكاتب ابي محمد

---

(١) نثير فرائد الجمان ١٤/ ظ .
(٢) المصدر السابق ٦٢/ و .

عبد الله بن سعيد بن الخطيب السلماني الاندلسي بفاس بتشوق معاهـــده بالاندلس لمـا كان بالعدوة ، حين خلع عن ملكه مخدومه ابن عمنا السلطان الغني بالله محمد :

احبُّـك يا مغنى الحقوق بواجب
واقطع في اوصافك الغر اوقاتي
َتقسّمَ منك الترب ُ اهـلي وجيرتي
ففي الظهر أحيائي وفي البَطن امَواتي [١]

وقال في مقدمة ترجمته « أدركته وخاطبته وخاطبني ... [٢] » وهــذه الاَخبار كافية للدلالة على تلك العلاقة .

والثانية : تشمل مدة لجوء ابن الخطيب الى بني مرين أو معظمها ، إذا سلمنا بما قاله ابن الاحمر من أنهما تصافيا بعد خصام . وقـــال ابن الاحمر في ترجمة لسان الدين في نثير فرائد الجمان بعد أن عظـّمه ومدحه : « لكن صل لسانه في الهجاء لسع ، ونجاد نطاقه في ذلك إتسع ، حتى صدمني وعلى القول فيه أقدمني ، بسبب هجوه في ابن عمي ملك الصقع الاندلسي ، سلطان ذلك الوطن في النفر الجني والانسي . ثم صفحت ُ عنه صفحة القادر الوارد من مياه الظفر غير الصادر ، لان مثلي لا يليق به إظهار العورات ولا يحمد له تتَبـُّع العثرات ، اتباعاً للشرع الكريم في تحريم الغيبة [٣] ... » .

وفيما عدا هذه الثغرة التي يقول ابن الاحمر إنه رأبها ، وفحوى كلامـه

---

(١) نثير الجمان ١/ ظ .
ورد البيتان في نفح الطيب : ٢٠٥/٩ مع بعض اختلاف .
(٢) نثير فرائد الجمان ١٣/ ظ .
(٣) نثير فرائد الجمان ١٤/ ظ .

تدل – بالطبع – على أن ذلك تم في حياة لسان الدين ، لأنه لا معنى للصفح عمن صار في الاموات دون الاحياء ، فإن مطالع كتب ابن الاحمر ، والنقول التي نقلت عنه يشعر بأن اسماعيل بن الاحمر لا يذكر لسان الدين إلا بالاجلال والاكبار حتى انه لقبه بـ « شيخنا » . وقد خصص نحواً من ربع كتابه « نثير فرائد الجمان » لشعر ابن الخطيب ونثره وذكر كتبه وأخباره [١] . ولكننا مع كل هذا لا ندري ما هو السر الذي جعل لسان الدين يُعرض عن ذكر ابن الاحمر ، وحدا به لأن يهمله هذا الاهمال المزري مع احتفاله بمن هم دونه .

وقد حمل الفقيه التطواني صاحب كتاب « ابن الخطيب من خلال كتبه » على اسماعيل بن الاحمر هذا حملة شديدة [٢]، فقد نقل نصاً عن نفح الطيب – دون أن يشير الى مصدره – ظنه لأبي الوليد اسماعيل ، تعرض فيه كاتبه لتدوين الاحاطة ، وهو في الحقيقة لم يزد على ما قاله لسان الدين نفسه من حيث المعنى والمفهوم [٣] . وواضح أن صاحب النص ليس اسماعيل بن يوسف ابن محمد بن الاحمر لقوله في النفح « ... وجاءت الحادثة العظمى من وفاة مولانا والد جدنا أمير المسلمين أبي الحجاج في غرة شوال سنة ٧٥٥ .. [٤]» ثم قال « ولما عاد ابن الخطيب الى الاندلس بعودة جدنا الغني بالله تعالى الى ملكه سنة ثلاث وستين وسبعمائة تلاحقت الفروع من كتاب الاحاطة بالاصول[٤]..» وربما كان صاحبَ هذا النص هو صاحب البقية والمدرك : يوسف الثالث ملك غرناطة أو شقيق له .

---

(١) من ١٣/ ظ الى ٤٢/ و .

(٢) ابن الخطيب من خلال كتبه : بقلم الاستاذ محمد بن ابي بكر التطواني ١٩٥٤ تطوان .

(٣) الاحاطة ١٨٧/٢ في ترجمة محمد بن جزي الكاتب الشاعر .

(٤) نفح الطيب ٣١٣/٩ .

٨ - ثقافته وشيوخه :

من آثار المؤلف الضائعة فهرسة له قيد فيها أسماء شيوخه ، والكتب التي كونت ثقافته وفكره ، على طريقة الفهارس التي كانت سائدة في عصره وفي العصور قبله - وقد ذكر هذه الفهرسة صاحب « نيل الابتهاج » ونقل عنها كثيراً في كتابه . وجاءت ترجمة اسماعيل بن الاحمر في نيل الابتهاج وجذوة الاقتباس ودرة الحجال سريعة مبلسرة ، لا تغني في مقام الحديث عن ثقافته وشيوخه . وسنلتتبع شيوخه في نيل الابتهاج ، ونفيد مما نقله عن كتبه صاحب جذوة الاقتباس ، ونستشهد بكتبه التي وصلتنا ، لعلنا نستطيع تشكيل فكرة عامة تعطي بعض الملامح .

عني ابن الاحمر بالأدب مبكراً ، فتراه يورد شعراً لمحمد بن احمد المكودي المتوفى سنة (٧٥٣ هـ) يقول في تقديمه « وأنشدني لنفسه » . كما انه كان يكتب لنوابغ عصره يطلب اليهم ارسال شعرهم او نثرهم اليه ليسلكهم في مؤلفاته . وقد نال غير « اجازة » واحدة في الآداب وفي بردة البوصيري [١].

واهتم بالعلوم الشرعية ، فأجيز « بالموطأ » للامام مالك ، وبكتاب « الشفاء » للقاضي عياض وأخذ الحديث عن علماء جلة ، وأجيز بكتب اخرى . وشارك في الأنساب والتاريخ ، وأخذ اجازة بذلك .

وسنعرض سريعاً لشيوخه - من عرفنا منهم - علّ الصورة ان تكون اوضح ، وهي على كل حال ناقصة لضياع تلك الفهرسة النفيسة .

---

(١) حرص ابن الاحمر على جمع الاجازات من بعض علماء الاندلس وغيرها بالمراسلة ، تقديراً لهم ، وحرصاً على شكليات وظواهر كانت سائدة في عصره ، ولعلها كانت شائعة قبيل عصره .

١ – شيخنا الفقيه عبد الغفـار بن موسى البوطفي « رأيته وأجازني في التاريخ والآداب »[1] .

٢ – شيخنا محمد بن محمد بن داود الصنهاجي « أخذت عنـــه العربية وأجازني اجازة عامـة » . وكنت احضر حلقته حين كان يقرىء مقامات الحريري بجامع القرويين من فاس أنا وابن عمي الرئيس اسماعيل[2] .

٣ – شيخنا ابو سعيد فرج بن لب التغلبي « بعث لي بالاجازة العامة من غرناطة الى فاس »[3] .

٤ – شيخنا الفقيه القاضي الحسن بن عثمان بن عطية بن موسى الوانشريشي « وهو أحد شيوخي حضرت حلقته في كتاب ابن الحاجب وأجازني اجازة عامة »[4] .

٥ – شيخنا الحسن بن عطية بن موسى الوانشريشي « وهو الآن في هذا الوقت الذي ألفت فيه كتابي هـــذا بفاس يقرىء بجامعها الأعظم المسمى بالقرويين : المدونـة ، والجلاب ، والرسالة ، وكل ذلك لاقتباس علمـــه وبركته »[5] . ونقل التنبكتي[6] في ترجمة هذا الشيخ عن ابن الاحمر قوله: « وأجازني الموطأ رواية يحيى بن يحيى » .

٦ – شيخنا محمد بن احمد بن عبد الملك بن شعيب الفشتالي .. وهو الآن

---

(١) نثير الجمان ١١٥/ و .
(٢) المصدر نفسه ١١٥/ ظ .
(٣) ٥٢/ و .
(٤) نثير الجمان ١٠٠/ ظ ونفح الطيب ٢٧٣/٧ .
(٥) نثير الجمان ١٠٠/ و – ظ وانظر شجرة النور الزكية : ٢٣٨ .
(٦) نيل الابتهاج ص ٦٥ .

قاضي الجماعة بفاس وخطيب المدرسة التي بناها السلطان ابو عنان ، وهو أحد المفتين ، ويدرس المدونة وغيرها ، وحضرت حلقته مرة ، وأخذت عنه ، وأجازني اجازة عامة »[1].

٧ – شيخنا ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن رشد الاموي (الحفيد) أدركته ورأيته وأجازني في القصيدة الموسومة بالبردة التي اولها :

أمن تذكر جيران بذي سلم .. نظم الفقيه .. البوصيري[2]

٨ – محمد بن عبد الرحمن بن ابي محمد الومناني الحسني، قال ابن الاحمر : لقيته بفاس وأجازني اجازة عامة ، وكذلك اجاز ولدي يوسف[3] .

٩ – شيخنا الفقيه المتفنن المكثر المعمر الكاتب الشاعر « ابراهيم بن عبد الحق الحسناوي التونسي المتوفى سنة (٧٧٥ هـ). ذكره صاحب النيل[4] والجذوة[5] دون أن يشيرا الى كتب بأعيانها .

١٠ – سعيد بن محمد بن ابي العافية المكناسي . قال ابن الاحمر في فهرسته : « شيخنا الفقيه المعمر العدل . أخذ عن الراوية ابن جابر الوادي آشي وغيره[6] » .

---

(١) نثير الجمان ٩٦/ و – ظ .
(٢) المصدر نفسه ١٠١/ و .
(٣) جذوة الاقتباس ص ١٤٠ ، لم نقع على غير هذا الأسم من ولد ابن الاحمر ، وما ندري اخلف غيره ام لا .
(٤) نيل الابتهاج : ٤٦ .
(٥) جذوة الاقتباس : ٩٢ .
(٦) نيل الابتهاج : ١٢٥ ، الجذوة : ٣٢٢.

١١ – عبد الواحد بن منديل بن عبد الواحد الانصاري الفاسي . قال ابن الاحمر في فهرسته: شيخنا الفقيه الكاتب العدل المتدين.. ولم يذكر كتباً ولا اجازة .

١٢ – محمد بن سعيد بن عثمان بن سعيد الصنهاجي ... انقشابو « أجازني [١] » .

١٣ – محمد بن علي بن البقال الانصاري الفاسي .. « أجازني [١] عامة».

١٤ – شيخنا الراوية المسند الحاج ابو عبد الله محمد بن سعيد الرعيني المعروف بالسراج قال في الجذوة [٢] «أخذ عنه ابن الاحمر:قال في فهرسته : أجازني اجازة عامة » .

١٥ – « احمد بن محمد الدباغ .. شيخنا الفقيه الكاتب .. وهو شيخي الذي به الأدب تعلمت »[٣]. وقد سمى ابن الاحمر شيخه هذا في موضع آخر « صاحبنا » .

١٦ – وفي جذوة الاقتباس أن « عمر بن محمد المؤدب » من شيوخ ابن الاحمر [٤] ، كما أن ابن الاحمر وصف لسان الدين مرة بـ « شيخنا ذو الوزارتين » .

١٧ – « شيخنا الفقيه الكاتب صاحب القلم الاعلى أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان البخاري .. واستجزته عله فأباح لي الاجازة [٥] » .

---

(١) نيل الابتهاج ٢٧١ .
(٢) نثير الجمان ١/ و – شجرة النور الزكية ٢٣٦ – جذوة الاقتباس ١٤٧ .
(٣) نثير فرائد الجمان ٣/ و .
(٤) ص : ٩٠ .
(٥) مستودع العلامة ص : ٥٢ .

١٨ – شيخنا ابو القاسم محمد بن محمد الغساني البرجي . « ولي منـه فيما يحمل من العلوم [١] إجازة » .

ولا شك في أن هؤلاء الاعلام ليسوا كل شيوخه[٢]، وان تلك الكتب ليست كل ثقافته ، ولكننا – على أية حال – نستطيع أن نتصور هذا الامـير من المعنيين بالعلوم الدينية والادبية واللغوية والبحوث التاريخية ، ومـا يتعلق بالانساب. ولدينا رسالة من صاحب ابن الاحمر عبد الرحمن بن علي المكودي اليه يقول فيها ... « صاحبنا الشهير بالنبل والذكاء وسروة الهمة والبهاء ، الضابط لفنون الآداب، العالم بعيون التاريخ والانساب، الرافع راية القريض، وناشر لوائه الطويل العريض ، علم الرؤساء ودرة أبنـاء الامراء ابو الوليـد اسماعيل [٣] » ...

٩ – تلامذته :

لم تذكر التراجم لابن الاحمر ، ولا كتبه ، أقعَدَ للاقراء ام لم يفعـل ، ولكن لدينا خبران يدلان على أن ابن الاحمر أفاد غيره، ونقل اليه بعض علمه. قال في نثير الجمان [٤] في اديب اشتهر بشهبون : « صاحبنا سعيد بن ابراهيم السدراتي : ابو عثمان ادركته وصحبته وامتدحني وأفدته في الطريقة الادبية ، وابرع ما كان نظمه في الزجل » . وذكر ابن القاضي في ترجمـة عبد الرحمن ابن محمد بن زيد بن عبد الرحمن .. الجادري انـــه اخذ عن الرئيس ابن الاحمر وذكر من آثاره فهرسة وشرحا على البردة [٥] . وجاء في شجرة النور

---

(١) مستودع العلامة ص : ٥٧ .

(٢) وذكر في آخر نثير الجمان اسم اثنين آخرين من شيوخه ، الفقيه الكاتب : مسعود بن ابي القاسم ، والفقيه الكاتب التاريخي : محمد بن عبد الرحمن الخزرجي .

(٣) نثير الجمان ١٠٢/ و .

(٤) نثير الجمان : ١٢٦/ و .

(٥) جذوة الاقتباس ٢٥٩ .

الزكية [1] ان المؤلف محمد بن محمد بن مخلوف « يروي الشفاء عن .. الزقاق عن ابن غازي عن الجادري عن ابن الاحمر عـــن السراج عن ابي عبد الله البلفيقي عن ابن الزبير عن ابي الفضل عياض ... » وقال الكتاني في فهرس الفهارس انـه يروي فهرسة ابن الاحمر « عن ... الفسولي عن ابن غازي عن ابي الحسن عن ابن منون عن ابي زيد عبد الرحمن الجادري عن ابن الاحمر» (ص ١٠٠). وهذه الاخبار على قلتها وعدم وضوحها تشير الى ان ابن الاحمر نقل علومه او بعضها الى غيره من رواد المعرفة ، وان كنا لا ندري أدرّس في المسجد او في المدرسة او في منزله او في مجلس عـــلم بدكان من دكاكين الوراقين [2] .

١٠ – عمـــله :

لم يوضح ابن الاحمر ولا من ترجم له نوع عمله الذي كان يزاوله في بـني مرين وقد كان اللاجئون من النصريين يقابلون في المغرب بحفاوة في معظم الاحيان وتجري عليهم الجرايات كما ذكر ابن الخطيب في اللمحة [3] . وفيها قال : « وليوسف – والد اسماعيل – ابن يباشر خدمة السلطان » . وجاء في نيل الابتهاج في ترجمته « كان في ايالة بني مرين ، في جندهم » وذكر ابن الاحمر – كما سلف – احتفاء ابي عنان به وتقريبه اياه واصطحابه في رحلته . وفي السلطان عبد العزيز بن علي قـــال : « كنت بحضرته وتحت ايالته » ، وفي عبد العزيز بن احمد قال : « لم افارق خدمته حتى مـات »

---

(١) ص ٤٦٧ .

(٢) قال في نثير الجمان ١٢١/و :

« صاحبنا محمد بن احمد الكومي ... قعدت انا معه في حانوته بسماط فاس لعلم اقتنيه .. » ولعله يقصد الافادة من الكتب. وكان ذكر بعض الحوادث والطرائف الادبية جرت بحضوره..

(٣) اللمحة البدرية ٢٤ – ٢٦ .

وقدم كتابه » النفحة النسرينية » لأبي العباس احمد ، وقدم كتابه « روضة النسرين » لأبي سعيد عثمان « طرزته باسم هذا السلطان المطاع » .. ويظهر انه كان في بني مرين اشبه باللاجىء السياسي في ايامنا هذه .

١١ – لقبه وكنيته :

اجمع كل من ترجم لابن الاحمر ان كنيته ابو الوليد . وقد ذكر هو نفسه ذلك وكرره مراراً . غير ان صاحب شجرة النور الزكية يذكر ان كنيته « ابو الفداء [١] » . واختلف لقبه عند من ترجموا له او نقلوا عنه ، فهو تارة الأمير ، وتارة الأمير الرئيس او الشيخ او الرئيس. وانفرد صاحب « سلوة الانفاس » بتلقيبه بـ « الامام ذي الوزارتين » ، إلا أن يكون المقصود التعظيم [٢] .

١٢ – اعجابه بادبه :

ابن الاحمر معجب بما ألف وبما قال من شعر وما كتب من نثر ، وهو لا يخفي هذا الاعجاب عن قارئه . فتجده يقول في وصف « نثير الجمان » : « وكتابي هذا قد أينعت أفنان رياضه ، ومُلئت بالآداب الرائقة أرجاء حياضه .. وقد قلت في وصفه لما تم إحكام رصفه :

هذا الكتابُ له فضل على الكُتُب   حوى القريض مع التاريخ والأدب
لأجل تركي مساوي من به ، وسَمَا   سُمُوّ واضعهِ في أشرف الرُّتب [٣]

---

(١) شجرة النور الزكية : ٢٣٢ .
(٢) سلوة الانفاس : ٣/٢٥٦ .
(٣) ٢/ ظ .

ويضيف بعد ذلك (فجئت بجموع ... قلّ مـا يسمح الزمان بمثاله أو يُنسج على منواله، ولم تقدر على الاتيان بمثله أيدي المصنفين، ولا شنفت آذان ابداعه أنامل المشنفين » [١] .

وقال في قصيدة رفعها لصديق له من بني زيان :

خذها أبا زيّان مني قطعة   غرّاء ذاتَ طَلاوة وبَهاء [٢]

وقال في مديح ابي سعيد عثمان المريني [٣] :

خذها أمير المسلمين بديعـة   منها لساني لا يزال فصيحا
ببدائعٍ من صنعة الآداب قد   أصغى العدوُّ لها فعاد طَليحا
تنسيك حسناً كلما رَدّدتها: (هل كان ضُمّخ بالعبير الريحا)

وأورد لنفسه شعراً في الباب الذي عقده لشعر ملوك بني الاحمر، وقدم لذلك بقوله : قال اسماعيل مؤلف هذا الكتاب : ولمـا نظمني معهم سلك الآداب ، وسلكني بهم مسلك الانتساب [٤] .

وفي كتابه الآخر «قال اسماعيل بن الاحمر مبرز هذا الابريز الاحمر..[٥]»

وقارىء أي كتاب من كتبه يلاحظ ان شخصية ابن الاحمر واضحـة ظاهرة ، يقحم نفسه حيثما استطاع ، ويفخر بنسبه وأسرته ، ويدل بشعره وأدبه ، ولكنه مع ذلك خفيف الظل مقرب الى النفس .

---

(١) ٣/ ظ .
(٢) نثير الجمان ٣٣/ و .
(٣) روضة النسرين ص ٤٣ .
(٤) نثير الجمان ٢٢/ و .
(٥) نثير فرائد الجمان ٩٣/ ظ .

١٣ – ابن الاحمر في عصره :

كثر الكتاب والشعراء والادباء ومنتحلو ذلك في هـــذا العصر كثرة عجيبة فإن تعدد البلاطات في دول المنطقة، بل وفي البلد الواحد منها أبرز عدداً جماً منهم بتقلدهم المناصب واتصالهم بذوي الشأن ومتقلدي الرئاسات . وقد خلف ذلك علاقات كثيرة بينهم من مودة وجفاء وخصومة ومكيدة . وتكفي الحوادث المشهورة للدلالة على هذا الرأي . فديوان ابن الجياب ورحلة ابن خلدون وكتب ابن الاحمر ولسان الدين تشهد بمـــا كان بينهم وبين معاصريهم من صلات مختلفة ، عدا ما نقلوه من رسائل وقصائد متبادلة بين الادباء والشعراء .

وابن الاحمر واحد من هؤلاء أدلى بدلوه وخاض مـع الخائضين . وفي نثير فرائد الجمان خبران عن خصام وقع بينه وبين لسان الدين ، وبينه وبين ابن عبد المنان الخزرجي . وكلتا الخصومتين غامضة تقريباً الا ما عرفناه من أن خصومته مع لسان الدين كان سببها هجاؤه في الغني بالله ، وعلل انهـــاء خصومته مع ابن الخطيب بالوازع الديني : « لأن مثلي لا يليق به اظهار العورات ولا يحمد له تلبـع العثرات اتباعاً للشرع في تحريم الغيبة .. » وبأنه حسن المعاشرة – في أمر ابن عبد المنان – : « اذ أنا في ربـع الاخاء من أحب السكان [١] .. » ولكنه مع ذلك لا يخفي تعاليه وكبرياءه . وربمـا كان خصامه مع أقاربه ، فهو يرد على اتهاماتهم بشعر يبين طريقته في حل مشكلاته :

« فمن قولي لطف الله بي ، وكان قد بلغني عن بني عمي بعض القول مما يقبـح :

---

(١) نثير فرائد الجمان ٧٦/ و .

رماني بنو عمي بِبوِزْرِ مُزوَّرٍ   وما زلتُ أوفاهم وأحسنهم سَمْتا
رمونيَ حقداً بالذي لست أهلَـهُ   وإني عن هُجر لأكثرهم صمتا[1] ..

ومن ناحية اخرى نجد من يثني عليه من اصحابه ومعاصريه ، فيورد ذلك فخوراً في كتبه . فمن ذلك ما نقلناه من رسالة عبد الرحمن بن علي المكودي [2] . وما ذكره ابن الاحمر من رسالة شيخه وصاحبه ابن الدباغ : « جلال مولانا الرئيس ابي الوليد ... الذي ملك عنان الفضائل المأثورة ورفع لواء المخايل المشكورة ، واحتوى على غرر الشمائل المبرورة ، قطب الرياسة الذي عليه مدار افلاكها ، ودرة المجد الذي بها فخار أسلاكها [3] ... » وامتدحه بعضهم بشعر ، وبعضهم بموشحات . فمن ذلك ما بعث به اليه الامير ابو زيان محمد بن مسعود بن عبد الرحمن بن موسى العبد الوادي يجاوبه فيها على شعره :

انت الحبيبُ المحضُ انت اخو الندى   انت الأميرُ ووارثُ الأمَراء
انت الذي ما تحت خضراء السَّمَا   ملكٌ سواك أحقُّ بالحَمْراء
فلتَسْمُ اسماعيلُ ذروةَ « مجدها »   ولتَقْتطِفَنْ ازاهر العَلياء
ولتقعدنَّ على مراتب ملكها   تَبَعاً الى الأجدادِ والآباء [4]

وامتدحه سعيد بن ابراهيم السدراتي الشهير بشهبون بموشحة منها :

نشرت فيكم بني نَصْرِ   لأبي الصدق راية النصرِ

---

(١) ٢١/ و .
(٢) ١٠٢/ و .
(٣) المصدر نفسه ١١٠/ ظ .
(٤) نثير الجمان ٣٢/ ظ .

أيّ شهم وأي صنديدِ
حاز ارث السماح والجود
شيّد المجدَ أيّ تشييد
لم تحِدْ عنه ألسن الشكرِ فهْو في الدهر طيّبُ الذّكر
ثاقب الذهن وافر العقلِ
عالم بالعلوم والنقل
جُعل النصر منه في النّصل
ضيّقُ الحزم واسع الصّدرِ بارعُ الحسن باسم الثغرِ ... (١)

ويبدو ان ابن الاحمر كان على اخلاق عالية ومعاملة حسنة ، هيأت له الاتصال بالكثير من اعلام عصره ، فكثر اصحابه وعارفوه كثرة تشهد بها كتبه .

(١) المصدر نفسه ١٢٢ .

الفصل الثالث

آثار ابن الأحمر

عرض عام :

خلف ابن الاحمر عدداً من الكتب والمصنفات ، وصلنا بعضها ، وغاب عنا بعضها الآخر ، فما ندري أهو في خزانـة من خزائن الكتب لم يدركه المفهرسون ولا مؤرخو الأدب ، أم انـه ضاع فيما ضاع من تراث المسلمين على يد البرابرة في الغرب والشرق . ويلاحظ ان اوائل الذين ترجموا له لم يذكروا كتبه كلها، فابن القاضي في جذوة الاقتباس ذكر له ستة كتب [1]، ثم نقصها الى ثلاثة في درة الحجـال [2] ، وأحمد بابا التنبكتي في نيل الابتهاج قال : « له تآليف أدبية كمستودع العلامة ... الخ » فهو ينص على انه يجتزىء من اسماء كتبه ولا يسردها ، ثم ذكر له تسعة كتب . ومحمد بن جعفر الكتاني في سلوة الانفاس [3] ، نقل ما جاء في نيل الابتهاج دون

---

(١) ص : ٩٩ — ١٠٠ .

(٢) ص ١/١١٦ .

(٣) ص ٣/٢٥٦ .

زيادة ، ولكنه أورد خبراً يدل على اهتمام شغل بعض الأدباء بكتب ابن الاحمر ، قال : « وقد كان يعتمده القصار ويبحث عن تآليفه البحث الحثيث . وكذا الشيخ الحسناوي وأبو محمد عبد السلام القادري وغيرهم [١] » وبعد ان عدّد كتبه قال : « وكان من أهل النظم معتنياً بالتقييد » . وعبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس والأثبات [٢] ذكر له ستة كتب ثم قال : « وكان ممن يعول عليه في التاريخ والأنساب ويلتفت الى ما ينقل ويقيّد . أروي فهرسته بالسند الى القصار عن المنسولي . الخ » ..

ومحمد بن مخلوف في شجرة النور الزكية [٣] يذكر له ثلاثة كتب فقط ايضاً. فإذا مددنا أيدينا الى كتب التراجم الحديثة ، او الفهارس او تواريخ الأدب وقعنا في اوهام لا جدوى من تتبعها ، بعد أن رأينا نماذج منها في اول الحديث . وذكر ابن الاحمر نفسه في كتابه « نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان » كتابين من تأليفه ، نصّ على النقل من احدهما غير مرة ولكننا لا نجد أثراً لهما في الفهارس ولا تواريخ الأدب او كتب التراجم .

وأول ما يلفت الانتباه في كتبه ، عناوينها [٤] فمعظمها مسجوع مجاراة لما كان سائداً في ذلك العصر ، بل ان سجعة عنوان الكتاب لن تختلف عن اسلوب الكتاب كله من اعتماد على الصنعة اللفظية المغرقة والتي ستكون موضوع حديثنا في مكان آخر . ونجد بالاضافة الى التصنع في اللفظ استخدام اسماء الجواهر والأزهار في تأليف تلك السجعة مثل « حديقة

---

(١) المصدر السابق .

(٢) ج ١ ص ١٠١ .

(٣) ص ٢٣٢ .

(٤) للدكتور حسين مؤنس مقال طريف في موضوع عناوين الكتب ، فيه ملاحظات قيمة . انظر مجلة العربي العدد ٧٠ — ايلول (سبتمبر ١٩٦٤) الكويت .

النسرين » ، « روضة النسرين » ، « نثير الجمان » ، « نثير فرائد الجمان ».
وبسبب تقارب موضوعات هذه المؤلفات بعضها من بعض، وقعنا في اشكال للتفريق بينها ، بعد أن اوقعت الأوائل في اوهام قادت الى اخطاء صريحة.

ولنستعرض كتب ابن الاحمر، ثم نفصل فيما بين ايدينا منها ، من مخطوط ومن مطبوع .

١ – « نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان » :

هو في جذوة الاقتباس « نثير الجمان في من نظمه وإياه الزمان » وفي درة الحجال « نثر الجمان فيمن ضمني وإيام الزمان » وفي نيل الابتهاج « نثير الجمان فيمن ضمه وإياه الزمان » في سلوة الانفاس « نثير الجمـان في شعر من نظمني وإيام الزمان » وهو في فهرس الفهارس مطابق لما جاء في المخطوطة ، وما هو مثبت .

٢ – « نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان » :

لم يذكره اوائل الذين ترجموا لابن الأحمر كابن القاضي والتنبكتي، وانما في ذلك تعليل نذكره بعد قليل . وقد اضطرب اسماعيل باشا البغدادي في اسم الكتاب وخلطه بالكتاب الاول مع انـــه لم يذكر إلا واحداً . فسماه مرة : « ايضاح المكنون ١٨٢/٣ » فرائد الجمان فيمن نظمني وإياه الزمان ، ومرة اخرى « المرجع نفسه ٦٢٥/٢ »: « نثير فرائد الجمان فيمن لقيني وإياه الزمان » . وسمـــاه الكتاني في فهرس الفهارس « نثير افراد الجمان في نظم فحول الزمان » بابدال فرائد بأفراد .

٣ – « تأنيس النفوس في تكميل نقط العروس » :

هكذا سماه في الجذوة ، وهو في نيل الابتهاج وسلوة الانفـاس وفهرس

الفهارس « تأنيس النفوس في اكمال نقط العروس[1] » .

٤ – « حديقة النسرين في اخبار بني مرين » :

هكذا سماه في الجذوة ، أما التنبكتي فسماه « حديقة النسرين في دولة بني مرين » وتابعه في سلوة الأنفاس . وفي فهرس الفهارس « .. في اخبار » ايضاً .

٥ – « روضة النسرين في اخبار بني عبد الواد وبني مرين » :

ذكره التنبكتي بهذا النص ، وقال في الجذوة بعد حديقة النسرين في اخبار بنى مرين « روضة النسرين ايضاً » وقد أغفل في فهرس الفهارس هذا الكتاب . وسنفرد بحثاً خاصاً عن هذين الكتابين .

٦ – « مستودع العلامة ومستبدع العلامة » :

قال في نيل الابتهاج : « ذكر فيه من تولى العلامة من الكتاب عن الملوك » وطبع الكتاب في المغرب ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م في تطوان ، نشرته كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط بتحقيق : محمد التركي التونسي ، ومحمد ابن تاويت التطواني ؛ تحت اشراف معهد مولاي الحسن للبحوث .

---

(١) نشر الدكتور شوقي ضيف رسالة « نقط العروس لابن حزم » وقال في مقدمتها : « والرسالة لا تحوي تاريخاً مفصلاً للخلفاء ، وانما تحوي بعض حقائقهم ، وأخبارهم الشخصية والسياسية ... « وتضم » الخطوط العامة للخلافة الاسلامية والخلفاء حتى عصر ابن حزم ... وتفيض الرسالة في تفاصيل شخصية كثيرة عن العلماء وأبنائهم ونسائهم .... »

انظر مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة — ديسمبر ١٩٥١ — المجلد ١٣ الجزء ٢ ، ص ٤٤ — ٤٥ .

٧ – « مشاهير بيوتات فاس » :

قال في جذوة الاقتباس : « وله تأليف في اعيان مدينـــة فاس وأهلها » ونقل هذه العبارة بنصها ، صاحب سلوة الانفاس. وأغفله في نيل الابتهاج. وفي فهرس الفهارس : « وله ايضاً كتاب مشاهير بيوتات فـــاس ، وهو الذي اختصره ابو زيد الفاسي في كتابه المطبوع ».وعن هذا الكتاب نقل بروكلمان في تاريخه حين ترجم لابن الأحمر .

٨ – « شرح البردة » :

قال في الجذوة : « له شرح على البردة » ، وفي النيل:« وشرح البردة ». وقد ذكرنا في الحديث عن ثقافته أنه اجيز بردة البوصيري التي أولها :

أمِن تذكر جيرانٍ بذي سَلم

وكان ابن الأحمر قد شرح في « نثير الجمان » قصيدة ابي الثناء محمـــد بن سليمان الحلبي كاتب الانشاء بالشام التي أولها :

وصلنا السُّرى وهجرنا الديارا وجئناك نطوي اليك القفارا

وأورد نص القصيدة وشرحهـــا في خمس صفحات (٥٣/ و – ٥٦/ ط) من المخطوط . ووجه اهتمامه بها انها من الشعر الديني . « نظمهـــا الرئيس ابو الثناء بالحجاز الشريف في طريق المدينة شرفها الله وعلى ساكنها السلام »[١] .

٩ – « عرائس الامراء ونفائس الوزراء » :

ذكره التنبكتي في نيل الابتهـــاج ، وورد في رسالة لابن الأحمر عرضاً ،

---

(١) نثير الجمان ٥٣/ظ .

يهنىء بها صاحب الأشغال السلطانية احمد بن علي القبائلي ، مورياً وملتزماً بالكتب العلمية [1] . قال : « ... وبذكرك تعطرت النوافح الطيبية وتزين رقم الحلل الخطيبية ، وشيت عرائس الامراء ونشيت نفائس الوزراء ورددت فرائد الاذكار ... »

١٠ – « نظم وشرح » على منهاج رقم الحلل لابن الخطيب :

هذه عبارة نيل الابتهاج ، وفي سلوة الانفاس « نظم وشرحه على نهج رقم الحلل .. » وكذا في النسخة المطبوعة من النيل « نظم وشرحه » ولعلها اي « هاء شرحه » من وهم النساخ لأن العبارة في نسخة دار الكتب المخطوطة نظم وشرح . كتاب « رقم الحلل » نظم موجز لدول الاسلام عليه شرح سريع ، وكلاهما لابن الخطيب [2] ولعل ابن الاحمر وصل ما انقطع من « رقم الحلل » نظماً وشرحاً اذ أنه وقف عند حوادث عام ثلاثة وستين وسبعمائة [3] .

١ – « برنامج » :

لم يذكره صاحب الجذوة عند سرد مؤلفاته ، ولكنه نقل عنه في مواضع كثيرة عند الحديث عن شيوخ ابن الاحمر بقوله «قال ابن الاحمر في فهرسته .. ذكره ابن الاحمر في فهرسته ... » وقال صاحب نيل الابتهاج بعد ذكر بعض شيوخه « ذكرهم في برنامجه » .

١٢ – « المنتخب من درر السلوك في شعر الخلفاء الاربعة والملوك » :

ذكره ابن الاحمر في نثير الجمان ٣٢ / و ، ولم يشر أحد غيره اليه .

---

(١) نثير فرائد الجمان ١٠٦/ و .
(٢) طبع تونس سنة ١٣١٦ هـ .
(٣) ص ١٢٢ المصدر السابق .

١٣ - « فريد العصر في شعر بني نصر » :

ذكره ابن الاحمر في نثير الجمان ١٩/ظ - ٢٠/ظ - ٢١/ظ .

أما كتاب المنتخب من درر السلوك ، فقد ذكره حين أتى على ذكر محمد ابن أبي سرحان العبد الوادي . قال « كنتُ قد بعثتُ له بأبيات من قولي طالباً منه أن يبعث لي بشعر أثبته في كتابنا المنتخب من درر السلوك في شعر الخلفاء الأربعة والملوك وهي ... « شعر » .. فجاوبني بقوله ... « شعر » .

وأما « فريد العصر » فقد نقل عنه صفة السلطان النصري محمد بن اسماعيل ابن محمد بن فرج [1] ، وصفة الرئيس اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن فرج ، وصفة أخيه [2] محمد .

ولابن الأحمر « نظم » يُلحقه بطبقة من منتحلي الشعر في عصره ، إذ صار الشعر من الملح التي تتم شخصية الأديب المثقف ، او الفقيه أو الطبيب .. الخ .. واختلط الامر بين شاعر وناظم . وفي نثير الجمان ، ونثير فرائد الجمان ، وروضة النسرين قصائد ، وأبيات متفرقات من شعر ابن الاحمر ، سنفرد لها بحثاً خاصاً

تفصيل في أهم آثاره :

١ - مقارنة بين نثير الجمان ونثير فرائد الجمان :

في دار الكتب مخطوطتان فريدتان لكتابين اثنين ، كلاهما لاسماعيل بن

---

(١) نثير الجمان ٣١/ و - ظ .

(٢) في مستودع العلامة ما يدل على ان ابن الاحمر حاول تأليف كتاب في « الحديث الشريف » ، ولا ندري أفعل ذلك ام حيل دونه ، قال : « وكنت أردت في الحديث وضع كتاب » .. انظر ص ٦٠ ، ٦١ .

يوسف بن محمد بن فرج .. بن الاحمر النصري نزيـل فاس . وفكرة الكتابين تكاد تكون واحدة ، وطريقة المؤلف تبدو للناظر العجلان واحدة ، وكثير من مواد الكتابين متشابهة ، مما يدخل في الرّوع الشك بأنهما كتاب واحـد ألف غير مرة ، او عبثت ببعضه يد النساخ فصحفت في العنوان واضطربت في المواد ! ونستبق التفصيل فنقول إن الكتابين مؤلفان مستقلان ، لكل واحد منهج ولكل واحد طريقة ؛ وبين تأليف الاول وتصنيف الثاني فسحة من الزمن تبلغ ربع قرن من الزمـــان . ولكن الموضوع الاساسي للكتابين واحد ، وهو الترجمـة لبعض الكتاب والشعراء او لمن عرف لهم أدب او شعر ، من اعلام القرن الثامن دون سواه. وان شرط الكتابين يسمح بتكرار بعض التراجم في الكتابين ؛ ولكن المؤلف كان يعيد اختيار بعض القصائد في كتابه الثـــاني رغم اختيارها في الكتاب الاول لذيوع تلك القصائد او لاعجابه بها ، كما فعل في قصائد ابن الجياب والأحيمر المالقي ومحمد الشبوكي وسواهم ..

كتابان لا كتاب واحد : والمصنفان اثنان ، لا واحد دخله التصحيف ، وسنسوق بعض الأدلة لكي نقطع الشك ، وينجلي وجه المسألة :

١ – الاختلاف في الاسم: فأحدهما: (نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان) ؛ وهذا الاسم مثبت في آخر ورقة مما لدينا من المخطوطة ، ورد في ختام الكتاب . والثاني (نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان). وبالرغم من سجعة العنوانين وورود كلمة الجمان في كليهما إلا ان الفرق واضح .

٢ – الاختلاف في المنهج : ولسوف نشرح هذا في الحديث عن الكتابين بالتفصيل . ولكننا نقول ان (نثير الجمان) من اثني عشر بابـاً ، وصنّف المترجمون باعتبار وظائفهم ومنزلتهم و (نثير فرائـد الجمان) من « فصول أربعة » ، وصنف المترجم بهم باعتبار أقطارهم .

٣ - اختلاف زمن التأليف : فقد ألف (نثير الجمان) في سنة (٧٧٦ هـ) بينما ألف كتابه الآخر (نثير فرائد الجمان) سنة (٧٩٩ هـ) او بعدها ، فقد ذكر في الاول انه يؤلف كتابه وابن خلدون عند بني عمه في الاندلس ، وأورد قصيدة في كتابه الآخر يمدح فيها السلطان المريني أبا عامر عبد الله بن أبي العباس احمد (صفر ٧٩٩ - جمادى الآخرة ٨٠٠).

٤ - المنقول عنها : ذكر صاحب جذوة الاقتباس نثير الجمان اكثر من مرة ، ونقل عنه حادثة كان رواها عن مجلس ابي عنان فارس المريني « ٣١٤ جذوة - ١٧ / ظ نثير الجمان » ونقل اشياء اخرى في صفحتي ١٤٥ و١٩٧ .

وأما الذي ذكر الكتابين باسميها ونقل عنها فهو المقري في نفح الطيب وأزهار الرياض ، ولكنه كان احياناً ينقل عن احدهما وينسبه للآخر كما فعل في ترجمة الشبوكي وسهل عليه هذا الخلط ان القصيدة المختارة له في الكتابين واحدة .

٥ - غرض الكتابين : والكتاب الاول « نثير الجمان » مقصور على إيراد « شعر » لكل مترجم ، وهذا واضح من العنوان « .. في شعر من نظمني واياه الزمان » كما ان المؤلف كان يصدر كل باب بكلمة « شعر » كقوله الباب الثاني في شعر ملوك بني مرين ، الباب السادس في شعر ملوك بني العزفي وابنائهم .. الخ ، والباب الثاني عشر فيما قيل من الشعر في السيف الذي بصومعة جامع القرويين من فاس بينما نجد في نثير فرائد الجمان امراً آخر . قال : « واقتصرت فيه على من لنفسه انشدني من الشعراء الاعيان ومن بسنى لحقته ... وغرضي - ايضاً - ان اكتب ما أجد من الرسائل لمن اثبت اسمه وأضمنه انواعاً شتى من المكاتبات وأحسن رسمه .. » وقد التزم في كتابه الثاني ما شرط على نفسه، فالكتابان من هذه الوجهة ايضاً مختلفان مفترقان .

والكتابان لمؤلف واحد : هو اسماعيل بن يوسف بن الاحمر .

١ – من عادة ابن الاحمر انــه يكثر من ذكر نسبه ، ويكثر من وصل نسب أي امير نصري يعرض ذكره ، بالجد الاعلى لأسرة بني الاحمر ، عــادة غلبت عليه حتى كادت تنزل منزلة الطبيعة. وقد ذكر اسمه موصولاً بنسبه في نثير الجمان مرات كثيرة ، كما انه كرر عبارته المألوفة « قال اسماعيل مؤلف هذا الكتاب » [١] في نثير الجمان وقال في آخر المخطوطة « قـــال اسماعيل مؤلف هذا الكتاب انتهى نثير الجمان ... » خلا ما عرّف بـــه نفسه حين سلك نفسه في باب شعر بني الاحمر [٢] . أما في نثير فرائد الجمان فقد بـدأ كتابه بذكر نسبته ، وكرر صلته بالمـلوك النصريين وقال في اواخر الكتاب « قال اسماعيل بن الاحمر مبرز هذا الابريز الاحمر لمـــا كنت من هذه الفئة الشعرية .. [٣] الخ » .

٢ – ومؤلف كلا الكتابين يذكر وقائع ويتحدث عن اعـــلام في القرن الثامن الهجري مما يقتضي ان يكون التأليف وقع في « عصر » واحد . وقد وقــع الاتفاق ان اسم المؤلف في كليهما « اسماعيل بن يوسف ابن محمد بن فرج ابن الاحمر النصري » ، وهذا الاسم مع الشهرة بالتأليف والتصنيف واللجوء الى بني مرين لا ينطبق إلا على شخصية واحدة هي المؤلف المذكور .

٣ – بين المؤلف وبعض التراجم – بل معظمها – علاقات من صداقة أو خلاف أو تلمذة ويستحيل ان يكون هناك مؤلفان اتفق لهما هذا العدد الجم من الأصحاب والشيوخ بالعلاقات نفسها والحوادث ذاتهـــا دون أي فروق . ومثال ذلك علاقة المؤلف بلسان الدين وأحمد بن محمد الدباغ وملوك بني مرين ..

---

(١) مثلا ٥٢ / ظ .

(٢) نثير الجمان ٣١ / ظ .

(٣) نثير فرائد الجمان ٩٣ / ظ .

٤ – وقـــد نقل المقري عن الكتابين ونسبهما الى ابن الاحمر هذا باسمه الصريح « اسماعيل بن يوسف بن محمد » أبي الوليد . ولا يسيء خلط المقري بين الكتابين أحياناً الى هذه الحقيقة لأنه كثيراً مـا كان يكتب من ذاكرته دون الرجوع الى المصادر . وحين شك في نسبته كتاب « البقية والمدرك في شعر ابن زمرك » نسبه الى « ابن الاحمر » دون تعيين مما أوقـــع بعض المحدثين في الوهم [١] .

٥ – واسلوب ابن الاحمر في الكتابين واحد وسنفصل هذا في الحديث عن « نثر ابن الاحمر » . ونلاحظ ان المؤلف أورد عبارة في مقدمة نثير الجمان ، ثم نقلها مع تعديل طفيف في نثير فرائد الجمان ، ولكنه أثبتها هذه المرة في ترجمة لسان الدين ، ونقل بعضها المقري . وهذه العبارة المشتركة هي : « ... ان مثلي لا يليق به اظهار العورات ولا يحمد له تتبع العثرات إتباعاً للشرع الكريم في تحريم الغيبة ، وضرباً عن الكريبة ، وإثباتاً لحظوظ النقيبة الرغيبة . ومن قولي في ذلك المعنى لما حللت ذلك المغنى :

تركتُ مثاليبَ الرجـال لأنني [أفضل أن أُلقي بفضليَ للناس]
وأرجو بذاك السّتر يوم فضيحة إذا جلّ خطبٌ في القيامة بالناس

فما ضره لو اشتغل بذُنوبه ، وتأسف على ما شرب ماء الهجو بذَنوبه . وستر العيوب وكف أكف الناس، وقال كما قال ابن طاهر عامل آل العباس:

وما السرُّ من قلبي كثاوٍ بحفرة لأني أرى المدفون ينتظرُ الحَشرا
ولكنني أُخفيـه حتى كأنـّه من الدهر يوماً ما أحطتُ به خُبرا

---

(١) انظر مثلاً في مجلة البحث العلمي العدد الثـاني : ٢٥٨ . السنة الاولى ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م جامعة محمد الخامس — الرباط . ومقدمة « ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث ص (ض) بتحقيق الاستاذ عبدالله كنون — تطوان — ١٩٥٨ .

وقـــد قال بعض الناس من تعرض للأعراض صار عرضه هدفاً لسهام الأغراض [1] ... » .

٦ – ويمكن أن نضيف أنه لم يشتهر أحد من بني الاحمر في هذا القرن بالتصنيف سوى اسماعيل هـــذا . صحيح ان لسان الدين ذكر في اللمحة البدرية [2] أنه وقف على « مجـموع شعر لمحمد الفقيـه النصري » ألفه بعض خدامه ولكن هذا لا يعني أنه عُني بالتأليف والتصنيف عهدَ أبي الوليد هذا.

٢ – كتاب نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان :

المخطوطة : في دار الكتب المصرية نسخة فريـدة مخطوطة من هـــذا الكتاب ، محفوظة تحت رقم « أدب ١٨٦٣ » . وهي من مائـــة وإحدى وثلاثين ورقة ، سقطت منها ورقة من الاول وأخرى من الآخر ، مكتوبـة بخط مغربي جيـد ، والعنـاوين بخط سميك جميل أضخم من خط النسخة . وقد زينت العناوين بالشكل،وبعض الكلمات والأعلام خلال النصوص ايضاً . والنسخة بغير تاريخ لضياع اولها وآخرها ، وقد وصل اليهـــا البلى ورممت ترميماً حديثاً ، أذهب بأجزاء من بعض الصفحات الأولى من أدناها . والورق من كتان عادي . مسطرتها ٢١ سطراً في المتوسط وحجمها ٢١ × ١٦ وعلى بعض هوامش النسخة تعليقات قليلة ذهب بعضها بالترميم وامّحى اكثرها. أما الناسخ فدقيق في الغـــالب يميز بين الشعر والنثر في الكتابة ويزين الابيات الشعرية من طرفي الصفحة.وبالاضافة الى ما ذكرت من خروم اعتورت النسخة بفعل الترميم ، فان تَرجمة لسان الدين ساقطة من هـذا الكتاب مع أن ابن

---

(١) نثير الجمان ٢ / و – ظ ، نثير فرائد الجمان ١٤ / و – ظ .

(٢) صفحة ٤٩ .

القاضي في جذوة الاقتباس ، والمقري في النفح ينقلان عن تلك الترجمة [١] ، من هذا الكتاب نفسه .

تاريخ تأليفه : يظهر مما وقفنا عليه في نثير الجمان أن تاريخ تأليفه كان (سنة ٧٧٦) او بعدها بقليل للأمور الآتية :

١ – فكل الوقائع والحوادث التي يؤرخها اثناء الكتاب وقعت قبل هذا التاريخ. كقوله ١/ظ وحدثني بفاس في سنة أربع وسبعين وسبعمائة شيخنا .. ابو عبدالله محمد بن سعيد الرعيني .

وأورد في ترجمة عبدالله بن يوسف بن رضوان النجاري قصيدة له يمدح فيها سلطان المغرب أبا فارس عبد العزيز المريني ، وقدم لها بقوله : « وهي مولدية ، ورفعها له عـــام ثلاثة وسبعين وسبعمائة » .. صفحة ٦٦/ و من المخطوطة .

٢ – وفي ٨٧/ و ذكر السلاطين المرينيين الذين كان أحمد بن عبد المنان الخزرجي في خدمتهم بالتتابع ووقف عند ابي العباس احمد الذي ملك ٧٧٥ ونزل فاس اوائل ٧٧٦ [٢] .

٣ – وفي ترجمته للفقيه الكاتب يحيى بن احمد بن محمـــد بن البغلة الأموي قال: « وكتب في الحضرة المرينية لملوكها ، وهو الآن كاتب الانشاء بها لأمير المسلمين ... ابي العباس احمد [٣] .

---

(١) انظر جذوة الاقتباس : ١٠٠ ، ونفح الطيب ٧/٤ ، فقد أورد ترجمة ابن الاحمر للسان الدين دون ذكر مصدره ، مع انه في ٩ / ١٣٥ أورد ترجمته منقولة عن نثير فرائد الجمان .

(٢) هذا في دولة ابي العباس احمد الاولى (٧٧٥ — ٧٨٦) ، وقد حكم في الفترة ما بين دولتيه الاولى والثانية ثلاثة سلاطين .

(٣) نثير الجمان ٨٥ / ظ .

٤ – ويحدد هذا التاريخ بدقة حين يترجم لعبد الرحمن بن خلدون ٨٢ / و ، قال : « وهو – ابن خلدون – الآن بالاندلس في حضرة ابن عمنا امير المسلمين الغني بالله أبي عبد الله محمد المخلوع ». اما ابن خلدون فقال في « التعريف بابن خلدون ص ٢٢٦ » : « وأجزت الى الاندلس في ربيع سنة ست وسبعين ولقيني السلطان – يعني الغني بالله » .. وسعوا لدى الغني بالله بأن ابن خلدون حاول نصرة لسان الدين في محنته ، قال ابن خلدون : « فاستوحش – السلطان – لذلك وأسعفهم باجازتي ». وبهذا يتحدد تاريخ تأليف هذا الكتاب ، اذ ان ابن خلدون لم يمكث هذه المرة في غرناطة اكثر من اربعة شهور .

أبواب الكتاب : يتألف الكتاب من اثني عشر باباً ومقدمة وخاتمة . اما المقدمة فقد ذهب منها جزء بسيط لعله ورقة واحدة او ورقتان على الاكثر. ومجرى الحديث في اول السطور الموجودة من النسخة يدل على ان موضوع هذه المقدمة هو « الحنين الى الاوطان » لأنه يروي حديثاً نبوياً في هذا المعنى ، ثم يعقبه بأبيات للسان الدين كان رواها لابن الاحمر في احدى زياراته للمغرب، ثم انشد شيئاً من شعره في ذلك ، وظن الاطالة على القارىء فاعتذر بتعلقه بحب الاندلس ، وقال ان ما يعتلج في صدره من حب الاندلس ومعاناة الغربة ألهاه عن كل شيء وجعل هذا الانشغال الفكري النفسي حجة إن بدا في الكتاب تقصير . ثم ذكر أبواب كتابه قبل الحديث عنها وهي كما أوردها : « وبوبته أحد عشر باباً »[١] :

---

(١) في الهامش اثر لتصحيح قطعه الترميم : ٣ / ظ . والباب الثاني عشر هو من الكتاب اصلا ، لأن عبارة الخاتمة جاءت بعده ، ولأن ابن الاحمر روى معظم ما ورد في هذا الباب من الشعر عن شيوخه وعن اصحابه ، وهو لم يخرج فيه عن خطة الكتاب .

الباب الأول : في فضل الشعر وإباحة انشاده بالمساجد .

الباب الثاني : في شعر ملوك بني مرين وابنائهم .

الباب الثالث : في شعر ملوك بني الاحمر من بنى نصر قومي وأبنائهم .

الباب الرابع : في شعر ملوك الموحدين الحفصيين وأبنائهم .

الباب الخامس: في شعر ملوك بني زيّان من بني عبد الوادي وأبنائهم .

الباب السادس: في شعر ملوك بني العَزَفي وأبنائهم .

الباب السابع : فيما بلغنا من شعر وزراء قومي بني الاحمر من بني نصر ملوك الاندلس .

الباب الثامن : فيما بلغنا من شعر قضاة بلادنا الاندلسية وفقهائها .

الباب التاسع : فيما بلغنا من شعر كتاب قومي بني الاحمر ملوك الاندلس.

الباب العاشر : فيما بلغنا من شعر كتاب بني مرين .

الباب الحادي عشر : فيما بلغنا من شعر قضاة المغرب وفقهائها .

الباب الثاني عشر : فيما قيل من الشعر في السيف الذي بصومعة جامع القرويين من فاس .

أمـــا الخاتمة فقد ضاع بعضها لضياع الصفحة الاخيرة ، ولكننا نعثر في آخر ما لدينا على قوله « قال اسماعيل مؤلف هذا الكتاب انتهى نثير الجمان في شعر من نظمني واياه الزمان . واذ قـــد فرغت من تأليف كتابي هذا ، وكان وبـــلي فيه رذاذا ، اذ لذت بجانب معناه لواذا ، جعلت لي العذر عن القصور فيه عياذا ، ورغبت ممن تصفحه ان يسقط العتاب ، فاني لست برب هذا الباب » ...

التراجم : هذا الكتاب حافل بتراجم الملوك والشعراء ، او بمعنى ادق ،

بتراجم من اشتهر بالشعر من اعلام القرن الثامن ممن عاصرهم ابن الاحمر وهذا معنى قوله « في شعر مـــن نظمني واياه الزمان » . وفي الابواب العشرة التي يورد فيها تراجم ومختارات شعرية نقع على نحو ٧٠ سبعين ترجمة . فماذا نجد عند ابن الاحمر في تراجمه ؟

يبدأ المؤلف بذكر صاحب الترجمـــة في رأس موضوعه : اسمه ولقبه وكنيته وصفته وعمله ويستطرد كثيراً في ذكر الانساب ويتحقق من ذلـك احياناً من اكثر من مصدر كما فعل في ترجمـة الشبوكي . ثم يصف « حاله » متعرضاً لما عُرف عنه من عناية بعلم او ادب او طلب او نزعة إمارية . ويختم الترجمة بنبذة من شعر المترجم بـه وقد يكون قصيدة واحدة او اكثر من قصيدة على طول في اختيار القصائـد وقصر . ولا نراه يجتزىء في الاختيار بالبيت والبيتين الا حين ترجم للملوك فانـــه لم يؤثر عن بعضهم الا ابيات معدودة . ولكنه في الجملة يتوخى أن تكون التراجم متناسقة على خلاف ما سنجد في نثير فرائد الجمان . ويستطرد في بعض التراجم الى رحلة صاحبها ، وذكر بلده ، وعلاقته به ، ورتبته منه ، ويأتي على ذكر حوادث او وقائع او مكاتبات بينهما .

منهجه : قلنا ان ابن الاحمر صنف تراجمه باعتبار « وظائف » المترجم بهم وصفاتهم ، وهو في هذا يرجح صفة من صفات المترجم بـــه ، فمعظم المذكورين في كتابه مما عنوا باهتمامات متنوعة كالفقه والشعر والكتابة ، ومنهم من تقلد الكتابة عن السلاطين ثم الوزارة ، وبعضهم خدم في اكثر من بلاط من بلاطات الدول المغربية فهو مثلاً يصنف ابن خلدون في « كتّاب بني مرين » مع أنه حين تأليف الكتاب كان ملحقاً بالقصر النصري بغرناطة [1].

---

(١) نثير الجمان ٨٢ / ظ .

وأخذ على نفسه في مقدمة الكتاب عهوداً « .. أن أغضي عما أجده لهم – تراجمه – من القبائح وأذكر ما امتازوا به من الفضائل والمنائح لأن مثلي لا يليق به إظهار العورات ولا تتبع العثرات [1] » . وقد التزم هذا المبدأ ولم يخلّ به ، وليس بين ايدينا ما قاله عن لسان الدين لنتأكد من ذلك ، فنحن نعلم أن خصومة قامت بينهما قبل تأليف الكتاب ، ولكن ما ذكره في كتابه الآخر « نثير فرائد الجمان » يرجّح صحة التزامه ذلك الشرط .

مصادره : وصف التنبكتي ابن الاحمر بأنه « كان معتنياً بالتقييد[2] » ، وقال في سلوة الانفاس : « وكان من اهل النظم معتنياً بالتقييد [3] » وهذه ملاحظة دقيقة . لأن ابن الاحمر كان لا يكل – كما يظهر من آثاره – عن لقاء الواردين على فاس واستنشادهم الشعر واستجازتهم العلم والادب وقد اتاحت له ظروفه ان يتصل بأولئك الوافدين وان يجمع من تراث عصره آثاراً ضخمة . وهو في « نثير الجمان » لا يكاد ينقل عن كتاب ، فمعظم كتابه مما استنشده المترجم بهم أو طلبه من أبنائهم .

وفي كتابه رسائل بعثها الى بعض اصحابه يطالب فيها ان يمدوه بشعرهم ليدرجهم في كتابه ولعله فعل هذا غير مرة ، لأنه يشير الى مثل هذا حين طلب من محمد بن ابي سرحان الامير العبد الوادي ان ينشده شعراً يدرجه في كتابه « المنتخب من درر السلوك» السابق ذكره . وعنايته بالتقييد مبكرة فهو يثبت قصيدة للفقيه الصوفي الأديب [4] محمد بن احمد المكودي المتوفى سنة ٧٥٣ ، ويبدؤها بقولته المعتادة « أنشدني لنفسه » . ونحن نعلم

---

(١) المصدر نفسه ٢ / و .
(٢) نيل الابتهاج ، ص ٩٩ .
(٣) سلوة الانفاس ٣ / ٢٠٦ .
(٤) نثير الجمان ١٢٢ / و .

من جذوة الاقتباس أن ابن الاحمر كان مقيماً بدار فخمة بعقبة المكودي مما سهل له الصلة بهذه الاسرة الذائعة الصيت آنذاك .

ونقل ابن الاحمر من كتابه « فريد العصر من شعر بني نصر » حين ترجم لبعض أفراد أسرته . أما عن تحري الدقة فيظهر من ترجمته لمحمد الشبوكي قال : « صاحبنا الفقيه ١٢٣/ظ محمد بن يوسف بن احمد بن يوسف الشريف الشبوكي يكنى أبا عبدالله ويعرف بالشبوكي رأيته وصحبته ونسبه حسبما نقلته من خطه على متن كتاب وأخبرني هو به وسمعته ايضاً بفاس من بعض الناس هو محمد ... » ولكنه حين يترجم لكتاب بني الأحمر وقضاتهم لا ينص عمن نقل ولا عن مصادر اختيار الشعر الذي يورده ، سوى انه يصدّر الباب بقوله « فيما بلغنا من شعر ... » فان اتفقت لبعض هؤلاء الاندلسيين رحلة الى المغرب ، استنشد ابن الأحمر من لقي منهم وأثبت ذلك في كتابه . فنجده في ترجمة « أبي البركات محمد بن محمد السلمي الشهير بالبلفيقي » يقول في مقدمة قصيدته « أنشدني لنفسه » ويذكر أثناء الترجمة لقاءه به . وعدم اشارته الى مصادره في تراجم من لم يلقهم لا يطعن في قيمة تلك التراجم ولا في صحة رواية أشعارهم لأنه كما رأينا يتحرى الدقة في نقله ويكتب عن معاصرة .

هل خرج عن خطته ؟ لم يخرج ابن الأحمر في كتابه هذا عما رسم من نهج إلا قليلاً فقد سمى كتابه « .. في شعر من نظمني وإياه الزمان » ولكننا نجد بعض الرسائل في ثنايا الكتاب ، ولعل سبب إيرادها ان المؤلف كان يستطرد احياناً الى حادثة او ذكر علاقة بينه وبين صاحب الترجمة مما يستدعي مثل تلك الرسالة كرسالة المكودي مثلاً . ولكننا في ترجمة القاسم ابن يوسف بن رضوان النجاري ٦٨/ظ لا نعثر على شعر مطلقاً بل نجده نثراً من ترسله « رسالة سينية مما كتب به لمخدومه أبي عنان فارس المريني [١] » .

---

(١) انظر نثير فرائد الجمان ٤٠ / و ، ٤٨ / ظ . ولعل لأبي عنان هذا ولعاً بمثل هذه النماذج السينية ، مع ملاحظة ان اسمه « فارس » .

وهذا خروج واضح عن خطة الكتاب . ولكن هـذه الظاهرة لا تتكرر ، وما ندري فلعل أبياتاً من الشعر لهـذا الكتاب سقطت من النسخة بسهو او بخرم . أما الاستطرادات المتعلقة ببعض جوانب المترجم به من حياته وأدبه فلا نعدها مخالفة للخطة او المنهج .

قيمة هذا الكتاب : سنتحدث عن قيمة الكتابين بعد الحديث عن « نثير فرائد الجمان » . ولكن هذا الكتاب – دون غيره – له قيمة تاريخية كبيرة لأنه ألمّ بذكر وقائع وحوادث عاصرها المؤلف ورواها رواية مشاهد مدرك يدفع مـا استطاع الاعتبارات الشخصية في سرد الحوادث التاريخية ؛ فهو في ترجمة محمد بن محمد بن أحمد بن جزي ينعى على يوسف الاول السلطان النصري نكبته لهذا الكاتب دون ذنب اقترفه ، وينتصر له ؛ الا أن شرطه على نفسه أن يذكر المحاسن دون القبائح في تراجمه أضاع علينا الكثير من الحقائق التي كان يستطيع أن يسجلها لنا بقلم خبير . واستطاع من هذه الثغرة أن ينفذ الى مدح من أجمعت المصادر على ذمـه ، لصلته الوثقى بنسبه ، وهو الامير المتوثب على ملك الغني بالله ؛ محمد بن اسماعيل بن محمد بن فرج ، الذي عرف عنه التهتك وسفك الدم ، ثم لقي مصرعه على يد ملك قشتالة [1] بعد لجوئه مع حاشيته اليه .

أما قيمة هذا الكتاب الأدبية فموضع الحديث عنـه في مكان آخر . غير أن للكتاب قيمـة اخرى من الناحيتين السياسية والاجتماعية ، وبخاصة فيما يتعلق بحياة السلاطين داخل قصورهم، فهم بالرغم من الفتن والحروب والجهاد لا ينسون تمتيع أنفسهم بمصارعة الأسود وألعـاب مشابهة [2] ... كما

---

(١) اللمحة البدرية : ١١٧ .

(٢) نثير الجمان : ٩٤ / و .

أنه يصور مـــا كانت عليه فاس من حركة علمية وأدبية واسعة ، وحدب السلاطين على العلم والأدب ، ويبين في كثير من المواضع العلاقات المختلفة التي كانت تنشأ بين أهل الفكر بعضهم مع بعض ، وبينهم وبين ذوي السلطان من وزراء وملوك .

٣ – نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان :

منهج الكتاب : نحا المؤلف في كتابه هذا منحى آخر مغايراً في المنهج لما كنا رأيناه في كتابه الاول ، ذلك ان المؤلف قسم كتابه قسمين ، فواحـد لشعراء المشرق، وآخر لشعراء المغرب ، وجعل القسم المتعلق بشعراء المغرب على نوعين : شعراء الاندلس ، وشعراء بر العدوة . فاذا عدنا الى عبـارة ابن الاحمر في هذا الموضوع نراه يقول : « وجعلته على فصول أربعـة : الفصل الاول في شعراء المشرق ، والفصل الثاني في شعراء المغرب . وهذا الفصل أجعله على نوعين : الاول في شعراء الاندلس ، والنوع الثـــاني في شعراء بر العدوة » [١] . ولكننا بهذا أمام فصلين لا فصول أربعة ، فكيف نوجه هذا الكلام ؟ لقد وَصَلَنا الكتاب كاملاً كما سنثبت في الفقرة التالية – لا تنقصه إلا بعض النصوص لا بعض التراجم ولا بعض الفصول – كما ان صاحب فهرس الفهارس قـــال « وهو صاحب كتاب نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان ، ونثير أفراد الجمان في نظم فحول الزمان من اهل المئـة الثامنة من فرسان الكتيبة الكامنة وجعله على فصلين : الاول في شعراء الاندلس والثاني في شعراء بر العدوة » [٢] . وظاهر ان هذا الكلام مخالف لمـــا ذكره ابن الاحمر في مقدمة الكتاب لأنه أوَرد فعلاً تراجم لبعض المشارقة . ولكن كيف اعتبر كتابه في فصول اربعة ؟..

---

(١) نثير فرائد الجمان ٣ / و – ظ .
(٢) فهرس الفهارس والاثبات ١/١٠٠ – ١٠١ .

ولا بد لتوجيه هذا اللبس على الوجه الصحيح من أحد فرضين : الاول: أن يكون اصل كلام ابن الاحمر « وجعلته على فصلين » بدل قوله « جعلته على فصول اربعة » . والثاني ان يكون اعتبر شعراء المشرق نوعين مثلما فعل في شعراء المغرب . كأن يقسمهم الى شعراء العراق وشعراء الشام . وان صح الفرض الثاني فلا بد من ملاحظة انه أورد ثلاث تراجم للمشارقة .

١ – صفي الدين « عبد العزيز بن سرايا » الحلي العراقي (١) .

٢ – الشريف « عبد العالي بن طاوس » العراقي « عراق العرب » (٢).

٣ – شهاب الدين « احمد بن يحيى » بن أبي حجلة التلمساني المولد ، الدمشقي النشأة (٣) ، القاهري الوفاة .

فيكون الاولان من شعراء العراق ، والثالث من شعراء الشام او مصر . ولابن الاحمر اعتبارات خاصة في الادباء المغتربين عن اوطانهم حين يريد تصنيفهم او الحاقهم بفئة من الفئات او نسبتهم الى قطر من الاقطار. ولكن ابن الاحمر لم يشر اية أشارة الى مثل هذا التقسيم في النسخة التي بين ايدينا . فاذا افترضنا ان الفراغ المتروك على الصفحة ٥١ / و – ظ من صنع المؤلف انتظاراً لمادة ، كان يبحث عنها ، جاز لنا أن نعتبر هذا الوهم من صنع المؤلف ايضاً ، وتكون نسختنا هذه في الاغلب منقولة عن اول اصل كتبه المؤلف من هذا الكتاب اي من مسودته . والافتراض الاول ارجح .

ويسرد المؤلف تراجمه بغير نظام معين داخل فصوله كترتيبهم حسب

---

(١) نثير فرائد الجمان ٣ / ظ .

(٢) المصدر نفسه ٦ / ظ .

(٣) المصدر نفسه ٧ / ظ .

وفياتهم او تقسيمهم الى احياء وغير احياء، او فصل من اتصل بهم عن الذين عاصرهم ولم يشاهدهم ..

بـدأ الكتاب بذكر نسبه حق وصله بسعد بن عبادة الخزرجي الصحابي المشهور ، ثم دخل في خطبة الكتاب فامتدح الادب واعلى من شأنه ، ومن شأن الذين يتقلدونه وينتمون اليه ، ثم قال انه سيجعل كتابه جامعاً للنفيس من شعر اهـل عصره – دون سواهم – والبارع من نثرهم « رسائلهم » وان انتقاءه لتراجمه سيكون من النابغين من اهل ذلك العصر . ومعنى المعاصرة في اصطلاحه هو أن يكون قد رأى المترجم به او ادركه بسنه ، ولهذا فانه ترجم لصفي الدين الحـلي في الباب الاول وقال « ادركته ولم اره »(١) » ولم يقف المؤلف كتابه على فئة من الفئات دون سواها بل جعل همه الانتقاء من ادب « فحول زمانه » من فقيه وكاتب وعـالم وأديب .. وسمى كتابه : « نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان » – من اهـل المئة الثامنة من فرسان الكتيبة الكامنة من ارباب القوافي من كل مديـد الخوافي ، ممن تثنى على مفاخره ألسنة الاقلام والمحابر .. »(٢) وقصره تراجمه على اعـلام المئة الثامنة يذكرنا بكتاب لسان الدين « الكتيبة الكامنة فيمن لقينـاه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة » ولهذا الموضوع حديث لاحق.

كتاب أم جزء من كتاب ؟ : ظهر من الفقرة السابقة ان فصول الكتاب لم تنقص واحداً كما توهم عبارة المؤلف العارضة ، خاصة وانـه لا انقطاع ولا فراغ بين شعراء المشرق وشعراء المغرب ففي الورقـة ٨ / و تنتهي ترجمة ابن ابي حجلة وتبدأ ترجمة الشريف الغرناطي مع الاشارة الى الانتقال

---

(١) صفحة ٣ / ظ .

(٢) صفحة ٣ / ظ ايضاً .

من فصل الى آخر . امـــا الفراغ في الورقة ٥٠ / و – ظ فكان لرسالة او « عنوان » رسالة كما ورد في رأس الصفحة . فإذا مضينا الى آخر الكتــاب انتهى بنـــا بوقفة قلم دون عبارة المؤلف التي تشير الى انتهائه من تأليف الكتاب ، ودون أي عبارة اخرى بقلم ناسخ او قارىء او مقتن لتلك النسخة في فترة من الفترات . افلم يفقد من النسخة ترجمة او تراجم ؟ ..

ان آخر ترجمة في «نثير فرائد الجمان» هذا هي للمؤلف نفسه ، وسبقتها ترجمة احمد بن محمد الدباغ الخزرجي ، ولقبه المؤلف هنا بـ «شيخنا » وهذه الملاحظة مع بعض الأدلة الأخرى ، نسوقها فيما يلي تدل على ان النسخة التي بين ايدينا « كتاب » كامل لا ينقصه الا الفراغ على الصفحة الآنفة الذكر .

١ – الترجمة قبل الأخيرة كانت لأحمد بن الدباغ الخزرجي [1] . وقــد قال فيه المؤلف « وهو شيخي الذي الأدب به تعلمت وقال اني لسان المقاويل اليك سلمت . وما عن التقديم أخرته إلا لأني لهـذا الموضوع ادخرته » وهو يشير بذلك الى انه ختم به تراجم كتابه وسبق به ترجمته لنفسه ، وإلا فلا معنى لهذه العبارة .

٢ – وقال بعد ان انتهى من ترجمة ابن الدباغ الخزرجي « قال اسماعيل بن الاحمر مبرز هذا الابريز الاحمر: لما كنت من هذه الفئة الشعرية وانتظمت في سلك فقهائها الاشعرية وممن في نادي الشعراء الفحول زاحم، حين مأزق ميدانه بكفاح أسوده تلاحم ، وقلت فسممت ، وتقـــدمت فتبممت ، وفي انواع الشعر اتصرف ، ونظمه بي يتشرف ، وتلاعبت بفنونه ، وما جنّ جناني بجنونه ، وارتفعت بالخطة العلمية وانتفعت بالخطة العلميـــة ، وكنت من ابناء ملوك

(١) نثير فرائد الجمان ٩٣ / و .

اساوده ، واكتحلت من إثمد اجادته براوده ، واستشهدت ببيت المتقدم ، وما قلت بكميت المتندم :

فخيرُ الشعر أشرفُه رجالاً وشرُّ الشعر ما قالَ العبيد[1] ..»

وهذا النص يقطع بأن المؤلف اراد ان يترجم لنفسه بعد ان استنفد مادة كتابه .

٣ – « وفي نثير الجمان » كانت ترجمة ابن الاحمر لنفسه آخر تراجم الفصل الثالث المتعلق بشعر ملوك بني الاحمر وابنائهم ، قـــال « اسماعيل مؤلف هذا الكتاب،ولما نظمني معهم وسلك بي مسلكهم شرف الانتساب،ولم أكن ممن قصر عن ذلـك المرام ، ولا ممن تبدد من ذلك النظام ، رأيت أنّ ترك اسمي وعدم اثبات نظمي ثلة فيجم ... »[2] .

٤ – ونجد ظاهرة ترجمة المؤلف لنفسه في ذيل كتابـــه لدى بعض معاصري ابن الاحمر كلسان الدين بن الخطيب في الاحاطة اذ جعل ترجمته آخر الكتاب « وكذا ابن خلدون في تاريخه » ، وفي هذا يقول جلال الدين السيوطي بعد ان ترجم لنفسه في آخر كتابه « طبقات المفسرين » : « وانما ذكرت ترجمتي في هــذا الكتاب اقتداء بالمحدثين فقل ان ألف احـد منهم تاريخاً إلا وذكر ترجمته فيه ، وممن وقع له ذلك الامام عبد الغافر الفارسي في تاريخ نيسابور ، وياقوت الحموي في معجم الأدباء ولسان الدين بن الخطيب في تاريخ غرناطة والحافظ تقي الدين الفاسيفي تاريخ مكة والحافظ ابوالفضل ابن محمد في قضاة مصر وأبو شامة في الروضتين .. »[3] .

---

(١) نثير فرائد الجمان ، ص ٩٣ / ظ .
(٢) نثير الجمان ، ص ٢٢ / و .
(٣) طبقات المفسرين لجلال الدين السيوطي ، ص ٤ .

وبعد هذا كله ، نقول مطمئنين إن كتاب « نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان » هو كتاب آخر غير كتاب « نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان » ، وانه كتاب كامل ، وان كان يغلب على الظن انه النسخة الاولى « المسودة » التي صدرت عن المؤلف . ولعله لم يعد الى إعادة كتابته مرة اخرى .

تاريخ تأليفه: لم يذكر المؤلف سنة تأليفه كتابه هذا لا بطريقة مباشرة، ولا عرضاً كما فعل في كتابه الآخر . ولكننا نقع في ترجمته الذاتية على بعض التواريخ تفيدنا في ذلك .

اكثر ابن الاحمر من مديح الحاجب احمد بن علي القبائلي وابنه عبد الرحمن ورفع اليه قصائد ورسائل منذ حجابته في دولة ابي العباس احمد الثانية (٧٨٩ – ٧٩٦ ﻫ) واستمر هذا الحاجب وابنه يتمتعان بالسلطة والنفوذ حتى قضى عليهما ابو سعيد عثمان المريني سنة (٨٠٢ ﻫ) .

٢ – وآخر اشارة تاريخية في كتابنا تعود الى شهر ربيع الاول سنة (٧٩٩ ﻫ) . وقال ابن الاحمر في ذلك « ومن قولي هذه المولدية النبوية الشريفة ، ورفعتها في عام تسعة وتسعين وسبعمائة بالمدينة البيضاء من فاس الى السلطان ابي عامر عبد الله ... »[١] وقد دامت دولة هذا السلطان من صفر (٧٩٩ ﻫ) حتى جمادى الآخرة ٨٠٠ .

٣ – وولي بعد هذا السلطان ، ابو سعيد عثمان وتوفي ابن الاحمر في عهده. وسوف نرى ان ابن الاحمر كان على صلة وثيقة بهذا السلطان وأنه مدحه وقدم له كتابه « روضة النسرين » ؛ ولكننا لا نقع في « نثير فرائد الجمان » له على

---

(١) نثير فرائد الجمان ٩٤ / و .

أثر مما يشجعنا على القول ان ابن الأحمر ألّف كتابه هـذا على رأس المـائة التاسعة . ولا يتجاوز تاريخ تأليف الكتاب - ان لم يصح التصور السابق - السنة الثانية من القرن التاسع لأن مقتل الحاجب القبائلي وابنه كان (سنة ٨٠٢) على يد السلطان ولا يمكن لابن الأحمر اللاجىء في بني‌مرين ان يعارضهم ارضاء لقتلي !

مشهور ومغمور : ويلاحظ ان كتاب « نثير الجمان » مشهور عنـد من ترجم لابن الأحمر ، في حين أن « نثير فرائد الجمان » مغمور، ولولا ما ذكره المقري من نقوله عن هذا الكتاب لكان مجهولاً تماماً إذ ان أول اشارة اليـه كانت في فهرس الفهارس للكتاني ، وجاء وصف الكتاب لديه على وجه غير دقيق . ونرجع الاسباب الى ما يلي :

١ - ان نثير الجمان سابق في التأليف على نثير فرائد الجمـان بمدة طويلة تسمح بمناقله في حياة المؤلف على مدى واسع .

٢ - وفي نثير الجمان - دون نثير فرائد الجمان - تراجم لعدد من ملوك الدويلات التي كانت تحكم في المغرب كله والاندلس مما يضفي على هذا المؤلف قيمة تاريخية أكبر .

٣ - ووفاقاً لما ذكرناه آنفاً من أن تأليف الكتاب الثاني كان قبيل‌مصرع الحاجب القبائلي وابنه - وهما من ممدوحي المؤلف - فانه لا يبعد أن يكون إغفال هذا الكتاب ، وربما بمساعدة من المؤلف ، كان تقرباً من السلطان الجديد ابي سعيد عثمان الناقم على ذلك الحاجب وعلى ابنه .

٤ - وان كثيراً من تراجم « نثير فرائد الجمان » قد وردت في الكتاب الاول، ومعظم المختارات الشعرية - للتراجم المشتركة - متشابهة. ولهذا فان دخول الوهم على المؤرخين من بعد ابن الاحمر متيسر وسهل، ولعل هذا يفسر

اغفال ذكر « نثير فرائد الجمان » من ثبت كتب ابن الأحمر لدى من ترجموا له من الأوائل .

التراجم : لا تبلغ تراجم هذا الكتاب نصف عدد تراجم الكتاب السابق، فقد ترجم فيه لثلاثين من أعلام عصره ، من المشارقة والمغاربة ، سبق أن ذكر منهم اثنتي عشرة ترجمة في نثير الجمان . وطريقته في كل ترجمة لا تكاد تختلف عن طريقته السابقة في كتابه السابق. فهو يذكر اسم المترجم به ولقبه وكنيته احيانا، ويذكر سنة ولادته في الغالب في حين يندر ان يذكر مكانها ، ويذكر وفاته ان كان ممن توفي في حياة المؤلف . ويهتم ابن الأحمر بالخبر عن صلته بصاحب الترجمة ؛ فينص على انه أدركه او رآه او صاحبه او ادركه ولم يره. فمن ذلك قوله في ترجمة احمد بن محمد الدباغ الخزرجي « وهو شيخي الذي الأدب به تعلمت [1] » وقوله في لسان الدين بن الخطيب « لكن صِلّ لسانه في الهجاء لسع ونجاد نطاقه نحو ذلك اتسع ، حتى صدمني وعلى القول فيه أقدمني ، بسبب هجوه في ابن عمي ملك الصقع الاندلسي[2] » . ويورد نبذة عن حياة صاحب الترجمة وأغلب ما تكون ثناء ومديحاً دون تقصي أخباره . ولا يلتزم ذكر نسب المترجم به كاملا ، فقد يفصل في ترجمة أديب كلسان الدين بن الخطيب [3] وابن جُزي الكلبي [4] ، وقد يقتصر على ذكر الأب والجد او الأب فقط مثل احمد بن محمد الدباغ الخزرجي وعبد العالي بن طاوس العراقي [5] . ويذكر موطن المترجم بـه الاصلي ، وتنقله في البلاد ومآله وقت تأليف الكتاب كما في ترجمة ابي اسحاق ابراهيم بن محمد الانصاري

---

(١) نثير فرائد الجمان ٩٣ / و .

(٢) المصدر نفسه ١٤ / و .

(٣) المصدر نفسه ١٣ / ظ .

(٤) المصدر نفسه ٤٢ / و .

(٥) المصدر نفسه ٦ ظ .

الساحلي[1] ، وترجمة ابراهيم بن عبد الله الغرناطي .. ابن الحاج [2] . وهو لا يعنى بذكر الشيوخ والتلاميذ ولا الكتب والمؤلفات التي كونت ثقافة تراجمه، ولا الكتب التي صنفوها وألفوها ، الا ما ذكره من كتب لسان الدين بن الخطيب[3] ، مرة لم تتكرر .

وهو ينص في كل ترجمة على وظيفة صاحبها ، ومكانته : كاتباً او فقيهاً او شاعراً او وزيراً ، ويتحدث عن علاقة المترجم بـه بالدولة والسلطان ، سواء أكان مقرباً نال حظوة ، او ممن لقي من اولي الأمر جفوة ؛ ويذكر من شرّق منهم فأدى فريضة الحج كابراهيم بن عبدالله بن الحاج او استقر ببلد من بلاد افريقية كابن الحاج الغرناطي هذا ، وأبي اسحاق الساحلي؛ وقد يسهب في بعض الحوادث كحديثه عن نكبة محمد بن محمد بن أحمد بن جزي على يد السلطان النصري يوسف الأول وخروجه من غرناطة الى فاس[4] . ولكنه لا يذكر تواريخ تلك الحوادث ويندر أن يتطرق الى التفصيل في أسرة المترجم به من أهل او زوج او ولد .

وأسلوب المؤلف المسجوع المصنوع يخفي شيئاً من دقائق الحوادث ويجعل بعض الاحكام النقدية والآراء الأدبية مائعة وغير واضحة ، ولكن القارىء يستشف رأي المؤلف ، ويلمح حقائق كثيرة عن حياة المترجم به وتقلبه في البلاد ؛ فان عباراته المسجوعة لم تكن دائماً مجرد مبالغات لفظية . وهو يمضي على سنة ذكر « المنائح » دون القبائح فلا يغمط واحداً حقه ولا يظلمه، وليس معنى ذلك ان تراجمه صماء ، لا تصور الشخصيات تصويراً جيداً ،

(١) المصدر نفسه ٥٢ / ظ .
(٢) المصدر نفسه ٥٥ / ظ .
(٣) نثير فرائد الجمان ١٤ / ظ .
(٤) المصدر نفسه ٤٣ / و .

بل ان المقصود هو ان المؤلف لم يتحامل على احد ولو كان بينهما بعض الخصام. فهو مثلاً يذكر ما عيب به يحيى بن هذيل التجيبي من اشتغـال بالفلسفة والعقليات [١] ، ويلوم السلطان النصري في ترجمة ابن جزي [٢] ، ولكنه لم يصل الى التهكم على واحد من مترجميه كما فعل لسان الدين بن الخطيب في ترجمة ابي البقاء خالد البلوي [٣] ، او الى الذم والثلب كما في تراجم القاضي النباهي [٤] ، وابن زمرك [٥] ، وابن فركون [٦] . امـا المختارات الشعرية والنثرية فتختلف من ترجمة لأخرى من حيث الجودة ، ومن حيث الطول والقصر ، ففي حين رأينا تناسقاً في التراجم والمختارات في كتابه « نثـير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان » نصطدم هنا بالاختلاف الشديد بين ترجمة وأخرى ، ففي حين نجده يختار ثلاثـة ابيات لابن ابي حجلة التلمساني [٧] وبيتين اثنين لعبد العالي بن طاوس [٨] ، ونجده يختار قصيدة طويلة للسان الدين [٩] ومقطعات شعرية ورسائل تأخذ من الكتاب كله : ربعـه او اقل قليلاً . وهو يقدم للقصائد والرسائل التي يختارها بذكر مناسبتها او من قيلت فيه او بيان ما فيها من جمال وبيان .

مصادر المؤلف في هذا الكتاب : كان المؤلف قـد ذكر في مقدمة كتابه انه سيقتصر في تراجمه على من أنشده مباشرة ، او من بلغته عنـه رواية ،

---

(١) نثير فرائد الجمان ٦٠ / و .
(٢) المصدر نفسه ٤٣ / ظ .
(٣) الكتيبة الكامنة لابن الخطيب : ١٣٤ .
(٤) المصدر نفسه : ١٤٦ .
(٥) المصدر نفسه : ٢٨٢ .
(٦) المصدر نفسه : ٣٠٥ .
(٧) نثير فرائد الجمان ٨ / و .
(٨) المصدر نفسه ٧ / ظ .
(٩) المصدر نفسه ١٥ / و – ٤٢ / و .

هذا في الشعر ؛ اما في الرسائل فلم يشترط لإيرادها التلقي المباشر ولا الرواية المتصلة بالمؤلف . وعبارته في مقدمة كتابه هي : « واقتصرت فيه على من لنفسه أنشدني ، ومن بنظامه البارع استرشدني ، ممن رأيته بالعيان ، من الشعراء الاعيان، ومن سني لحقته، وأنشدت له فألحقته.وألم بما انشدني رواية عن قائل أعينه، مما يستجيده قارئه ويزينه. وغرضي ان اكتب ما أجده من الرسائل لمن ثبت اسمه ، وأضمنه أنواعاً شتى من المكاتبات وأحسن رسمه » . ولكننا في الحقيقة لا نجده يلتزم مـا عاهد قارئه عليه من قوله : « أنشدني لنفسه » او إسناد الشعر الى راو يصله بالشاعر ، او الكاتب . ففي ترجمة ابن عبد السلام الخزرجي [١] قدم المختار من شعره فقال « ومن قوله ... »، وفي ترجمة الساحلي [٢] « فمن قوله يمدح ... » ، وفي ترجمة احمد بن شعيب الجزنائي « فمن قوله من قصيدة بارعـــة » [٣] . ولكنه لا شك اعتمد على دواوين المعاصرين له كديوان ابن الجياب وديوان ابن خاتمة ، وعلى كتب لسان الدين، فإن عشراً من تراجمه الثلاثين قد سبق الحديث عنها في « الكتيبة الكامنة » ومعظم المختارات في التراجم المشتركة متشابهة كما سوف نثبت في تحقيق الكتاب .

قيمة الكتاب : يندرج هذا الكتاب مثل نثير الجمان في كتب « التراجم الأدبية » وهو لاحق بذلك الكتاب ومتمّم له وان اختلفا في المنهج. وبالرغم من ان المؤلف لم يترجم لملوك عصره او الأمراء منهم فـان قيمة الكتاب التاريخية لا تقل أهمية عن الكتاب السابق لانه يكمل الصورة التي رسمها ابن خلدون ولسان الدين وابن فرحون والنباهي وسواهم عن هذا العصر « القرن

(١) نثير فرائد الجمان ٥٢ / و .
(٢) المصدر نفسه ٥٣ / ظ .
(٣) المصدر نفسه ٧ / ظ .

الثامن » المزدهر . وتقل الاستطرادات في الكتاب ، وهو لهذا اقل افصاحاً عن الاحوال الاجتماعية في ذلـك الوقت . فمن الاشارات التاريخية الهامة ، ما ذكره عن ثورة جده « القائم بأمر الله محمد » ولم نجد مصدراً لهذا اللقب الملكي الا في هـــذا الكتاب ، في ترجمة [1] حسن بن يوسف بن عبد السلام الخزرجي كاتبه في اندرش . واشارته الى ثورة جـــده « محمد بن جزي » بجيان [2] ، واهتمامه بحاجب بني مرين « احمد بن علي القبائلي » اهتماماً يفوق ما نجده للسلاطين ، مما يؤيد مـا قيل عن هذا الحاجب من الاستبداد بالملك دون السلاطين [3] . وسنضع هـــذا الكتاب في موضعه من « كتب التراجم الادبية في الاندلس » في بحث لاحق .

النزاهة العلمية : أشار ابن الأحمر الى خلاف كان قد وقع بينه وبين لسان الدين ، وآخر بينه وبـين أحمد بن يحيى بن عبد المنان الخزرجي . والخلاف الأول وردت الاشارة اليه في الكتاب السابق . وقال انــه كاد يغفل هذين الاديبين في كتابه لكنه ترجم لهما بعد ان صفت نفسه مما كدرها من ذلـك الخلاف . وأنصف المؤلف « ابن جزي » كاتب يوسف الأول حـــين ضربه وأخرجه من الاندلس وألقى التبعة على السلطان دون الكاتب ، فقـــال في ذلك [4] « وأصيب – ابن جزي – في الاندلس بالمحنة النازلة بـه من النفس النازلة بالاحنة ، لما ضربه بالسياط السلطان يوسف ابن عم أبينا من غير ذنب اقترفه بل ظلمه ظلماً مبيناً .. » وهو – وان لم ينص على انه سيورد المنائح دون القبائح – فقد التزم منهجه السابق في نثير الجمـــان من تصوير الجانب

---

(١) المصدر نفسه ٥٢ / و .

(٢) المصدر نفسه ٤٣ / و .

(٣) جذوة الاقتباس : ٦١ .

(٤) نثير فرائد الجمان ٤٣ / و ، وهو الفقيه الكاتب ابو عبد الله محمد بن محمد بن احمـد بن جزي الكلبي . وسنعود الى ترجمته في تحقيق النص .

الحسن من تراجمه ، ولا يخرج عن هـــذه القاعدة الا حين روى للسان الدين الكثير من مقطعاته التي قالهـــا في القاضي النباهي الذي لقبه ابن الخطيب بجعسوس . ولعله استجاز ذلك لنفسه لبعد الزمن ووفاة الهاجي والمهجو .

النقول عن نثير فرائد الجمان : لم ينقل احد من اصحاب كتب التراجم او كتب المختارات الادبية شيئاً عن نثير فرائد الجمـــان الا المقري في النفح والازهار . وما نقله عن هذا الكتاب لا يشير الى خلاف في النصين – كما في ترجمة لسان الدين – مما يرجح أن يكون المؤلف قـــد ألف الكتاب مرة واحدة وان النسخ التي ذاعت من الكتاب عن اصل واحد .

بين الكتابين :

هناك عدد من الملاحظات تنتظم الكتابين ، ولا بأس من ايرادها :

١ – التشابه في التسمية : فاسم الكتابين مستعار مـــن بعض الجواهر « الجمان » وكلاهما متفقان في السجعة « نثير الجمـــان في شعر من نظمني واياه الزمان » و « نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان » .

٢ – الترجمة للمعاصرين : ولم يتجاوز المؤلف في كتابيـــه القرن الثامن باعتباره اطاراً زمنياً لتراجمه . وقـــد نص على ذلك في كلا الكتابين . ففي نثير الجمان نص في العنوان على انـــه يترجم لمن نظمه واياه الزمان ، وفي نثير فرائد الجمان قال « ولم اعوّل إلا على من في عصرنا نبغ » .

٣ – الاستطراد الى الحوادث التاريخية والذكريات الشخصية : وهذا الأمر واضح في نثير الجمان اكثر مما هو في نثير فرائد الجمان ، وقد اشرنا الى بعض تلك الحوادث .

٤ – ورود بعض تراجم نثير الجمان ثانية في نثير فرائـــد الجمان ، وبالمختارات الشعرية نفسها احياناً ، وسنشير الى تفصيل ذلك في تحقيق النص.

٥ – ترجمة ابن الاحمر لنفسه في الكتابين، وايراد نماذج من رسائله وشعره سلك نفسه في باب ملوك بني الاحمر وامرائهم في نثير الجمان، وأخّر نفسه الى آخر الكتاب في نثير فرائد الجمان .

٦ – كثرة شعر المديح في المختارات وطغيان هذا اللون على غيره من انواع الشعر الاخرى وقد كثرت قصائد مديح ابي عنان وابي الحسن من بني مرين، واسماعيل بن فرج ويوسف الأول والغني بالله من بني نصر ، وهذا طبيعي لأن هؤلاء ابرز اعلام هذا القرن في الدولتين ولان ابن الاحمر اقتصر في تراجمه على اهل عصره كما سلف .

٧ – كثرة المقطعات الشعرية التي نقلها المغاربة عن المشارقة في نثير فرائد الجمان دون نثير الجمان الذي انفرد بباب مستقل عما قيل في سيف جامع القرويين .. ومعظم ما قيل فيه ايضاً من المقطعات .

٤ – « روضة النسرين » في دولة بني مرين :

هذا الكتاب هو أشهر كتب ابن الاحمر ، وأكثرها ذيوعاً وأولها طباعة ومعرفة لدى كثير من الباحثين المحدثين وبخاصة المستشرقين منهم . وقد اختصره محمد بن قاسم بن زاكور المتوفى سنة (١١٢٠ هـ) في كتابه «المعرب المبين عما تضمنه الانيس المطرب وروضة النسرين » [١] . وقد نشر قسماً من هذا الكتاب الاستاذ الفقيه الغوث بوعلي والمستشرق الفرنسي جورج مارسي في الجزائر سنة ١٩١٧ م [٢] ثم عثر ليفي بروفنسال على نسختين أخريين من المخطوطة كاملتين فنشر الكتاب في المجلة الآسيوية (اكتوبر–ديسمبر ١٩٢٣) [٣].

---

(١) روضة النسرين – مقدمة الناشر – ص ٥ .
(٢) مقدمة روضة النسرين ، ص ٥ .
(٣) فهارس الاسكوريال ٣ / ١٧٧٣ .

ونشر الكتاب كاملاً مرة اخرى نشرة حديثة في الرباط بالمغرب في مجموعة « مطبوعات القصر الملكي » سنة (١٣٨٢ هـ ، ١٩٦٢ م) نشره عبد الوهاب ابن منصور . وبالرغم من إشارة الناشر الى انه استفاد من عدة مخطوطات محفوظة بالخزانة العامة بالرباط ، وبالخزانة السلطانية ، إلا انه لم يثبت اي خلاف بين النسخ في الهوامش في حين ان ليفي بروفنسال اثبت كثيراً من الخلافات بين ما نشر من الكتاب سنة (١٩١٧ م) ، وبين ما لديه من نصوص .

كنت أشرت في ذكر كتب ابن الاحمر ان له كتابين : حديقة النسرين في دولة بني مرين ، وروضة النسرين في أخبار بني عبد الواد وبني مرين . ورجحت انهما كتابان استناداً لما ورد من تأكيد كلٍ من صاحب جذوة الاقتباس وصاحب نيل الابتهاج ان المؤلف وضع كتابين اثنين في تاريخ هاتين الدولتين . وبالرجوع الى فهارس الاسكوريال تبين ان لابن الاحمر كتاباً باسم « النفحة النسريلية واللمحة المرينية » وأنه يقف في حوادثه عند سنة (٧٨٩ هـ) ، وقدمه للسلطان ابي العباس احمد . ونحن نعلم ان أبا العباس احمد المريني اعتلى العرش في فاس ثانية في رمضان (٧٨٩ هـ) [١] .

وإذا عدنا الى « روضة النسرين » وجدناه يقول في مقدمته « طرزته باسم هذا السلطان المطاع ... امير المؤمنين .. ابي سعيد عثمان .. وسميته بروضة النسرين في دولة بني مرين » وهذا يدل بوضوح على أن المؤلف صنف كتابه مرتين مرة باسم « النفحة النسرينية واللمحة المرينية » وقدمه لأبي العباس احمد ومرة اخرى باسم « روضة النسرين في دولة بني مرين » وقدمه لأبي سعيد عثمان ، وصل فيه ما انقطع من الاخبار منذ ٧٨٩ حتى ٨٠٧ وأضاف

(١) روضة النسرين ، ص ٣٨ .

اليه نبذة من أخبار بني عبد الوادي بما يرضي بني مرين [1] . ولعل عبارة « في أخبار بني عبد الواد » مقحمة من المؤرخين للتفريق بين الكتابين اذ ان الاول مقصور على اخبار بني مرين . ويكون ذكر « الحديقة » في موضع « الروضة » وبالعكس مما دخل من الوهم على المؤرخين لتشابه الاسماء في بعض كتب ابي الأحمر .

غرض الكتاب : هـذا الكتاب استعراض للملوك بني مرين منذ ان ظهر لهم اسم في تاريخ المغرب الى عصره ، ذكر فيه المؤلف اسماء الملوك وأبناءهم وبنـاتهم ووزراءهم وحجابهم وكتابهم وقضاتهم ، كما اشار الى سني حكمهم ومولدهم ووفياتهم . وانفرد الملوك من هؤلاء بأوصاف جسمانية وخلقية ولمع تاريخية او فكرية سريعة خاطفة . وفعل مثل ذلك في بني عبد الواد إلا انه التزم في الحديث عنهم ذكر مثالبهم وهزائمهم ومـا كان لبني مرين من أيام ووقائع عليهم فجـاء حديثه عنهم مغايراً لكل ما عهدناه عنه من دماثة وحياد ونزاهة واعتدال . ولكن الدهشة تختفي اذا عرفنا ان ابن الأحمر لا يفعل ذلك بوحي من نفسه ، ولكنه يجنح اليه ارضاء لمخدوميه من بني مرين. قال : « لما فرغت من الدولة المرينية في هذا المصنف، واتيت من آذان جمالها بالمقرط والمشنف ، وكنت لأعدائها بالمعنف .. جئت اثبت ما ظهر لمرين من المعالي [2] .. الى ان قال : « فها أنا (ذا) أشرع في التاريخ على ما يرضي الدولة المرينية ، اولي الشهامة اسود الاجمات العرينية [3] » . وما كان لشيخ فقيه متدين يتحرج مما يأباه الشرع من الغيبة أن يقدم على ذم دولة برجالها ، عن نفسه وطواعية أمره، خاصة وأنه صادق بعض امراء هذه الدولة ممن كان

---

(١) روضة النسرين : ٤٤ .

(٢) صفحة ٤٤ .

(٣) صفحة ٤٥ .

في فاس وما ذكرهم في نثير الجمان الا بكل خير . ولهــذا فانني ارجح أنــه أكره على مثل هذه الكتابة ومثل هذا الذم لبني عبد الواد بالحق وبالباطل . صحيح ان موقف بني عبد الواد اصلاً موقف يستحق الثلب لخروجهم على طاعة السلطان وممالأتهم النصارى إلا ان ابن الاحمر لا يهاجمهم من هــذه الزاوية الشرعية وإنمــا يتعصب للمجنيه بني مرين وينحو الى ذكر مثالب شخصية يرويها عن بعض ملوكهم ويخبر في بعضها عن مشاهداته الشخصية .

مصادره : ومصادره في كتابه هذا ثلاثة :

١ – نقوله عن الكتب السابقة حين أرخ للفترة التي سبقت عصره .

٢ – ورواياته عن بعض المعاصرين من أعــلام عصره وذوي السلطة ، والصلة ببني مرين وبني عبد الواد على السواء .

٣ – ومشاهداته الشخصية التي عاصرها وصدر عنها .

١ – وابن الاحمر يشير أحياناً الى نقول يعتمد عليها في تأريخ الفترة التي لم يعاصرها من عهد الدولتين فهو يقول « ورفع اهل التأريخ نسبهم – بني مرين – الشريف .. الى امير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه » . وفي صفحة اخرى قال : « وجماعة من المؤرخين قالوا انهم من زناتة ، وزناتة كلها عرب الأصل من مضر » [١] . وقد يحدد مصدره قال : « قال الحاجب الخطيب محمد بن احمد بن مرزوق في تأريخــه وقال صاحب الدرة السنية ان الامارة انتقلت بعد المخضب لأبي بكر بن حمامة » [٢] . ولاحظ ناشر روضة النسرين ان المؤلف قد يقتبس من بعض الكتب – بالحرف الواحد – دون إشارة [٣] .

---

(١) الصفحة ٨ – ٩ .
(٢) ص : ١٣ .
(٣) ص : ١٥ .

٢ – ومصدر المؤلف الثاني في كتابه هذا مـا نقله مشافهة من بعض معاصري الأحداث او رواية مسلسلة بسند يذكره ينتهي الى معاصر لحادثة من الحوادث . فهو يذكر حادثة [١] ثم يقول: « حدثني بذلك ابي رحمه الله تعالى ». وفي مكان آخر[٢] « أخبرني بذلك الشيخ الصادق اللهجة أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن قاسم القيسي التلمساني المعروف بالميورقي حسبما أخبره بذلك والده محمد عن أبيه محمد ، وكان أدرك يغمراسن وشاهد دفنـه وعاين ذلك »[٣]. ويصف بعض بني زيان : « وكان أبو تاشفين لئيماً بخيلاً مسيكاً شديد الشح ، أخبرني بشحه ابن وزيره عمر بن موسى بن علي الكردي بعد ان سألته عنه فقال لي كان قـد حجر على سائر الحضر بيع جميع الأقوات فالخضاري ولا يبتاعها الا هو ... » ، وفي صفة أبي حمو موسى بن يوسف : ومن بخله مـا ذكر صاحبنا صاحب اشغاله يحيى بن ابي العيش الخزرجي التلمساني قال ... » [٤].

٣ – ومصدره الثالث مشاهداته الشخصية ففي ذكر ابن يغمراسن قال[٥]: « أدركت أنا ولده الكاتب علي في الحضرة المرينية وهو يكتب البطاقة فيها» ثم قـال : « ولم يزل يغمراسن مـع ملوك الموحدين في ذل وهول ينادونه بالشيخ ويناديهم بمولانا رأيت ذلـك في كتبه لهم وهي من انشاء الكاتب أبي بكر بن خطاب الاندلسي »[٦] . وفي ذكر ابي حمو قـال « وكان قبل ملكه خامل الذكر غير نابه الاسم لم يكن في بني زيان أحقر منه ولا أفقر

---

(١) ص : ٢٠ .
(٢) ص : ٤٦ .
(٣) ص : ٥٢ .
(٤) ص : ٥٧ .
(٥) ص : ٤٦ .
(٦) ص : ٤٧ .

حتى اني أدركته بفاس وهو يسكن بها في عين آصلتين يتعيش برد الفك للمفكوكين وذلك في دولة المولى امير المسلمين ابي الحسن المريني . ورأيت بفاس أباه يوسف بن عبد الرحمن بعد الهزيمة عليهم بأنجاد وهو في حانوت بالسقاطين يبيع السقط »[1] . وفي ابي تاشفين بن ابي حمو قال « ورأيت أبا تاشفين هذا رحوياً معه في رحى عيون الاخيرة من الرصيف بفاس وهو لابس من ثياب الرحويين تشامير ورأسه فيه قريعة وهو يحمل على رأسه الدقيق ... والله يؤتي ملكه من يشاء »[2] .

نزاهة المؤلف : ويلاحظ ان المؤلف اكثر من ذكر مصادره في القسم الثاني من كتابه المتعلق ببني عبد الوادي واثبات سند اخباره ، فكأنه خشي من قارئه ان يلاحظ خروجه في كتابه على عادته في الصدق والحياد في نقل الأخبار فأراد أن يطمئنه . وهذا القسم — على كل حال — فيه تجن واضح على الحقيقة ، يكفي من ذلك انه لم يذكر لبني عبد الوادي الا المثالب والقبائح ، على حين تعود الا يذكر الا « المنائح » على حد تعبيره !

والذي اراه هو ان المؤلف لم يكن مخيراً في طريقة الحديث عن بني عبد الواد ، الاعداء الالداء لبني مرين ، بل انه ألفه على هذا النحو ليرضي بني مرين كما سبق ان ذكرت ، فذكر مثالب اعدائهم دون مزاياهم ومحاسنهم . وهو لهذا يزيد من هجومه على ابي حمو وهو من مشاهير بني عبد الوادي ومعاندي بني مرين ، قال « فكيف يضاهي هذا الخامل – يعني ابا حمو – الملوك الكرام من بني مرين ؟ وآل مرين اهل العزة والقهر لمن سواهم من الملوك ولم يهزم عدوهم لهم راية قط ، ولا احتوى على ملكهم ، بل هم اهل

---

(١) ص : ٥٨ .

(٢) ص : ٥٩ .

النصر وسيوفهم قاطعة الشبا غالبة فاتكة بالاعادي من بني عبد الوادي وغيرهم .. [1] » وفي ابي حمو هـذا ألف يحيى بن محمد بن خلدون كتابه « بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد » [2] وافرد ثلثه لهذا الامير وذكر مآثره .

لغة الكتاب : التزم المؤلف في مقدمة قسمي الكتاب الاسلوب المسجوع المتكلف ، ثم غادره لأول مرة ، ونهج النثر المرسل في الكتاب كله . ولهذه الملاحظة قيمة في القسم الثاني اي في اخبار بني عبد الوادي لأنه حوى مادة تاريخية اكثر عن الامراء . أما القسم الاول فمعظمه تعداد للأسماء من السلاطين والامراء والوزراء ورجال الدولة .

قيمته : يضيف الكتاب الى تاريخ الدولتين قيمة ثمينة، وبخاصة فيما يتعلق بأوصاف السلاطين وتواريخ توليتهم الحكم ووفياتهم ، وصفاتهم الشخصية من خلقية ودينية ، ويكشف عن بعض العلاقات بين بني مرين وجيرانهم على حقيقتها، في حين كان على بني مرين عبء الجهاد في الاندلس وحماية المسلمين هناك . ويزيد من اهمية الكتاب ان المؤلف يذكر مصادره ، وانه عاصر بعض الاحداث وكتب عنها كتابة شاهد عيان ولو انه وسع كتابه وذكر كل الاخبار التي عاينها لجاءنا تاريخ طريف عجيب ، فقد كان ابن الاحمر في موضع يطلعه على كثير من الاسرار ، وعُمّر طويلاً فأدرك ما لم يدركه كثيرون سواه .

---

(١) روضة النسرين ص : ٥٨ .

(٢) بغية الرواد في ثلاثة أجزاء (ط الجزائر ١٩٠٣).

٥ – مستودع العلامة ومستبدع العلاّمة * :

هذا كتاب آخر من آثار ابن الاحمر ، طبع في المغرب ، ونشرته كلية الآداب بجامعة محمد الخامس في الرباط سنة ١٩٦٤ باشراف : محمد التركي التونسي ومحمد بن تاريت التطواني اعتماداً على نسختين من مخطوطات الكتاب. ويشغل نص الكتاب من المطبوع ما بين الصفحتين : ١٧–٨٤ وهو من القطع الصغير . وسبق النص بتعريف بالمخطوطتين وترجمة قصيرة للمؤلف ، واستقراء لتاريخ وظيفة « العلامة » من بعض الكتب التاريخية ، وختم بملاحظات عن بعض الأعلام والوقائع .

اسم الكتاب وموضوعه : ذكر في هامش الصفحة ١٨ من الكتاب أن الكلمة الأخيرة من العنوان مشددة اللام في احدى النسختين فتكون قراءتها « العلاّمة » والعنوان « مستودع العلامة ومستبدع العلاّمة . والفعل المستعمل للدلالة على القيام بمهمة هذه الوظيفة هو « وأعلم بـه فلان » . واسم القائم بذلك « صاحب العلامة (١) » . قال ابن الأحمر : « وكان يعبر عن كاتب الانشاء بصاحب القلم الأعلى ثم صار هذا الوسم يعبر به في زماننا هذا عن كاتب العلامة » وكانت عبارة « صاحب القلم الأعلى » مفضلة في الاستعمال عند المؤلف . وعلى هذا فالأرجح في معنى « العلاّمة » هنا تجوز من المؤلف لمعنى « صاحب العلامة » او مبالغة العالم من فعل عَلِمَ . وقال في موضوع كتابه (٢) : « وأذكر هنا من اهل العلامة كل عالم يدعي باصابتها العلاّمة

(*) كنت لقيت الاستاذ العلامة عبدالله كنون ، حين زار القاهرة هذا العام لحضور جلسات المجمع اللغوي ، فأخبرني بأن « مستودع العلامة » مطبوع ، وبأن « مشاهير بيوتات فاس » سيطبع ، ووعد بارسال المطبوع . ووفى بوعده عن روح علمية صادقة وخلق نبيل .

(١) ص : ٢١ .

(٢) ص : ١٨ .

ممن تداول تصريفها في الدول ، وخطها في المهارق من الأواخر والاول » . وافتتح المؤلف كتابه بمقدمة في تاريخ نشوء العلامة وتطورها واختلافها بحسب الملوك الصادرة عنهم وضمّنه تراجم ما يناهز السبعين من العلماء والأدباء الذين كتبوا العلامة لمختلف الملوك بالمشرق والمغرب [1] . وفي الكتاب - احياناً - اشارات الى بعض حوادث وقعت بينه وبين بعض من ترجم لهم تفيد في الكشف عن جوانب جديدة من حياته .

الغرض من تأليف كتابه : قدم ابن الاحمر كتابه هذا الى ابي زكريا يحيى ابن ابي علي الحسن بن ابي دلامة . قال في ذلك [2] : « طرزته باسم فارس امجادها (اصحاب العلامة) شمس جمالها وبدر كمالها .. ابي زكريا .. أدام الله ذكره الصالح.. رفعته اليه لفضله الذي هو اشرق من ضياء النهار، ولمجده الطاهر الذي هو المثل في الاشتهار ، ولمآثره المنضدة عجب في الانتظام ، معدودة في مآثر اولى العلامة العظام ، ليكون لي العوين لي على حاجبي الى سلطانه، الذي هو رئيس كتابه بأوطانه، وأنا القائل اليه في ذلك الغرض ، والمطلب الذي مني اليه عرض :

أيحيى ميّتُ الاحياءِ يرجو كلامك للأمير بغير رَيْث
فأنت نصير من اخنى عليه زمانٌ قد اناخ بكل َليث
ومهما أرسلت كفّاك جوداً يكف بجوده و"كافُ غيث

واحفظني في كلمي التي بتحصيلها انا من احفظ الحفاظ ، وارع لي انني واسطة عقد ابناء الملوك من الخزرج، الذين عطر مفاخرهم بجميل الثناء يأرج، ففضلك طاف به في الناس طائف ، وعم اهل اليمامة والطائف :

---

(١) ص : ١٤ .
(٢) ص : ١٨ — ١٩ .

يا غيثُ كيفَ أموت في زمن الشّتا عَطَشاً ويروى الناسُ منك مَصيفا
ولكم أرى بين الأنام مُنَكَّرا وإضافتي لك توجب التّعريفا[1] ..

وترجم المؤلف لهذا الكاتب في آخر الكتاب فيما قاله : « .. ولما كان لقُصّاده الملاذ ، وهامت بمحبته الافلاذ ، وعول عليه في قضاء الحاجات ، وأدار من كؤوس المبادرة بها زجاجات ، واظهر لي من المحبة ما لا يحصر ، وكان ممن بــه على شدائد الدهر يستنصر ، وهو بالامداح جدير قلت في مدحه .. [2] » . وابن ابي دلامة : هو واحد من كتاب السلطان المريني ابي العباس احمد في دولته الثانية (٧٨٩ — ٧٩٦) اورد ذكره كذلك في روضة النسرين [3] .

وواضح بعد هذا ان ابن الاحمر وضع كتابه ليقدمه الى الكاتب المريني هدية له ، فيكون عوناً لـه في قضاء حاجاته عند مولاه السلطان . وهـذا المعنى يتفق مع ما ذهبتُ اليــه في ترجمة المؤلف من انه لم يكن مقرباً من كافة سلاطين بني مرين ، وأن عهده مع ابي عنان فارس كان ذهبياً ، ولم ير مثله فيما بعد . ويلاحظ ان الابيات التي رفعهــا الى كاتب الانشاء يحيى بن البغلة الاموي في دولة ابي العباس أحمد الاولى (٧٧٦ — ٧٨٦ هـ) والـتي اوردها في نثير الجمان [4] ، هي نفسها التي رفعها الى ابن ابي دلامة مستعيناً على نوائب الدهر ، الا انه شفع تلك الابيات ببيتين آخرين ، في خاتمة طلبه من ابن ابي دلامــة بالمعنى نفسه ، وللغرض ذاتــه . ولا شك في ان البلاط المريني صار مثالاً للفوضى بعد ابي عنان، وان السلاطين صاروا ألعوبة في يد

---

(١) مستودع العلامة ص : ١٨ — ١٩ .
(٢) المصدر نفسه : ٧٦ — ٧٧ .
(٣) روضة النسرين : ٣٨ .
(٤) نثير الجمان ٨٦ / و .

الوزراء او الحجاب او الملوك من الدول الاخرى . ودولة على هذه الحال وتحت أولئك السلاطين حرية بأن تضيع الادباء والعلماء وتمضي سريعاً الى هاوية سحيقة .

تاريخ تأليفه : جاء في ترجمة ابي يحيى محمد بن محمد بن ابي القاسم بن ابى مدين انه: « علامة امير المؤمنين المستنصر بالله ابي العباس احمد بن امير المسلمين المستعين بالله ابي سالم ابراهيم ... ملك المغرب أيده الله تعالى »[١] . ووصف المؤلف ابن ابي دلامة في مطلع الكتاب بأنه : « صاحب القلم الاعلى في الدولة المستنصرية »[٢] . وفي ترجمة عبد المهيمن بن محمد الحضرمي قال : « كاتب علامة امير المسلمين المستنصر بالله ابي العباس احمد المريني ملك المغرب نصره الله تعالى ». وقال مثله في ترجمة محمد بن حسن البجائي[٣] ، وترجمة ابن ابي دلامة التي ختم بها الكتاب . وكل هذه الاخبار تدل على ان الكتاب ألف في دولة ابي العباس احمد الثانية اي قبل (٧٩٦ هـ) . إلا انه في اول تراجم كتابه قال : « فمنهم الشريف المعظم .. ابو القاسم السبتي صاحب علامة مولانا السلطان المرحوم ابي العباس رضوان الله عليه »[٤] . وفي روضة النسرين[٥] أن الشريف أبا القاسم هذا من كتاب ابي العباس احمد في دولته الثانية ، ولا ذكر له بعد ذلك . ولا توجيه لهذا الاضطراب إلا احد امرين ، الأول : ان يكون الشريف الحسيني قد ولي الكتابة بعد تأليف الكتاب ، وكانت إضافته الى الكتاب بعد وفاة ابي العباس . او ان تكون ترجمته قد سقطت من أصل الكتاب بسهو من المؤلف ، ثم كتبها فيما بعد ، واتفق ان

---

(١) مستودع العلامة : ٤٧ .
(٢) المصدر نفسه : ١٩ .
(٣) المصدر نفسه : ٧٤ .
(٤) المصدر نفسه : ٢٥ .
(٥) روضة النسرين : ٣٨ .

كان ذلك بعد وفاة السلطان . ولا يمكن أن يكون ذلك لإعادة تأليف الكتاب بعد وفاته ، لأن ترجمة الشريف الحسيني تنفرد وحدها بهذا الخبر .

التراجم : ليست تراجم الكتاب بالتراجم التي نعهدها من ذكر نسب الرجل وحياته ومناقبه وآثاره ولكن الترجمة في هذا الكتاب في الغالب « تقتصر على اسم الرجل وبعض نسبه واسم السلطان الذي ولي الكتابة عنه وبعض الأوصاف المسجوعة البعيدة عن الوصف الدقيق ». وقد يأتي بفذلكة من حياته او نكتة من أخباره كما فعل في ذكر مقتل يحيى بن خلدون وابن الأبار، او ينسب له بعض أبيات من الشعر او يذكر اسم كتاب من مؤلفاته. وبهذا ، فإن فائدة الكتاب قائمة – من حيث تراجمه – على ذكر توليهم كتابة العلامة وإضافتهم الى سلاطين بأسمائهم ، وهذه ناحية تاريخية هامة ، وابن الأحمر لا يسوق تراجمه على اعتبار معين بل يدرجهم عفو الخاطر ، ويحيل كل كاتب على سلطانه ، وعلى دولته التي كان فيها .

قيمة الكتاب : من معاجم الرجال الأندلسية ما يقصر على صنف واحد من الاعلام [1] ، و « مستودع العلامة » من هذا النوع ، فإن المؤلف قصره على من تولى كتابة العلامة عن الملوك . وسمي هذا النوع في تاريخ الفكر الاندلسي « معاجم التراجم الخاصة » . والكتاب فريد في بابه ، طريف في فكرته ، فقد أرخ للعلامة وذكر عباراتها التي كانت شائعة في زمانه وقبل زمانه ، وترجم لمن تولى منصبها الى زمانه .

والكتاب مسجوع العبارة في مقدمته وتراجمه الا حديثه عن « العلامة »، وهو لا يتجاوز اربع صفحات ، فقد جاء مرسلا واضحا . وابن الاحمر في هذا الكتاب يقول رأيه في بعض تراجمه بصراحة لم نعهدها فيه من قبل .

---

(١) تاريخ الفكر الاندلسي : ٢٨١ .

ففي ترجمته لأبي الفضل بن سعيد بن الربيب قال « رأيته بسجلماسه .. فرأيت من العِيّ ما لا تنحصر كثرته [١] » ؛ وفي عبد الرحمن بن ابي سعيد ميمون قال « من ذوي النباهة ببلده تلمسان ، لكنه لم يظهر في كتبه الاحسان ، ولا قاد افراس الاصابة فيه بأرسان ولا كان لعين طريقته بانسان ولا قال بإجادته فيه انسان [٢] » وقال في غيرهما ما يشبه هذه الآراء ، مما يدل على انه تحرى أن ينطق برأيه دون مواربة ، وسجل ما يعرف عن تراجمه دون نقصان فأتى بالمحاسن والمساوىء إلا انه خرج عن حياده مرة خروجاً طريفاً ، فقال في ترجمة محمد بن العزيز التلمساني كاتب علامة السلطان ابي العباس احمد « ضربت صفحاً عن التعريف بنكرته لكلمة طيبة قالها في جنابي بين يدي اميره بحضرته فمنعت بذلك المقول ان نخبر بما كان في الأول [٣] » .

ابن الاحمر وكتب التراجم الأدبية :

نشط الأندلسيون – كالمشارقة – الى التأليف في « كتب التراجم » على اختلاف انواعها . فكثرة العلماء والادباء والفقهاء، والرغبة في معرفة الرجال، وازدهار فن التأليف وحركة التأريخ للدول والمدن والفنون والرجال ، أدى – فيما أدى – الى ظهور كتب التراجم ، والأعلام : تصنفهم وتؤرخ لهم ، وتنزلهم حيث يستحقون . ونميز من كتب التراجم أصنافاً شتى [٤] ، فمنها معاجم أعلام الفقهاء كتلك التي وضعها ابن عبد البر ، او لقضاة قرطبة مثل « تاريخ القضاة » للخشني . ومنها معاجم جامعة للرجال مثل مؤلفات ابن الفرضي « تاريخ علماء الاندلس » ، والحجاري « المسهب في غرائب

---

(١) مستودع العلامة : ٥٠ .
(٢) المصدر نفسه : ٧٢ .
(٣) مستودع العلامة : ٧٤ .
(٤) تاريخ الفكر الاندلسي (٢٦٦) .

المغرب » ، وابن بشكوال « الصلة » ، والضبي « بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس » ، وابن الأبار « التكلة لكتاب الصلة – المعجم في اصحاب الصدفي – الحلة السيراء » ، وابن فرحون « الديباج المذهب » . ومنهـا بعض « برامج العلماء » ، ونخص هنـا البرامج التي نهج اصحابها طريقة سرد المرويات عن طريق تراجم الشيوخ ، كبرنامج ابن عطية المحاربي ، والرعيني[1] . ومنهـا كتب في تراجم صفوف معينة من الرجال كالزهـاد والمتصوفة والكتاب والمحدثين ...

كما انه ظهرت مؤلفات عنيت بالتراجم الادبية لأدباء الاندلس من شعراء وكتاب . وهـذا النوع من المؤلفات هو الذي نريد الوقوف عنده ، لأن ابن الاحمر واحد من الذين أسهموا فيهـا بنصيب وافر . صحيح ان الذين أرخوا للأدب العربي بعامـة ، وللأدب الاندلسي بخاصة لم يتعرضوا لكتابي ابن الاحمر بما يجب من عناية وبحث ونقد وتقويم ، إلا ان بقاءهـا في عداد المخطوطات – في زمن ينوء الدارس فيه بالمطبوع – يكفي عذراً وشفاعة . وقد اختلفت بواعث تصنيف تلك الكتب من مؤلف الى آخر ، ومن عصر الى عصر ، فالباعث على تأليف « الذخيرة » هو الرغبة في بيـان فضل الاندلس والإدلال بأهلها ، وهو إجابة رغبة الملك الكامل في « المطرب لابن دحية » ، وهو إتحاف اهل المشرق في « الكتيبة الكامنة لابن الخطيب » ، وهو ضرب الأمثـال عن حلم الملوك والاستعطاف في « اعتاب الكتاب » ، وهو البحث العلمي المحض في « نثير الجمان ونثير فرائد الجمان لابن الاحمر » ، وسواهما من الكتب ... ومهما يكن من امر الباعث على هـذا النوع من التصانيف الأدبية ، فان « كتب التراجم الادبية » من اهم المراجع للوقوف

(١) كتب برامج العلماء في الاندلس للاستاذ الدكتور عبد العزيز الاهواني – فصله من مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الاول – الجزء الاول والثاني صفحة ١٣ .

على الحيـاة الادبية في الاندلس وعلى تراث شعري ونثري غزير . ويزيد في قيمة هذه الكتب انها كثيراً ما تحتوي على تراجم ، ومختارات لا توجـد في غيرها لضياع دواوين أصحابهـا او آثارهم ، او لأنهم من الادباء المقلين في أحيان كثيرة .

وظهرت في المشرق ، وفي المغرب ايضاً سلاسل من المؤلفات تتابعت على مر العصور ، يكمل المتأخر المتقدم ، فيحذو حذوه ، ويستدرك مـا فاته ، ويصل من الحديث ما انقطع . ففي كتب التراجم العامة في الاندلس نجـد « تاريخ علمـاء الاندلس » لابن الفرضي ، ثم « الصلة » لابن بشكوال ، و « التكملة لكتاب الصلة » لابن الأبار و « صلة الصلة » لأن الزبير و « الذيل والتكملة » لابن عبد الملك المراكشي و « عائد الصلة » لابن الخطيب ، وسوى هذه الكتب مما يدخل في السلسلة كثير .

فاذا التفتنا الى سلسلة « كتب التراجم الادبية » في الأندلس ، أدركنا وجود خيط ينتظم سلسلة من المؤلفات يمكن ان نطلق عليها هذا الاسم وأن ندرجهـا تحته . ولتكن **كتب التراجم الأدبية** : « تلك التي تعرِضُ للشعراء والكتّاب – او من اشتهر له ذكر فيهما او في احدهمـا – فتترجم لهم او لتعرض لبعض اخبارهم ومناقبهم ثم تورد نبذاً من شعرهم او نثرهم » .

ومن اوائل هذه المؤلفات : الذخيرة لابن بسام المتوفي سنة ٥٤١ ، وإنما ذاع هذا الكتاب لأهميته من جهة ولاحتفاء صاحبه بالأندلسيين وانتصاره لهم في عصر كان المشرق فيه مثالاً يحتذى ، حتى الذخيرة فانـه لم يخل من أثر مشرقي هو تقليـده « يتيمة الدهر » من حيث المنهج . ثم يأتي ابن خاقان ويترك كتابين اثنين في هـذا المجال : « مطمح الأنفس ومسرح التأنس » و « قلائد العقيان ومحاسن الأعيان » . وقد وصل الامام [1] « ابو عمر عثمان

(١) تاريخ الفكر الاندلسي : ٢٩٨ .

ابن علي الاشبيلي المتوفى بعد سنة ٥٤٩ ، مطمح بن خاقان وقلائده بكتاب من نوعها وفي اسلوبها فى شعراء عصره هو « سمط الجمان وسقيط المرجان » وفعل مثل ذلك ابو بحر صفوان بن ادريس بن عبد الرحمن بن عيسى التجيبي المرسي (٥٦١ – ٥٩٨) وقد صنف كتاب « زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر ». ثم تبعهم ابن الأبار بكتاب مماثل لزاد المسافر سماه « تحفة القادم » وصلنا مختصر له صنعه ابو البركات البلفيقي وسماه « المقتضب من كتاب تحفة القادم » .

فإذا وصلنا الى القرن الثامن وجدنا كتاب لسان الدين بن الخطيب « الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالاندلس من شعراء المئة الثامنة » ، وكتابي ابن الاحمر « نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان » و « نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان » ، وهكذا نجد ابن الاحمر واحداً ممن شاركوا في هذا الفن ، ونجد ايضاً انه قدم كتابين اثنين مما يرفع درجته بين هؤلاء المصنفين . ويلاحظ ان كل واحد منهؤلاء المؤلفين اقتصر في تراجمهومختاراته على معاصريه ممن أدركهم ورآهم او لحقهم بسنه . وقد التزم ابن الأحمر بهذا الشرط وكان ينص في كل ترجمة على مدى صلته بصاحبها او معرفته او علاقته ، وكان – على كل حال – لا يُخلي الترجمة مما يبين منزلته بالاضافة اليه . ونلاحظ ايضاً ان بعض المؤلفين لا يلتزمون المعاصرة كابن الأبار في اعتاب الكتاب ، والحلة السيراء .

ومن جهة اخرى فان بعض كتب التراجم الادبية تختلف عن بعضها الآخر من حيث الرقعة الجغرافية التي يُتناول أدباؤها بالترجمة ، ونميز منها في الاندلس انواعاً ثلاثة : فقسم اقتصر على الاندلسيين دون سواهم ، كالكتيبة الكامنة ، ومطمح الأنفس ، وقلائد العقيان ، وقسم أخذ من المغاربة والاندلسيين كالحلة السيراء ، ونثير الجمان ، ورايات المبرزين وغايات المميزين ، وقسم ثالث : أضاف المشرق الى الاندلس والمغرب : كالغصون اليانعة في

شعراء المائة السابعة ، وكتاب فلك الأرب المحيط بحلى لسان العرب لابن سعيد [١] ، واعتـاب الكتاب لابن الابار ، ونثير فرائد الجمان لابن الاحمر ، فقد بدأ كتابه هذا بفصل عن بعض الشعراء المشارقة منهم صفي الدين الحلي وابن أبي حجلة التلمساني . ومن حيث التراجم ، فان بعض الكتب اختصت بالشعراء دون غيرهم كالفصون اليانعة والحلة السيراء والكتيبة الكامنة ، في حين جمعت اخرى بين الشعراء والكتاب وآخرين ظهر لهم فضل في شعر او ترسل كالذخيرة والمطمح والقلائد ونثير الجمان ونثير فرائد الجمان .

طرائق هذه الكتب : اذا نظرنا الى هذه الكتب كيف تسلك في تصنيف تراجمها وكيف تقسمهم وجدنا اننا أمـــام طرائق مختلفة يمكن ان نميز منها الطرائق التالية :

١ – تصنيف الأدباء باعتبار وظائفهم السياسية ومناصبهم الادارية ومـا اشتهر عنهم من فنون العـلم والادب ؛ كأن تفرد ابواب للوزراء والكتاب والقضاة والفقهاء والشعراء الخ ... دون التقيد باعتبارات اخرى . ونجد هذه الطريقـــة في المطمح والقلائد ، والكتيبة الكامنة لابن الخطيب ، وكتاب ابن الاحمر الاول : « نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان » فقد جعله في اثني عشر باباً على نسق هذه الطريقة ، إلا انه خرج عنهـا في باب واحد هو الباب الثاني عشر إذ جعله في « الشعر الذي قيل في السيف الذي بصومعة جامع القرويين من فاس » [٢] .

٢ – وتصنيفهم باعتبار الاقطار والمدن ومـــا يتبعها من تفريعات ، على اختلاف في هذا الاعتبار ، ونجد هـــذه الطريقة في الذخيرة لابن بسام فقد

(١) وينقسم الى كتابين كبيرين (المغرب في حلى المغرب ، والمشرق في حلى المشرق) انظر تاريخ الفكر الاندلسي صفحة : ٢٤٤ .
(٢) نثير الجمان الورقة ١٢٧ / ظ .

جعل كتابه في اربعة اقسام : الاول لأهل حضرة قرطبة وما يصاقبها من بلاد متوسطة الاندلس ، والثاني : لأهل الجانب الغربي من الاندلس وذكر حضرة اشبيلية .. والثالث : لأهل الجانب الشرقي من الاندلس [1] .. والرابع للطارئين على الاندلس من ادباء وشعراء، ويمكن اعتبار القسم الرابع خارجاً عن نسق الكتاب. ونجدها في « المغرب في حلى المغرب » و « رايات المبرزين وغايات المميزين » لابن سعيد ، وعلى هذه الطريقة نهج ابن الاحمر في تصنيف تراجم كتابه الآخر « نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان » فقد جعل كتابه في قسمين كبيرين : ادباء المشرق وادباء المغرب ، ثم جعل قسم المغرب في فقرتين : ادباء الاندلس وادباء بر العدوة .

ونلاحظ أن الكتب التي تتبع هذه الطريقة قد تختلف عن بعضها بعضاً اختلافاً كبيراً ، فعلى حين يكتفي ابن الاحمر بقسمة كتابه قسمين او ثلاثة يدرج تحتها تراجمه نجد ابن سعيد يغرق في المغرب في التقسيمات والتفريعات ، ويضيف الى كتابه قيمة جغرافية وتاريخية بالاضافة الى القيمة الادبية .

٣ - تصنيف الادباء وفق اعتبار زمني: كما فعل ابن الابار في الحلة السيراء اذ جمع تراجم كل مائة سنة على حدة وأدرجها في باب مستقل ، واستمر على هذا النسق من المائة الاولى الى زمنه ، إلا أنه ألزم نفسه باعتبار آخر ضمن الاطار الزمني ، قال « وأبرزته - الكتاب - مسوقاً على الحقب منسوباً بحسب الرتب أعيّن للصدور صدر كل مائة ، وأبين من تميز في جماعة او تحيز الى فئة ليستوفي المتأدبين حتى من المتوثبين .. [2] » ونلاحظ أن ابن الأبار يتبع الترتيب الزمني في ذكر تراجمه داخل كل مائة يبدأ بالسابق فاللاحق

---

(١) تاريخ الفكر الاندلسي : ص ٢٨٩ .

(٢) الحلة السيراء لابن الأبار ١١/١ .

الى نهاية المائة ، يفعل ذلك بالتزام عند ذكر الخلفاء والأمراء بخاصة . فهو في المائة الثالثة [1] يبدأ بتراجم امراء بني مروان بالاندلس من عهد عبد الرحمن الاوسط ، الى آخر المائة ، ويثني بذكر نفر من المروانيين ممن لهم شعر [2] ، ثم يذكر تراجم الحسنيين في هذه المائة « في المغرب وافريقية » ثم يعود الى ذكر بعض « رجال المروانية » في هذه المائة ، ثم يذكر شعراء بني الاغلب ملوك افريقية في هـذه المائة – ص ١٦٣ – ثم شعر بعض رجال الاغالبة ، ويختم هـذه المائة بأول ملوك الشيعة الناجمين في اواخرها « عبيد الله الملقب بالمهدي ابي محمد » ويستمر الكتاب على مثل هذا النسق ..

٤ – تصنيفهم بطريقة تجمع بـين الطريقتين الثانية والثالثة أي تأخذ باعتبار الزمن ، واعتبار الاقليم ، وقـد فعل مثل هذا ابن سعيد في الغصون اليانعة اذ قسم كتابه ثلاثـة اقسام « الاول : في تراجم الذين تحققت سنو وفاتهم والثاني في تراجم الذين لم يوقف منهم على ذلك ، والثالث فيمن استقر العلم على حياته عند انتهاء هـذا التصنيف ، وذلك في سنة سبع وخمسين وستمائة [3] » . ومضى بادئاً بالقسم الاول ، وترجم لأعلام كل سنة على حدة. وتجده يبدأ تراجم كل سنة بسرد اسمائهم اولاً وتقسيمهم حسب مواطنهم فهو يقول : تراجم سنة احدى وستمائة ثمـان ، المشارقة : من العراق .. ومن الشام .. المغاربة : من المغرب الاقصى ومن الاندلس [4] ويمضي على شبيه هذا النسق الى أن ينقطع الكتاب قبل تمامه .

٥ – أما الطريقة الخامسة فهي طريقة « المطرب من اشعار اهل المغرب»

---

(١) المصدر نفسه ١/١١٣ .
(٢) المصدر نفسه ١/١٢٤ .
(٣) الغصون اليانعة : ص ١ .
(٤) المصدر السابق ص ٣ .

لابن دحية إذ أنه سرد تراجمه على غير ما نسق ، عفو الخاطر ، وقــد اشار هو الى ذلك في مقدمة كتابه .

ولا شك في أن هذا العرض السريع لكتب التراجم الأدبية لا يستقصي كل ما عرفته الاندلس لأننا قصدنا الاستئناس والمقارنة لا الاستقصاء والتاريخ ، وحسبنا اننا نزلنا كتابي ابن الاحمر ما يستحقان من منزلة بين كتب التراجم هذه من حيث المنهج والطريقة . ومن حيث التسلسل الزمني .

* * *

فكتابا ابن الاحمر يتمان سلسلة كتب التراجم الادبية التي نشطت في كافة عصور الاندلس والمغرب فيترجمان لأعلام من الامراء والوزراء والكتــاب والفقهاء والقضاة والشعراء والمتــأدبين من المشرق والمغرب والاندلس ويحفلان بنبذ من شعرهم ونثرهم ذات قيمة عظيمة في باب التاريخ الأدبي . وقــد بنى ابن الاحمر اسلوبه على السجع والتصنع والتكلف مما أرهقه كثيراً ونأى به عما يريد ان يقول في مواضع كثيرة - وسنتحدث عن هذا في نثره - ودفعه الى الاحالة والعبارات السقيمة . والحقيقة ان ارتباط اسلوب الكاتب بمــا ساد روح العصر من اسلوب في النثر أفقد كتابيه هذين كثيراً من قيمتهما التاريخية، وأضعف قيمة ما أورده في تراجمه، حتى لنكاد نقول انهما « مجموعات مختارات وليست تراجم او مواد ذات قيمة تاريخية [1] » كما قيل في الكتيبة الكامنــة والخريدة وسواهما [2] ولكن هذا الحكم غالب لا قاطع لأننا لا نعــدم لمحات واشارات نقدية وتاريخية ، وطرائف أدبية ، وتراجم انفرد بذكرها .

---

(١) مقدمة الدكتور حسين مؤنس في الحلة السيراء ١/٥١ .
(٢) مقدمة الدكتور احسان عباس في الكتيبة الكامنة ص ٢٠ — ٢١ .

. أما المختارات الشعرية والنثرية فهي صورة عن الاتجاهات التي كانت تسلكها هذه الفنون في القرن الثامن الهجري في الاندلس بخاصة وفي المغرب والمشرق بعامة . ولعل مما يفيد الدارس أن يرى ابن الأحمر يكرر بعض تراجمه ، ويكرر بذلك معظم ما كان اختار لهم ، وأن تتفق المختارات بين الكتيبة الكامنة من جهة وكتابي ابن الاحمر من جهة اخرى في التراجم المشتركة . ويزيد من اهمية هذه المختارات ، ومن قيمة الكتابين ان المؤلف كان يصطفي نصوصه ويتحقق منها حتى انه روى كثيراً منها مشافهة عن اصحابها او عمن تحملها عنهم، فقد كان حريصاً على لقاء العلماء والأدباء واستجازتهم واستنشادهم وتبادل الرسائل معهم على القرب وعلى البعد . فهو ترجم للكاتب الاندلسي ، احمد بن عبد العظيم الاوسي الغرناطي « وقال أدركته وصحبته ... انشدني لنفسه [1] » ، وفي صفي الدين الحلي [2] قال « انشدني له الشريفان الفارسان ابو الحسن علي الحسني ... نزيل فاس ، وأبو عبدالله محمد ... العراقي نزيل فاس قالا : انشدنا الامام صفي الدين الحلي لنفسه يمدح السلطان ... » وعدم ذكر مصادره في بعض المختارات لا يطعن في دقتها او نسبها فقد كان من شرط ابن الاحمر في كلا الكتابين ألّا يترجم إلا لمعاصر ، رآه او ادركه ، وهذا يعني أنه يقتبس من مصادر كافية بين يديه كالدواوين والمختارات الشعرية والنثرية او انه يثبت نصوصاً ذاعت شهرتها في عصره حتى لم يعد من داع لذكر سندها كسينية لسان الدين ورسالته عن الغني بالله الى المستنصر الحفصي [3] .

وقد جاءت تراجمه في نثير الجمان « الاول » ادق وأوضح ومختاراته فيه اكثر تناسقاً وأحسن في الدلالة على ذوق أدبي مرهف من الكتاب الآخر .

---

(١) نثير فرائد الجمان ٦١/و .

(٢) المصدر نفسه ٤ / و .

(٣) انظر ترجمة لسان الدين ١٣ / ظ — ٤٢ / و في نثير فرائد الجمان .

فاننا نجد ترجمة ابن ابي حجلة لا تتجاوز الصفحة ، والمختار من شعره، وشعر عبد العالي بن طاوس ، وأحمد بن محمد الدباغ وسواهم لا يتجاوز البيتين او الخمسة بينما نجده يطيل ترجمة لسان الدين وابن جزي وترجمة ذاته بما يؤدي الى ملاحظة قلة تناسق واضحة. على اننا نستطيع الاشارة الى بعض الملاحظات نستخرجها من هذين الكتابين تفيد بالاضافة الى ما في الكتب المعاصرة كآثار لسان الدين والدواوين الشعرية وكتب التراجم – في اعطاء صورة اوضح عن الحياة الادبية في هذا القرن الحافل :

١ – اتحفنا ابن الاحمر في نثير الجمان بنماذج من شعر سلاطين المغرب والاندلس وأمرائها فخصص أبواباً لشعراء بني مرين وبني نصر وبني عبد الوادي أصحاب تلمسان ، وبني حفص أصحاب افريقية وبني العزفي الذين كانوا اصحاب سبتة . ولهذه الابواب قيمة تاريخية عظيمة ، فهي تبين اهتمام هذه الدويلات بالأدب والادباء في عصر اضطراب سياسي ، وتأهب من النصارى لاستغلاب ما يستطيعون من بقايا الاندلس ، مما يذكر بالحال التي كان عليها المغرب أبان دول الطوائف . ومادة هذه الابواب بالاضافة الى ما يشابهها مما في الاحاطة واللمحة البدرية وأضرابها تصلحان تكون موضوعاً طريفاً يكشف عن جوانب من الحياة الادبية لرجال السياسة في ذلك العصر .

٢ – وأورد في كتابيه عدداً من الرسائل المتبادلة بين بعض السلاطين وبعض الادباء ، وبين أدباء بعضهم مع بعض ذات موضوعات أدبية وأغراض اخوانية ، كالرسالة الشعرية التي بعثها السلطان النصري محمد بن اسماعيل بن محمد بن فرج رداً على رسالة محمد بن قطبة الدوسي[١] ، ورسالة ابراهيم بن محمد الانصاري « الساحلي » الى صديقه ابي القاسم بن ابي العافية ، وجوابها[٢] ،

---

(١) نثير الجمان ٢٠ / و – ٢٠ / ظ .

(٢) المصدر نفسه ٥٨ / ظ ، ٦٠ / ظ .

والرسائل المتبادلة بين ابن الاحمر وبين نفر من معاصريه .

٣ – وأشار في ثنايا تراجمه الى بعض الكتب والدواوين الشعرية وشعراء معينين كانوا محل اهتمام آنذاك مما يلقي ضوءاً على ثقافة ذلك العصر . ففي ترجمة احمد بن ابراهيم بن صفوان [١] قال : « فمن قوله يعارض قصيدة الامام الصوفي أبي القاسم عمر بن الفارض الفائية :

ببهاء عزك عند ذلة موقفي عطفاً على مسترحم مستعطفِ ..

وفي ترجمة احمد بن محمد الدباغ [٢] : « وامتدح ابن عمنا الرئيس اسماعيل ابن فرج بن اسماعيل بن فرج بقصائد بديعة عارض بها اكثر قصائد أبي القاسم ابن هانىء الاندلسي ، وانقطع بسببها الى ابن عمنا المذكور ... »

٤ – وأطلعنا على جانب من اهتمام الاندلسيين والمغاربة بالآثار المشرقية . قال : « أخبرني شيخنا ابو سعيد (فرج بن لب التغلبي الاندلسي) أنه عارض بقصيدته – النبوية – قصيدة الفقيه الامام القاضي الرئيس شهاب الدين أبي الثناء محمود بن سليمان بن قيس الحلبي صاحب ديوان الانشاء بالشام وهي :

وصلنا السرى وهجرنا الديارا وجئناك نطوي اليك القفارا [٣]

واكثر – وبخاصة في نثير فرائد الجمان – من اختيار ابيات التورية التي انتشرت أصلاً بين المشارقة . كما انه شرح في نثير الجمان قصيدة شهاب الدين الحلبي شرحاً لغوياً مقتضباً .

---

(١) ٣٨ / ظ .
(٢) ١١٠ / و .
(٣) ٥٢ / ظ .

٥ – وأثبت عـدداً من الرسائل لكتّاب مختلفين ، التزم أصحابها حرفاً من الحروف في كل كلمـة من كلماتها كسينية لسان الدين وسينية ابن جزي ، او التزموا بناء الرسالة على التورية بالكتب كما فعل ابن الاحمر وغيره . وهـذا يساعد في توضيح معالم النثر الفني في هذا العصر .

٦ – أما المختارات الشعرية في الكتـــابين فأوفر ، وأغنى في الدلالة . ويلاحظ أن ابن الأحمر أكثر من شعر المديح كثرة تطغى على مجمل ما أورده في الأغراض الأخرى . ولعل كثرة هذا الغرض في كتابيه تعود الى سببين : الاول أن المؤلف بنسبته الى ملوك الأندلس يريد ابراز فضلهم وبسط مآثرهم خاصة وأنه يفخر بنسبه النصري الملوكي ، ويريد أيضاً ان يرضي مخدوميه من بني مرين ، وهو – لهذا – بدأ ببني مرين في نثير الجمان قبل قومه بني نصر. وثاني الأسباب أن شعر المديح كان وفيراً ، لتردد الشعراء ومنتحلي النظم على السلاطين والأمراء والوزراء ، والكتاب مما أورث قصائد كثيرة ، وبعض الدواوين الشعرية .

الفصل الرابع

نثر ابن الاحمر وشعره وآراؤه في النقد

مقدمة في نثره :

اهتم ابن الاحمر بفنون مختلفة من الوان الفقه والادب والاخبار والانساب وعرف عند من ترجموا له — على سطحية نظرتهم — بالأديب المؤرخ النسابة. ولا شك في أن مـــا خلفه من آثار — وصلنا بعضها وهو الأقل — يشهد له بالدأب والمطالعة والاهتمام والتحري والتقصي في الطلب وفي هــذه الفقرة من البحث سأحاول أن اجلو صورة ابن الاحمر باعتباره منشئاً ، أي ناثراً فنياً ، وسأعتمد في ذلك على ما بين يدي من آثاره المطبوعة والمخطوطة وهي: نثير فرائد الجمان ، ونثير الجمان، وروضة النسرين، ومستودع العلامة . وسيكون البحث بحاجة الى اضافة او تعديل كلما ظهر ان للمؤلف كتاباً او بحثاً في أي موضوع من الموضوعات . ومن جملة كتبه اثنان نص على انهما « شرح » مما يؤكد ان له آثاراً نثرية وفيرة [١] .

---

(١) نيل الابتهاج : ٩٩ وجذوة الاقتباس ٩٩ — ١٠٠ .

ونلاحظ ان نثر ابن الاحمر في اربعة اشكال : الاول : مـا نقع عليه في مقدمات كتبه وتراجمه مما انشأه ، والثاني : مـا لدينا من بعض شروحه ، كشرحه على قصيدة شهاب الدين الحلبي كاتب الانشاء بالشام ، والثالث : رسائله الى اصحابه او شيوخه او بعض مخدوميه، والرابع: كتاباته التاريخية. وبالرغم من أن وظيفة ابن الاحمر غامضة غير واضحة لنا كما اسلفت إلا اننا نتوقع أن يكون كتب فترة لبعض الامراء او الوزراء بدليل مـا نجده من رسائل يرفعها الى احمد بن علي القبائلي الحاجب ، ويظل هذا الرأي في الظن إلا أن يظهر شيء من آثاره جديد .

النثر الفني في الاندلس في القرن الثامن : لا أخصص هذه الفقرة لتقويم النثر الفني في الاندلس في هذا القرن ، فذلك بحث قائم بذاته ، لكنني اريد أن اضع يدي على بعض الملاحظات المتعلقة بالنثر في هذا القرن ، في ذلـك الصقع .

١ – تبوأ الكتاب في الاندلس وفي المغرب منزلة رفيعة طوال هـذا القرن ، وكان السلطان يختار كتابه من الصفوة الممتازة ، فظهر عـدد من الاعلام كأبي الحسن بن الجياب وابن الخطيب وابن زمرك . وتقلبت بهؤلاء الحال حتى وصلوا مرتبة الوزارة ، وشاركوا في سياسة الدولة . ولا شك في أن الديوان السلطاني كان يضم اكثر من كاتب واحد، لكثرة الخطط الكتابية مثل كاتب الرسائل وكاتب الزمـام (١) ، وكاتب سر السلطان (٢) وصاحب العلامة (٣). وكثر تبادل الرسائل بين البلاطات الاندلسية والمغربية والمشرقية فذاعت نمـاذج من النثر الاندلسي كانت مثار الإعجاب كرسائل لسان الدين

---

(١) نفح الطيب ٢٠٢/١ .
(٢) اللمحة البدرية : ٩١ .
(٣) مستودع العلامة : ٢٤ .

ابن الخطيب . وفي ريحانة الكتاب للسان الدين وصبح الاعشى للقلقشندي والتعريف بابن خلدون نماذج كثيرة من تلك الرسائل .

٢ – **كثرة الرسائل والاهتمام بها :** بالاضافة الى ما ذكرناه من الرسائل الديوانية او لنقل الرسائل « الرسمية » ذاعت الرسائل وانتشرت بين الأدباء والكتّاب ، وصاروا يتحيّنون أي فرصة لأنشاء رسالة على اسلوب العصر من السجع والتصنع والتكلف. فلسان الدين ينحبس في سبتة لاضطراب البحر ، فيكتب رسالة الى أبي عنان المريني ، ويأمر السلطان كاتبه ابن جزي بالرد عليه ؛ وابن الأحمر يتبادل الرسائل مع بعض معاصريه (ومعظمهم في موطنه فاس) ليكتبوا له بعض شعرهم فيسلكهم في بعض كتبه . ويستجيز بعض شيوخه برسائل، ويلغز برسائل ... فكأن الرسالة صارت غرضاً لذاتها بغضّ النظر عن ضرورة ذلك او عدمه . وقد أعجب معاصرو لسان الدين برسائله ؛ وفي نثير الجمان أن الشريف الغرناطي (السبتي) طلب من ابن الاحمر أن يبعث له برسالة ابن الخطيب التي بعثها عن سلطانه الغني بالله الى المستنصر الحفصي ، وهي التي أوردها ابن خلدون في آخر كتابه (العبر) ، وذكرها صاحب صبح الأعشى كاملة ، وأثبتها ابن الأحمر في كتابه « نثير فرائد الجمان » . وقد وسمت الرسائل أغراضاً شتى كالاعتذار والاستعطاف والهجاء ، والاستفتاء والأغراض الاخوانية وسواها .

٣ – **ثقافة العصر الادبية :** لا بد من استقراء واسع لكي يكون الحكم في هذا الأمر صحيحاً . ولكننا نستطيع أن نلمح بعض الاشارات التي تفيدنا في سياق البحث . كانت المدارس النثرية في الادب العربي قد اكتملت من زمن بعيد . وكان الأندلسيون (والمغاربة) ينهلون من ثقافة تلك المدارس ويضاهونها ، فقد دخلت رسائل المعرّي ومقامات بديع الزمان والحريري خاصة الى الأندلس وعارضها البعض ، وتثقف بها الجمهور . حتى اننا نقع على عدد من المقامات أنشأها الأندلسيون في القرن الثامن : « كمقامات لسان

الدين ومنها مقامة السياسة، ومقامة وصف البلدان ومعيار الاختيار في أحوال المعاهد والديار، وخطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف»؛ ومقامة العيد لأبي محمد عبد الله الازدي، والمقامات النخلية لأبي الحسن النباهي المالقي [1] «وفي ثقافة ابن الأحمر رأينا أنه حضر حلقات محمد بن داود الصنهاجي «حين كان يقرىء مقامات الحريري بجامع القرويين من فاس [2]. وهكذا نرى ان المشرق استمر يلقي بظله الثقافي التليد على الاندلس بالرغم من ظهور شخصيات اندلسية عظيمة الأثر في الفكر والأدب.

٤ - وكثر تدوين الرحلات في هذا القرن ويكفي ان نقول إن أهم رحلة متداولة بين الأيدي وهي رحلة ابن بطوطة قد دونت في هذا القرن، دوّنها كاتب اندلسي هو ابن جزي. وهناك رحلة اخرى منها نسخ خطية كثيرة، لأبي البقاء البلوي. وكانت كتب الرحلات تنقل الى الاندلسيين انطباع الرحالة عن المشرق، وبعض الثقافات الادبية والعلمية، والحقائق الاجتماعية.

٥ - وكان أسلوب العصر السائد هو الأسلوب المنمق المسجوع، المغرق في التصنع والخروج عن الطبع الى حد الاغراق والتكلف. وجرت المكاتبات والمخاطبات بين الملوك والسلاطين بمثل هذا الاسلوب. وفي الاحاطة وتاريخ ابن خلدون وكتب ابن الاحمر وريحانة الكتاب نماذج كثيرة لذلك. اما الكتب الادبية والعلمية فتراوحت بين الاسلوب المرسل كتاريخ ابن خلدون والاحاطة، وبين الاسلوب السائد كالكتيبة الكامنة ومعظم كتب ابن الاحمر. ولم يخرج ابن خلدون عن هذه القاعدة في ترسله لأنه «لم تسمح له

---

(١) تاريخ الادب الاندلسي: الدكتور احسان عباس ص ٣٠٧ (جزء عصر الطوائف والمرابطين).

(٢) نثير الجمان ١١٥/ظ.

حياته البالغة الاضطراب بأن يفرغ للأسلوب ينمقه ويزخرفه »[1] ، بل اسلامةٍ في ذوقه ودهـــاءٍ في طبعه ، قال : « وكان اكثرها – الرسائل الديوانية – يصدر عني بالكلام المرسل أن يشاركني أحد ممن ينتحل الكتابة في الأسجاع ، لضعف انتحالها ، وخفاء العالي منهـا على اكثر الناس بخلاف المرسل ، فانفردت به يومئذ وكان مستغربا عندهم بين اهل الصناعة »[2] . وإذن كان الأسلوب المسجع هو السائد ، وهو ذوق العصر .

أغراض نثر ابن الأحمر :

نبدأ الحديث عن نثر ابن الاحمر باستعراض الأغراض الفنية التي كتب فيها وعالجها ، ثم نتحدث عن الخصائص الفنية لنثره بعامة .

١ – من عادة المؤلف ان يبدأ كتابه بمقدمة يبسط فيها موضوع الكتاب ومنهجه ، وقد يذكر الرجل المرفوع اليه والمطرز باسمه . وهـذه المقدمات تمثل نموذجاً واضحاً من نثر المؤلف ، وتضع بين يدي الباحث قدراً لا بأس به من عباراته ومصطلحاته، وتبين طريقته في معالجة الفكرة وطرق أدائها. ومن ذلك ما قدم به كتابه روضة النسرين . وهو سجل تاريخي لأنساب بني مرين ، ووقائعهم القاضية ببني زيان ، قـال : « ... وبعد فإن التاريخ علم لسماعه النفوس ناشطة اذ عوانس الانباء السالفة جلتهـا من الفوائد ماشطة ، وإلا َفبِـمَ عرفت أخبار الامم الماضية وما وقع في الايام والأزمات المتقاصية؟ من ملك في أحكامه جار ، وعادل به المظلوم لاذ واستجار ، ومن طرف جليت بظرف ...»[3] . وفي مقدمة نثير فرائد الجمان : « ... وبعد فإن

---

(١) تاريخ الشعوب الاسلامية بروكلمان ٢/٣ .
(٢) التعريف بابن خلدون ص ٧٠ .
(٣) روضة النسرين ص ٧ .

الادب زهر حوته من البدائع كامة، وروض مدبج حاكته من المحامد غمامة، وهو أعذب ما تطمح اليه الهمم الموسومة بالهمامية، وأسنى ما تعتمده أنفس أولي الفعال المعروفة بالاهتمامية ...»[1]. وفي مقدمة مستودع العلامة: «... وبعد فإن كلام الكتاب قد بهر فخره بكل كتاب، لما لهم من الاطلاع والاكتفاء، وما لكلامهم من اللطافة والاحتفاء، ولما كان أشرف بضاعة، وضمن لسر الاستحسان الاذاعة ولا أضاعه، جمعت منه ما قلت له النظائر، وكان سلياً للنفوس وليس بضائر ..» وسنستفيد في عرض خصائصه الفنية من بعض ما قاله في تراجمه.

٢ – كنا رأينا أن ابن الاحمر يحمل بردة البوصيري، وجاء في بعض كتب التراجم أن المؤلف شرحاً على «البردة» دون بيان أي قصيدة يعنون، والغالب أنها بردة البوصيري. ولكن هذا الشرح – على كل حال – لم يصلنا؛ وانما لدينا نموذج لشروحه، اورده في نثير الجمان[2]، وهو شرح على قصيدة شهاب الدين أبي الثناء محمود الحلبي كاتب ديوان الانشاء بالشام، وهذا بعض شرحه، مقتبساً من أوله:

وصلنا السرى وهجرنا الديارا — وجئناك نطوي اليك القفارا
أتيناك نحدو البكا والركاب — ونبعث اثر القطار القطارا
اذا اخذت هذه في الربى — صعوداً أبى ذاك إلا انحدارا
وان فاض منا لفرط الحنين — وقوفاً على الخيف نرمي الجمارا
كأني بـه وهو يجري دماً — ورجع حادي السرى عاد نارا

قال اسماعيل بن الاحمر مؤلف هذا الكتاب لطف الله به: قوله أتيناك

(١) نثير فرائد الجمان ٢/ و.
(٢) نثير الجمان ٥٣/ ظ – ٥٥/ ظ.

تحدو الى آخره ، الحادي هو السائر من خلف العيس منشداً لتقوى على السير والهادي السائق من أمام . والبكا يمد ويقصر بمعنى ، وقيل البكاء ممدود : هو العويـل والصياح ، ومقصور : البكاء بالدمع من غير عويل . والركاب الابل تحمل القوم ، ويقـــال لراكبيها وراكبي سائر الدواب : الركب على وزن الضرب والأركوب بضم الهمزة والركبـــان . ويقال في جمع راكب السفينة رُكـّاب بضم الراء وتشديد الكاف . والقطار الأول جمع قطر مفتوح القاف ساكن الطاء المهملة : الاسم لما يقطر من الماء يقال قَطـَر المـــاء بالفتح قطراً بسكون الطاء وقطراناً والاسم القطر والجمع القطار . والقطار الثـاني تقطير الابل على نسق حتى تكون كالسطر . وقوله اذا أخذت هذه في الربا الى آخره ، الربا : جمع ربوة بضم الراء وهي الأكمة . والأكمة التل . ويقـال أيضاً الرابيـة والربوة بكسر الراء ، والرباوة على وزن الهراوة . والصعود بضم الصاد والعين المهملتين : الارتقاء يقال صَعِد بكسر العين صعوداً وأصعد ايضاً على وزن أكرم اذا ارتقى مشرفاً أي موضعاً يشرف عليـه ، والصعود بفتح الصاد الطريق اليه والجمع أصعدة وقيل : يقال صعد في الجبل وأصعد في الارض لا غير . والانحدار : الهبوط من علو الى سفل يقول اذا طلعت بهذه الابل ربوة زادت الدموع جرياناً وهبوطاً ، يصف بذلك وبالبيتين بعده الدمع ... الخ . » ويستمر الشرح على هـذا النمط ، يأتي ببعض الأبيات ثم يشرحها فاذا انتهى من شرحها على طريقته أتى بأبيات أخرى الى نهـــاية القصيدة وواضح مما اجتزأت من شرحه أنه إنما يعنى بالشرح اللغوي، فيشرح معاني الكلمات بعامة ، ثم يخصص المعنى بما هو وارد في النص ، وقد يشرح معنى بيت من الأبيـات او فكرة من الأفكار كما فعل في البيت الثالث . ويبدو ابن الاحمر مطـّلعاً على اللغة متصرفاً في المعـاني ، ولكنه لا يشرح معاني كل الأبيات ، ولا يسهب في ايضاح الفكرة، بل نراه يقف عند ألفاظ ومعان رجح لديه وفي ذوقه أن الوقوف عندها يزيد في الوضوح ويُعد في الشرح . واذا قسنا شرح ابن الاحمر الى أبيات القصيدة وجدنا أن ما أخذته

من الصفحات تتساوى مع مـــا أحتله الشرح منها ، فهو شرح سريع ، يهتم باللغة والغريب أكثر من اهتمامه بالمعاني العامة .

٣ – وفي ثنايا كتب ابن الاحمر بعض الرسائل بعث بها الى نفر من أقاربه وشيوخه وأصحابه وذوي السلطان على عهـده ، وهي في اغراض متنوعة ، كطلب الاعانة والوساطة واستكتاب نماذج شعرية لادراجها في كتبه، والتهنئة بمناسبة ، والاعتذار ، واستجازة عالم او فقيه او اديب ما يحمل .. ورسائله كلها متشابهة الأسلوب، جرى في بعضها على اسلوب العصر من جناس وسجع واصطناع لألفاظ كثيرة من العلوم ، وأغرق في بعضها فالتزم التورية بأسماء الكتب[1] ، وبنى سجعاته على اكثر من حرف ، فقد يلتزم أربعة احرف او خمسة احياناً وهو يسمي هـذا النوع « لزوميـة [2] » . وتتراوح رسائله بين التوسط والقصر ، ولا تتجاوز كبراهـا خمس صفحات من القطع المتوسط ، وإنما نقيسها الى ما طال من رسائل اقرانه كابن الخطيب وابن خلدون وابن جزي وأضرابهم .. ويلاحظ انه كثيراً ما يبدأ رسالته بالشعر او أنه يتخللها الشعر من نظمه ، وبخاصة في الرسائل الاخوانية ، ويكون الشعر معبراً عما يحل محله من الرسالة او موضحاً فكرة سبقت . وهـــذه رسالة من رسائله « القصيرة »: « وقلت ايضاً [3] ، معزياً ابن عمنا الرئيس أبا الوليد اسماعيل ابن الامير ابي سعيد فرج :

لا تجزعنّ أبا الصدق الامير على   يحيى سليلك ، في الباقي لك الخلف
كان الذي قد مضى نجماً فغاب ومن   بقي بدور لعمري ما بها كلف

---

(١) نثير فرائد الجمان ١٠٨/ و .
(٢) نثير فرائد الجمان ١٠٩/ و .
(٣) نثير الجمان : ٢٥/ ظ .

مثلك أعزك الله لا يذكر عند المصيبة ، إذ سهام صبرك فيها مسددة مصيبة. وأيم الله لقد فجعت لرزئك في نجلك، وعظم فقده عندي من اجلك. ومهما امرّ بناديه اتفجّع فأناديه :

اذا ما دعونا الصبر بعدك والبكا أجاب البكا طوعاً ولم يجب الصبر
فان ينقطع منك الرجاء فإنه سيبقى عليك الحُزن ما بقي الدهر

والله يجزل بمصابه أجرك ، ويرفع بالصبر عليه في الدارين ذكرك ، والسلام .

٤ – وقد تحدثنا عن اسلوب ابن الاحمر في كتاباته التاريخية عند الحديث عن « روضة النسرين » .

خصائص نثره :

تدخلت عوامل مختلفة في تكوين شخصية ابن الاحمر . فقد رأينا منه وجه الفقيه المعتني بأمور الفقه ورواية الحديث واقراء ما يتصل بها من كتب كالشفاء للقاضي عياض كما اسلفنا . واعتنى بالتقييد والتاريخ حتى عرف بالتاريخي ومن جهة اخرى اهتم بالشعر والنثر وصدر عنهما بما يضعه في منزلة جيدة بين معاصريه من شعراء ومن ادباء . وإذا وقفنا عند شعر ابن الاحمر لفت نظرنا أنه لا يتبع اسلوباً ادبياً واحداً ، بل انه يتراوح بين الاساليب المختلفة التي كانت سادت في المشرق، وانتقلت – بانتقال الثقافة – الى المغرب. ولهذا ، فإنه لا يمكننا ان نضع ببساطة مجموعة من الخصائص فننسبها لنثره وتكون مندرجة على كل آثاره .

١ – في مقدمة « مستودع العلامة » نقع على اسلوب مرسل واضح العبارة ، جلي المعاني ، حين يشرح معنى « العَلاَمَة » ويحدثنا عن تاريخ هذا الرسم في دول المغرب ودول المشرق ، وفي كتابه « روضة النسرين » نلاحظ

أن القسم المتعلق ببني عبد الوادي كله من الأسلوب المرسل الواضح ، الا صفحة المدخل فانها مسجوعة العبارة . قال في مستودع العلامة « والعلامة تكتب بقلم غليظ القَطة ، وهي شارة في الكتب كالشهادة الشرعية في العقود ، وقد اختلفت آراء الملوك فيها ، فبعضهم يضعها بيده في الصك بحبر ولم يتخذ لها كاتباً كملوك الموحدين ، من بني عبد المؤمن بن علي ، فانهم كانوا يكتبون العلامة بأيديهم ، ولم يكتبها لهم سواها ، وذلك من اولهم امير المؤمنين عبد المؤمن الى آخرهم أبي دبوس ، واسمه ادريس ويكنى بأبي دبوس؛ وكآبائي الملوك من بني الاحمر فانهم لم يختصوا،من اولهم جدي امير المسلمين الغالب بالله محمد بن يوسف الاحمر وهلم جرا ، كاتباً لعلامتهم إلا أن كل سلطان منهم يكتب علامته بخطه يديه ، وبعض الملوك يقدم لكتبها رئيس كتبته ، وربما شارك بعضهم في كتب العلامة كاتبه المقدم عليها كبني مرين ملوك المغرب ، فاذا رأيت الصك المريني وعلامته : « وكتب في التاريخ المؤرخ به » ، فهي بخط السلطان ، واذا كانت « وكتب في التاريخ » فهي بخط يد صاحب العلامة . وقد جعلها بعضهم في اول المهرق بعد البسملة ، وجعلها بعضهم في آخره عند ختم الكلام . وقد اشتق بعضهم لفظ العلامة مجانساً للقبه كالسلطان جدي امير المسلمين الغالب بالله محمد بن يوسف الاحمر اول ملوكنا بالاندلس ، تلقب بالغالب بالله ، فكتب علامته « ولا غالب إلا الله » ... » .

وهذا جزء من الحديث عن يغمراسن بن زيان مؤسس دولة بني عبد الوادي ، تحدث فيه إبن الاحمر عن وقيعة يعقوب بن عبد الحق المريني به في احدى المعارك [١] . قال : « ثم تحرك السلطان يعقوب بن عبد الحق من فاس الى يغمراسن في جيش لجب ، فتسمع يغمراسن باقباله عليه ، فالتقى

---

(١) روضة النسرين : ٤٨ .

الجمان بوادي تلاغ بالقرب من وادي ملوية ، فدام القتال بين الفريقين من وقت الضحى الى صلاة الظهر ، وصبرت مرين لقتال عدوها صبر الكرام الى أن منحهم الله تعالى النصر على بني عبد الوادي فهزموهم وأذاقوهم الحمام في ذلك الوادي ، وفر اميرهم يغمراسن على وجهه مهزوماً ، وقتل أعز اولاده عنده « عمرو » اكبر ولده ، وقتل ولد عبد الملك بن حنينة وابو يحيى بن محمد وعمر بن ابراهيم بن هشام وجماعة من اشراف بني عبد الوادي . وولت عبد الوادي الادبار وسار السلطان يعقوب بن عبد الحق براياته المنصورة وكتائبه المظفرة في اعقابهم ، وسيوفهم تصفع في قفيهم ، فدخل يغمراسن تلمسان مهزوماً خاسراً فقيراً ، وتفرقت جيوش عبد الوادي فما منهم الا قتيل او جريح او خائف او شريد ، وانتهبت بنو مرين جميع ما كان في عسكرهم من الخيل والاموال والسلاح وكانت الهزيمة يوم الاثنين الثاني عشر من جمادى الآخرة من سنة ٦٦٦ » فهذه النماذج من نثر ابن الاحمر المرسل توضح اسلوبه . ونحن لا نجد مميزات خاصة لهذا النثر فهو يبسط فكرته بوضوح وجلاء، ويستعين بكل ما يستطيع من ألفاظ معبرة، ولكننا نلاحظ انه في الفقرة الاخيرة لم يلتزم بما يلتزم به المؤرخ من انصاف وهدوء، وذكر للحقائق بالارقام ، لأنه شغل عن ذلك كله بالفكرة العامة التي سعى وراءها من ذكر فضل مرين وهزائم بني عبد الوادي ، فخرج عن اسلوب الكتابة التاريخية المتزن المطلوب فيه الحياد ، الى الاسلوب الادبي الذي يستجيز المبالغة وتجاوز الحقائق .

٢ – كان لجوء ابن الاحمر الى الاسلوب المرسل دون اغراقه بصنوف الزخرف وضروب التعقيد اللغوي لجوءاً موقتاً ، وفي نطاق ضيق ، فهو في مقدمات كتبه الأربعة ، وفي تراجم كتبه « نثير الجمان ، ونثير فرائد الجمان، ومستودع العلامة » التزم الاسلوب المسجوع ، المثقل بضروب البديع المختلفة – مما اثر في قيمة تلك الكتب في تاريخ الادب – والتزمه في

رسائله السلطانية والاخوانية ، فكان هذا هو اسلوبه الذي اتخذه لنفسه ، وعبر بـــه عن غالب مقاصده وسنستعرض فيما يلي خصائص اسلوبه هذا ، ونشفعها بنماذج من ادبه ، شواهد على ذلك :

أ ـ اول مـــا يلاحظ القارىء في أدب ابن الاحمر ، لجوؤه الى صنوف البديـع المختلفة ، صدوراً عن ثقافته ، ومجاراة للنثر السائد في عصره ، من سجع وجنـاس واقتباس وتورية ولزوم مـــا لا يلزم ... وهو في السجع لا يكتفي باتفاق أواخر الفواصل في الحروف، بل يطلب اتفاق اكثر من ذلك، حتى يصل الى خمسة حروف وستة ، وهذا هو ما سماه « لزوم ما لا يلزم » ، وقال في تعريفه : « وأما لزوم ما لا يلزم فهو مـا في الاصطلاح ان الناظم أو الناثر يضيّق على نفسه في التزامه مؤاخاة ألفاظ التسجيع »[1]. وواضح أن قوله « يضيق على نفسه » هو الموقف الذي يمكن ان يوصف بـه متبعو تلك الطريقة ، وأن ما يصدر عن ذلك « التضييق » من أدب ، لا بد وأن يعبر عنه ويتأثر بـــه . فمن التزامه ثلاثة أحرف قوله في ترجمة الأحيمر المالقي[2] ، « راح في ميدان الصلاح لما بأهله اقتدى ، وتوشّح بفضل من الفلاح وارتدى ، ومشاعر التقوى سلك ، وملاك أمورها ملك ، وطلع في سماء الأدب شهابا ، والتهبت نار فصاحته التهابا .. » ، ومن التزامه أربعة أحرف ما قاله في مقدمة نثير فرائد الجمان[3] : « واقتصرت فيه على من لنفسه أنشدني ، وبنظامه البارع استرشدني ، ممن رأيته بالعيان من الشعراء الاعيـــان ، ومَن بسني لحقته وأنشدت له فألحقته » . ومن التزامه خمسة أحرف وستة قوله في ترجمة ابن خاتمـة الانصاري[4] : « فارس الكتيبة

(١) نثير الجمان : ١٣/ و .
(٢) نثير الجمان ١٠/ و .
(٣) نثير فرائد الجمان ٣/ و .
(٤) المصدر نفسه ٦٤/ و .

الشعرية ، وعالم القلة الأشعرية ، ورب المدح المبرأ من القدح ، وزند الادراك لما ورى القدح ، المرسل لنحو العي من الافصاح بالسرية ، المتكلم في فنون العموم بتحقيق النفس السرية . وبـــه افتخرت المرية ... » ، وهو يمضي – غالباً على هذا النسق يتحذلق ويتمحل ، ويرصف من الكلمات والالفاظ والعبارات بما لا يزيد الاسلوب إلا إرهاقاً ، والمعنى إلا إبهاماً .

والجناس من المطالب التي أعجب بهـا ابن الاحمر ، واستهوته بهلوانيتها فهو يسعى وراء الجناس تاماً او ناقصاً ولا يهمه من ذلك إلا حسن الصياغة – في ذوقهم – ويقنع من المؤدى بما تجود به العبارة الطنانة الجوفـاء . فمن ذلك تقديمه لقصيدة ابن جزي: « وقال بديهة في وقع الفراق، حين لسعه صل البين وعجز عن مداواتـــه ألف راق »[1] . وفي ذكر نزول حسن بن يوسف الخزرجي تونس قال : « وبها أتاه حمامه، بعد ان رددت الهديل بذكر تشوق الأهل حمامه »[2]. وتضييق ابن الاحمر الأمر على نفسه بلزوم ما لا يلزم من الحروف ، جعل كثيراً من سجعاته من الجناس الناقص ومن ذلك قوله في ابن الجنان اللخمي[3] : « هو المستعمل بين الملوك والسفارة ، والعالم فيما حوى من العلوم بالقضاء والكفارة ، والمقرىء من فن الادب أسفـــاره ، والممضي في قيادتـه شفاره ، والمغضي عن العورات طرفه حين أضحى يطرق بالارض شفاره ، والمكثر عن الفواحش الجالبة الحوب نفاره ، والساكن من جزالة الشعر معموره وقفاره ، وجمع بين الخطتين من سيف وقـــلم ، وقدمه في الفصاحة أثبت من علم ... »

ونقع في رسائله على ظاهرة طريفة ، وهي انشاء الرسالة وبناؤهـا على

(١) المصدر نفسه ٤٤/و .
(٢) المصدر نفسه ٥٢/ ظ .
(٣) المصدر نفسه ٦٥/ ظ .

التورية بأسماء الكتب ، وليس الأمر ببدع منه ، بل اننا نقع على مثل ذلك في ترجمته لابن جزى حيث قال (١) : « ومن انشائه البارع مورياً بالكتب ورفعها لأمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان فارس بن امير المسلمين علي.. يهنئته بإبلال ولده وولي عهده الامير أبي زيان محمد من مرض :

ماذا عسى أدبُ الكتّاب يوضح من خِصال مَجدك وهو الزاهرُ الزاهي
وما الفصيحُ بكليّات موعبها كافٍ فيأتي بأنباء وإنباه

أبقى الله تعالى مولانا الخليفة ، ولسعادة أيامه القدح المعلى ، ولزاهر كماله التاج المحلى ، تجلى من حلاه نزهة الخاطر ، ويسير بعلاه المثل السائر ... » وقال ابن الاحمر من رسالة يهنىء الحاجب القبائلي بعبور ابنه الى الاندلس بغرض الرسالة « هناؤك بعابر البحر الزاخر هو قطب السرور للمفاخر ، والقدح المعلى للمفاخر ، والتاج المحلى للفخر الفاخر ، والتهنئة به قد وجبت عن التيسير ، والتسهيل من نحوها لم يعد بالعسير ، وهو المحفوظ بعرفان العوارف ، المكلوء بعيون المعارف ... » (٢) . وقدم ابن الاحمر لرسالته هذه بقوله : « ومما صدر عني في التورية واللزوم بالكتب العلمية ... » فهو يلاحظ أنه يوري ويلتزم ، فوق ما التزم من فنون البديع الاخرى ، وصار حريّاً بالرسالة ألا تكون رسالة ذات مقصد تؤديه في الامور السلطانية أو الاخوانية ، بقدر ما هي أثر فني أغرقته الصنعة ، حتى استحال الى صنعة خالصة . وتميز أسلوبه بسبب ما التزم فيه من جناس وسجع ولزوم بتقسيم موسيقي للعبارات ، وقد سمى ابن الاحمر هذا (الترصيع) ولننظر ما يقوله في ترجمة ابن العريف الغرناطي : « شاعر بالاصابة متبوع ، وماهر باللبابة مطبوع ، باطنه بالذكاء

---

(١) هو محمد بن محمد بن أحمد بن جزي (نثير الجمان ٨١/ ظ).
(٢) نثير فرائد الجمان ١٠٦/ ظ .

شيب ، وظاهره شيب . ونفسه النفيسة بالجاملة لم يخلل بهـا عيب ، وذاته الفاضلة قد حمد منها مشهد وغيب .. » [1] . وما في ترجمة الأحيمر المالقي في نثير الجمان « .. احتوى على جمل من الآداب رائعـة ، وطرائق في الانشاء فائقة ، وشعره يشبه بالنجوم لو نظمت سلكا ، ويجري مع النفوس فيملكها ملكا ، وحصل من علم البيان مفيده وعجيبه ، ومعرفة باللغات الغريبة ، وقوة نفس في استخراج المعمى ، ولو أنفذ فيه الملغز مرمى ، وتفنن في جميع العلوم ، والمعرفة منها بالمجهول والمعلوم .. » [2] .

وكان يجنح أحياناً الى تصعيب آخر في أسلوبه، وهو اللجوء الى(التضمين المزدوج) كما سماه في نثير الجمان ، وقال عنه « أن يقع في أثناء قرائن النثر أو النظم لفظان مسجمان مع مراعاة حدود الأسجاع الاصلية التي يسميها : « الأكثـُر الفِقـَر » ومثـّل لهـــا بقول الفقيه الكاتب علي بن محمد الصباغ العقيلي : « الحمد لله معتمد الانسان بعميم الإحسان عناية لا تحد ولطفـــا ، ومعلمه من البيان وملهمه الى التبيان رعاية لا تصد ولا تجفى . عجز عنه كل انسان فلو اجتمع الانس والجـان نهاية بالرد لم يبلغوا حرفا .. » [3] . وقد برع لسان الدين في ارتياد هذا الأسلوب والاسهاب فيه [4] . وقال ابن الاحمر من رسالة الى ابن عمه « الأخ الوفي ، الذي لا ارتياب في صحة اخائه ، وابن العم الصفي ، الذي لم يشب الكدر صفو صفائه ، والولي الحفي ، الذي يشهد خالص محبته بحسن ولائـه » [5] . ثم خرج الى الاسلوب العادي المسجوع . وقال في رسالة الى الشريف الغرناطي« وصلت أعزك الله عقيلتك – رسالتك –

---

(١) نثير فرائد الجمان ٦٢/ و .
(٢) المصدر نفسه ٤٢/ و .
(٣) نثير الجمان ١٤/ و .
(٤) سماه الدكتور شوقي ضيف «السجع المركب» انظر الفن ومذاهبه في النثر العربي ص٢٥٣ .
(٥) نثير الجمان ٢٥/ ظ .

السالبة للعقول ، الخارجة بنظمها البديع ، المسكت للبديع ، عن الحد والمعقول ، وهي من الاصل الوسيم والفضل الجسيم ، ترفل في حلل . وتنتمي بنسبها العلي ، وحسبها النبوي في أشرف الحلل »[1] . ولكن ابن الاحمر لا يطيل نفسه في هذا الباب اذ لا يلبث أن يعود عن هذا « السجع المركب » الى السجع البسيط ، قانعاً به وبما يضمنه من صنوف التعقيد .

وأضاف الى اسلوبه الاقتباس . فهو يستشهد بالآيات من القرآن الكريم او الحديث الشريف او المأثور من كلام العرب وأمثالهم ، ولكنه لا يكثر منه اكثاراً يجعله ظاهرة بارزة من ظواهر اسلوبه . وفي نثير فرائد الجمان : « وحمام معرفتي بالفريقين قال لي بالحق صدحت ، ولسان الانصاف ليس بمليم اذ قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم . والشعراء كثيرون هم لأرباح الكلام مثيرون، لكن مرعى ولا كالسعدان، ومسابقة اجراها مهر بغير الميدان[2]». وقوله « .. شنشنة عرفت من اخزم ، عليها عول البطش وأجزم[3] ... » وقوله في ابن عمه محمد بن اسماعيل بن القائم بأمر الله محمد « .. وأعاد على الملة المحمدية عهد الشباب وقد اصبح ماؤه غورا[4] » .

ب – رأينا ابن الاحمر فيما سبق يستخدم أسماء الكتب في رسائله . ولكننا نجده يلجأ بكثرة الى اصطناع الفاظ العلوم المختلفة ، واستخدامها في نثره ، كألفاظ علوم اللغة ، والتاريخ ، ومناسك الحج ، والفلك ، والفقه وأسماء القراء ، والأعلام من رجال الفكر والشريعة ففي مستودع العلامة في ترجمة التجاني التونسي : هو « .. رب الأحاجي المرموزة ، ومغازل عرائس

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) نثير فرائد الجمان ٣/ و .
(٣) روضة النسرين في دولة بني مرين لابن الاحمر ٤٤ .
(٤) نثير الجمان ١٩/ ظ .

الآداب التي ليست بمغموزة ، ومثبت حروفهـا الساكنة والمهموزة [1] ، وفي مكان آخر .. « وسكن حروف المفاخر بعـد همز ألفاتها .. » [2] وقال في ترجمة ابن الجياب : « كان قد امتطى من ديوان الانشاء جواداً تقدم به مجلياً، وغدا كل منتم لهذه الطريقة له مصلياً ، وطلع في سماء الاحسان غيثاً ، وبرز في ميدان العلوم ليثا ، وفي تصريف الأفعال ينسيك سيبويه ، وفي علم اللغة يعفي أثر ابن دُرستويه ، وفي الصنعة البديعية والبيانية يزري بابن سمـــاك وينسي مآثر ابن سكاك . وشعره وسط ، وفهمه مرتبط ، وهو عارف بـأيام العرب ووقائعها ، محصل لآثارها وبدائعها [3] .. » وفي ترجمة ابن عبدالسلام الخزرجي قال « .. الى أن خلع جدي عن تأميره الأندرشي ، وفقـــد من كرسي ملكه سيف امره الذي كان بالموشي، وسرى منه حرف نافعه بالحرف الورشي [4] .. » وفي مستودع العلامة : « باسمه هذا الكتاب طرزت وفيه مفاخره للوجود ابرزت .. وكف الصواب في ذلـك لثمت ، وحجر الشكر عليه استلمت [5] » . وقال في السلطان عثمان المريني وهو يقـــدم له روضة النسرين : « اوليس خادمه المهتدي ، ومطيعه المقتدي ، ومناره المستضي ، وسائله الرضى، ومؤمله الواثق، وغيبه الامين المواثق، ورأيه الرشيد الموفق، وعلمـه المنصور الذي مذانب إصابته تتدفق ، وجوده (بالسفاح) وطهارة خيمه مـــا صوفحت بالصفاح ، وجاره المأمون والمعتصم ، ورباطة جأشه لا تنفصم [6] » .. والامثلة على ذلك كثيرة منتشرة في كتبه ، وهي ظاهرة لا

---

(١) مستودع العلامة : ٣٤ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٩ .

(٣) نثير الجمان ٣٥ / و .

(٤) نثير فرائد الجمان ٥٢ / و .

(٥) مستودع العلامة : ٧٦ في ترجمة صاحب القلم الاعلى يحيى بن الحسين بن ابي دلامة .

(٦) روضة النسرين : ١ .

تقتصر على ابن الاحمر وحده بل اننا نجدها عند غيره من الكتاب الاندلسيين، بعد أن تفشت في المشرق من زمن بعيد .

ج - لا شك في أن تفضيل الاسلوب المسجوع المتكلف على الاسلوب المرسل كان يقتضي من الكاتب استحضار ألفاظ العلوم ، والتلاعب بأنواع البديع ، وضروب التحسين اللفظي المختلفة، وهذا يدعو الكاتب لأن يعتسف المعاني او أن يتركها غامضة ، غير فصيحة، ويجبره على أن يسلك في صياغته مسلكاً وعراً ، ممـــا يجعل الفرصة اكثر تهيؤاً لظهور العبارات الركيكة ، والسخيفة كقوله: « ففر عن الاندلس هارباً،وعاد في ارض العداة ضارباً، الى أن استقر بتونس ، دار الملك الحفصي ، ومعدن الذكر مع الخصي ، فامتدح ملوكها [1] .. » وقوله في آخر « .. وأن مدح أسر ، وان نثر اسحر ، وفي بدائعه استبحر، وبطالع الادراك اطلع على الكاشف، اذ كان لثغر البحث في الآداب بالراشف ، وكتبه لزمه فأظهر المسترسل والمرسل ، وقـد نتج عقيم الكلام به وأنسل [2] .. » واذا كنا لا نصمه بالسعي وراء الألفاظ الصعبة ، فإننا نعثر احياناً عليها ، لأن تطلبه السجعة ، ولزوم ما لا يلزم قد يجبره على سلوك هذا المسلك . ومثل ذلـك قوله في مستودع العلامة : « فنشرت على رأسه الرايات ، وقرعت عليه الطبول ، وجيء اليه بالصافنات، وبكل خود عطبول .. » ومثل « استسقى العضاه ماء جدواه السائل المغرب ، فشربوا الغمر لا الثماد [3] .. » .

د - ونصل بعد هذا العرض الى ملاحظة هامة ، بدأت أصولها منذ زمن متقدم، ولكنها استمرت، وبرزت في نثر لسان الدين المسجوع، ومعاصريه ،

(١) نثير فرائد الجمان ٥٢ / و .
(٢) المصدر نفسه ٨١ / و .
(٣) مستودع العلامة : ٣٦ ، ٣٧ .

وظهرت في نثر ابن الأحمر بوضوح ظاهر ، وتلك هي ظاهرة « جمود النثر الأندلسي » كما سماهـا الدكتور شوقي ضيف ، وقال فيهـا « وهي التعبير بالأساليب المحفوظة التي لا تفصح عن فكرة محدودة » ثم قال : « وابحث ما شئت في هذه العصور – الأندلسية مما بعد الطوائف – فلن تجـد جديداً ولا ما يشبه الجديد ، انما تجد أدباً مكرراً معاداً قد كررت أساليبه ، وأعيدت عباراته مئات المرات بل آلاف المرات ، ولا جديد فيه إلا مـا يتصنع له الكاتب من مصطلح علمي او لون بديعي او اشارة الى مثل او استخدام لغريب او نحو ذلك [1] ... » وهذه أمثلة قليلة ؛ قال في كتابه نثير الجمان: « ... قلّ ما يسمح الزمان بمثاله ، او ينسج على منواله ، لم تقدر على الاتيان بمثله أيدي المصنفين ، ولا شنّفت آذان إبداعه أنامل المشنفين [2] » . وقال في ابن أبي حجلة التلمساني: « هو المستبحر في القريض والتصنيف، والمُقَرِّط آذان العلوم ومشنفها بأحسن التشنيف[3] .. » وقال في لسان الدين : « وله الأوضاع المصنفات ، التي آذان إحسانها هي المقرطات المشنفات [4] » . وقال في روضة النسرين : « لما فرغت من الدولة المرينية في هـذا المصنف وأتيت من آذان جمالها بالمقرط والمشنف [5] .. » ومنه مـا قال في أخيه : « فلو سمعه الموصلي لسلم اليه على يأس[6] ».وقال في صفي الدين الحلي : « وإن جسّ العود وضرب في أوتاره لأوصى الموصلي بقطع بتاره [7] » . ومنه ما قاله في

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي : ٢٤٩ — ٢٥٠ .

(٢) نثير الجمان ٣ / ظ .

(٣) نثير فرائد الجمان ٧ / ظ .

(٤) المصدر نفسه ١٤ / ظ .

(٥) روضة النسرين : ٤٤ .

(٦) نثير الجمان ٢١ / ظ .

(٧) نثير فرائد الجمان ٤ / و .

مقدمة كتابه : « وحمام معرفتي بالفريقين قـــال لي بالحق صدحت [1] » .
وقال في رسالة : « وحمـام رعايتك صداح ، وزناد مواهبك قداح [2] .. » ومنه : قال في نثير فرائد الجمان : « وهو – يعني الأدب – أعذب ما تطمح اليه الهمم الموسومة بالهمامية ، وأسنى ما تعتمده أنفس أولي الفعـال المعروفة بالاهتمامية [3] » . وقال في ترجمـة أمير حفصي : « وساد بشيمه الاهتمامية ، وخلق بهمته الهمامية [4] .. » ولا يقتصر أمر « الجمود » في نثره على تكراره لعدد من العبارات والأفكار، ولكنه يتجاوز ذلك الى ما هو أعمق منه فإن المؤلف حين يكتب وينشىء لم يكن يستهـدف المعنى الطريف ، ولا الفكرة الجديدة ، بل انه كان يسعى وراء صياغة لفظية ، لهـــا في ذهنه نموذج من كتب السابقين او آثار المعاصرين ، لا أعني بالنموذج الجمل والعبارات فحسب بل أعني ايضاً طرق التعبير وطرز التأليف وشكل الصياغة .

هـ – وإذا حاولنا أن نصنف أسلوب ابن الأحمر بين الأساليب العربيـة وجدنا أنه لا يتبع أسلوباً واحداً ، بل انه يتراوح بين الأساليب الأدبيـــة « النثرية » التي عرفها الأدب العربي. ويصدق فيه ما قاله الدكتور شوقي ضيف في لسان الدين من أنه « لا يرتبط بمذهب معين من مذاهب المشرق بل يتنقل بين هذه المذاهب ، وان كان أقرب مذهب الى ذوقــــه ، وذوق عصره هو ذوق أصحاب التصنع ، ولكن ذلك لا يمنع أن نجـد عنده نماذج يحاكي بهـا أصحاب الصنعة والتصنيـع ، وهذا شيء لا يختص بلسان الدين ولا بنماذجه ، بل هو عام في الاندلس لعصره ، وقبل عصره ، فدائماً نجد الكاتب الواحد

---

(١) المصدر نفسه ٢ / ظ .
(٢) المصدر نفسه ١١٠ / و .
(٣) المصدر نفسه ٢ / و .
(٤) نثير الجمان ٢٧ / و .

لتوزعه مذاهب المشرق المختلفة[١]... » وقد أوردنا من الأمثلة، والتعليقات ما يكفي لإثبات هذا الرأي .

شعر ابن الأحمر :

١ – نظرة في الشعر في عصره :

عني ابن الأحمر – فيما عني – بنظم الشعر ، وقد قال صاحب نيل الابتهاج في ذلك : « وله نظم » . وقال أحمد بن محمد الدباغ من رسالة الى ابن الأحمر « .. ومن هذا البيت – النصري – الكريم بيت أسلافه ، فلا يتمدى بالمدح لخلافه ، ولا يعدل به عن أوصافه ، بل يستعمل فيه الفكر ، على كل من نظم او نثر[٢] ... » وفي كتبه التي وصلتنا ، قصائد ومقطوعات شعرية ، نظمها في مناسبات شتى . ولم يذكر أحد ممن ترجموا له ، ولم يذكر هو فيما لدينا من آثاره أن له ديوان شعر ، فهو اذن شارك في هذا الفن الأدبي ، وضرب فيه بسهم . وقبل أن نعرض الموضوعات التي عالجها ابن الاحمر في شعره ، وخصائصه ، سنلقي نظرة سريعة على الشعر والشعراء في القرن الثامن في الاندلس :

١ – كان القرن الثامن في الاندلس – وفي المغرب – عصر ازدهار فكري وأدبي ، ولقي الأدب بفنونه المختلفة من العناية والتشجيع ما جعله كفيلاً بالازدهار والذيوع ، وفي نثير الجمان لابن الاحمر مختارات شعرية لعدد من ملوك دويلات المغرب والاندلس وأمرائها، فقد كانوا – في جملتهم – مطلعين على الادب ، معجبين بـه نثره وشعره . وكثر الكتّاب والشعراء بكثرة

---

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي : ٢٥٣ .

(٢) نثير الجمان ١١١ / و .

الملوك والامراء والمتوثبين ، فامتلأت كتب التاريخ ، والادب بأسماء الشعراء والكتاب والمختــار من أدبهم كثرة تلفت النظر ، وتستحق الملاحظة . وكان الشعراء – بغضّ النظر عن النكبـــات ذات الاصل السياسي – مكرمين ، وآخذين من الهبات والاعطيات بنصيب وافر .

٢ – لا نجد في هذه الفترة شاعراً « متخصصاً » انقطع للشعر دون سواه من الفنون، وإن أكثر الشعراء شهرة في هذا العصر كابن الخطيب وابن زمرك وابن الجياب وابن خاتمة لم ينقطعوا للشعر ، بل ان شهرتهم في الكتابة تعدل شهرتهم في الشعر وقد تزيد . وفي نثير الجمان[١] ان أحمد الدباغ انقطع بمدائحه الى ابن عم المؤلف ، اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن صاحب مالقة ابي سعيد فرج ، ولكنه في الترجمة نفسها يذكر أن الدباغ هــذا « كان يكتب الخراج بفاس » . ومعنى ذلك أن صنعته الاصلية هي الكتابة الديوانية ، وأن الشعر فرع . وصار انتحال الشعر ونظمه من الملح الـتي يقصدها كل متأدب، سواء حوى ملكة الشعراء او اجتلب قوله اجتلابــاً ، فقل الجيد منـــه لكثرته وابتذاله . وفي الكتيبة الكامنة مثلاً شعر للصوفية والقراء والفقهاء والخطباء والمدرسين والقضاة فضلاً عن الكتّاب والشعراء ، حتى انــه ليذكر لأحدهم بيتين وينص على أنه لم يعثر له على سواهما ! ويقول ابن خلدون في ترجمته : « ثم أخــذت نفسي بالشعر فانثال عليّ منـــه بحور توسطت بين الاجــادة والقصور [٢] ، وعبارته : « أخذت نفسي » كافية للدلالة ، مع أن شعره بالقياس الى نظم معاصريه ، جيد [٣] .

---

(١) المصدر نفسه ١١٠ / و .

(٢) التعريف بابن خلدون : ٧٥ .

(٣) يعلل ابن خلدون ضعف الملكة – وهـــذا ينطبق على معظم منتحلي الشعر في تلك العصور – بما خدشها من كثرة حفظ الاشعار العلمية والقوانين التأليفية ، وغلبة ذلك على محفوظه من القرآن والحديث وكلام العرب الجيد وشعرهم؛ قال في المقدمة: ذاكرت يوماً صاحبنا لسان =

ويظهر أن الكتّاب هم اكثر الادباء الذين أخـذوا أنفسهم بقول الشعر ، لقرب الفنين بعضهما من بعض وكثرة المناسبات التي يقوم فيها للشعر والشعراء سوق ، كالأعياد والاحتفال بالمولد النبوي والمناسبات السلطانية مما يتعلق بهم شخصياً ، ومما يتعلق بالدولة من فتوح وانتصارات ، وما اكثر مـا نقع على عبارة (الكاتب الشاعر) في كتب لابن الاحمر وابن الخطيب وابن خلدون ؛ والمقري بخاصة .

٣ – أما الشعر فقد كثرت أغراضه حتى شملت كل أغراض النثر، وبخاصة الأغراض العرضية التي تتحدث عن حاجات الانسان اليومية ، وما تقع عليه عينه ، وما يحدث معه من صغير وسخيف . وانتشرت (المقطعات الشعرية) لسهولتها ، والاكتفاء بها للتعبير عن صغائر الامور والحوادث والانفعالات . فنجد شعراً في أوصاف الفاكهة والنبات والحيوان ، وآخر في تقريظ كتاب، أو مرفقاً بهدية صغيرة كالقلم ، أو في تهنئة بإبلال ! ومن ذلك المقطعات التي كانت تدور حول الأحاجي والمعميات والألغاز وما اليها ، فقد أولع بهـا الأدباء والشعراء – الكبار منهم والمغمورون على السواء – وفي ذلـك يقول لسان الدين حين ترجم لشيخه أبي الحسن بن الجياب : « وكان رحمه الله مولعاً بالالغاز يفاكهنا بطرفها أكثر الاوقات ، ويرى أن طريقهـــا في اللغو أسلم

= الدين بن الخطيب ، فقلت له : أجد استصعاباً علي في نظم الشعر متى رمته ، مع بصري به وحفظي للجيد من الكلام من القرآن والحديث وفنون من كلام العرب وإن كان محفوظي قليلاً ، وانما أُتيت ، والله اعلم ، من قبل ما حصل في حفظي من الاشعار العلمية والقوانين التأليفية ، فاني حفظت قصيدتي الشاطبي الكبرى والصغرى في القراءات ، وتدارست كتابي ابن الحاجب في الفقه والاصول ، وجمل الخونجي في المنطق ، وبعض كتـــاب التسهيل ، وكثيراً من قوانين التعليم في المجالس .. فامتلأ محفوظي من ذلك ، وخدش وجه الملكة التي استعددت لهـا بالمحفوظ الجيد من القرآن والحديث وكلام العرب ، فعاق القريحة عن بلوغها . فنظر إلي ساعة معجباً ثم قال : لله انت ! وهل يقول هـذا الا مثلك ؟.. المقدمة – مطبعة التقدم بمصر – طبع مصطفى فهمي الكتبي سنة ١٣٢٢ هـ – ص ٤٨٠ .

الطرقات ، فيشغلنا بحلوائهـا عن أغراض الالسنة وأهوائها .. »[١] . ومهما كان الكسب الاخلاقي من الاشتغال بهـا دون سواها ، فانهـا استنفدت طاقات كثيرة ، ونزلت بالشعر الى مستوى دون ؛ ولم يعد للقصيدة جلالها ، فلستقل عن النثر كما كانت دائماً ، بل صار بعض الكتاب يستخدمون الشعر في عرض الرسالة ، يبدؤون به ، ويزينون ثنايا الرسائل بأبياته . ومن ذلك بعض رسائل لسان الدين وابن جزي المتبادلة[٢] ، ورسائل ابن الاحمر في معظمها ، وغيرهم .

٤ – وتفشى في شعر الاندلسيين والمغاربـة شعر (الإحماض) والغزل بالمذكر تفشياً ملحوظـاً ، ولا ندري أكان ذلك الشعر عن رغبة حقيقية في نشره أم أنه لغو مما يتشدق به العاطلون عن الاشغال . وكان الاحماض وسيلة بعضهم للتشفي والتندر ومركباً للهجاء . ومن ذلك مقطعات لسان الدين في نثير فرائد الجمان التي قالهـا في القاضي النُّباهي الذي لقبه بجُعسوس ، ونال منه نيلاً عظيماً . كما أنه ألف فيه كتابين يخلط فيهما الهجاء بالتندر ويتوصل لذلك بأسلوب ساخر . وكان البلوي ينشد لبعضهم شعراً من هـذا النمط في رحلته[٣] . كما أن ابن الاحمر أورد نماذج في كتابيه نثير الجمـان ، ونثير فرائد الجمـان ، كشعر اسماعيل بن فرج في شاعره ابن الدباغ[٤] ؛ وابن شاطر الجمحي[٥] ومحمـد الكومي ، والعزفي[٦] ، والبوخلفي ، وابن داود

---

(١) الكتيبة الكامنة ص ١٩٨ .
(٢) نثير فرائد الجمان ٤٠ / و ، ٤٨ / ظ .
(٣) رحلة البلوي « تاج المفرق في تحلية علماء المشرق » لأبي البقاء خالد بن عيسى البلوي : ١١ / ظ – مخطوطة دار الكتب (جغرافية ٤٠٠) .
(٤) نثير الجمان ٢١ / و .
(٥) المصدر نفسه ١١٧ / و .
(٦) المصدر نفسه ٢٣ / ظ .

الصنهاجي[1] . وذكر ابن الاحمر حلقة شيخه منديل (محمد بن محمد بن داود الصنهاجي) فقـــال : « وكان يحضر في جملتنا شاب وسيم من أبناء مرين وهو ... وكان شيخنا منديل هذا يميل اليه ويظهر أنه خليٌّ من حبه فكتبت له بقولي .. (شعر) » ؛ وبعث له ابن عمنـا الرئيس اسماعيل سميي معرضاً بذلك الوسيم بقوله :

أأبا المكارم ذا الاحاجي والحِجَى ... وابن الجهابذ جـلة النـُّقّاذِ
لا أعتبنْ على الصبابةِ بعد أن ... َفتَكت ُظبا الالحاظ في افلاذي
والقيت من (عمر) الذي لاقيته ... ولطالما اكثرتُ منـــه عياذي
اوما اليَّ بمقـلةٍ ربيبـــةٍ ... قد َعزّني وزري لهـــا وملاذي
فرجعتُ عن دين الملام لأجلها ... وعجبت كيفَ َتصبُّرُ الأستاذِ ![2]

حتى ان ابن الاحمر استفق شيخه أبا القـــاسم البرجي في الاخـذ عن شيوخ ثقـــات – وهو يعنيه – لكنهم شغلوا أنفسهم بأمور تقـدح « كان ينفق وقته في مدح الخلان ، والتغزل في مدح غلمان فـلان وفلان فتقوَّل فيه بعد التسويد ، وحذف ذكره من ارباب التدريس والتجويد[3] » ..

٥ – ونجد في هـــذا العصر عدداً من الوشاحين والزجالين ، أذاعوا موشحاتهم وأزجالهم وطرقوا فيها موضوعات مختلفة ، ولا شك في أنهـــا اتخـذت مكانها من الغناء وبخاصة في غرناطة فقد كان « الغناء بمدينتهم فاشياً حتى بالدكاكين التي تجمع كثيراً من الاحداث[4] » ، وان كنا لا نقـــع على

---

(١) المصدر نفسه ١١٥ / و .
(٢) نثير الجمان ١١٦ / و .
(٣) مستودع العلامة : ٦٠ .
(٤) اللمحة البدرية : ٢٨ .

اخبار مفصلة عن هذه الناحية . ومن اشهر الوشاحين لسان الدين بن الخطيب وابن زمرك ، ويظهر أن اقبال الناس على فن الموشح كان قليلاً ممـــا جعل لسان الدين يقول في مقدمة احـدى موشحاته : « ومن الموشحات التي انفرد باختراعها الاندلسيون وطمس اليوم رسمها قولي [1] ... » والحق أن مقـالة لسان الدين مبالغ فيها. وقد اورد ابن الاحمر بعض الموشحات في نثير الجمان.

أما الزجل «فقد أقبل عليه من أهل العلم والمعرفة نفر مثل ابن عبدالعظيم الوادي آشي وابن زمرك الذي اشتهر بصبحياته (وهي في الموشحات)، وابن الخطيب ، بل ان ابن خلدون يذكر أنه عندما زار غرناطة وجد (الزجل) الفن الشعري السائـد هناك [2] .. » وذكر ابن الاحمر أن تلميذه ومعاصره (شهبون) برع في فن الزجل ولكنه لم يذكر له نماذج منه ، ولا لغيره .

٦ — ومن أهم الأغراض الشعرية التي سادت : « الشعر الديني » ونميز من الشعر الديني أنواعاً أربعة . (١ً) شعر التصوف والمتصوفة . (٢ً) وما يصدر عن الشاعر فيحال التوبة والانابة الى الله مما يدخل في باب الزهد.(٣ً) وشعر التوسل الخالص ومديح الرسول ﷺ . (٤ً) والشعر الذي كان يقال في « المولد النبوي » مما كان يطلق عليه اسم المولديات او العيديات .

(١ً) والذين كتبوا في التصوف كثيرون منهم لسان الدين صاحب (التعريف بالحب الشريف) وفي رحلة البلوى [3]، والكتيبة الكامنة وأزهار الرياض والنفح قصائد كثيرة في هذا الغرض ، وقـــد افرد لسان الدين باب الكتيبة الاول « للخطباء والفصحاء والصوفية والصلحاء »، وقال عن شعرهم:

---

(١) الاحاطة ، مخطوطة دار الكتب رقم ٥٥١٩ ادب .

(٢) تاريخ الفكر الاندلسي : ١٦١ .

(٣) رحلة البلوي من الورقة ١٧٤ — ١٧٨ .

« هذه الطبقة أهلها اعلام سراوة ومجادة، وفرسان مرقى وسجادة ، وليسوا بحجة في اجادة ، إلا من جري منهم مجرى افادة في وفادة [1] » . (٢) ولا نجد شاعراً اكثر من شعر الزهد والتوبة ، ولكننا نقع على نماذج كثيرة من هذا النوع كما في الكتيبة لمحمد بن احمد بن جزي ، والسّكوني، والمقرىء ابن بقي، وأبي جعفر المعافري وأبي عبدالله المالقّي،وفي الاحاطة [2] لأبي البركات البلفيقي والمقري الجد، وابن منظور القيسي وسواهم ، وهو في جملته يتحدث عن هفوات النفس والاعتذار عن الذنب والتوبة الى الله والعفاف عن الدنيا.. (٣) ونجـــد قصائد ومقطعات كثيرة قيلت في مدح الرسول ﷺ وذكر مآثره ، والتوسل بـه وكنا قد ذكرنا أن بعض الكتاب كان ينشىء رسائل الى المقام النبوي الشريف ؛ فالدافع الديني والباعث الوجداني واحد في كليهما ولكن الكُتّاب انفردوا بارسال تلك الرسائل عن سلاطينهم في الغالب . ونجد أمثلة في الاحاطة ورحـلة البلوى [3] ، والكتيبة الكامنة [4] ، ونثير الجمان [5] . وقدم المقري لقصيدة من شعر ابن العزفي فقال (.. أشار الى جملة من مناقبه الربانية ، ومآثره العرفانية ، وآياتـــه الباهرة ، ومعجزاته الظاهرة ﷺ وشرف وكرم ...)[6] كما انهم استخدموا الموشحات في هــذا الفن [7] . (٤) وأشهر أنواع الشعر الديني وأكثرها ذيوعـاً هو (المولديات) أو (العيديات)، وهي قصائد دينية مخصوصة بمناسبة معينة ، وهي الاحتفال بيوم المولد النبوي الشريف . وشاع هذا الاحتفال في دول المغرب كلهـا وفي

---

(١) الكتيبة الكامنة : ٣١ ، وانظر ص ٤٦ ، ٦١ ، ٩٥ ، ١٠٨ ، ٢١١ .
(٢) الاحاطة : ٢/١٠٧ ، ٢/١٣٧ ، ٢/٢٤٢ .
(٣) ١٥١ / و .
(٤) ١٣٥ ، ١٦٥ .
(٥) ٥٢ / و ، ١٠٢ / و .
(٦) ازهار الرياض ٢ / ٣٨٣ .
(٧) المصدر نفسه ٢ / ٢٣٠ وما بعدها .

الاندلس ، وصار موسماً دينياً تقـام فيه المآدب والحفلات ، ويتلى القرآن الكريم ، وتلقى بين يدي السلطان قصائد في مدح النبي عليه الصلاة والسلام، مختومة بمديحه، وربما توصل الشاعر الى ذكر مأرب في نفسه لدى السلطان[1]. وكان الاحتفال يتضمن إنشاد بعض الأبيات الشمرية تغنياً وتطريباً ، وينقل المقري في النفح : « ... وبعقب ذلك يحتفل المسمعون بأمداح المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ومكفّـرات ترغّب في الاقلاع عن الآثام ، يخرجون فيهـا من فن الى فن ومن اسلوب الى اسلوب، ويأتون من ذلك بما تطرب له النفوس وترتاح الى سماعه القلوب[2].. » وعلى رأس كل ساعة من ساعات ليلة الاحتفال تلقى بين يدي السلطان أبيـات صيغت على لسان تلك الساعـة ، وهـذه المولديات مبثوثة بكثرة في آثار العصر الادبية والتاريخية ، وفي نثير الجمـان ونثير فرائد الجمان نماذج كثيرة، ومنها قصائد أنشدها ابن الاحمر سنعرض لها.

٧ - وبالرغم من أن الوهج الفكري والادبي في المغرب والاندلس كان أشد تألقاً والتماعاً ، فإن المشرق بتالده وطريفه ظل معينـاً وشمساً يقتبسون منه ، ويتغنون به . وفي الكتيبة قال لسان الدين في ترجمـة شيخه يحيى بن هذيل التجيبي : « وتذاكرنا يومـاً أساليب الشعراء ، وأفضنا في ذكر ابن هانىء « الحكمي أبي نواس » فنظم لي في طريقتـه هـذه الابيات مساجلاً لمثلها ، مما ثبت في موضعها من شعره : « وهي » :

طرقنا دُيور القوم وهنـاً وتغليسا
وقد شرّفوا الناسوت إذ عبدوا عيسى[3]

---

(١) نفح الطيب ٨ / ٢٢١ .

(٢) المصدر نفسه ٩ / ٢١٥ .

(٣) ورد النص في الكتيبة الكامنة : لابن الخطيب في ترجمة محمد بن احمد اللخمي الطرسوني خطأ ، وقد علقت على هذا في ترجمة يحيى بن هذيل في نثير فرائد الجمان ، انظر الورقة ٥٦/و، وانظر الكتيبة الكامنة ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، ص ٧٩ .

وفي أزهار الرياض « قال الحافظ أبو عبدالله التنسي رحمه الله ورضي عنه: حذا ابن الخطيب في هذه السينية التي مطلعها :

أطلعن من سدف الفروع شُموسا   ضحك الظلام لها وكان عَبوسا

حذو أبي تمام في قصيدته التي أولها :

أقشيبَ ربعهم أراك دَريسا   تقري ضُيوفك لوعة ورَسيسا »

وقال في الاحاطة في ترجمة المقري الجد ، بعد أن أورد أبياتاً له « فقلت ذلك من قوله هذه لحة العارض لتكملة الفية ابن الفارض سلب الدهر من فوائدها مائة وسبعين فاستعنت على ردها بحول الله المعين ». وفي نثير الجمان، في ترجمة الكاتب احمد بن ابراهيم بن صفوان : « فمن قوله يعارض قصيدة الامام الصوفي ابي القاسم عمر بن الفارض الفائية :

ببهاء عزّك عند ذلة موقفي   عطفاً على مسترحم مستعطفِ[1] »

وفي نيل الابتهاج ان خالد بن عيسى البلوي صاحب الرحلة كان « يتشبه بالمشارقة شكلاً ولساناً[2] » . وقال ابن حجة الحموي في تأهيل الغريب : « قرأ ابو البقاء خالد الاندلسي – يعني البلوي – اكثر هذه النبذة من شعري[3] » . وقد نقل البلوي كثيراً من شعر المشارقة في رحلته وأخذ عن كثير . وفي نثير الجمان أن شيخ ابن الاحمر الفقيه الخطيب فرج بن قاسم ابن لب التغلبي أنشده لنفسه يمدح رسول الله ﷺ :

اذا البرق ثار أثار ادّكاراً   لقلبي وأذكى عليه أوارا .. الخ

---

(١) نثير الجمان ٣٨ / و .
(٢) نيل الابتهاج : ١١٥ .
(٣) تأهيل الغريب لتقي الدين بن حجة الحموي : مخطوطة دار الكتب (رقم ٥٥١ ادب) ص ٣٤٤ .

ثم قال : أخبرني شيخنا ابو سعيد هذا أنه عارض بقصيدته هـذه قصيدة الفقيه الامام القـاضي الرئيس شهاب الدين ابي الثناء محمود بن سليمان بن قيس الحلبي صاحب ديوان الانشاء بالشام وهي :

وصلنـا السُّرى وهجرنا الديارا وجئناك نطوي اليك القفـارا

وهذه القصيدة نظمها ابو الثناء بالحجاز الشريف في طريق المدينة، شرّفها الله وعلى ساكنها السلام[1] .. وفي ترجمة محمد بن ابي القاسم بن احمد بن جُزّي في الكتيبة : « ومن الغراميات التي سلك فيها مسلك قيس ليلى :

متى يتـلاقى شائقٌ ومَشوق ويصبح عاني الحب وهو طليق[2] »

٨ — واستمر ولع الاندلسيين بشعر الطبيعة ووصف الرياض والمتنزهات، ومن أشهر هؤلاء ابن زمرك وابن خاتمة الانصاري الذي ينقل لسان الدين من « روضياته »[3] وابراهيم بن محمـد الساحلي وسواهم، كما أن لسان الدين سخّر الشعر في النظم التعليمي، فأنشأ « رقم الحلل في نظم الدول » وهو ملخص تاريخي شعري عاد عليه بشرح سريع .

٢ — أغراضه الشعرية :

اذا تركنا بعض مقطعات ابن الاحمر الغزليـة، وجدنا أن جل شعره، أو كله، انما هو شعر مناسبات، فأكثر مـا لدينا من قصائده من المديح، وأقله في الرثاء والغزل وبعض الاغراض الاخوانية .

(١) نثير الجمان ٥٢ / و — ظ .

(٢) الكتيبة الكامنة : ٢٢٥ .

(٣) الكتيبة الكامنة : ٢٤١ .

المديح : كان ابن الاحمر لاجئاً في بني مرين ، وعمر طويلاً ، فقضى أكثر من ستين عاماً في كنفهم ؛ وتقلب على حكم المغرب في هـذه المدة سبعة عشر سلطاناً بين رجـل ويافع وغلام . وبدأ نفوذ السلاطين بالضعف منذ أوائل نصف القرن الثاني ، أمـا الوزراء والكتاب والحجاب ، فاق بعضهم كان يدين بالفضل لبني نصر في توليتـه ؛ وكان على ابن الاحمر ان يظل على صلة بالقصر المريني ليضمن لنفسه مورد رزق ، وأن يكون في الوقت نفسه حذراً لكثرة ما يعتري الجو السياسي من تقلبات مفاجئة . وقد وصلتنا من أماديحه قصيدة في روضة النسرين وقصيدتان في مستودع العلامة وقصيدتان في نثير الجمان ، وأربع قصائد في فرائد الجمـان ، عدا بعض المقطعات ، وما ورد من مديح في بعض المولديات، وقد مدح (الغني بالله) النصري[1] ، وأبا سعيد عثمان المريني [2] ، وأبا عامر عبد الله المريني [3] من السلاطين ، ويحيى ابن الحسين بن أبي دلامة الكاتب ، وأحمد بن علي القبائلي الحاجب وابنـه عبد الرحمن ، وابن البغلة الاموي الكاتب وسواهم .

والمعاني التي يسبغها على ممدوحـه مطروقة وشائعة ، فهو يمدح الملوك بسيادتهم على من سواهم وحماية الاسلام وتغلبهم على النصارى ، والشجاعـة والاقدام، كما يُثني عليهم لتطبيق أحكام الشريعة،وقمع الضلال والفساد، وبذل المال وإجابة الطلبات وتيسير العسير . ومن مدحه للغني بالله [4] :

ألا يا عُفاة الارض طُرّاً تبادروا ... الى جُود ملك فضله عمر الدنيا
هو الفذّ في الأملاك طراً لأنه ... أجلّهُم قـدراً وأحسنهم هديا

---

(١) نثير الجمان ٢٢ / ظ .
(٢) روضة النسرين : ٤١ .
(٣) نثير فرائد الجمان ٩٤ / و .
(٤) نثير الجمان ٢٣ / و .

هُمامٌ اذا ما الرّوع عبّ عبابه ... وأبدى عليه النقع من نسجه زيا
ولاحت بروق الهند وامتلأ الفضا ... بصلصال رعد الطبل،أعظم به شيا
أراك مُحيا تالياً سورة الضحى ... وقلباً على الاعداء قد ركب البغيا
تعزز منه الدين لما أقامه ... ولم يشك منه الملك وهناً ولا وهيا
أفاض على العافين طراً مواهباً ... بأفضاله وعداً لهم منه مأتيا
حلفت يميناً بَرّة ليس في الدنا ... مليك سواه للمعالي سعى سعيا (١)

ونجد أن ابن الاحمر يؤكد في قصائده هذه فكرة المدح بالكرم والبذل ، ويكرره حتى في القصيدة الواحدة ويولد من هذه الفكرة صوراً مختلفة تقع من نفس السامع ، وتصرح عما في نفس القائل ، فقد كان غرضه الأول من المدائح : التكسب او التمهيد لذلك التكسب بشفاعة شفيع ، ومن قصيدة رفعها لأحمد بن علي القبائلي :

سل عنه ماء السما لما تورّد من ... نعمائه الخد اذ تهمي سحائبه
ضحاكه الجود والعباس سطوته ... اذا يقام بأمر الله واجبه
أعيا بسحب ذيول الجود سابغها ... فكيف تُدرك في العليا ذوائبه
جفن التُّقى منه مكحول بإثمده ... ومذهب العِلم زانته مذاهبه
وفي الحساب أرى الاحصاء منعدد ... عنه تقاصر مُحصيه وحاسبه
كأن ما ملكت يمناه من كرم ... جُود به أنهب الاحسان ناهبه
زمانه بالندى يثني عليه كما ... تُثني على هذه الدنيا حقائبه
يا مُخجل الديمة الهطلاء من كرم ... عمّ البرية اذ أبداه واهبُه (٢)

---

(١) هذه القصيدة تشبه في الوزن والقافية والغرض، قصيدة لأبي الحسن بن الجياب، مطلعها:
أبى الله الا ان تكون اليد العليا ... لأندلس من غير شرط ولا ثنيا
انظر نفح الطيب : ٧ / ٣٧٧ .
(٢) نثير فرائد الجمان ٩٩ / ظ .

وقصائد المديح عنده قد تقتصر على هذا الغرض ، وقد تبدأ بالمطلع الغزلي ، وقد يأتي المديح في ذيل قصيدة مولدية . وفي شعره بعض القصائد بعثها الى معاصريه من أمراء وشيوخ في اغراض اخوانية ، وكانت تتضمن أحياناً « مديحاً » يسبغ فيه على المخاطب ما يسبغه على ممدوحيه من صفات ونعوت إلا أنه يختمه بالغرض من الرسالة ، كأن يبعث له بشعر يضعه في كتاب ، او أن يجيزه مروياته من الآثار . كقصيدته الى محمد بن ابي سرحان العبد الوادي :

قرت بفضلك ألسُن الاعداء   يا ابن الملوك ذوي التقى الفضلاء
انت الذي حزت الشجاعة والندى   وُعلاك اربى َفوق كل عَلاء
ابشر فقد لاحت طلائع ُملكِكم   واهناً بُملك شامخ وبقاء ..

الى أن يقول :

ابعث اليّ قريضك الحلو الذي   حاكى رياض الحزن ِغبّ سماء (١)

وقد تقتصر المقطوعة على رجاء واستغاثة صارخين ، مع مديح وثناء في أبيات قليلة ، فكأن الشاعر لا صبر له على حوك قصيدة طويلة ، يخلص منها الى غرضه ، كما في أبياته الثلاثة التي رفعها الى ابن البغلة الاموي الكاتب ثم رفعها الى ابن ابي دلامة ، والتي اولها :

أيحيى ميّتُ الأحياء يرجو   كلاَمك للوزير بغيرِ رَيْثِ

وكل الذين مدحهم ابن الاحمر كانوا في فاس حين مدحهم ، إلا أننا لا ندري متى رفع مدائحه في الغني بالله اليه ، أحين كان لاجئاً في بني مرين ما بين (٧٦١ – ٧٦٣) ام انه بعث بها اليه في غرناطة؟ وهو – على كل حال– لا يفصح لنا عن هذا الوجه ، ولا يشير اليه . وقد كرر في مدائحه في الغني بالله الأوصاف بالكرم والعطاء . وفيه يقول :

---

(١) نثير الجمان ٣٢ / ظ .

كفيلٌ بتيسير الامـاني وضامن عن الدهر ألاّ يمنع السائلَ الرّعيا

وفي اخرى :

لكنني آوي الى حَرمِ الذي مـا إن له في المالكين عَديل
أعطى اميرُ المسلمين ، وقد سطا بالمعتدين ، ووعـده مفعول [1]

ويبدو ان ابن الاحمر جمع في قصائده هذه بين توثيق الصلة بسلطان الاندلس ، وبين الافادة من مواهبه وأعطياته . وتدل هذه الابيات وتمامها أن الغني بالله كان حين انشأ قصائده هذه على عرش ملكه ، من غرناطة . وهذه القصائد كلها توحي بأن ابن الاحمر أنشأها لغايات يريد ان يصل اليها ، فجاء تعبيره عنهـا مصنوعاً ، وجاءت أوصافه مستعارة ، مما يمتلىء به الشعر العربي ، وكانت نفسه لا تطل بصدقها وصراحتها ، الا في بعض اللمحات ، حين مدح ابن عمه ، وما ذلك الا لصلة القربى .

الغزل : لابن الاحمر مذهب في مـا يجوز من الشعر ومـا لا يجوز ، يتبع فيه نفراً من الفقهاء سنعرض له في الفقرة القادمة ؛ ولكننا نشير الى انه يبيح « الغزل بغير معين » . وقد سار في غزله على هذا المنهج . ونحن نجد له نوعين من الغزل : الاول ما بدأ به بعض مطولاته من قصائد المديح ، والثاني قصائد ومقطعات في غرض الغزل دون سواه . وفي رسالة بعثها الى الشريف الغرناطي أبيات غزلية تندرج أبياتها في غرض الرسالة كالتضمين . واتفق أن القصائد الغزلية الخالصة وردت في نثير الجمان المتقدم تأليفه على الكتب الثلاثة الاخرى ، وهي التي تحوي المطالع الغزليـــة في القصائد المطولة . ونلاحظ أن القصائد الخالصة هذه أصدق شعوراً ، وأكثر حرارة ، وأبعـد عن التكلف ، ومن لهجة الفقهاء ، بل انها ترتفع احياناً الى مستوى رفيع من شعر الغزل في القرن الثامن . وهذه قصيدة غزلية مفردة :

---

(١) المصدر نفسه : ٢٣ — ٢٤ .

سهرتُ فيمن جفنُه نائمُ وذُبتُ فيمن جسمه ناعمُ
ظبيٌ ظُبى عينيه فعّالةٌ بالقلب ما لا يفعل الصارم
يستلُّ من مقلته صارماً للصبر مني أبداً صارم
ينشأ عن عينيه سكر الهوى فكلُّنا من ثَمِلٍ هائم
يهزأ بي كأنه جاهل بما ألاقي ، وهو العالم
شكوت ما بي من [جوى] حبه من وَلَهٍ لعله راحم
فظلّ والجسم غدا ناحلا ودمعُ عيني أبداً ساجم
يضحك في الحب وأبكي أنا الله فيما بيننا حاكم[1] !

وعلى الرغم من الصنعة التي تنتظم الأبيات ، فاننا نلمح عاطفة جياشة ، ضاعت في الأبيات بين الظبا والصارم ، وكاد الذهن يلتفت الى الطباق والجناس ، إلا أن النغمة الموسيقية جذبت الانتباه وردّت الى القصيدة بعض رونقها وجمالها ، غير أن الشاعر لم يستطع ان يفصح عما لقيه من معذبه إلا بهذا الاستسلام ، بعد ان أخفق في التوفيق بين الضحك والبكاء ، فقال : « الله فيما بيننا حاكم ! » وستظل الصنعة الاسلوبية تلاحقه في كل أبياته المبنية أصلاً لهذا الغرض ، كقوله من أبيات :

خذوا مهجتي بالرفق أهلَ مودتي وليس من الانصاف أن أسألَ الرّفقا
أنا المُغرم المُضنى بحب جمالكم فرِقّوا لملهوف غدا لكمُ رِقّا[2]

فقد كان يغرى بالزخرف اللفظي ، فيفتن عما هو فيه من شعور وحس ، فاذا بالفكرة تشحب واذا بالعاطفة تخبو ، وتغدو القطعة الفنية الحية ، جماداً لا يرى القارىء فيه روحاً نابضة ، أو لا يكاد يفعل .

(١) نثير الجمان ٢٣ / ظ .
(٢) نثير الجمان ٢٩ / و .

وأما المطالع الغزلية ، فان ما لدينا منها ، وصلنـا والمؤلف كهل أو في أرذل العمر ، ففي روضة النسرين مثلاً قصيدة في مدح أبي سعيد عـثمان المريني ، صاغها سنة ٨٠٧ ، وسمعه أحوج الى ترجمان ! ومن مطلعها :

جَهِل الرقيبُ فؤادي المجروحا   فأراه خَدّي سطرَه المَشروحا
وعواذلي عجبوا لمـا قد عايَنوا   من جمعيَ التلويحَ والتصريحـا
كَتم الهوى صدري وصرح مدمعي   فاستغربوا التقييد والتسريحا [1]

وتمضي الابيات على هذا النسق الرتيب المتكلف . وهو في قصيدة اخرى يتغزل بـ (ليلى) ولكننا من قراءة تلك الابيات ندرك أنها ليلى الشعراء ، لا ليلى الشاعر ؛ ومن مذهبه ألا يتغزل بمعيّن !. ومنها :

أيا سرحة الوادي نـداءٌ مؤكد   فهل عَطفة للنفس ممن يُجيبُهـا
ضمِنت على قلبي تَوقُّدَ وَقدِه   اذا ما جفوني يُستفاض غَروبها
ويسلمَنجدُ النجديَّ وجدي فينثني   بنيرانِ حُبٍّ ليس يُطفا لهيبها
وبين المغاني من أغـاني صبابتي   تردّدُ أنواع الهوى وضروبها [2]

وهو يكثر من ذكر أسماء العشاق والشعراء الغزلين المشهورين في التاريخ العربي ، وذكر المعاهد التي وردت في أشعارهم وأخبارهم :

وأبكيت غيلان الطلول وان بكى   بمـا اعجز البـاكين حين خطوبها

وما هفا البرق نجديٌّ الوميض له   الا وذكّرَ من حب حبائبَه
وان للبان فيـه من لبانته   وجدٌ جديد (فما) تبلى مساربُه
حيًّا الحيا من عهود الرمل معهد من   يجدد الشوق والذكرى ملاعبـه

(١) روضة النسرين : ٤١ .
(٢) نثير فرائد الجمان ٩٧ / و .

اسكتُ قيساً ، وقيساً في الهيام به | والوجـد غالبني إذ لا أغالبه
له في ُابانات التتيم آمــال بأسما ، وأثواب التصبُّر أسمال

فهو يحشر هذه الاسماء والاعلام حشراً ، يكني بها ، ويحاول أن يمد تلك الأنفاس الغزلة بعون « روحي » مستمد من أسماء تعيـــد الى القارىء ذكريات كثيرة تنقله الى الجو الذي يريـده الشاعر . وهو يرصف الاوصاف والمعاني الغزلية رصفاً بغير موازنة او عناية او شعور صحيح بالجمال ، ومـا عليه حال المحب من صفة او حال ، فإذا انضاف التعقيـد اللغوي والشعبذة اللفظيـــة شحبت الصورة الشعرية الجميلة حتى كادت تغدو شيئاً مضحكاً لا وصفاً ساحراً يجذب النفس والاذن ويسبح بالخيال ، قال :

ولا كالتي تامت بوصفي شعرها | وأردافها ترتجُ إذ هي تنهال

والشطر الثاني أجدر أن يكون في وصف زلزلة أرضية .

والمعاني الغزلية فيشعره مألوفة معروفة منوصف لحاله بعد الحبوالحرمان ووصف نفسه المغمومة وقلبه الكليم،واستدعاء الطيف ومحادثة النسيم ومناجاة القمر والنجوم . غير أنـــه في المطالع الغزليـة يستعين بعبارات ومسميات تاريخية يتوكأ عليها لإسعاف عاطفته الخافتة .

ولابن الاحمر بعض مقطعات ، كأنه وضعها لغرض بلاغي ، فانه يقـدم لها بمثل « وقلت في التجنيس » « وقلت في التكرار من علم البديع » .. الخ ومنها « وقلت في التكرار من علم البديع » :

هيـامي والغرام بكم وشوقي | عذاب في عـذاب في عذاب
وقربي والتعطف والتداني | صواب في صواب في صواب
وطردي والقطيعة والتنائي | عقاب في عقاب في عقاب (١)

---

(١) نثير فرائد الجمان ١٠٤ / ظ .

وجدير بمثل هذه الابيات المنظومة أن يفرد لها باب في الاغراض البلاغية.

وإذا كان من كلمة في ختام الحديث عن غزل ابن الاحمر ، فهي اننا وقعنا على نوعين في هذا الفن : شعر غزلي مقصود لذاته وهو حسن ، يعبر عما في نفس الشاعر ، ويفصح عن لمحات شاعرية جيدة ، وآخر بُدئت به بعض القصائد ، وهو شعر متكلف مصنوع .

الشعر الديني : كان ابن الاحمر فقيهاً معنياً بعلوم الشريعة ، مهتماً بأصولها ووقائعها ، وكان سلوكه – كما يبدو – سلوك رجل متدين ورع . ولهذا فاننا نعثر له على أبيات مبعثرة في كتبه ، فيها معاني الخوف من الله تعالى والإنابة اليه . وقد بعث بأبيات ثلاثة الى شيخه الونشريسي وهي :

يا أوحد الفقهـــاء والكـُبراء   وأخي التقى والفضل والعلياء
قل لي وقاك الله كل مَساءة   وحباك كل مسرّة وبهـــاء
كيف الخلاص من الهوى وأنا له   تَبَعٌ مدى الإصباح والامساء(١)

ونقع على « مولديتين » رفعها في عام تسعة وتسعين وسبعمائة ، احداهما الى السلطان ابي عامر عبدالله ، والثـانية الى حاجبه احمد بن علي القبائلي . ومما يؤسف له أن القصيدتين متداخلتان لجهل الناسخ ، ولعله نقل عن مخطوطة اضطربت بعض صفحاتها ، فتقدمت ورقة عن مكانهـا ، وتأخرت اخرى ، وربما أكد هـذا الظن أن الأبيات المنقولة من القصيدة الاولى الى الثـــانية – وبالعكس – تملأ ورقة واحدة (وجهاً وظهراً) من أوراق المخطوطة التي بين أيدينا .

وعلى كل حال ، فان المولدية عنـده تتألف من ثلاثة مقاطع : مطلع غزلي تقليدي ، ومديح للرسول عليه الصلاة والسلام وذكر بعض مناقبه والحوادث

---

(١) نثير الجمان ١٠٠ / ظ .

على أيامه ، ثم مدح للسلطان او الوزير المرفوعة اليه. ويهمنا هنا القسم المتعلق بالمديح النبوي ، فانه المقصود بالحديث ، والمقصود بالمولدية أصلاً ، فماذا نجد فيها من المعاني والأفكار ؟ انه يتحدث عن معجزات النبي الكريم ويعددها بيتاً بعد بيت ، حتى يكاد الشعر يستحيل الى نثر او يغدو من النظم التاريخي:

اذا ما عصا موسى أُعيدت ، يقودها له حية تسعى وخِيف مُصيبها
ففي الماء لما من أصابعه انهمى لَمعجزةٌ ما في البرايا ضريبها
وفي النهر لما جازه ومياهه به الارض يروى حزنها وسهوبها
فلم تندَ أخفاف المطي بمائه وأمواهه ما خيف منها رسوبها

ويستمر على هذه الحال من ذكر معجزاته ومناقبه كانشقاق القمر ، وحلاوة الماء المالح ، وذكر الغزالة ، والشاة المسمومة ، ورد الكف المقطوعة والعين المطعونة ، وسوى ذلك ، ثم ينتقل الى أبيات رقيقة العاطفة شفافة النجوى :

اليك رسول الله نيران لوعتي فها هو شوقي الخارجي شبيبها
هي النفس في آمال زورك سؤلها ورغبتها في أن يتاح رغيبها

وهو يكرر في القصيدة الثانية بعض ما جاء في الاولى من المعاني ، ويسير على نهجها فيما جدّد ، ثم يذكر فضل محمد على الناس ، وما أفاض الاسلام عليهم من نور الهداية . وبالرغم مما نقع عليه من انفعال الشاعر وتأثره ، ومحاولته السمو بنفسه الى جو ايماني رفيع فاننا نرى ان الشاعر يتكلف اكثر مما يتعاطف ، وانه قصر في هذا الموضوع عن كثير ممن تعرضوا له وضربوا فيه بسهم. ونتذكر هنا الحكم الشامل الذي أعلنه « بالنثيا » في تاريخ الفكر الاندلسي « أما شعرهم الديني فتنقصه حرارة العاطفة ، وهم ينتقلون فيه من الوعظ المبتذل الى وجد الصوفية او الثيوصوفية دون تدرج او تمهيد » ثم قال بعد قليل « وكان لهم الى جانب ذلك شعر زهدي عامر بالتقى العميق

والشوق الى الله [1] » والحق ان العاطفة المشبوبة الحرارة ، شاحبة عند ابن الأحمر .

الاخوانيات : هذا العنوان شامل وغير دقيق ، ولكنني لجأت اليه لأجمع تحته ما بين يديّ من مقطعات في اغراض مختلفة بعثها الى شيوخه وأصدقائه وأقاربه ، وهي في العتاب او الاجابة عن كتاب ، او المواساة ، او طلب نماذج شعرية ، او استفتاء بعض شيوخه ، او المداعبة او ما شابه ذلك . وكثير من هذه المقطعات تحل محل الرسالة النثرية ، وهي بها من حيث الاسلوب أشبه . قال في مقدمة رسالة جوابية الى الشريف الغرناطي « السبتي » :

حَبوتَ جنابي يا سليلَ محمد بعذراء ما أسنى سناها وأعجَبا
بدت شمسُها في حالةِ الشمس مثلما تَضوَّع رياها من المسك أطيبا
فلا زلتَ تُسديها على الخلق نعمة ولا زِلتَ تسمُو في الفضائل منصبا [2]

وسبب تبادل الرسالتين ان الشريف طلب من ابن الاحمر رسالة لسان الدين عن سلطانه الاندلسي الى سلطان تونس ، فأخطأ في نقل كلمة ، ونبهه الشريف برسالة،واعتذر هذا برسالة ! وقال من أبيات يعرض بانشغال استاذه منديل بن آجروم بغلام :

من مبلغ الاستاذ عنا انه شغل الخواطر والنواظر سهدا
جئنا لنقتبس الهدى من نوره لما أضاء بقطرنا وتوقّدا
فإذا به والله يجزل اجره يجلو فتون السحر في بيت الهدى [3]

وهذه المقطعات منتشرة في كتبه ، وفي ثنايا رسائله ، وهي في الغالب

---

(١) تاريخ الفكر الاندلسي : ٤٦ .
(٢) نثير الجمان ٢٤ / ظ .
(٣) نثير الجمان ١١٥ / ظ .

لا ترتفع الى مستوى جيد بل انها تقترب من النثر .

٣ - خصائص شعره :

عالج ابن الاحمر فيما بين أيدينا من شعره موضوعات قليلة ، وهو فيما عالج يصـــدر عن شعر مناسبات ، اكثر من صدوره عن نفس شاعرية تسجل نفثاتها ، فقد ركب الشعر فمدح بعض السلاطين وبعض الحُجاب والكتّاب ، ليفيد مغنماً دنيوياً ، ولعله لم يفعل ذلك إلا لإعساره فان لهجته تدل على حاجة الى المساعدة ، خاصة وأنه يعيش أصلاً على المعونة المرينية ، وربمـــا كانت تلك المعونة شبيهة بمعونة أبيه التي قال فيها لسان الدين : « وأمـــا يوسف منهم « والد المؤلف » فهو الآن قد أسن بالمغرب تحت علالة جراية.. » وفي مدحه أثر من آثار نفسه المتعاليـة ، فانـه لم يقل كأستاذه فرج بن لب التغلبي شعراً في بعض مماليك السلطان يسترفده [١] ! ولا شك في أن لابن الأحمر آثاراً شعرية اخرى ، لم تصلنا ويبدو أن له نظماً تاريخياً شبيهـاً برقم الحلل لابن الخطيب كما قال في نيل الابتهاج ، وهذا يؤكد مـا نلمحه في شعره من أنه شعر « منظوم » في الغالب يفتقر في معظمه الى اللمحة الشعرية ، ولعله فعل كما فعل ابن خلدون فأخذ نفسه بقول الشعر أخذاً . كان ابن الاحمر يرى – كما سنفصل في البحث القادم – ان الشاعر المقدم عنــده هو الذي يتقن صناعة « البديع » و « علم البيان » بشكل خاص[٢] ، وأنه لا يكون مجيداً بدونهما بحـــال . وجرى في شعره في اطار هذا الرأي الذي رسمه . فشغل بأصناف البديع المختلفة وبخاصة الطباق والجناس . فمن الجناس :

أكاتبكم يا أهل ودي وبيننـــا   كما حكم البين المُشِتّ فراسخ
فأمـــا منامي فهو عني مشرَّدٌ   وأما الذي بالقلب منكم فراسخ !

---

(١) الكتيبة الكامنة : ٩٩ .
(٢) نثير الجمان ١٤ / و – ظ .

وهو لا يعفي أبيات الغزل من ذلك :

أنا المغرم المضنى بحب جمالكم فرقّوا للمهوف غدا لكم رقّا

ومن مطلع قصيدة اخرى :

من وقفةِ الحي رابته رباربه وفي مساربه ساغت مشاربه
وساقه من وسام الدهر سائقُه الى التلتُّم إذ قادته كاعبُه
وما هفا البرق نجديّ الوميض له الا وذكّر من حب حبائبه

ومن الطباق : من قصيدة غزلية :

أي شوق أي وجد فضح السر المصونا
كلما رُمنا بعاداً منك أدنيتَ الشجونا

وفي أخرى :

سهرتُ فيمن جفنه نائم وذبتُ فيمن جسمه ناعم
يهزأ بي كأنه جاهل بما ألاقي وهو العالم
يضحك في الحب وأبكي أنا الله فيما بيننا حاكم !

فهو يصنع الطباق والجناس صناعة ويغرق في استعمالهما ، فجمال الشعر عنده ، بما فيه من بديع وبيان. وهو يسرف في كافة أصناف البديع وألوانه كرد الصدر على العجز ، ويحشد في البيت اكثر من لون واحد :

مشارق العزّ قد ضاءت بمغربه من الفَخار الذي أبدت مغاربه
تُحصى مناقب من أسدى النوال بها وما تعد وما تُحصى مناقبه
وفي الحساب أرى الاحصاء من عدد عنه تقاصَر مُحصيه وحاسبه

وهو يلجأ الى التصوير والتخييل ، ويسرف على عادته :

هاجت لبعدك لوعــةٌ وغليل والقلب بعــدك والهٌ مخبول
يا نازحــاً نزح الكرى لفراقه رفقـــا فعَقد تصبري محلول
وابعث ولو بالطيف في سِنة الكرى ليزورني في النوم عنك رسول
فاسأل نجوم الليل تخبر قصتي فالنجم عن سَهرٍ بك المسؤول

وتستمر الابيات على هــذا النسق ، وان القارىء ليلاحظ تفكك المعاني وانفراد كل بيت ، فـــان الصناعة المتعمدة جعلت البيت الواحد ، وحدة مستقلة وكلما اوغلنا في القصيدة زادت هذه الظاهرة وضوحاً .

وهو يستعين بما لديه من ثقافة ومفردات علمية وآيات قرآنية على صياغة شعره ، فهو يقتبس من القرآن الكريم :

فان جدودي كالجبال رزانةً وما ان ترى فيها اعوجاجاً ولا أمتا
وقال: براه الهوى واستأصل السقم جسمه وغيرّه نأيُ الحبيب فمـــا أبقى
وقال: أفاض على العافين طراً مواهباً بأفضاله وهداً لهم منه مأتيا
وقال: ملك اذا ما صال يوماً صولةً كادت له شُم الجبــال تزول

ويسرف في الاشارات التاريخية ، واعلام الثقافة ، والعلم ، والأدب :

اليك رسول الله نيرانُ لوعتي فها هو شوقي الخارجي شبيبها

وفي مدح القبائلي :

وبابن مقلة يزري خطه وبــه أنسى ابن حسون لما راق صائبه
وبابن بلبل (اذ) يزري مبلبله لحظ الحجابة من عين تراقبه

وهو لا ينسى أن يفيد من هذه الثقافة المختلفة المصادر في التورية :

سل عنه ماء السما لمـــا تورد من نعمائــه الخد اذ تهمي سحائبه
ضحاكه الجود والعباس سطوته اذا يقــام بأمر الله واجبه

جفن التقى منه مكحولٌ باثمده ومذهب العلم زانته مذاهبه
من قال انك بالفعقاع مقترن لغا لانك من قلت ضرائبه

وهو يفيد من مصطلحات النحو واللغة :

تحركه الاشواق وهي سواكن بنفس لجوج في الذنوب مُريبها
وقال: وجزم حامله من نحو صائله أقم حرف مضاء مُدٌ ناصبه

وفي الكتب والدواوين الشعرية :

فيه ولعت بديوان الصبابة اذ تترى على رغد (منه) حواسبه
وبهجة النفس منه قد قرأت بها قطب السرور الذي راقت عجائبه

وهو بالاضافة الى هذه التعقيدات من استخدام معطيات العلوم والثقافة من آراء وألفاظ ، يبدو من خلال شعره فقيهاً مجادلاً :

وقالوا حمامات الهوى قد تطايرت فقلت بجو القلب وهو مطارها
وقالوا ثغور الغانيات تبسّمت فقلت لتعذيبي أُبين افترارها

وانظر قوله :

يا نازحاً نزح الكرى لفراقه رفقاً ، فعقدُ تصبري محلول !

ويلجأ الى المبالغة المسرفة :

أليلتنا بالسفح من سفح أدمعي مواطر أمواه أسيل صبيبها
ولو لم تكن تخفي الجمال لأدهشت برايا الدنا حسناً ، وشق جيوبها

وفي المديح :

يا مخجل الديمة الهطلاء من كرم عم البرية اذ أبداه واهبه

وهكذا نرى ان ابن الاحمر لا يستقر على مذهب من مذاهب الفن الشعري التي عرفها الأدب العربي فيما سبق من العصور ، وان كان منهجه اقرب الى مذهب (التصنع) الذي ساد المشرق . ولا شك في ان صفة (الشاعر) لدى ابن الاحمر ليست صحيحة تماماً ، لأن الشعر عنده مشاركة عارضة ، وليس من فنونه الأصلية .

آراؤه في النقد والبلاغة :

لا يمكن أن نصف ابن الاحمر بأنه « ناقد » ولا بأنه « بلاغي » اذا أردنا ما يفهم من هاتين الكلمتين بالمعنى الاصطلاحي ، الواضح الدلالة . فقد شُغل عن النقد والبلاغة بأبحاثه في التاريخ والانساب ، كما اننا نفتقر في هذا العصر الى شخصية متخصصة عنيت بالنقد مبحثاً قائماً . وما لدينا من آراء وأحكام نقدية وبلاغية انما وردت في ثنايا كتب التراجم او كتب التراجم الادبية او الشروح الادبية مثلما نجد عند ابن الاحمر وابن الخطيب، والشريف الغرناطي، والمقري فيما بعد . وقد ذكر ابن خلدون في التعريف في ترجمة أحمد بن شعيب الجزنائي انه كان « له شعر سابق به الفحول من المتقدمين والمتأخرين وكانت له امامة في تفقد الشعر وبصر به » وهذا الخبر يدل على أن النقد ظل يصدر عن « الشعراء » ، ولم يذكر أترك الجزنائي كتاباً في النقد جمع آراءه وبيّن طريقته أم أن نقده كان يجري في حلقات التدريس ومحافل الادباء ومجالس الامراء دون تحبير او تدوين . وقال ابن الاحمر في سعيد بن ابراهيم السدراتي « وكان شعره وسطاً ، وأبرع ما كان نظمه في الزجل ، ظهر له فيه بفاس باع مديد . وقد وافقني على قولي هذا الفقيهان الاديبان المحدثان : شيخنا الاستاذ النحوي منديل بن محمد بن آجروم ، وصاحبنا أحمد بن محمد الدباغ ، وشهدا له بالاجادة في الزجل ومن شهد له هؤلاء البليغان العالمان فهو مقدم »

ومثل هذا الخبر في كتب ابن الاحمر نادر ، فانه لم يتعود أن يصدر احكاماً نقدية كثيرة ، بالرغم من ضعف الدلالة في مثل هـذه الأخبار . وسنستعرض في هذه الفقرة آراء ابن الاحمر مستخلصة من كتابي نثير الجمان ، ونثير فرائد الجمان ، والاول منهما بخاصة ، فقد أفرد الباب الاول منه لهـذا الغرض ، وجعل عنوانه : « الباب الأول في فضل الشعر وإباحة إنشاده بالمساجد » . وختم هذا الباب بما ينبغي على الشاعر معرفته والتزامه حتى يكون شعره حسناً مقدماً . ولا نتوقع أن نجد آراء جديدة او احكاماً نقدية مفصلة يمكن اعتبارها وجهة مميزة . ولكننا – على كل حـال – نضع يدنا على رأي في الشعر – له اسس سابقة – يمثل وجهة نظر مستقلة .

فضل الشعر : تحدث ابن الاحمر عن فضل الشعر حديثاً عابراً ، ونلاحظ أنه يقصد بكلامه ان الشعر حسن ، وليس مما يستقبح . وهو يرد بهـذا الكلام على الذين « لا أدب لهم » من بعض الفقهـاء الذين يكرهون الشعر ويذمون قائله ، ونجـده يرد على هؤلاء بعنف وعصبية ظاهرين . ويستند في رده عليهم ، كما سيفعل في كل قضية تستلزم نقاشاً – الى المـأثور من الحديث او السنة الشريفة . قال : « وبعض المتفقهين الذين لا أدب لهم ، ولا هو في طبعهم ينكرون الشعر ويذمونه ويرون أنـه قبيح وقائله مذموم ، فليت شعري لم انكروه ، وهـذا رسول الله ﷺ وهو الأسوة والقـدوة كان يحب سماع قصيدة امرىء القيس » . وهو يرى ان الفضل ممتد بين الشعر والشاعر ، فانـه يرى أن « الشعر لا يقوله إلا أهل الفضل والذكاء ، ولا يرتاح لسماعـه الا الكرام » وكأنه أورد هذه العبارة بصيغـة القصر لتوكيد ما يراه من مكانة الشعر ومنزلة الشعراء .

ونرى أن المؤلف لا يقصد بحديثه عن « فضل الشعر » المفاضلة بينه وبين

النثر ، فانه لم يشر الى هذه الناحية بأيـــة اشارة واقتصر على المعنى السابق ذكره فحسب ، وهو معنى مطروق ، والاستدلال له من تحصيل الحـاصل ، وقـد استشهد ابن الاحمر بسماع الرسول الكريم الشعر واستنشاده وروى له « ان من الشعر لحكمة » و « الشعر الحسن مما يزين الله به الرجل المسلم[1] » . وأسهب في بيان ما قدمه شعراء الدعوة الاسلامية في أيامها الأول كحسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، من دفاع وذود ، وردٍّ على الشعراء الكفار . ثم أورد ما اثر عن الصحابة والتابعين من بيان فضل الشعر، وضرورته لثقافة العقل ، وصقل الموهبة ، وامتاع النفس كأقوال عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعبدالله بن عباس وسعيد بن المسيب وابن سيرين وسواهم ، رضي الله عنهم اجمعين .

وانتقل ابن‌الاحمر الى فكرة ثانية مرتبطة بالاولى وهي جواز انشاد الشعر بالمساجد ، وروى لعـــدد من أعلام الاسلام الأوائل – الذين تعرضوا لهذه الناحية كثيراً – ما يبيح ذلك ، ومـا يرونه من ان انشاد اي شعر – مهما كان غرضه – لا ينقض الوضوء! ومن هؤلاء ابن سيرين والحسن البصري وابو السائب المخزومي وغيرهم . ثم أضاف : « والعـاقل لا ينكر أن الشعر جائز انشاده واستنشاده . وقد قدمنا من الأدلة النـاصعة والبراهين الواضحة على ذلك ما لا يسع رده . ومن الدليل على ذلك أن الخلفاء الراشدين الاربعة... قالوا الشعر، وقاله ايضاً جملة من‌الصحابة والتابعين من أهل‌العلم والصلاح[2] » . وابن الاحمر، في حديثه كله ، ينعى على نفر من الفقهاء معارضتهم قول الشعر وانشاده في المساجد وسواها، ولكنه لا يذكر أحداً منهم، ويكمل مناقشته على طريقة الفقهاء من « الفنقلة » . ومثل ذلك : « فان احتج عاطل من

---

(١) نثير الجمان ٤ / ظ .

(٢) المصدر نفسه ٨ / و .

حلية الادب ، وقال ان النبي ﷺ لم يقل الشعر ، وان الله تعالى قال فيه : وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، قلت : لو كان النبي ﷺ شاعراً لكان متهماً بالقرآن ، ولقيل انه من عنده [١] » ...

وخرج بعد ذلك الى تفسير الآية الكريمة «والشعراء يتبعهم الغاوون[٢] ..» والأحاديث التي وردت في ذم الشعر ، ووجّهها – كما فعل المفسرون والفقهاء – بحسب ما وضعت له وقصدت اليه ، واحتج بأقوال بعض الأئمة في هذا الموضوع . ثم خرج الى نتيجة يلخص فيها ما يراه « قال اسماعيل مؤلف هذا الكتاب : ولا مرية في جواز انشاد الشعر والتمثل به ، وانما المذموم منه ما قدمنا للامام المازري وللقاضي عياض من هجاء المسلمين وقذف المحصنات وغير ذلك مما قالا رحمهما الله تعالى . وأما إن كان الشعر في مدح رسول الله ﷺ ، او في هجاء المشركين او غزل بغير معين ، فذلك جائز لا مطعن فيه ، وحسبك ما قدمنا على فضله وجوازه من الأدلة [٣] » ...

ونلاحظ أن ابن الاحمر ، في القسم الذي تحدث فيه عن « فضل الشعر »، انما يقتبس أمثلته وشواهده بما فيها ، وبترتيبها من « العمدة » لابن رشيق : الباب الثاني في الرد على من يكره الشعر بخاصة ، والباب الثالث في أشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء . ولا شك في أن تلك الأخبار والأشعار قديمة متداولة ، ولكن تتابعها واستطرادها ، واستخدامها على نسق متشابه يوحي

---

(١) نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان لابن الاحمر : ٩ / و .

(٢) قال في تاريخ الفكر الاندلسي : « وفي القرآن الكريم آيات تغض من قدر الشعر والشعراء كقوله تعالى : (والشعراء يتبعهم الغاوون) . ولكن محمداً أجاز قول الشعر واستمع اليه .. الخ » ص : ٣٦ . وهذا الكلام خاطىء ، لأنه قطع الآية عن تمامها . فبطل الاحتجاج بما اجتزأ ، وأوهم التناقض بين القرآن والسنة .

(٣) نثير الجمان ١٠ / ظ .

بالنقل عن هذا المصدر – في الاغلب – دون سواه. وكان ابن الاحمر قد نقل في روضة النسرين عن بعض المصادر دون ان يذكرها [١] .

واذا نظرنا في رأي ابن الاحمر عما يجوز من الشعر وما لا يجوز ، وجدنا أنفسنا امام فقيه متأدب يتخذ موقفاً دينياً من المشاكل الادبية . والحق ان ابن الاحمر ليس بمبتدع في هذا الباب ، فهو يشهد انه انما ينقل آراء بعض الأئمة كالقاضي عياض والمازري ، فالنظر الى الأدب – والشعر بخاصة – بمقياس الشريعة امر قديم معروف ، ولكن احكام هذا المقياس تختلف تشدداً وتخفيفاً من فقيه لآخر بحسب الظروف الزمانية والذوق الشخصي ، اضافة الى القيم الدينية . ومن الاعلام الذين يندرجون في هذه الفئة الفقيه الأشهر : ابن حزم الاندلسي . ولكن احد الباحثين المحدثين يرى ان التزام ابن حزم جعله يخطىء طريق النقد ، فان (اشتغاله بالفقه والحديث والجدل والأنساب والتاريخ أبعده عن دائرة الادب ، وخضع في نظرته للشعر الى عوامل التوجيه الاخلاقي ، والى فلسفته الدينية التي كانت تقوّم العلوم بحسب تقريبها اصاحبها من الله ، فذلك هو مقياسه في النظرة الى الاشياء والأعمال) [٢] . والحق ان ابن حزم ضيق على القارىء ورأى تجنب أربعة أضرب من الشعر : الاغزال والرقيق لأنها تجلب من الفتنة والصبابة ، والاشعار المقولة في التصعلك وذكر الحروب لانها تسهل على المرء موارد التلف ، وأشعار التغرب وصفات المفاوز لانها تسهل التحول والتغرب وشعر الهجاء لأنه يدخل المرء في حالة اهل السفه .

ومن الفقهاء الذين عرضوا لهذا الموضوع الفقيه الاندلسي ابراهيم بن موسى الشاطبي الغرناطي في الاعتصام ، فقال بعد تمهيد طويل وعرض لكثير من

(١) روضة النسرين : ٥ .
(٢) تاريخ الادب الاندلسي – عصر سيادة قرطبة – للدكتور احسان عباس : ١٨٤ .

الاخبار التي ذكرناها من قبل » .. فجائز للانسان ان ينشد الشعر الذي لا رفث فيه ، ولا يذكّر بمعصية ، وان يسمعه من غيره اذا انشد على الحد الذي كان ينشد بين يدي رسول الله ﷺ ، او عمل به الصحابة والتابعون ، ومن يُقتدى به من العلماء ». وذلك انه كان ينشد ويسمع لفوائد :

١ – المنافحة عن رسول الله وعن الاسلام وأهله .

٢ – وانهم كانوا يتعرضون لحاجاتهم ويستشفعون بتقديم الأبيات بين يدي طلبتهم .

٣ – وربما أنشدوا الشعر في الاسفار الجهادية .

٤ – وينشد الرجل ليعظ نفسه او ينشطها او يحركها .

واتخذ ابن الاحمر في هذا الشأن موقفاً اخف وطأة، وأقرب الى ما يبيحه الشرع وما ينهى عنه . ويظهر ان ابن الاحمر في رأيه الذي بسطناه انما يتابع منهجاً اسلامياً في نقد الشعر وتقويمه، انتصر له عدد من الأدباء والفقهاء، وان كنا لا نقع على آثار كثيرة توضح هذا المنهج،وتبين قواعده وتتحدث في أصوله وشواهده . وقد اتبع في شعره هذا المنهج الذي اعتمده ، فيما بين ايدينا من شعره .فنحن لا نجد هجاء ولا غزلاً بمين ولا غزلاً فاحشاً، في حين نجد المديح والمولديات والاخوانيات والغزل . ولكنه اورد في كتبه شعراً لغيره في الغلمان او في الهجاء المقذع .

قوام الشعر : لابن الاحمر رأي في الشعر متى يحسن ومتى يقبح ، وما ينبغي للشاعر أن يهتم به ليكون مقدماً في فنه . وقد أورد هذه الآراء في الباب الاول من نثير الجمان إلا أن بعض الحديث مقطوع لخرم اعتور الورقة الحادية عشرة من أسفلها ، ولكن ما تبقى من الكلام يدل تقريباً على ما ذهب ، والسياق يساعد في ذلك . ويجمل رأيه أنه لا بد للشاعر من العناية بأربعة أمور : (١) علم البديع وما يندرج تحته: « فمن ملك زمام ذلك فهو

المقدم بحمل راية الأدب ، ومن كان خلياً (منه فباعه) لا محالة قصير اذ لم يتمع من ذلك بقليل ولا كثير » .. (٢) العربية ويعني معرفة القواعد النحوية والصرفية ويرى انهـــا أهم للشاعر من اللغة ، فاللحن من أقبح الأشياء . (٣) العروض وعلم القوافي . (٤) علم البيان وظاهر ان هـذه الاسس الاربعة التي يمكن – بضم البيان الى البديع – أن تكون ثلاثـة ليست واضحة ولا مفصلة ، بل هي أسس عامة ؛ إلا أنه ركز على فني البديع والبيان، وأسهب في ذكرهما. وختم ابن الاحمر الباب الاول ببحثين عن علم البيان وعلم البديع.

وذكر في علم البيان انـــه اربعة اشياء « الكناية والاستعارة والتمثيل والاشارة » . وقال في الاشارة « قـــال قدامة هي اشتمال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة باللمحة الدالة » .. مما يدل على تأثره بقدامة وطريقته. وعدّد انواع البديع التي اعتمدها فقال « وهي ستة وعشرون لقبـــاً : التجنيس ، والترصيع ، والاشقاق والتطبيق ، ولزوم مـا لا يلزم ، والتضمين المزدوج ، والالتفات ، والاعتراض ، واللف والنشر ، والتفسير والتعديد ، والتخييل ، والمتواتر ، ورد العجز على الصدر ، والمساواة ، والعكس ، والتبديـــل ، والاستدراك والرجوع والاستطراد والاستهلال ، والتلخيص ، والترديـد ، والتتميم، والتفويف ، والتجاهل ، والهزل المراد به الجد والتنبيه[1] . وجرى في تفصيل هذه الانواع على مثل ما جرى عليه في شرح أنواع البيان وهاك مثالها : « اما التجنيس فهو مناسبة بـين لفظين فأكثر في كل حروفهما او في اكثرهما مع اختلاف المعنى ، وسواء اتفقت الصيغ او اختلفت . من ذلـك قول ابن المعتز :

---

(١) يلاحظ ان انواع البديع التي اعتمدها ابن الاحمر مطابقة بأسمائها وترتيبها وأمثلتهـــا لكتاب « التبيان في علم البيان » لابن الزملكاني . إلا أن ابن الاحمر اضاف امثلة من الادب الاندلسي . انظر التبيان ص ١٦٥ وما بعدها .

وإني للثغر المخوف لكالىء   وللثغر يجري ظلمه لرشوف

انظر ما أحسن هذا البيت كيف جمع بين الشجاعة والغزل[1] .

ويظهر انه لم يستقص كل فنون البديع في عصره ، بل انه أورد لنفسه في نثير فرائد الجمان – وهو متأخر في التأليف عن نثير الجمان – أبياتاً استخدم فيها « التكرار » ، وهو من أنواع البديع ، دون ان يذكر هذا اللون في بحثه الذي استعرض فيه أنواع البديع في نثير الجمان .

آراء متفرقة :

١ – كان ابن الاحمر يدل بنفسه عجباً لأنه من أسرة الأمراء، ولأنه صار في الكتاب والشعراء . ونكاد نلمح انه يجل الشاعر اذا كان من أصل الأمراء او الملوك او ما بمنزلتهم، قال : « ولما كنت من هذه الفئة الشعرية وانتظمت في فقهائها الاشعرية ، وممن في نادي الشعراء الفحول زاحم.. وكنت من أبناء ملوك أساودة واكتحلت من إثمد اجادته بمراوده ، استشهدت ببيت المتقدم وما قلت بكميت المتندم :

فخير الشعر أشرفه رجالاً   وشر الشعر ما قال العبيد

ولا نستطيع ان نزعم أن ابن الاحمر يرى ان احسن الشعر هو أشرفه قائلاً ، وان أسوأه ما صدر عمن قلّ في الدنيا نصيبه ، وما هذا الاستشهاد ببيت الفرزدق إلا من باب الفخر والإدلال .

٢ – وأدرك الأثر النفسي في تعطيل الملكات . ففي مقدمته لنثير الجمان اعتذر للقارىء عما قد يجده من قصور او خلل في الكتاب، وعلل ذلك بأنه

---

(١) نثير الجمان ١٢ / ظ .

ألّف كتابه وهو في حال نفسية سيئة بسبب ما اعتراه من الشوق لبلاده : الاندلس ، والحنين الى أهله وأحبائه وأصدقائه . بل انه يرى انه لولا براعته الادبية وشغفه بالقراءة والمطالعة ، لما استطاع — وهو على تلك الحال — ان يخط سطراً في مؤلفه. قال : « ولعلي أكون قد خرجت عن حد الصواب فيما ألفته ، وتركت من فصل الخطاب اضعاف ما عرفته ، وانما ذلك من عوائق تبلد الذهن ، وموانع للنشاط توقع في الفكر الصحيح الوهن . لمَ لا ؟ والدهر قد جار بالبعد عن الاهل والجار ، وتشتت شمل الالفة بالاحباب ، ومنع الحيلة في القرب منهم والاسباب ... فأي صواب يوجد مع هذه المحن ؟ وايم الله ، لولا لحي بالادب وكلفي بمن جد في طلبه ودب ، لم اسارع في تأليف كتاب ... » .

٣ — عجب ابن الاحمر من نباهة احمد بن شعيب الجزنائي في الشعر لأنه بربري الأصل فهو يرى أن غير العربي لا يستطيع بسهولة ان يصل الى درجة العربي في الاجادة والبراعة في فن اقتصرت اجادته على العرب : « .. وصميم منتسبه في البربر جزُنْاية ، حيث الاعتزال عملت به الجناية ، ولو كان من الاعراب لشمل في شعرائها وحمل راية الكلام في امرائها . والبربر لا تقاس بالعرب ، والتبر لا يماثل بالترب ، والعجب من بربري الاصل يدرك مدارك الاعراب ، ويأتي من الفصاحة اليعربية بالاعراب » ...

ذوقه في المختارات : اذا كان مـا يختاره الاديب من شعر ونثر لغيره من الكتّاب والشعراء ممثلاً لذوقه الادبي وآرائه في هذين الفنين ، فان ما اختاره ابن الاحمر في كلا كتابيه دليل على ذوقه وصورة عن رأيه ، ولا بد من ان نتنبه الى انه يختار من أدباء القرن الثامن فحسب ، وإذا حددنا فانه يختار من الفترة الزمنية الممتدة بين اواخر الربع الاول من هـذا القرن ، وأواخر المائة نفسها .

وقد رأينا فيما سبق أن ابن الاحمر لم يقتصر في اسلوبه — من نثر وشعر —

على طريقة واحدة يلتزم حدودها ويتبع قواعدها، بل انه راوح بين المذاهب الادبية المختلفة ، شأنه في ذلك شأن سواه من أدباء الاندلس المعاصرين . إلا اننا لاحظنا انه مولع بالزخرفة التصنيع ، وشغوف بأنواع البديع والجناس بخاصة .

ومختاراته النثرية – في الاغلب – رسائل سلطانية او اخوانيـة ، وهي في نثير فرائد الجمان أكثر لأنه ألف نثير الجمان للشعر اصلاً . وقد وقف عند رسائل ابن الخطيب وابن جزي طويلاً . وكان يرى – ويرى معـاصروه – ان رسالة لسان الدين التي أوردها في كتابه الثاني ، ونوه بهـا في الاول على درجة عالية من البلاغة والاعجاز ، وكانت شائعة متداولة . وممـــا اختاره رسالتان الاولى لابن الخطيب والثانية لابن جزي وقد التزما في كل من الرسالتين حرف السين في كل كلمة من اول الرسالة الى آخرهـا . كما انـه اورد في نثير الجمان رسالة التزم فيها مؤلفها التورية بأسمـاء الكتب ، واقتبس ابن الأحمر هذه الطريقة في نثير فرائد الجمان وأنشأ عدداً من الرسائل على مثالها .

وكان في مختاراته الشعرية ، مثل النثرية ، ينتقي ما ظهر فيه الزخرف اللفظي والجناس وضروب البديع ، ويكثر من المقطعات المبنية على التورية والاحاجي والمعميات. وأشرت في نهاية الفصل السابق الى انه خالف منهجه فأورد بعض المقطعات والقصائد في الهجاء المقـــذع وشعر الاحماض ، ولعله فعل ذلك مجاراة لذوق العصر لأننـا لم نقع له على شعر شبيه به . كما أورد قصيدة اذا جمعت اوائل الحروف من اوائل الابيات بالتسلسل خرجت كلمة « اشْ تقول لمن يحبك ».ولكننا نقع على قصائد جميلة، أحسن فيها الاختيار كقصيدة صفي الدين الحلي :

أسبلن من فوق النهود ذوائبـا فتركن حبـــات القلوب ذوائبا

وقصيدة ابن الخطيب :

عسى خطرة بالركب يا حادي العيس على الهضبة الشماء من قصر باديس

وقصيدة ابن جزي :

خرجن ولم يتقين القصاصا وأوثقن ثم منعن الخلاصا

فقد كان ذوق ابن الاحمر في مختاراته مطابقاً – في الغالب – لآرائه في الشعر والنثر، وممثلاً لذوق العصر في احسن صوره، وأجلى امثلته وشواهده .

نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

ليس لدينا – حتى الآن – غير نسخة فريدة من هذا الكتاب ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ، محفوظة تحت رقم « ٧٩١٣ أدب » . وقد اعتمدت عليها في التحقيق .

وصف المخطوطة :

تقع النسخة في مائة واثنتي عشرة ورقة ، وفي كل صفحة اربعة عشر سطراً في المتوسط ، ومسطرتها ١٣×١٨ . وهي مكتوبة بخط مغربي . ويبدو ان ناسخين قد تعاونا في كتابة النسخة ، كتب احدهما الى الورقة ٦٣، ثم اتم الآخر كتابة النسخة ، وهذا واضح من اختلاف قاعدة الكتابة . وخط النسخة عموماً غير جلي ، ويظهر ان الناسخين كانا على درجة عظيمة من الجهل، فان التصحيفات والتحريفات كثيرة ، وان بعض الاخطاء الناشئة عن كتابة بعض الفقرات املاء لا نقلاً ، تدل على جهلها الشنيع بقواعد اللغة وأصول الكتابة وطريقة ترتيب الأبيات الشعرية .

صفحة العنوان بيضاء ، وقد عرفنا اسم الكتاب من خلال مقدمة المؤلف

وبأول النسخة اسم المؤلف كاملا . وبعض العناوين مكتوبة بالحبر الأحمر ، او الحبر الأزرق ، او بكليهما على التناوب في كل سطر . وكل العناوين بارزة مميزة عن المتن . أما الصفحات فمجدولة كلها بالمونين الأزرق والأحمر . ومن عيوب الناسخ انه لا يميز في بعض الأحيان بين الشعر والنثر ، فتجد الشعر مبثوثاً في النثر على نسق واحد . وفي الورقة : ٥١ ، وجهاً وظهراً ، بياض تركه المؤلف — او الناسخ — في آخر ترجمة محمد بن محمد بن احمد بن جزي الكاتب الشاعر . وفي رأس الصفحة : « وهذا عنوان كتاب رسول سلطان الأندلس ومستودع سره » . ولعل المؤلف ترك هذا الفراغ ليثبت فيه نصاً لم يكن وقت التأليف بين يديه .

وقد انتهى المؤلف في تراجمه الى ترجمة : احمد بن محمد بن الدباغ الخزرجي الفاسي . ثم ذيل ذلك بترجمة ذاتية ، مع نماذج من شعره ونثره ، وبآخرها وقفة قلم . وقد تحدثت في دراستي عن ابن الاحمر ، عن هذا الكتاب حديثاً طويلاً اثبت فيه نسبته الى ابن الاحمر ، وانه كتاب كامل ، وأنزلته في مكانه من كتب التراجم الادبية في الاندلس .

ليس على النسخة تمليك او قراءة ، غير اننا نجد بعض الحواشي ، اثبتها احد من حازوا الكتاب . ومعظم تلك الحواشي منقولة عن جذوة الاقتباس لابن القاضي ، وهو يذكر ذلك احيانا .

وعلى الصفحة ٦٧ / و نعثر على ملاحظة قيمة . ففي ترجمة احمد بن شعيب الجُزنّائي ، كتب الناسخ « الجزناسي » بدل : الجزنائي (اي بالسين بدل الهمزة) فكتب صاحب الحاشية في الهامش« الجزنائي » « بخط المؤلف صح » . وهذه العبارة توثّق النص الذي بين ايدينا من حيث انه كتاب لابن الاحمر ، وان نسقه جار على مثل ما صنعه المؤلف من حيث المنهج ، والتراجم والمختارات ، ولكننا لا نطمع في ان يكون النص الذي معنا مقابلاً مقابلة

تامة ، على نص آخر بخط المؤلف ، لأن التحريف ، والتصحيف ، وأخطاء الناسخ : واضحة صريحة .

أسلوب التحقيق :

لا شك في ان نشر نص عن اصل مخطوط واحد ، من المهمات الصعبة ، الوعرة المسلك ، التي يخشاها المحقق ، تفادياً لسهو الناسخ وتصحيفه، ووقوع خرم في النسخة، او خروم. وعلى الجملة فان النسخة الوحيدة ذات اشكالات كثيرة تتطلب حذراً وعناية . ولنسختنا هذه المزية ، فهي فريدة وحيدة ، الا انها تمتاز ايضاً بجهل الناسخ، وسقم سليقته ، وكثرة تصحيفاته .

وكان لا بد من البحث عن مصادر نتخذها اصلاً ثانياً لبعض النصوص ، لنقابل عليها ونفيد منها ، ونقوّم بعض الاخطاء بالاستناد اليها . وقد وردت بعض النصوص وبعض التراجم مما في كتابنا ، في كتب معاصرة ومتأخرة ، فقابلت عليها ما عندي . كما ان المقري نقل في كتبه بعض ما قاله ابن الاحمر نقلاً ، فاستفدت منه وأشرت اليه . وهذه هي الكتب التي اعتمدت عليها للمساعدة في ضبط النصوص ومقابلتها :

١ - الاحاطة في اخبار غرناطة ، للسان الدين بن الخطيب . واعتمدت على القسم المطبوع منه (القاهرة ١٣١٩ هـ) والقسم المخطوط ، وراجعت من المخطوط نسخة دار الكتب المصرية (٥٥١٩ تاريخ) ونسخة اخرى مشابهة لها (٥٥١٨ تاريخ) .

٢ - ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب للسان الدين بن الخطيب ، واعتمدت على نسخة دار الكتب المصرية (٤ ادب ش) .

٣ – الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة ، للسان الدين بن الخطيب (طبعة بيروت، نشر الدكتور احسان عباس ١٩٦٣) ونسخة مصورة لمخطوطة الكتيبة الكامنة ، محفوظة بدار الكتب (رقم ١٢٣٩٥ ز) .

٤ – نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان لأبي الوليد اسماعيل بن الاحمر ، مؤلف نثير فرائد الجمان نفسه . وهو مخطوطة بدار الكتب محفوظ تحت رقم (١٨٦٣ ادب) .

٥ – ديوان ابي الحسن بن الجياب ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية (ادب ٢٤٢٤) وديوان صفي الدين الحلي (طبع دمشق : ١٢٩٧) .

٦ – كتابا المقري : ازهار الرياض ، ونفح الطيب . فقد ترجم فيهما لعدد ممن ذكرهم ابن الاحمر ، بل انه نقل احياناً من نثير فرائد الجمان كما في ترجمة لسان الدين .

٧ – بعض الكتب الاخرى ، مثل صبح الاعشى للقلقشندي ، وبغية الوعاة للسيوطي .

فاذا عرفنا ان تراجم كتابنا ثلاثون ، وان في نثير الجمان اثنتي عشرة ترجمة ، وفي الكتيبة الكامنة عشر تراجم ، تتشابه معظم المختارات الشعرية والنثرية فيها، أدركنا أهمية هذه النصوص المساعدة وقيمتها في مقابلة النصوص وتوثيقها .

وقد اعتبرت كتابنا اصلاً ، واعتبرت ما نقل عنه ، وما تماثل في الكتب الاخرى من المختارات معه ، فرعاً يقاس عليه ، ويعتمد الصواب منه حين يظهر في كتابنا خطأ نحوي او عروضي ، ويكمل النص منه حين يعتور كتابنا خرم او نقص . وأشرت في كل ذلك الى هذا الصنيع في مواضعه ،

ولم أغفل تخريج النصوص والرسائل والابيات الشعرية في الهوامش ، والاشارة الى مظانها في الكتب المختلفـة ، وأثبتُ مواضع الاختلاف بين كافة النسخ . ومن ذلك ان ابن الاحمر أورد رسالة طويلة للسان الدين بن الخطيب ، وجدتها في ريحانـــة الكتاب « نسخة دار الكتب المصرية » وفي صبح الأعشى للقلقشندي ، وفي التعريف بابن خلدون، وفيما نشره المستشرق الاسباني ريبيرو من مخطوطة ريحانة الكتاب « عن نسخة الاسكوريال » وقـــد قابلت نص كتابنا على كافة النسخ ، وأظهرت مواضع الاختلاف ، والزيادة والنقصان .

وعلى هذا فنحن في كتابنا امام موقفين . الاول : أن يكون لدينا اصل ثان نعتمده ، ونقابل عليه ونقوم به ما لدينا من نقص او خطأ. والثاني : أن نكون أمام نص فريد ، لا ثاني له . ونحن في الموقف الثاني مضطرون لالتزام النص على مـــا ورد في المخطوطة . وقد اجتهدت في اثبات اصدق صورة للنصوص والتزمت ذلـــك التزاماً تاماً ، وأعدت النظر فيها غير مرة تحريا للدقة ، وطلباً لأسلم مـــا يمكن أن يصل اليه باحث ، من نص فريد شديد التصحيف والتحريف ، سيء الخط والنقل .

ولم اخرج عن هـذه القاعدة من حرفية النقل ، وأمانة القراءة والرسم ، الا حين رأيت ان تصوير ما في الكتاب لن يؤدي الى معنى لاضطراب ناقله ، او لالتباس الأمر عليه . وهذا لا يعني التصرف في النص بما ينأى بـــه عن الاصل ، او يفسح أمام الرأي الشخصي في غير موضع اجتهاد . بل انه يعني محاولة الوقوف على ما كان النص عليه مثلما وضعه مؤلفه اول مرة ، مستفيداً في ذلك مما يقتضيه اسلوب المؤلف المسجوع، وما يستحيل على المؤلف الوقوع فيـــه : كالاختلال في رسم الكلمة اختلالاً لو قوّم، لأصبح المعنى صحيحاً كما يقتضيه السياق ؛ او الخطأ النحوي الظاهر الذي لا ضرورة فيه ، ولا وجه له ؛ وكالنقص في العبارة نقصاً لا مندوحة من اتمـامه كسقوط حرف الجر ،

او كلمة لا غنى عنها ؛ وكالزيادة في بيت من الشعر زيادة يختل بهـا الوزن الشعري خللاً ظاهراً لا وجه للضرورة معه .

واذا استعصى عليّ المعنى الملائم للكلام الساقط ، نبهت على ذلك وتركت مكانه ثلاث نقاط لكل كلمة ضائعة ، اشارة وتنبيهاً . وان كان الرسم يحتمل وجوها من القراءة اثبت في النص القراءة الراجحة رسماً ومعنى ، وأشرت في الهامش الى مـا بدا لي من وجوه القراءة والتأويل . والتزمت ذلـك في الكتاب كله .

واستعنت في تحقيق التراجم ، وضبط الأعـلام بالكتب التاريخيـة والجغرافية ، والادبيـة واللغوية المعاصرة للمؤلف بخاصة ، والمتأخرة ايضاً ، ونبهت على اشارات بروكلمان ، ودائرة المعارف الاسلاميـة ، استكمالاً المعلومات ، وطلباً الدقة ، وذكرت كل مصدر في موضع الاستعانة به .

وقد وقفتُ على بعض كلمات – استعملها ابن الاحمر ، وبعض مترجميه – تختلف في الصياغة او في الدلالة عمـا بين ايدينا من المعاجم ، فنبهت عليها في مواضعهـا مبثوثة في الكتاب ، وأحلت بعضها الى تكملة المعجمات العربية لدوزي وبينت في الهامش المعنى الذي رجح لديّ ان صاحبه قصد اليه .

وقد بقيت عدة مواضع متأبية على الوضوح والاستقامة ، اذ حـال سوء الخط ، او سوء نقـل الناسخ ، او الخروم والسواقط ، دون استجلائها على وجه صحيح . وهي مواضع قليـلة متجمهرة في القسم الاخير من الكتاب . ونأمل ان تتاح الفرصة لتقويمها على ضوء مخطوطات جديدة ونقول مبثوثة . ولا تكاد المواضع القليلة تغض من قيمة الكتاب ، او تقلل من اهميته

وبعـد :

فانني ما ادخرت وسعاً في جلاء النص ، وايضاحه ، والامانة في نقله ،

وبذلت ما يستطيعه عاكف على البحث ، ناشد اقصى مراتب الدقة . فأرجو ان اكون وفقت الى بعض ما نشدت وما اجتهدت .

وآمل ان يكون عذري في تقصيري : اني بذلت جهدي ، والله من وراء القصد .

محمد رضوان الداية

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وسلم (*)

يقول اسماعيل ابن الرئيس يوسف[١]، ابن السلطان القائم بأمر الله محمد[٢]، ابن الامير الرئيس ابي سعيد فرج امير مالقة ، ابن الامير اسماعيل ابن الامير يوسف المدعو بالاحمر ، ابن الامير[٣] محمد بن احمد بن محمد[٤] بن نصر بن محمد بن نصير بن علي ابن الامير يحيى بن سعد ابن الامير قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي[٥] :

---

* على هامش الصفحة الأيمن هذه العبارة المقحمة ، اثبتها احد الذين حازوا النسخة : « كانت ولادته قبل سنة اربع وأربعين وسبعمائة السنة التي توفي فيها الكاتب ابو اسحاق الساحلي الآتي ذكره في هذا التأليف . وتوفي عام سبعة وثمانمائة كما قال ابن القاضي — قال ابن الاحمر ادركته . راجع ترجمته . انظر جذوة الاقتباس . وترجمة ابي اسحاق الساحلي في هذا الكتاب : الورقة ٥٢/ ظ .

(١) في ثنايا السطر « ابو الحجاج المعروف بابن الاحمر » .

(٢) في الثنايا « أبو عبدالله » .

(٣) في ثنايا السطر « الرشيد بالله » .

(٤) ادخل المهمش كلمتي « بن خميس » بين محمد ونصر .

(٥) في الهامش: « قال ابن القاضي في جذوة الاقتباس في ترجمته : كذا فيه نسبه بخط يده ، وجدته على نسخة من تأليفه روضة النسرين » . وليس في روضة النسرين التي طبعت في الرباط =

الحمـد لله الذي أيّد بالحجة الباهرة عصابة البلاغة والبيان ، ومهّد للجلة جماعةِ الفصاحة صعبَ الإبانة والبيـــان ، والصلاة المجملة الخلوص ، المكملة النصوص ، على من شَرفت بملته أديان الديان : محمد عين الأعيان [1]. وبعد : فان الادب زهرٍ حوته من البدائع كِامة[2]، وروض مدبّج حاكته من المحامد غمامة ٢/و. وهو أعذب ما تطمح اليه الهمم الموسومة بالهمامية، وأسنى ما تعتمده نفس أولي الفعال المعروفة بالاهتامية، لما يشتمل عليه من ضبط القوافي والأوزان، ويحتوي عليه مسرحه من بديع الحلاوة والنغمات المذهبة للأحزان . إذ [3] به تتفاوت في الناس الأخطار ، وتشرف النفوس ، وان اختلفت بهم الأقطار واذ هو أشرف زي وأرفع لباس، وأجلب شيء لنفع وأدفعُ لباس. ولما كان في الرتبة العلية في نفوس اهل العقد والحل، وبلغ عند ذوي الألباب المنزلة الرفيعة وسنيّ المحل ، وصار يعتلق بها اعتلاق الحرباء بالأعواد ، ويسلك منها مسلك السماحة في اجساد الأجواد ، وكانت الاعين ابداً [4] منه طامحة ، والى رؤية ما نجم من محاسنه لامحة ، والانفس بقبول حفظه سامحة ، وكان في هـــذا العصر الذي انا فيه من يـأتي في نظمه بالبديع ويوفيه ، من كل اسد فحل ، يستنزل وكاف الاجادة في محل ، ممن [5] يقال له في الشعر حبيبه [6] ، وهو

= ١٩٦٢ ما نعهده من ابن الاحمر من ذكر نسبه في مؤلفاتـه . وفي مقدمة الجزء الذي نشره بروفنسال في المجلة الآسيوية من روضة النسرين (اكتوبر — ديسمبر ١٩٢٣) : « قـــال الشيخ الفقيه الامام المتفنن الاديب المحقق المتقن المعتمد على الله ، ابو الوليد اسماعيل بن الامير يوسف ، المعروف بابن الاحمر رحمه الله » . وهذه العبارة ليست من كلام ابن الاحمر كما هو واضح .

(١) في الاصل : اعيان الاعيان .

(٢) الكمامة : وعاء الطلع ، وغطاء النور .

(٣) في الأصل فإذ .

(٤) في الاصل فراغ بقدر كلمة .

(٥) في الاصل « فمن » .

(٦) ابو تمام حبيب بن أوس الطائي : الشاعر العباسي المشهور (١٨٨ — ٢٣١ هـ) .

للادراك جليبه. ممن لم يزل ٢ / ظ للفرائد بالمسبي، واذا تكلم يزدري بالمتنبي. ويصول على الرمّاح [١] ويفتك بالطرماح [٢] . من محب متغزل ، ومـــادح المرفد مستنزل . سنحت لأهله نصيحتي ، وسمحت بعمله قريحتي . فجمعت في هذا التأليف ما وجدته لهم متمحقاً [٣] شماعه ، وألفيته من نفائس جواهرهم متفرقاً شعاعه . معولاً في ذلك على مـــا طاب فصله ، وفرع ذرى الاجادة فرعه وأصله [٤] . ولم اعول إلا على من في عصرنا نبغ ، وأثواب التخيلات الشعرية في الاحسان صبغ . لا كمن في آنية كاب الانحطاط والغ . وبالقصور عن محل الطول ما بلغ . ولم اثبت الا قادراً لايباريه احد من اهـل وقته ، اذ تبرأ من العي ومقته . وضربت عن غيرهم صفحاً ، لمـا كفّ المماثلة مـا صافحت سفحاً [٥] . فمن بصر [٦] بن اثبت فعليه يعول ، وذات المجادة [٧] بكرم المدح ينول . واذا قرأت اشعارهم ، تعـلم فضل من مدحت ، ويوري زند ثنائي عليهم الذي قدحت.ومن لم اذكره من غيرهم ما فيه قدحت.وحمام معرفتي بالفريقين ٣/و قال لي بالحق صدحت.ولسان الانصاف ليس بمليم.اذ قال

---

(١) هو الرماح بن ابرد بن ثوبان الذبياني الغطفاني المشهور بابن ميادة . شاعر من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية .

(٢) هو الطرماح بن حكيم من شعراء الخوارج (١٢٥ ﻫ) .

(٣) محق الشيء : محاه ، وأذهب به .

(٤) في الاصل فراغ بمقدار كلمة واحدة .

(٥) يعني انه اقتصر في تراجم كتابه على النخبة .

(٦) في الاصل : يصر .

(٧) وردت كلمة « المجادة » عـــدة مرات في كتب ابن الاحمر ، وبعض معاصريه ، كابن الخطيب والبلوي . وهم يستعملونها عادة بمعنى المجد والفضل . ففي الكتيبـــة الكامنة : ١٠٢ من قصيدة لابن فركون :

هنيئاً للقيادة والمعـالي وبشرى للمجادة والجلال

وفي رحلة البلوي « تاج المفرق في تحلية علماء المشرق » : ٤٦/ ظ . « وممن لقيته من اهـــل المجادة .. » وفي نثير الجمـان ٤٨/و في ترجمـــة القاضي النباهي « هو من بيت رفيع المجادة » . وانظر نثير فرائد الجمان هذا ٢٠/و ، ١٠٣/و .

الله تعالى « وفوق كل ذي عـلم عليم [1] » . والشعراء كثيرون ، هم لأرباح الكلام مثيرون. لكن مرعى ولا كالسعدان [2] ، ومسابقة اجراها مهر بغير الميدان. واقتصرت فيه على من لنفسه انشدني ، ومن بنظامه البارع استرشدني ممن رأيتـــه بالعيان ، من الشعراء الأعيان . ومن بسني لحقته ، وأنشدت له فألحقته ، وأُلمُّ بما انشدني رواية عن قائل اعينه ، مما يستجيده قارئه ويزينه. وغرضي أن اكتب مـا اجده من الرسائل لمن ثبت اسمه ، واضمنه [3] انواعاً شق من المكاتبات ، واحسن رسمه . اذ هذا النوع الانشائي من الطبقة العليا بالموضع الذي لا يجهل علوه ، ولم يتقلد حليه من الجنس الانساني إلا الآحاد ، فلا ينبغي أن يهمل سموه. وجعلته على فصول اربعة [4] :

الفصل الاول : في شعراء المشرق .

الفصل الثاني : في شعراء المغرب ؛ وهذا الفصل أجعله على نوعين :

النوع الاول : في شعراء الاندلس .

والنوع الثاني : في شعراء برالعدوة ٣ / ظ .

وسميته [5] : « نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمـان » ، من اهل المائـــة الثامنة ، من فرسان الكتيبة الكامنة ، من ارباب القوافي ، من كل مديد الخوافي ، ممن تثني على مفاخره ألسنة الاقـــلام والمحابر ، وتقوم

---

(١) يوسف : ٧٦ .

(٢) مجمع الامثال — طبعة بولاق ١٢٧٤ هـ — ٢ : ١٩١ .

(٣) في الاصل : ونضمنه ، وقد سبق هـذا الفعل بفعل بصيغة الافراد ، وعطف عليـــه بالافراد كذلك .

(٤) الحق ان الكتاب في فصلين لا اربعة فصول ، وقد فصلت هـــذا الامر في الحديث عن الكتاب اثناء البحث فيما تقدم .

(٥) في هامش النسخة « ومن تـآليفه ايضاً نثير الجمان فيمن نظمه وإياهم الزمان ، وحديقة النسرين في اخبار بني مرين وروضة النسرين ايضاً وتأنيس النفوس في اكال نقط العروس، وشرح البردة ، ذكر ذلك ابن القاضي في جذوة الاقتباس في ترجمته .

بأمداح [١] شرفه خطباء المنابر ، من فقيه كاتب مجد بالتسويد، وعالم كان [٢] منه لاقراء العلوم ما حمد من التجويد . ومن اديب ذي جاه عريض ، سلك من الادراك بروض اريض [٣] . وعلى من ادركته جئت بالتعويل ، وغير ما يؤمل المرء ، فاثباته من افعال التهويل .

---

(١) كذا في الاصل ، ووردت هذه الكلمة في الكتاب في صفحات ٢٣/ ظ ، ١٠٢/ ظ ، ١٠٨/ و بمعنى مدائح .

(٢) في الاصل « فان » .

(٣) الروض الاريض : الزكي ، المعجب للعين .

الفصل الأول

في شعراء المشرق

أولهم :

١ — الفقيه الامام ، مفتي المذاهب الأربعة : **صفي الدين ، ابو الفضل عبد العزيز نجم الدين بن علي ، ابو القاسم السنبسي الحلي العراقي** المعروف بالحلي وبابن سرايا [١] ، المتوفى عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة بحلب [٢] ، أدركته ولم اره .

حاله : ٤ / و أفتى في المذاهب الأربعة، وبزّ أرهاطاً غلابا كالأسد المسبعة.

---

(١) صفي الدين الحلي (٦٧٧ — ٧٥٢ هـ) : عبد العزيز بن سرايا بن علي بن ابي القاسم، السنبسي الطائي . ولد ونشأ بالحلة ، واشتغل بالتجارة ، ثم اتصل بملوك الدولة الارتقية اصحاب ماردين ؛ ثم رحل الى القاهرة سنة ٧٢٧ هـ ، فمدح السلطان الناصر. وانتقل اخيراً الى بغداد ، فتوفي فيها . وهو من الشعراء المعدودين في عصره ، وله ديوان شعر مطبوع وعدد من الكتب . بروكلمان ٢/١٥٩ ، والملحق ٢/١٩٩ — دائرة المعارف الاسلامية ٢/٣٠٨ .

(٢) انظر الدرر الكامنة ٢/٣٦٩ ، فوات الوفيات ١/٢٧٩ ، درة الحجال ٢/٣٧٢. والمشهور ان وفاته في بغداد لا في حلب . وذكر في النجوم الزاهرة ١٠ : ٢٣٨ انه توفي سنة ٧٤٩ .

وألقى [١] التلحين على القيان ، بغناء استبعد منه مَعبدا [٢] برأى العَيان . وان جَسَّ العود وضرب في اوتاره لأوصى الموصلي [٣] بقطع بَتّـاره [٤] . وان ركض الطِرف [٥] اوقف الطرف . فيُصبي بالثقافة من صبا ، ويُرسل من ارياحهـا بالصبا [٦] . وان جالد الفوارس في قِراعها ، يبذر في حز الرؤوس ما حرث بزراعها [٧] . وان نظم من تكلم أَسكت ، وان نَثر اربابه بَكَّت . ولا مرية انه شاعر المشرق في اوانه ، الجالس بسرير الشعر ككسرى في إيوانـه . وبيته بيت بني الفقيه يعرف ، والى رفعـة نسبه وجه المدح يصرف .

انشدني له الشريفان الفارسان ابو الحسن علي بن [٨] الامير ملك الموصل محمد ، المدعو بجيدرة بن الامير ملك الموصل حسن بن الشريف النقيب عبد الله الحسني الموصلي الدار ، نزيل فاس ٤/ظ وأبو عبد الله محمد بن ابي القاسم بن نفيس الحسيني العراقي، نزيل فاس[٩] ؛ قالا : أنشدنا الامام صفي الدين الحلي

---

(١) في الاصل : ويلقي : ولعل ما أثبتناه أقوم للنص .

(٢) معبد المغني (٠٠٠ — ١٢٦) معبد بن وهب ابو عباد المدني نابغة الغنـاء في العصر الاموي .

(٣) اسحاق بن ابراهيم الموصلي (١٥٥ — ٢٣٥) تفرد بصناعة الغناء ، وكان عالماً باللغة والموسيقى والتاريخ والادب .

(٤) في الاصل : « لأوصل الموصلي » ، ولعله هنا يكتب املاء .

(٥) الطرف : الكريم من الخيل ، وفي القاموس : « ركض الفرس : استحثه للعدو » .

(٦) خرج في هذه الفقرة — وحدها في هذه الصفحة — الى الزمن الحاضر .

(٧) انه يرمي من رؤوسهم ، كما ينتثر البذار حين يلقى للزراعة .

(٨) لم اعثر له على ترجمة .

(٩) ذكره ابن الاحمر عرضاً في كتابه الآخر : « نثير الجمان » في ترجمة احمد بن عبد المنان الخزرجي الفاسي . وأشار الى انه رفع قصيدة الى السلطان ابي عنان يمدحه (٩٢/ و) .

لنفسه، يمدح السلطان الملك الناصر [١] صلاح الدين أبا عبدالله محمد بن السلطان الملك المنصور ابي محمـد قلاوون الصاحبي الألفي، ملك مصر، سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة [٢] :

أسبلنَ من فوق النهود ذوائبا فجعلنَ حبـات القلوب ذوائبا
وجلونَ من صبح الوجوه أشعةً غادرن فرق [٣] الليل منه شائبا
بيضٌ، دعاهنَّ الغبي كواعباً ولو استبان الرشد، قال كواكبا
وربائب، فاذا رأيت نِفـارها من بسط أنسك خِلتهنَّ ربارِبا [٤]
سفهن رأي المـانوية عنـدما أسبلن من ظُلَم الشعور غياهبا
وسفرنَ لي، فرأينَ شخصاً حاضراً شهدت بصيرته وقلبـاً غائبا
أشرقنَ في حُلل كأن أديمها [٥] شفقٌ، تدرَّعه الشموس جلاببا
وغربنَ في كِلل، فقلت لصاحبي : « بأبي الشموس الجانحات غواربا [٦] »

---

(١) الملك الناصر محمد بن قلاوون، ابو الفتح (٦٨٤ — ٧٤١) ولي سلطنة مصر والشام ٦٩٣ وهو صبي وخلع منها لحداثته سنة ٦٩٤ فأرسل الى الكرك ثم أعيـد الى السلطنة بمصر ٦٩٨، واستمر حكمه ٣٢ سنة وبعض سنة، وقد لقبه ابن الاحمر هنا بصلاح الدين، والمشهور انه ناصر الدين كما في مقدمة القصيدة في الديوان .

(٢) وردت القصيدة في ديوان صفي الدين الحلي : ٦٢، وسنقابل النص على ما في الديوان برمز « د » .

(٣) في د : فود .

(٤) في الاصل : ربائبا .

(٥) في د : وميضها .

(٦) الشطر الثاني من هذا البيت هو مطلع قصيدة للمتنبي، وتمامه :

بأبي الشموس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلاببا

« ديوان المتنبي : ٩٩ مطبعة التأليف والترجمـة والنشر ١٣٦٣ ﻫ — ١٩٤٤ م بتحقيق عبد الوهاب عزام » .

وفي مقدمة قصيدة صفي الدين في ديوانه: « قال يمدح الملك الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون بمصر عند قدومه اليها من الحجاز، وقد اقترح عليه ارباب الدولة معارضة قصيدة المتنبي » .

ومعربـــد اللحظات يثني عِطفه   فيُخال من مزج [١] الشبيبة شاربا
حلو التعنت [٢] والدلال ، يروعه   عتبي ، ولست أراه إلا عاتبـا
٥ / و عاتبته ، فتضرَّجت وجناته   وازورَّ ألحاظاً ، وقطّب حاجبا
فأراني الخـــدُّ الكليمَ وطرفه   ذا [٣] النون ، اذ ذهب الغداة مغاضبا
ذو منظر تغـدو القلوب لحسنه   نهباً ، وإن منح القلوب [٤] مواهبا
لا غروَ إن وهبَ النواظر حُظوة   من حسنه ، وأباح قلبي ناهبا [٥]
فمواهب السلطان قد كسَت الورى   نِعَماً ، وتدعوه القساور سالبـــا
النـاصر الملك الذي خضعت له   كلُّ الملوك [٦] ، مشارقاً ومغاربا
ملك يرى تعب المكارم راحـــةً   ويعدُّ راحات القلوب [٧] متاعبا
لم تخل أرض من ثنــاه وإن خلت   ملئت قناً ، وصوارماً ، وقواضبا [٨]
بمكارمٍ تبدي السباسب أبحراً [٩]   وعزائم تَذَرُ البحـار سباسِبا [١٠]
ترجى مواهبــه ويُرهب بطشه   مثل الزمان ، مسالمــاً ومحاربا
فاذا سطــا ملأ القلوب مهابة   واذا سخـا ملأ العيون مواهبـا
كالغيث يبعثُ من عطـاه وابلاً   سَبطاً [١١] ، فيرسل من سَفاه حاصبا [١٢]

---

(١) في د : مرح .
(٢) في د : التعتب .
(٣) في د : ذو .
(٤) في د : العيون .
(٥) في د : لابدع ... من نوره ، ودعاه ..
(٦) في د : صيد الملوك .
(٧) في د : القراع .
(٨) الشطر الثاني في د : « من ذكره ملئت قنا وقواضبا » .
(٩) في الاصل : أنجداً ، والتصويب من د .
(١٠) هذا البيت مقدم على سابقه في الديوان .
(١١) رجل سبط اليدين : سخي .
(١٢) السفا : التراب ، وريح: سفواء : هوجاء . في د : سطاه .

كالليث يحمي غابــه بزئـيره — طوراً ، ويُنشب في القنيص مخالبا
كالسيف يُبـدي للنواظر منظراً — ظلما ، ويمضي في الهيـاج مُضاربا
كالسيل تَحمد (١) منه عذبـا واصلاً — ويعدُّه قوم عذابا واصبـا ٥/ظ
كالبحر يهدي (٢) للنفوس نفائساً — منه ، ويبدي للعيون عجائبـا (٣)
أبقى قلاوون الفخـــار لولده — إرثا ، وفازوا بالثنـــاء مكاسبا
قوم اذا سئموا الصوافن صيَّروا — للمجد في بحر الثنـاء (٤) مراكبا
عشقوا الحروب تيمناً بلقـــا العدا — فكأنهم حسبوا العداة حبائبـا
وكأنهم (٥) ظنوا السيوف سوالفا — واللُّدن قداً ، والقِسيّ حواجبا
يا أيهـــا الملك العزيز ومن لـه — شرف يجر على النجوم ذوائبـا
أصلحتَ بـــين المسلمين بهمـــة — تذرُ الأجانب بالوداد أقاربـــا
ووهبتهم زمن الأمان فمن رأى — مَلكاً يكون له الزمان مواهبا ؟
فرأوا خطاباً كان خطباً فادحـا — لهمُ ، وكتباً كنّ قبلُ كتائبـا
وحرست مُلكاً من رجيمٍ مارد — بعزائم ، ان صلت كنّ قواضبا
حتى اذا خطف المنافق (٦) خطفـةً — أتبعته منهـا شهاباً ثاقبـــا
لا ينفع التجريبُ خصمك بعدما — أفنيتَ من أفنى الزمان تجاربا
وصرمت (٧) شمـل المارقين بصارم — تُبديـه مسلوباً فيرجعُ سالبـا
٦/و وصافي الفِرنـدِ حكى مُباحاً جامداً — والبيض برقاً ، والعَجاج سحائبا

---

(١) في د : يحمد .
(٢) في الاصل : يبدي .
(٣) في د : بعد هذا البيت بيت آخر هو :
فاذا نظرت ندي يديه ورأيه — لم تلف الا صائباً او صائبا
(٤) في د : للمجد أخطار الامور .
(٥) في د : وكأنما .
(٦) في د : المكافح .
(٧) في د : صرمت .

حتى إذا ريح الجلاد جرت (١) لها ... مَطَرت فكان الوبلُ نبلاً صائبا
بذوابل مُلدٍ (٢) ، يُخَلنَ أراقما ... وشوائل جُرد ، يُخَلنَ عقاربا
حُمْرِ الخفاف من الصدور كأنما ... تعتاض (٣) من وطءِ التُّراب ترائبا
فأقمتَ تقسم للوحوش رغائبا (٤) ... فيها وتصنع للنسور مآدبا
وجعلتَ ساحات (٥) الكماة منابراً ... وأقمتَ حدّ السيف فيهم خاطبا
يا راكب الخطب الجليل ، وقوله ... فخراً بمدحك (٦): لا عدمت الراكبا
صَيّرتَ أسحار السّماح بواكراً ... وجعلتَ أيّام الكفاحِ غياهبا
وبذلتَ للمُدّاح صفو خلائق ... لو انها للبحر طابَ مشاربا
فرأوك في جَنب النضار مُفرّطاً ... وعلى صلاتك والصّلاة مواظبا
إن يحرس الناس النضارَ بحاجب ... كان السّماحُ لخير (٧) مالِكَ حاجبا
لم يملؤوا فيك البيوتَ غرائبا ... إلا وقد ملؤوا البيوت رغائبا
اوليتني قبل المديح عنايةً ... وملأت عيني هيبة ومواهبا
٦/ظ ورفعت قدري في الانام وقد رأوا ... مثلي لمثلكَ : خاطباً ومخاطبا
في مجلسٍ، ساوى الخلائقَ في النّدى ... وترتبتْ فيه الملوك مراتبا
وافيته في الفلك اسمى جالساً ... فخراً على من جاء يمشي راكبا
فأقمتُ انفذ في الزمان اوامراً ... مني وأُنشب في الخطوب مخالبا
وسقتني الدنيا غداة وردته (٨) ... ريّاً ، وما مَطرت عليّ مصائبا

---

(١) في د : حدت .
(٢) في الاصل ملز والتصحيح عن الديوان .
(٣) في الاصل : يعتاض .
(٤) في د : وظائفاً .
(٥) في د : هامات .
(٦) في د : بمجدك .
(٧) في د : لعين .
(٨) في د : أتيته .

فطفقت املأ من ثناك بقولي [1] حقبا ، وأملأ [2] من نداك حقائبا
أثني فتثني عن صفاتك مُظهراً عيّاً ، وكم أعيت صفاتك خاطبا
لو أن أغصانا جميعاً ألسُنٌ تثني عليك لَما قضيتُ [3] الواجبا

٢ – ومنهم **الشريف عبد العالي بن طاوس العراقي** ، عراق العرب . أدركته ورأيته [4] .

حاله : طلع بأفق المشرق فضاء ، ثم عمَّ نوره ، بقدومه على المغرب اذ ضاء . وهو مَن قاد أفراس الكلام بالأرسان . فمدحت [5] في ميدان المديح بالاحسان ، ونظر من عيون المعارف الادبية عن أنوار انسان . فأتى من القريض بما قرض ، ما مدح من شعر كل جان وانسان ٧ / و . وتعجب مما جاء به منه من الاكثار [6] ، مع الافصاح الذي امتاز به باللسان الثرثار . وتصرّف فيه كيف شاء، وكان لمذهبات الكلام وشّاء . وله منه حظ افتض عرس البراعة وافترعها . ويراعه الرائع أظهر الفرائد واخترعها . وسجع [7] فأوجع ، وعن الهجو ما استرجع . وعمره قضاه في هتاك أستار الأعراض . ولم يعمل بشرف النسب القرشي ولا جنح به الى الإعراض ، بل جعل ذلك الشَّين من لائم المآرب والاغراض ، وتجارته الخاسرة بايع اهل شرائها بالقِراض [8] ، وسبلة السلامة قد ثعبها بالمقراض [9] ، وأنسى فوق الطعن ما

---

(١) في د : ونشره .
(٢) في د : حقداً ، ولا وجه له .
(٣) في د : قضين .
(٤) لم أقف له على ترجمة .
(٥) كذا في الاصل ، ولعلها فمرحت .
(٦) لعل كلمة « منه » زائدة في العبارة .
(٧) في الاصل : وأشجع ، وفي القاموس شجعه : غلبه ، ولعل ما أثبتناه أرجح .
(٨) قارضه قراضاً ومقارضة : جازاه ، وقابل عمله السيء بمثله .
(٩) في القاموس ، سبلة البعير : نحره ، وثعب الماء والدم : فجره .

عرف من فتكات البرّاض[1]. وملأ الصدور شيبة، وما طيب من أفعاله من هذه الورطة ما لم يقل به من رأى طيبة [2]. وبالهجو هلك إذ مسلكه سلك لما من المشرق على المغرب طرا، ودرس من الهجو مـــا عنه لسان الحفظ فرى. أخذ في هجو ملوكه، ونثر نظام المدح من سلوكه. عُثر عليه فقُتل بالسياط، ولم يأخذ قاتله فيه بالاحتياط. فيا قاتله على ٧ / ظ عضو الرسالة أعجلت، فهلّا عقد الصفح عنه عند قاضي الرعي سجلت؟ فكم صفحت عمن لا ينفع، وعنك الضرّ في الضرّتين لا يدفع. أوَليس جده عليـه السلام في الحشر يشفع؟ فكيف تلقاه بقتل حافده، اذا طلب المتن من روافده؟ وعلى البيتين اللذين أثبتا له قتل، وحبل منجاته بالشقاء بُتِل[3]. ومنها:

ميزانيَ العـــاطل المحلّى قال له الدهر: نَمْ مكانك
لا ترتجي الخير عند هـذا ولا تحرّكْ بـه اسانك [4]

٣ - ومنهم: **الفقيه شهاب الدين احمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حجلة، التلمساني المولد، الدمشقي المنشأ، القاهري، المنعوت بابن ابي حجـــلة.** أدركته [5].

---

(١) البراض: (٠٠٠ — ٣٥ ق. ه) البرّاض بن رافع ... الضمري الكنـــاني فاتك جاهلي، يضرب بفتكته المثل اذ قتل عروة الرحال، وجر ذلك الى حرب الفجار.

(٢) كذا في الاصل: ولم اجد توجيهاً مناسباً للمعنى.

(٣) البتل: القطع. قال ابن الاحمر في مستودع العلامة ومستبدع العلامة: « فما كان الا نحو ثمانية ايام وقتل، وعمره صُرم حبله وبتل » « انظر ترجمـــة عبدالله بن ابي مدين العثماني ص: ٤٤ ». ورسمها في الاصل: وقتل.

(٤) أورد الناسخ البيتين في سطر وبعض سطر كأنهما نثر. وأول البيت الثـــاني في الاصل « لا ترجى ».

(٥) شهاب الدين احمد بن يحيى بن ابي بكر التلمساني، ابو العباس بن ابي حجلة (٧٢٥ — ٧٧٦) شاعر وعـــالم بالادب من اهل تلمسان، سكن دمشق، وولي مشيخة الصوفية =

حاله : هو المستبحر في القريض والتصنيف ، والمقرّط آذان العلوم ومشنفها بأحسن التشنيف . المستحوذ ببراعته على صدور القوافي والأعجاز . المستكثر في الشعر المدون ببدائع الطلاوة ، والمستطيل فيه بالرقة والحلاوة . وشعره بدائع جميعه أثيرة ، وفرائده لظهور الفوائد مثيرة. وطريقة التصوف هو ٨/ و فارسها ، وميادين أبطال الكلام هو ممارسها. فمن قوله يهجو بعض القضاة :

دع الفكر من [1] نيل ما يبعد ... فيا حاشه الله لا يُعقَدُ
ولا تحسبنّ بأن القضاء ... يعود اليك لما تَعهَد
فدون قضائك يُقضى عليك ... ودون الشهادة تُستشهد [2]

= يصهريج منجك بظاهر القاهرة، ومات فيها بالطاعون.وله مؤلفات كثيرة ، منها : سكردان السلطان ، والطارىء على السكردان ، وديوان الصبابة. وفي دار الكتب المصرية نسخة مخطوطة من ديوان ابن ابي حجلة برقم (١٥٢٥) أدب .

بروكلمان : ٢ : ١٢ ، والملحق ٢ : ٥ دائرة المعارف الاسلامية ٢ :٣٥٦ . وانظر الدرر الكامنة ١ : ٣٢٩ .

(١) في الاصل : في .

(٢) جاء في ديوان ابن ابي حجلة التلمساني الورقة ٢٢/ و ، وبعد ما ورد من الشعر على حرف الحاء : « كتبت ذلك من خط مؤلفه ، ولم أجد له شعراً على قافية الخاء ، ولا الدال ، ولا الذال ، رحمه الله تعالى » . وقد ذكر الناسخ انه نقل الديوان عن نسخة بخط المؤلف .

الفصل الثاني

النوع الاول من الفصل الثاني في شعراء الاندلس

٤ — الشريف الفقيه الكاتب القاضي الخطيب ابو القاسم بن الفقيه المعلم لكتاب الله تعالى احمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن علي بن موسى ابن ابراهيم بن محمد بن ناصر بن جنوب بن القاسم بن الحسن بن الحسين بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن امير امير المؤمنين علي بن ابي طالب السبتي نزيل غرناطة [1] ، المتوفى بها ، ادركته ورأيته .

---

(١) ابو القاسم محمد بن احمد الشريف الحسني (٦٩٧ — ٧٦٠) السبتي نزيل غرناطة . من الشعراء والقضاة الفضلاء . ولي عدة مناصب في دولة بني نصر مثل كتابة الانشاء وتولى خطة القضاء والخطابة ، وتوفي في غرناطة وهو على قضائها . له شرح على مقصورة حازم ، وشعر . والاستاذ عبدالله كنون يتشدد في تسميته بالشريف السبتي ، دون الغرناطي . « انظر مشاهير رجال المغرب العدد ٢١ طبع تطوان ». وترجم له ابن الاحمر في نثير الجمان ١ ٤/ظ، بروكلمان ٢ : ٢٤٧ . والملحق ٣ : ١١٩٥ . الاحاطة ٢ : ١٢٩ . المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا : ١٧١ . الديباج المذهب : ٢٩٠ . الدرر الكامنة ٣ : ٤٥٢ درة الحجال ١ : ٢٨٤ ، نفح الطيب ٧ : ١١٦ . جذوة الاقتباس : ١٩٣ ، التعريف بابن خلدون : ٦١ ووفاته في درة الحجال سنة ٧٦١ .

حـاله : شاعر العدوة الأندلسية في ذلك الفريق ، وكاتب انشاء ٨ / ظ حضرتها السلطانية بالجمع والتفريق ، وامام العلوم بالتحقيق ، وفارس البحث فيهـا بالتدقيق ، ومقرىء القرآن كأبيه بالتفخيم والترقيق ، والراشف ثغرَ الفهم الذي صار لديه كالرقيق ، والمسكت في فتياه وتدريسه في عـين التحصيل ابن الدقيق [(١)] . والمزري في علم التاريخ بابن الرقيق [(٢)] والمولع بالموسم مولاه الرومي ، المحمرّة وجناته كالعقيق . المتغزل فيه بقوله الذي لم يُورِّ بحاجر والعقيق [(٣)] :

دعيني من مقـال العاذلَين وخلّـي بين تهيامي وبيـني [(٤)]
ومن يك ساليا [(٥)] فلديّ حب سلوُّ القلب [(٦)] عنـه غير هين
علقت فمقلـتي للنوم حرب بأعزل ، وهو شاكي المقلتين [(٧)]
مليـحُ الدل شاقت كل قلب شمائله ، وراقت كل عـين
جنى ، وحمى ، فلم أطلب بثأري محاجره ، ولم أتقـاض ديني

---

(١) في الاصل : « ابنـه ابن الرقيق ، والمزري في علم التاريخ ابن ابن الرقيق .. » والتصحيف واضح . ابن دقيق العيد : محمد بن علي (٦٢٥ — ٧٠٢) قاض من اكابر العلماء بالاصول ولي قضاء مصر (٦٩٥) واستمر الى وفاته . وله أخ عرف بالاسم نفسه ، وهو موسى ابن علي (٦٤١ — ٦٨٥) والاول : أعلم وأشهر .

(٢) ابراهيم بن القاسم القيرواني (... بعـد ٤١٧) مؤرخ أديب من اهل القيروان ، كان يلي كتابة الحضرة في الدولة الصنهاجية ، قال فيه ابن خلدون « لم يأت بعده الا مقلد » . وشهر بابن الرقيق .

(٣) وردت القصيدة في ترجمة الشريف الغرناطي في نثير الجمان : ٤٣/ و ، ونقابل النص على ما في نثير برمز « نثير » .

(٤) الابيات الاربعة الاولى متداخلة كأنها نثر .

(٥) في نثير : سائلا .

(٦) في نثير : منه .

(٧) شاكي المقلتين ، من قولهم « شاكي السلاح » : ذو شوكة وحدة في سلاحه .

أهيم بخدّه وبمبسميه فأنسِبُ بالحمى والأبرقين (١)
عقدتُ مع الغرام (٢) فبعتُ فيه وقاري والتصبرَ صفقتين
وهمت بناعم العِطفين فيه عذابُ الصبّ عذبُ المَرشفين
تدير ٩/و عليّ عيناه كؤوسا كأن سُلافها من رأس عَين

ومنها (٣) :

كففتُ المقلتين ليشهدا لي فجرّحتِ الدموع الشاهدين
فلو أبصرت ناظريَ المُعنّى وماءُ الدمع فوق الوجنتين
بصرت بوردتين يسحُّ منها سكيبُ القطر ، فوق بَهارتين
اذا أعرضتَ أعرضَ كل صبر وآذن نوم(٤) أحداقي ببين
ولم تبد الرياض بحسنِ زيٍّ ولم تزهُ الربا بكمال زين
كأن نسيمها مما أقاسي تهب عليلة بالأبردين (٥)
كأن الدهر غب بها بَكته لما أبدى حمام الشاطئين
أهيج لها هوى وتهيجُه لي فنُلفى في الهوى متطارحَين
وقد هاج الحَمام الوجد قبلي لتوبة (٦) عند بطن الواديَين

---

(١) الأبرقان : أبرقا حجر اليمامة ، وهو منزل بعد رميلة اللوى بطريق البصرة الى مكة .
(٢) في الأصل : الغمام . وما اثبت من نثير الجمان .
(٣) تجاوز هنا ثلاثة ابيات اثبتها في نثير الجمان وهي :

فأحلف بالمحصب والمصلى وأعلام الصفا والمأزمين
لأنتصرن بالأجفان حتى تكون دموعها في الحب عوني
وحين تصرفوا كلفي وقلبي يصون السر عنهم كل صون

(٤) في نثير ، وفي الاصل : يوم .
(٥) الابردان : الغداة والعشي .
(٦) توبة بن الحمير (... — ٨٥) شاعر من عشاق العرب المشهورين ، كان يهوى ليلى الاخيلية ، وخطبها فرده أبوها وزوجها غيره فتغزل بها واشتهر امره . وهو القائل :

حمامة بطن الواديين ترنمي سقاك من الغر الغوادي مطيرها

« الاغاني ١١ : ٢٠٨ — طبعة دار الكتب المصرية » .

بعيشك هل ترى ثاني وحيد ... يَرى بك ثالثاً النيِّرين
وهل يدنو من الآمال صبٌ ... بعيد بين هُدب الناظرين
فإن يكن الجمال حباك مُلكا ... وأيّد[1] ناظريك بحاجبين
فما ٩/ظ أرضى للملك أن كسرى ... وقيصر في مقام الحاجبين
تخبّرني وفي عِطفيك لِينٌ ... فمالك عن فؤاد غير لَين
وأعرف في لحاظك ما رأت في ... ظُبا الثقفي قاتلةُ الحسين[2]
وألقي في الهوى بيدي وما لي ... على فتكات لحظكَ من يدين
علام الغِبٌ عني ؟ لا أغبَّت ... بك الخيراتُ هامية اليدين[3]

وقال فيه ورى :

وأحورَ وسنانِ الجفون مرابطٍ ... سبى حسنُه لبٌ اللبيبِ وصبرَهُ
حمى ثغرَه عني بمُرهف جفنه ... ولا غرو أن يحمي المرابطُ ثغرَه

وقال فيه ورى[4] :

من مبلغ الرّشأ الذي ما عنه (لي)[5] ... صبرٌ ولا لي عن هواه بَراحُ

---

(١) في الاصل : وأيدك ناظريك ، وهو سهو .

(٢) خرج المختار بن عبيد الثقفي على بني امية ، فدعا باسم محمد بن الحنفية ، وغلب على الكوفة والموصل ، وتتبع قتلة الحسين بن علي رضي الله عنهما فقتل كثيراً منهم .

(٣) وبعد هذا البيت في نثير :

ولا جرت الرياح عليك الا ... صبا ، وسقى محلك كل جون

(٤) البيتان في « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » ص ١٦ وهو ينص على النقل من الاحاطة لابن الخطيب والبيتان غير موجودين في ترجمة الشريف الغرناطي في « الاحاطة » ٢ : ١٢٩ . ومطلع البيت الاول في البغية :

كم قلت للرشأ الذي ما عنه لي ...

(٥) كلمة : « لي » من بغية الوعاة .

ما لاح خالك [١] والسّوادُ شعاره | الا انثنيتُ ودمعي السفاح

وقال فيه :

ولا كمنمنم الخدّين غالت | بدائعُ حسنه حسنَ اصطباري
رأى الالحاظَ تجرحُ وجنتيه | فسنّ [٢] عليهما ورد العِذار ١٠/و

وقال فيه :

وفي عذارك لي عذرٌ أُقيمُ به | عذر المتيَّم تبكيتاً للاحيه
وذاك أني أرى ماء النعيمِ جرى | في صحن خدك ، فاخضرت نواحيه

٥ – ومنهم : **الشريف الفقيه الخطيب الصالح علي بن احمد الحسني المعروف بالأحيمر المالقي** [٣] – ادركته .

حاله : راح في ميدان الصلاح لما بأهله اقتدى . وتوشح بفضل من [٤] الفلاح وارتدى . ومشاعر التقوى سلك ، وملاك امورها ملك . وطلع في سماء الادب شهاباً ، والتهبت نار فصاحته التهاباً . وشعره ظهرت عليه الشهامة الهاشمية ، والاجادة التي هي القائمية . وهذا مطلع نفاسته الشعرية ، وموضع رياسته السحرية ، امتدح بها عم ابينا : السلطان اسماعيل اخا [٥]

---

(١) في الاصل : حالك .

(٢) في الاصل : قبسن .

(٣) الشريف الحسيني على بن احمد المشهور بالاحيمر . ترجم له ابن الاحمر ايضاً في نثير الجمان ٤٢/ ظ في باب شعر قضاة الاندلس وفقهائها . وذكره لسان الدين في الكتيبة الكامنة : ٦٢ في الباب الذي خصه بالخطباء والصوفية ، وقال فيه « رجل وقار وسكون ، له الى ا [illegible] ركون ... وله شعر يحيد ويجيد » ولم يذكرا ميلاده ولا وفاته. ونقابل النص على الكتابين برمز « نثير » و « الكتيبة » .

(٤) في الأصل عن ، وهو تصحيف .

(٥) في الاصل : اخي ، وهو خطأ .

جدي ابن جدنا الأمير الرئيس سعيد بن فرج امير مالقة ابن جدنا [1] الأمير اسماعيل بن جدنا الأمير يوسف المدعو بالأحمر [2] ، ابن جدنا الأمير محمد بن احمد بن محمد ١٠ / ظ الخزرجي ملك الأندلس [3] :

الآن تطلبُ ودَّها ووصالها ... من بعد ما شغلتْ بهجرك بالها
وأتيتها متلبّساً بروائع [4] ... نكر بفودك صبّحت [5] عُذالها
بيضٍ تخيّلُ للنفوس نصولها ... سمراً تحوّلُ للنحورِ نِصالها
مثل الأفاعي الرُّقط تنفث في الحشا ... وأرى بفودك جُثماً [6] اصلالها [7]
نار تضرم في الفؤاد حريقها ... لكن تنير بفرقيك ذُبالها
جزعت لهذا الشيب نفسي وهي ما ... زالت تُهوّن كل صعبٍ نالها
ولكم صدعتُ بنافذ من عزمتي ... يهماء [8] لا يهدى العليم ضلالها [9]
صادمت من كرب الدنا اشتاتها ... ما خِفت غربتها ولا إقلالها [10]

(١) في الاصل : ابو ، وهو خطأ ، والامير اسماعيل هو شقيق محمد بن يوسف مؤسس الدولة النصرية ، أما السلطان الذي تخصه قصيدة الاحمر المالقي بالمدح فهو : اسماعيل بن فرج بن اسماعيل ابن يوسف ، وقد تولى ملك غرناطة منذ ٧١٣ حتى ٧٢٥ ، حيث توفي . انظر اللمحة البدرية في الدولة النصرية ص ٢٣ — ٢٤ .

(٢) في الاصل المدعو بابن الاحمر ، وهو خطأ ، لأن الملقب بالاحمر هو يوسف والد اول ملوكهم . وقد لقبه كذلك في الكتاب غير مرة (انظر ١/ ظ ، ١٢/ ظ ، ٤٥/ ظ) .

(٣) في نثير الجمان : الابيات (١ — ١٩) متطابقة مع النص ، وبقية الابيات ايضاً بزيادة خمسة عليها . وفي الكتيبة : الابيات (١ — ١٩) ، (٣٧ — ٣٨) .

(٤) رائعة الشيب : اول شعرة تبدو منه .

(٥) في نثير والكتيبة : اصبحت .

(٦) في الكتيبة : كمناً .

(٧) الصل : الحية لا تنفع فيها الرقية ، اي شديدة الاذى .

(٨) اليهماء : المفازة لا علم بها .

(٩) الشطر الثاني في الكتيبة : « يهماء لا يهدى الدليل خلالها » .

(١٠) في الكتيبة : اخلالها .

ولئن تُقلِّص عسرتي فيء (الغنى[١])   عني ، فلي نفس تمدُّ ظلالها
ما مزقت ديباجتي عينُ امرىءٍ   عرضت عليه النفس قطُّ سؤالها
ألقى الليالي غير هيب[٢] صرفها   والاسد[٣] غير مجنّب اغيالها[٤]
أمشي الهوينا والعداةُ تمر بي   مراً يطير عن الجياد نسالها[٥]
علمت لي الخلق الجميل محققاً   وتسيء فيَّ على عمىً اقوالها
١١/و تبغي انثنائي هل سمعت بنسمة   مرت على نجـد تهز جبالهـا
ولربما عرضت لعيني نظرة   يرضى الحكيم غرامها وخبالها
من غادة سرق الصباح بهاءها   والبـدر في ليل التمام كمالهـا
تهوى المجرَّة ان تكون نجومها   من حليها ، وهلالها خلخالها
عرضت كما مرت بعينك[٦] مطفلٌ   ترعى بناظرها الكحيل غزالها
ما نهنهت نفسي وإن ضمِنت[٧] لها   عبراتها يوم الوداع وصالها[٨]
من كان يأمل ان يقوم بمجلس   حطت به شُهب السما اثقالها
يحيي[٩] أحاديث السراة أُولي النُّهى   نصاً ، ويضربُ في العُلا أمثالها
ألقى هواه جانباً وهوتْ به   وجناء[١٠] تدمن في الدُّجا[١١] إعمالها

(١) كلمة الغني ساقطة من الاصل .
(٢) في الكتيبة : طيب .
(٣) في الكتيبة : الاسر .
(٤) الاغيال : ج غيل: وهو الشجر المجتمع الملتف .
(٥) المسالة : شعر الدابة اذا سقط عن جسده قطعاً . ونسال الطير : ما تحات من ارياشها .
(٦) في الكتيبة : لعينك .
(٧) في الكتيبة : ظمئت .
(٨) في الكتيبة : وماالها .
(٩) في نثير : يحيا ، وفي الكتيبة : تجني .
(١٠) الوجناء : الناقة الشديدة .
(١١) في الكتيبة : الفلا .

منها في المدح :

انتم بنو نصرٍ نصَرْتم مِلة الاسلام حين شكت لكم خذّالها
كنتم لنــا أهلاً ، ورحبتم بنا في العُدوتين ، ومنهم أنزالها [١]
(نزلت)على[٢] سعدٍ ليُسعد جدّها وأوت الى نصرٍ لينصر آلهــا
(احرزتم)يوم[٢] السقيفة قودها[٣] دون الانام وقيدها وشِكالها [٤]
١١/ظ لكن حبوتم من اجرتم، منة، بخلافة الله التي يُعشى [٥] لهــا
اذا تؤثرون سواكم ، قالت بــذا آي الكتاب [٦] فمن يردُّ مقالها ؟
حتى اذا عثرت ولم ينهضْ بهــا إلا كمُ ، بادرتم انشالهـــا
آويــتم (خير البرية كلها) [٧] ومغيثها ، ونجاتها ، وثمالهـــا

ومنها :

(لمــا تحققت النبوة انهــا) [٧] قد زُلزلت منها الورى زلزالها
وتقاعست عــن منعها اعمامها أمت أئمّة نصرها ، أخوالها
فوثبتمُ مثــل الليوث لنصرها والحرب تخطف خلفها أمثالها
فأدرتمُ منهــا زَبوناً أصبحت ترمي رؤوس المُلحدين ثفالها

---

(١) لم يرد هذا البيت في الكتيبة ، ورواية البيت كما في الاصل ، وكما في نثير الجمان. وانزال: ج : نزل ، ولعل « منهم » أن تقرأ « وصنتم » .
(٢) ما بين قوسين ناقص في الأصل لخرم في طرف الصفحة .
(٣) القود : الناقة الطويلة العنق .
(٤) الشكال : الحبل الذي تشد به قوائم الدابة .
(٥) عشي الى النار : رآها من بعيد فقصدها ؛ وهو يلمح الى شورى يوم السقيفة التي انتهت بخلافة ابي بكر الصديق ، رضي الله عنه .
(٦) يشير الى قوله تعالى : « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » .
(٧) في الاصل محو بنقطة ماء ، والتتمة من النسختين الأخريين .

ومنها :

بدرٌ وما بدرٌ، ورَدم قليبها[1] بجنادل الطاغوت تملأ جالها[2]
ولكم بأوطاس[3] وقد حمي الوطيس على العدى يومٌ أطاح محالها[4]
فنزعتم أرواحها، وسبيتم أولادها، وسلبتم أموالها
وذهبتمُ بالمصطفين لدينكم وحبا سواكم شاءها وجمالها
١٢/وفُزتم به فوز[5] المُعلَّى منحة أحرزتم دون الأنام منالها
يا أيها الملك الذي من ملكه جنت الملوك جمالها وجلالها
تحيي الهدى[6]، تهمي الندى، تولي الجدا وتقي الردى، ترمي[7] العدا أوجالها
خذها كما دارت بكأس سلافها حوراء تمزج باللمى جريالها
تثني على السحر الحلال وشاحها وتدير من خمر الفتون حلالها

٦ – ومنهم : ذو الوزارتين الفقيه الكاتب ابو الحسن علي بن محمد بن سليمان بن الجيّاب الأنصاري الاغرناطي (*) .

---

(١) القليب : البئر ، وهو يشير الى « قليب » التي رمى المسلمون فيهـا القتلى من كفار قريش يوم بدر .
(٢) الجال : جانب البئر .
(٣) اوطاس ، واد بديار هوازن فيه كانت وقعة حنين . ويومئذ قال رسول الله (ص) : « حمى الوطيس » وذلك حين استمرت الحرب .
(٤) المحال : الحذق والكيد والمكر .
(٥) المعلى : السابع من سهام الميسر وهو أفضلها .
(٦) في نثير : تحمي الهدى .
(٧) في الاصل : وترمي ، وهو من خطأ الناسخ .
(*) اشهر كتاب الدولة النصرية في القرن الثامن ، ابو الحسن علي بن الجياب (٦٧٣ — ٧٤٩) وشيخ طلبة الاندلس رواية وتحقيقاً ومشاركة في كثير من العلوم، كان قائماً على العربية اماماً في الفرائض والحساب ، عارفاً بالقراءات ، متبحراً في الادب والتاريخ ، مشاركاً في التصوف، وشاعراً مبدعاً . تتلمذ عليه لسان الدين بن الخطيب، وورث خطته عن رضى عنه =

حاله : وزير الدولة اليوسفية في الحضرة الأندلسية ، وعالم الصقع في أعلام تلك الجنسية . كان قد امتطى من ديوان الانشاء جواداً تقدم به مُجلياً، وغدا كل منتمٍ لهذه الطريقة مُصلياً . وغرّب ذكر علومه العقلية والنقلية وشرّق ، وأشأم إفصاح يراعه المريع وأعرق . فمن قوله يمدح امير المسلمين الغالب بالله أبا عبد الله محمد المخلوع [1] خال جدي ١٢/ظ والد أبي ابن جدنا امير المسلمين محمد الفقيه ابن جدنا امير المسلمين الغالب بالله محمد صاحب الدبوس ابن جدنا الأمير يوسف المدعو بالأحمر ، ابن جدنا الامير محمد بن احمد بن محمد ابن نصر الخزرجي ملك الاندلس [2] :

زارت تُجرّر نخوةً [3] أذيالها هيهات تخلط بالنّفار دلالها
والشمس من حسدٍ لها مُصفرّة اذ قصّرت عن أن تكون مِثالها
وافتك تمزج لينها بقساوة قد أدرجت طيَّ العِتاب نوالها
كم رُمت كتم مزارها لكنه صحّت دلائل لم تُطق إعلالها
تركت على الأرجاء عند مسيرها أرجاً كأن المِسك فُتّ خِلالها

= — كما ذكر في الاحاطة — وجمع شعره . كتب ابن الجياب اكثر من خمسين سنة عن الدولة النصرية ، وتوفي بالطاعون الجارف ٧٤٩ . وله في دار الكتب ديوان مخطوط (رقم ٢٤٢٤ — أدب) وذكر لسان الدين في الاحاطة انه جمع شعره ورتبه (مخطوط دار الكتب رقم ٥٥١٩ — ص١٤٩ — ١٥٣) في ترجمة ابن الجياب .

بروكلمان : الملحق ٢ : ٣٦٩ . الكتيبة الكامنة : ١٨٣ ، نفح الطيب ٧ : ٢٥٣ — نيل الابتهاج : ٢٠٤ . درة الحجال : ٢/٤٣٥ — ٤٣٦ ، الديباج المذهب : ٢٠٧ .

(١) الغالب بالله ابو عبدالله محمد المخلوع ، هو ثالث السلاطين النصريين بغرناطة ، ولي سنة ٧٠١ وخلعه السلطان نصر سنة ٧٠٨ . (انظر اللمحة البدرية : ٤٧) .

(٢) وردت القصيدة في نثير الجمان ٣٥ ظ — ٣٦ ظ — ، وأوردها في نفح الطيب كاملة ٧ : ٢٥٥ . والمقابلة على ما فيهما . وقدم صاحب النفح للقصيدة بقوله : وقال يمدح ، ويصف مصنعاً سلطانياً .

(٣) في نفح : لنحوه .

مـا واصلتك محبـةً وتفضلاً لو كان ذاك لواصلت إفضالها
لكن توقعت السُّلوَّ فجدَّدت لك لوعة لا تتقي ترحالها
فو حبِّهـا قسماً يحق بروره لتُجَشِّمنَّك في الهوى اهوالها
حسّنت نظم الشعر في اوصافها اذ اقبحت لك في الهوى افعالها

ومنها بعد وصف الروض :

شكرت ايادي للحيا شكر الورى شرف الملوك همامها مفضالها
وصميمها اصلاً وفرعاً ، خيرها ذاتاً خلقاً وسمحها (بذالها [1])
١٣/و ان تلقه في يوم بذل هباته تلق الغمائم ارسلت هطالها
او تلقه في يوم حرب عداته تلق الضراغم فارقت اشبالها [2]
فبسَيبه وبسيفه نيل [3] المنى واستعجلت اعداؤه آجالها

ومنها :

جمع العلوم عناية بفنونها [4] آدابها ، وحسابها ، وجدالهـا
منقولها ، معقولها ، وأصولها وفروعها ، تفصيلها ، إجمالها

ومنها :

فاذا عفـاتك عـاينوك تهللوا لما رأوا من كفك استهلالها
وإذا عُداتك ابصروك تيقنوا ان المنية سلطت رئبالهـا

---

(١) في الاصل ، ونثير الجمان : بدالها والتصويب عن النفح .
(٢) من هذا بيت يبدأ الموجود من القصيدة في الديوان ، اذ أن ورقة قـد سقطت من حرف اللام (ص ٨٣) .
(٣) في النفح : نلت .
(٤) في النفح : بعيونها .

بددت شملهمُ ببيض صوارم ... رويت من علق الكماة (١) نصالها
وأبحتَ أرضهمُ فأصبح أهلها ... جَزَراً (٢) تغادر نهبة اموالها

ومنها :

ولأرض اندلسٍ مفاخرُ ، انتم ... أربابها ، أضفيتم سربالها
١٣/ظ فحميتم أرجاءها ، وكفيتم ... اعداءها ، وهديتم ضلالها
فبآل نصرٍ فاخرتْ ، لاغيرهم ... لم تعتمد (٣) من قبلهم أقيالها
فهم الألى ركبوا لكلّ عظيمةٍ ... جرداً كسين من النجيع جلالها
وهم الألى فتحوا لكلّ ملمة ... باباً أزاح (٤) بفتحه إشكالها
مُتقلّدون من السيوف عضابها ... متأبطون من الرّماح طوالها

٧ – **ومنهم ذو الوزارتين الفقيه الكاتب ابو عبد الله محمد بن الرئيس الفقيه الكاتب المنتزى (٥) ببلدة لوشة عبد الله بن الفقيه القائد الكاتب سعيد بن عبد الله بن الفقيه القائد الكاتب سعيد بن عبد الله بن الفقيه الصالح ولي الله الخطيب سعيد بن احمد السلماني اللوشي** المعروف بابن الخطيب (*) . نزيل فاس المقتول بها في عام ستة وسبعين وسبعمائة . ادركته

---

(١) العلق : الدم .
(٢) في النفح : خوراً .
(٣) في الاصل : تعتمر ، والتصحيح من كل المصادر .
(٤) في الاصل : رام ، وفي نثير الجمان : أراح .
(٥) في بعض نسخ أزهار الرياض : المفتي (١ : ١٨٦) .
(*) لسان الدين بن الخطيب (٧١٣ – ٧٧٦) الوزير الكاتب الشاعر ، من أسرة اشتهرت بالفضل والرياسة . تولى الكتابة عن السلطان النصري يوسف الاول بعد وفاة استاذه ابن الجياب ، ثم كتب للغني بالله من بعده ، وتولى وزارته ، وشاركه هزيمته الى المغرب ٧٦١ ، وعودته الى غرناطة ٧٦٣ . ثم اضطرب ما بينهما بوشايات أفسدت خلق ذلك العصر كرهاً وحسداً . وآنس =

وخاطبته وخاطبني .

حاله [١] : شاعر الدنيا ، وعلم المفرد والثُّنيا ، وكاتِبُ الارض الى يوم العَرض . لا يدافع مدحه في الكتَب ، ولا يُجنح فيه الى العَتب[٢] . آخر من تقدم في الماضي ، وسيف مِقوَله ليس بالكَهام ١٤/و اذ هو الماضي. وإلا فانظر كلام الكتاب الاول من العُصبة ، وكيف كان فيهم بالاجادة صاحب القصبة ، للبراعة باليراعة . وبه أُسكت صائلهم ، وما حُمدت بكرهم وأصائلهم ، للجزالة المشربة بالحلاوة ، الممكنة من مفاصل الطلاوة . وهو نفيس العُدوتين ، ورئيس الدولتين بالاطلاع على العلوم العقلية ، والامتناع [٣] بالفهوم النقلية . لكن صِلّ لسانه في الهجاء لَسع ، ونجاد نطاقه في ذلك اتسع [٤] ، حتى صدمني . وعلى القول فيه أقدمني . بسبب هجوه في ابن عمي ملك الصقع الأندلسي سلطان ذلك الوطن في النفر الجنسي. المعظم في الملوك بالقول الجني والانسي . ثم صفحت عنه صفحة القادر الوارد من مياه الظفر غير الصادر[٥]

= لسان الدين تحولاً من سلطانه ، فنجا بنفسه الى المغرب عن نفس زاهدة ممنياً نفسه بالحج سنة ٧٧٤ ، إلا أنه لجأ الى بني مرين وأمن عندهم ، حتى تغلب السلطان ابو العباس على الملك بتأييد من الغني بالله ، فأسلم لسان الدين الى رجال الغني بالله فقضوا عليه سنة ٧٧٦ .

بروكلمان ٢ : ٢٦٠ ، والملحق ٢ : ٣٧٢ وفيه ثبت كامل بكتب لسان الدين وآثاره . دائرة المعارف الاسلامية : ٣٩٧ ، الدرر الكامنة ٣ : ٤٦٩ .

(١) نقل المقري ترجمة لسان الدين الواردة هنا ، في نفح الطيب ، فأورد بعضها في ٨ : ١٣٥ وبعضها الآخر في ٩/٥ ٣٠ ، وأزهار الرياض ١ : ١٨٩ ، ١٩١ ، بحذف بعض الجمل . وفي مقدمة « نثير الجمان » فقرة يلزم نفسه فيها بذكر محاسن مترجميه دون مثالبهم ، نقلها هنا بكاملها ، وسنشير اليها ، ونقابل النص على النفح برمز (نفح) وأزهار الرياض برمز (أزهار).

(٢) في الاصل : « .. لما فيه ، آخر من .. » دون النفح والازهار، ولا معنى لهاتين الكلمتين في هذا الموضع .

(٣) كذا في الاصل ، وفي النفح والازهار : الامتاع .

(٤) في النفح : « ألسع .. أنسع » وهو تصحيف .

(٥) من هنا تبدأ الفقرة المثبتة في مقدمة نثير الجمان ٢/و — ٣/ظ وفي النفح : القاذر .

لأن مثلي لا يليق به اظهار العورات، ولا يحمد له تتبع العثرات اتباعاً للشرع في تحريم الغيبة، وضرباً عن الكريبة[1] . واثباتاً لحظوظ النقيبة الغريبة[2] .
ومن قولي [3] في ذلك المعنى لما حللت في ذلك المغنى :

١٤/ظ تركتُ مثاليبَ الرّجال لأنني أفضل أن ألقى بفضليَ للناس [4]
وأرجو بذاك الستر يوم فضيحةٍ اذا جـلّ خطب في القيامةِ بالناس

ما ضره لو اشتغل بذنوبه ، وتأسف على ما شرب من ماء الهجو بذَنوبه. وستر العيوب وكف أكف الناس، وقال كما قال ابن طاهر عامل آل العباس:

وما السّر من قلبي كثاوٍ بحفرة لأني أرى المدفونَ ينتظر الحَشرا
ولكنني أخفيه حتى كأنه من الدهر يوماً ما احطتُ به خبرا

وقد قال بعض الناس : من تعرض الأعراض [5] صار عرضه هدفاً لسهام الأغراض [6] . وله الاوضاع المصنفات ، آذان إحسانهـــا هي المقرّطات المشنفات . منها في التصوف ، الذي اكثر اهل الحقائق اليـه نظر التشوف : روضة التعريف بالحب الشريف ، وجمع شعره المسمى بالصيب والجهام والماضي والكهام ، والتاج المحلى في مساجلة القدح المعلى ، والكتيبة الكامنة في شعراء المائة الثامنـــة ، وخطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف ، وطُرفة ١٥/ و

---

(١) في النفح والازهار : « الكريهة » وفي القاموس الكريبة : الداهية الشديدة .
(٢) في النفح والازهار : « النقيبة الرغيبة » ، والنقيبة : النفس والطبيعة .
(٣) البيتان مع التقدمة متروكان في النفح والازهار . والتقدمة والبيت الاول ساقطان من نثير الجمان .
(٤) الشطر الثاني في الاصل : بالفضل أن ألقي بفضلي بالناس . ولعل ما أثبتناه قريب .
(٥) في الاصل حرف (أن) قبل صار ، وهو زيادة من الناسخ .
(٦) عود الى ما نقله المقري ، في النفح ٩ : ٣٠٥ ، والازهار : ١٨٩ .

العصر في دولة بني نصر . والاحاطة في تاريخ غرناطة. ورقم الحلل في تاريخ الدول . والاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام . وريحانة الكتاب في كتبه ، وكناسة الدكان في كتبه، ونـُفاضة الجراب في التاريخ. فمن قوله العذب* :

عسى خطوةٌ بالركب ياحادي العِيس ... على الهضبة الشمّاء من قصر باديس[1]
لنظفر من ذاك الزلال بعذبه[2] ... وننعم في تلك الظلال بتعريس
حبستُ بها ركبي فواقاً[3] وانما ... عقدت على قلبي لها عقد تحبيس
لقد[4] رسخت آي الجوى في جوانحي ... كما رسخ الانجيلُ في قلب قسّيس
بميدان جفني للسُّهاد كتيبةٌ ... تغير على سرح الكرى في كراديس
وما بي إلا نفحةٌ حاجريةٌ[5] ... سرت والدُّجى ما بين وهنٍ وتغليس
الا نفسٌ يا ريح من جانب الحمى ... تنفس من نار الجوى بعض تنفيس

(*) وردت القصيدة في الاحاطة (القسم المخطوط بدار الكتب رقم ٥٠١٩ تاريخ) وفي نفح الطيب وأزهار الرياض ١ : ٢٣٤ .

(١) قال في الاحاطة (١/٢٧٦) في ترجمة باديس بن حبوس الصنهاجي : « وداره اليوم طلول تغيرت أشكالها ، وقسم التمليك جناتها ، ومع ذلك فمعاهدها اليه منسوبة ، وأخباره متداولة . وقد ألمت في بعض مشاهده بقولي من قصيدة غريبة الأغراض ، تشتمل على فنون أثبتها إحماضاً وفكاهة لمن يطالع هذا الكتاب .. » ولم يثبت مختصر الاحاطة في هذا الموضع إلا مطلع القصيدة . والظاهر أن دار باديس هذه كانت قصراً يتداوله ولاة غرناطة ، ثم آلت الى بني نصر ، الى أن بنوا الحمراء ؛ قال صاحب الذخيرة السنية ص : ٦٠ « فلما فرغ — يعني محمد بن الاحمر اول ملوكهم — من الصلاة — وهي صلاة المغرب وأول ما ام الناس اميراً — خرج الى قصر باديس والشمع يتقد بين الأبواب ، فدخل بين خاصته » . وقد وهم محقق ازهار الرياض في شرح كلمة (باديس) في هذه القصيدة . (ازهار الرياض ١ : ٢٣٤) .

(٢) في المراجع الثلاثة : بعلة .

(٣) الفواق : ما بين الدرتين من حليب الابل .

(٤) في الاحاطة : وقد .

(٥) حاجر : منزل للحاج بالبادية .

ويا قلبِ لا تلقَ السلاح فربمـــا　　تعذّر في الدهر اطرادُ المقاييس

وقــد تُعتب الايام بعد عِتابها　　وقد يُعقبُ الله النعيم من البوس (١)

ولا تخشي لجَّ الدمع يا خطرة الكرى　　الى(٢) الجفن، بل قيسي على صرح بلقيس(٣)

١٥/ظ تقول سليمى ما بجسمك(٤) شاحباً　　مقالة تأنيثٍ يشابُ بتأنيس (٥)

وقــد كنت تعطو كلما هبّت الصّبا　　بريّان ، في ماء الشبيبة مغموس

ومن رابـحَ الأيام يا ابنة عامرٍ　　يجوب(٦) الفلا ، جاءت يداه بتفليس

فلا تحسبي والصدقُ خير سجيّةٍ　　ظهور النوى الا بطون النواميس

وقفراء أمّــا ركبُها فضلّلٌ　　ومربعها من آنسٍ غـير مأنوس

سنحنا (٧) بهــا من هضبةٍ لقرارة　　ضلالاً ، وملنا من كناسٍ الى خيس(٨)

اذا مـــا نهضنا عن مَقيل َغزالةٍ　　نزلنــا فعرّسنا بساحة عريّس (٩)

أدرنا بها كأساً(١٠) دِهاقاً من السُّرى　　أَملنا بهــا عند الصباح من الرُّوس

وحانةِ (١١) خمّار َهدانا لقصدها　　شميمُ الحُميّا ، واصطِكاكُ النواقيس

تطلّع ربانيهـــا (١٢) من جِراره　　يهينِمُ في جُنح الظــلام بتقديس

---

(١) الابيات الثلاثة التالية : ساقطة من ازهار .

(٢) في الاحاطة : على .

(٣) عرش بلقيس : يضرب به المثل (ثمار القلوب) ص ٢٤٥ – ويشير بصرح بلقيس الى الآية الكريمة : « قيل لها ادخلي الصرح » .

(٤) في النفح : ما لجسمك ، والبيت ساقط من الاحاطة .

(٥) في النفح والازهار : تأنيب .

(٦) في الازهار : يجوب .

(٧) في النفح : سحبنا .

(٨) الكناس : مستتر الظبي بين الشجر ، والخيس : موضع الاسد .

(٩) العريس : مأوى الاسد .

(١٠) الكأس الدهاق : الممتلئة او المتتابعة .

(١١) في الاصل : وخانة .

(١٢) الرباني : الحبر .

فكِدنا ، وقلنا اذ نزلنـــا بساحه عن الصافنات الجرد، والضمر العيس:
أيا عابد الناسوتِ إنا عصابة أتينا لتثليث ، بلى ، ولتسديس !
ومـــا قصدنا إلا المُقــام مجانة وكم ألبس الحقُّ المبـــين بتلبيس
فأنزلنا قوراءَ [1] ، في جنباتها [2] محاريبُ شتى ، لاختلاف النواميس
بدرنا ١٦/ و بها طين الختــام بسجدةٍ أردنا بها تجديد حسرة [3] إبليس
ودار العذارى [4] بالمُدام كأنمـــا قطاً تتهادى في رياش الطواويس
وصارفننا فيهـــا نُضـاراً بمثله كأنا مُلاة [5] الكأس ليلا من الكيس
وقمنا نَشاوى [6] عندما متع الضحى [7] كما نهضت [8] غلب الأسود من الخيس
فقال : لبئسَ المسلمون ضيوفُنـــا أما واليك الخير [9] ، ما نحن بالبيس
وهـــل في بني مثواكَ الا مبرِّزٌ بحلبة شورى ، أو بحلقـة تدريس
اذا هزّ عسالَ اليراعـــة فاتكاً أسال نجيعَ الحِبر [10] فوق القراطيس

---

(١) القوراء : الواسعة .

(٢) في النفح : « فأنزلنا فوراً على جنباتها »

(٣) يشير الى ما كان من عصيان ابليس امر ربه من السجود لآدام عليه السلام ، لأنـــه من طين . قال تعالى : « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ، قـــال أأسجد لمن خلقت طيناً » الاسراء : ٦١ .

(٤) في الاصل : العذار وهو تصحيف .

(٥) في المراجع الاخرى : ملأنا .

(٦) في الاصل : نسارى ، ولا وجه لها .

(٧) متع الضحى : بلغ آخر غايته .

(٨) في ازهار : متمت .

(٩) في النفح والازهار : وأبيك الحبر .

(١٠) في الاصل : الخبر .

يقلّبُ تحت النقع مقلة ضاحكٍ   اذا التقتِ الأبطالُ عن مقلِ شُوس (١)
سبينا عُقار الروم في عقر حانهـــا   بحيلة تمويهٍ ، وخدعـــة تدليس
لئن أنكرت شكلي ففضلي واضحٌ   وهل جائز في العقل إنكار محسوس
رَسيتُ بأقصى الغرب ذخر مضنـّةٍ   وكم درة علياءَ في قاع قاموس
وأغربت سوسي (٢) بالعذيب وبارق (٣)   على وطنٍ داني الجِوار من السوس (٤)

وله به من التورية ولزم (*) :

بنفسي حبيبٌ في ثنـاياه بارقٌ   ولكنها للواردين عذاب
١٦/ظ اذا كان لي منه عن الوصل حاجز   فدمعي عقيق بالجفون مُذاب

وقال يوري (٥) :

عذّبتَ قلبي بالهوى فقيامه   في نار هجرك دائمـــاً وقعوده
ولقد عَهِدتَ القلب وهو مُوحِّدٌ   فعلامَ يُقضى في العذاب خلوده ؟

وقال يتغزل وورى بالأسماء ولزم (٦) :

قال لي والدّموع تنهلُّ سُحباً   في عِراصٍ (٧) من الخدود مُحول

---

(١) شاس : نظر بمؤخر عينه تكبراً او غيظاً ، فهو أشوس .
(٢) السوس : الطبيعة والاصل .
(٣) العذيب : ماء قرب القادسية من منازل حاج الكوفة. بارق : ماء بين القادسية والبصرة، وقد اكثر الشعراء من ذكرهما .
(٤) السوس : كورة بالمغرب مدينتها طنجة .
(*) البيتان في نفح الطيب ٩ : ٢٠١ ، وأزهار الرياض ١ : ٣٠٣ .
(٥) وردت في النفح ٩ : ٢٠١ ، وأزهار الرياض ١ : ٣٠٣ .
(٦) وردت في النفح ٩ : ١٧٦ ، ٢٠٤ ، ومخطوطة الاحاطة : ٢٩٢ . وأزهار الرياض ١ : ٣٠٥ .
(٧) في الازهار وفي الاحاطة : عراض .

بك ما بي فقلت مولاي ! عافاك المُعافي من عَبرة ونُحول [1]
أنا جفني القريح يروي عن الأعمش [2] ، والجفن منك عن مكحول [3]

وقال يتغزل وورى [4] :

يا مالكي بخِلال تُهدي الى القلب حيره [5]
أضرمتَ قلبيَ ناراً يا مالكَ بن نُويره [6]

وقال يوري ولزم [7] :

مضجعي فيكَ عن قتادة [8] يروي وروى عن أبي الزّناد فؤادي [9]
وكذا النوم شاعراً [10] فيك أمسى من دموعي يهيم في كل وادي

---

(١) في النفح والازهار : عبرتي ونحولي .
(٢) الاعمش لغة : ضعيف البصر ، ولقب سليمان بن مهران (٦١ — ١٤٨) وهو تابعي مشهور من رواة الحديث .
(٣) مكحول بن ابي مسلم (٠٠ — ١١٢) فقيه الشام في عصره ، ومن حفاظ الحديث .
(٤) وردت في النفح ٩ : ١٧٥ ، وأزهار الرياض ١ : ٣٠٦ ومخطوطة الاحاطة ٢٩٤ .
(٥) في الأزهار : تهدي الفكرة حين .
(٦) مالك بن نويرة (٠٠٠ — ١١٢) من رؤساء بني يربوع من تميم ، وله ذكر في حروب الردة .
(٧) وردت في النفح ٩ : ١٦٩ . والاحاطة : ٢٩١ . وأزهار الرياض ١ : ٣٠٥ .
(٨) القتاد:شجر صلب له شوك كالابر.وقتادة بن دعامة السدوسي البصري (٦١ — ١١٨) مفسر حافظ محدث .
(٩) الزنادج زند : وهو العود الذي يقدح به النار ، وأبو الزناد : كنية عبدالله بن ذكوان (٦٥ — ١٣١) وكان ثقة في الحديث عالماً بالعربية .
(١٠) في النفح والازهار : شاعر.

١٧/و وقال يوري [١] :

ولما رأت عزمي حثيثاً على السُّرى وقد رابها صبري على موقف البين
أتت بكتاب الجوهري [٢] دموعها فعارضت من دمعي بمختصر العين [٣]

وقال يوري ولزم [٤] :

كتبتُ بدمع عيني صفح خدّي وقد منع الكرى هجر الخليل
وراب الحاضرين فقلت هذا كتابُ العين يُنسبُ للخليل

وقال يوري بعُرف العامة [٥] :

لما رأوا أنني به كَلِفٌ وأوشكوا ينطقون من حسدي
قالوا الفتى باردٌ فقلت لهم : خلُّوه يا برده على كبدي !

وقال يوري بعرف الناس ولزم [٦] :

قلت وقد أُلبس جسمي الضنى صِبغة سُقم أبداً لا يحول
يا من رآني اعجبْ لما حل بي يُلبَس محبوك [٧] على ذا النحول

---

(١) وردت في النفح ٩ : ٢٠٩ ومخطوطة الاحاطة : ٢٩١ ، وأزهار الرياض ١ : ٣٠٤ .
(٢) في ازهار : بصحاح الجوهري .
(٣) العين للخليل بن احمد ومختصره صنعه ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي .
(٤) وردت في النفح ٩ : ١٦٩ والاحاطة : ٢٩١ وأزهار الرياض ١ : ٣٠٤ .
(٥) وردت في الاحاطة : ٢٩٤ .
(٦) وردت في الاحاطة : ٢٩٤ .
(٧) في الاحاطة : مخيطاً ، ولا يستقيم بها الوزن .

وقال وهو من التشبيه الغريب :

ذكرتك والأيام سلم وجمعنا جميعٌ ، وطرف الدهر ليس بيقظان
وللنرجس ١٧/ظ المطلول تحديقُ أعينٍ وللآسةِ العَيناء تحديدُ آذان

وقال في التجنيس [1] :

مالي أهذّب نفسي في مطامعها والنفس تزري بتهذيبي وتهذي بي
اذا استمنتُ على دهر [2] بتجربة تأتي المقادير تجريبي ، وتجري بي

وقال في التجنيس [3] :

دعوتك للودّ الذي جنباته تداعت مبانيها وهمّت بأن تهي
وقلتُ لعهد الوصل والقرب بعدما تناءى : أأسلو عن حياتي وأنت هي
ومن شام من جوّ الشبيبة بارقا ولم تنههُ عنه النّهى ، كيف ينتهي ؟

وقال في كتاب أحمر ولزم [4] :

لو لم تكن في فصول العام حاضرةً بهنّ تتحف أبصارٌ وأسماع
لقلتُ ورد من الأيدي لها شجرٌ ومن أناملهنّ الخمسِ أقماع

وقال من كلمة بارعة [5] :

وقال يهجو الفقيه القاضي الخطيب الكاتب علي بن عبد الله بن الحسن

---

(١) وردت في النفح ٩ : ١٩١ وأزهار الرياض ١ : ٢٩٩ .
(٢) في ازهار : دهري .
(٣) وردت في النفح ٩ : ٢٠١ وأزهار الرياض ١ : ٣٠٣ .
(٤) كذا في الاصل .
(٥) لعله سقط كلام بعد هذه التقدمة ، وليس في اصل النسخة فراغ في هذا الموضع .

الجذامي ١٨ / و الغرناطي المعروف بابن الحسن وبالبني وبالنباهي ولقبه بجعسوس*:

جنازة جعسوس[1] اثارت غريبة — عداها الرضى (من) جيفة وتخطاها
وجاء بها فسلان يشتمانها — الى الحرث الغُفل الجديب فحطاها
ومر بها قطٌ انيسٌ فشمّها — وأسرع في ضم التراب وغطاها[2]

وقال ايضاً يهجوه :

تقهقه عند رؤيته الثكالى — ويضحك منه معتاد العبوس
فقرنٌ من نضار العاج سَلمٌ — ووجهٌ من لباب الابنوس

وقال يهجوه وذكر فيه الذنب الذي نسبه اليه وضمّنه بيت حبيب :

يا كوكب النحس من قربٍ[3] على الحقب — تلك الذّنابى أتت بالحرْب والحرَب
لما رأيناك حققنا الذي وصفوا — للناس من حدثان جاء في الكتب
إذ قال شاعر طيٍّ في قصيدته — وهو المقلّد في علم وفي ادب
« وخوّفوا الناس من دهياء داهيةٍ — اذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب »

(*) القاضي الغرناطي : علي بن عبدالله بن الحسن النباهي . (٧١٣ — بعد ٧٩٢) ولد بمالقة ، ورحل الى غرناطة ، ثم ولي خطة القضاء بها ، واجاز مرتين في سفارة سياسية الى فاس . وكان صديقاً لابن الخطيب وممن نالوا جاهاً على يديه ، ثم حطب في حبل خصومه ، وكان تأثيره اشد لمنزلة الدين والقضاء ، فهجاه لسان الدين وسخر منه سخرية لاذعة ، واختلفت احكامه فيه في تآليفه بين عهد الصداقة وعهد الخصومة . وقد ذكر القاضي النباهي ما كان من احراق كتب لسان الدين في غرناطة سنة ٧٧٣ في كتابه المرقبة العليا ص : ٢٠٢ . وغض منه على استحياء . نيل الابتهاج بتطريز الديباج : ٢٠٥ ، الاحاطة ٢ : ١٩ ، ازهار الرياض ٢ : ٥ . وانظر خبر خصومتهما في نفح الطيب ٧ : ٤٩ .

(١) الجعسوس : القصير الدميم .

(٢) هكذا وردت الابيات ولم اقف عليها في مرجع آخر .

(٣) في الاصل : قرباً .

وقال يهجو ووري ببنته :

جعسوس ثعلب مكر وذو خلالٍ ذميمه
زادتــه في السوء بنت مــن المسوخ القديــه
قلنــا ولليتم فيها مخيلــةٌ مستقيمه
ثعالــبيٌّ انــتماءٍ مُخلــفٌ ليتيمه

وقال يهجوه ووصف عمامته :

عمامة البني مشهورة بالحسن والإقبال ، مــا أقبله
عمامة قــد ظهرت في الأذى كأنها الفقاع في المزبــله

وقال يهجوه ووصف عمامته :

للعين في عمّــة البنيّ معتبرٌ إن لفها فوق قرن منه يخفيه
مــا بين كفٍ وابهامٍ يمرُ بهــا كأنمــا هي مصران يصفيه

وقال يهجوه ويصف عمته وهو مخترع :

جعسوسكم حسن لولا شميم أذىً يشوي الأنوف ، وداء في الفؤاد دوي
معمّمٌ فوق طولٍ مُفرطٍ ، وضنى كما يعمّمُ رأسَ الديسة القنوي [١]

وقال يهجوه وهو من اوصافه المخترعة :

جعسوسكم موحش المرأى وربــتما يخفف اللهو والتدبير ايحــاشه
١٩/و لمــا اتى نحونا شبهتُ عمته لعنكبوتٍ على يافوخٍ خشخاشه

---

(١) الديسة : عرمة البيدر ، والقنوي : العامل المنسوب الى قنوة (كانو) من الزنوج .

وقال يهجوه وهو من اوصافه العجيبة :

مــا عمة البني إلا ذات اشكال طريفـه
(...) لكن مهذبـــة خفيفه
فكأنها من حوله ملفوفـــة (وبه) مطيفه
عصبانة [*] قـــد كوّرت امعاؤها بعظام جيفه [1]

وقال يهجوه ويصف طاشوره [2] :

انمـــا طاشور جمـوس بيوم مكفهرّ
ورق الاكرنب مجمولاً [3] على خرية هر

وقال يهجوه ويصف محبرته :

لِمَحبرة البنيّ وقفٌ يقوتهـــا اذا ما شكت برح الأوام تراقيها
تنفّس فيها عن سُلافة صدره [4] فيغسلها بالحبر منــه ويسقيها

وقال يهجوه وذكر أقلامه :

أقلامك الصُّفر يا بنّيّ إن كتبت رسم الحروف على صفحات [5] مسطور

(*) ورد لفظ عصبان عند دوزي ٢ : ١٣٣ باعتباره نوعاً من الطعام يصنع من الامعاء ، تقطع الى اجزاء صغيرة وتحشى باللحم والرز والتوابل .

(١) كتب هذه الابيات في سطرين ، كأنها نثر . والبيت الثـاني غير واضح الشطر الاول .

(٢) الطاشور : نوع من الكساء ، (وربمـــا يقابل الغفارة) ، والغالب ان يكون متصلاً به غطاء الرأس . انظر مادة طاشر ، دوزي : تكملة المعجمات العربية ٢ : ١٨ .

(٣) في الاصل : مجعول .

(٤) سلافة كل شيء : عصرته .

(٥) في الاصل : صحفات .

شبّهتها وسواد الحبر يخضبها صفّارة ُغمست في حرف ُقرور
الخط واللفظ والمعنى وما انتخبت للكتب من آلةٍ نور على نور

وقال يهجوه :

١٩/ظ جمسوس زيّن خطة الحكم التي شهد العفاف له بها والخير
فصل الخصوم وقام يركب ذاهباً عنها ومدّ جناحه الطاشور
وكأنه ُجعَل يدحرج جاهداً كُرة الخراء وبعد ذاك يطير !

وقال يهجوه وذكر نعله :

جمسوس يا شرّ طير لا بؤت يوماً بخير
شبهت قرنك لما أعلمت مسرعَ سير
صفيحةً قد تدلّت من خلف حافر َعيْر

وقال يهجوه :

اذا جمسوس جاء الى صلاةٍ وطالعنا بطلعته النّحيسه
رأينا من يديه ومن قفاه صليباً قد أطلّ على كنيسه !

وقال يهجوه :

اذا نزع الأثواب جمسوس خلته وان أنت لم ُتبصر مماثله قطّ
منارةَ نحس من نحاسٍ حقيرةً وقد حل أعلاها ليلعقها ِقطّ

وقال يهجوه :

كأنما البنيّ اذ أفرطت ُزرقة لحظٍ منه فتّان
مزبلة قد فتّحت فوقها ِثنتان من نوّار كتّان

وقال يهجوه وورى ٢٠/و :

لشمس الدين زوجٌ ضجّ منها ... وطـال لفعلهـــا منه النكير
أشمس الدين لا قُرنت لقرن ... فقرن الشمس معروف شهـير

وقال ايضاً :

فمن قوله من كَتْبِه [١] المعرب من الجودة عن العجب العجـــاب ، المتمكن من مفاصل الاجادة التي لم تكن عنهـا المِجادة ذات احتجاب : ما كتب عن سلطانه الغني بالله ملك الاندلس الى المستنصر بالله ملك افريقيـة واطرابلس ، شكراً له على الهدية التي وجه فيهـا سوابق الأفراس [٢] وهو كَتبٌ : افتراس الاصابة أيّ افتراس[٣]...

الخلافة التي ارتفع في عقائد فضلهـا الاصيل القواعد الخلاف . واستقلت مباني فجرها الشائع ، وعزها الرائع على ما أسسه الأسلاف . ووجب لحقها

---

(١) هـــذا الكتاب مشهور متناقل ، ذكره ابن خلدون في التعريف بابن خلدون : ١٥٦ ، والقلقشندي في صبح الاعشى ٦ : ٥٣٦ ، وأورده لسان الدين في جمـــلة رسائله من كتابه ريحانـــة الكتاب (نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية (تحت رقم ٤ ادب ش) ونشر بعضه : M. Caspar Remiro في كتابه Correspondencia Diplomatea Entil Granada . Y . Faz . وسنقابل النص على التعريف ، وصبح الاعشى ، والريحانة ، اما نشرة ريميرو فمليئة بالتصحيفات الناجمة عن ضعف القدرة على استجلاء النص ، ولن نعود اليها الا مضطرين .

(٢) جاء في مقدمة رسالة لسان الدين التي نقلها المستشرق ريميرو عن احدى نسخ ريحانة الكتاب المحفوظة في الاسكوريال : « وكتبت لصاحب تونس بمجموع هذه الفتوح عن السلطان رضي الله عنه ، وقد اهدى اليه خيلاً عتـــاقاً ، وأصنافاً من الرقيق والفتيان وغير ذلك ، صحبة الرسول الفقيه ابي الحسن بن البنا، وبتاريخ اليوم الثالث من شهر ربيع الآخر من عام سبعين وسبعمائة ».

(٣) في الاصل : افتراس الاصابة الى افتراش .

الجازم وفرضها اللازم الاعتراف. ووسعت الآملين الجوانب الرحيبة والأكناف. فامتزاجها بعلائها المنيف، وولائها الشريف، كما امتزج الماء ٢٠ / ظ والسلاف. وثناؤها على مجدهـا الكريم وفضلها العميم كما امتزجت [(١)] الرياض الأفواف، لمـا زارها الغمام الوكاف . ودعاؤنا بطول بقائها [(٢)] يسمو الى قرع ابواب السماوات العلي الاستشراف . وحرصنا على توفية حقوقها العظيمة، وفواضلها العميمة لا تحصره الحدود [(٣)] والاوصاف . وان عذر في التقصير عن نيل ذلك المرام الكبير الحق والانصاف . خلافة وجهة تعظيمنا اذا توجهت الوجوه، ومن نؤثره اذا أهمنا مـا نرجوه، ونفدّيه ونبدّيه، اذا استُمنح المحبوب واستُدفع المكروه . الخليفة [(٤)] امير المؤمنين المستنصر بالله المنصور بفضل الله ابو اسحاق ابراهيم بن الخليفة امير المؤمنين المتوكل على الله المؤيد بنصر الله أبي يحيى أبي بكر بن الخليفـة بن الشيخ الامير ابي محمد بن عبد الواحد بن الشيخ ابي حفص، أبقاه الله ومقامه مقام ابراهيم رزقـا وأمانا . لا يخص جلب الثمرات اليه وقتا، ولا يعـين زمانا، وكان ٢١ / و على من يتخطف

---

(١) في المصادر : تأرجت.

(٢) في المصادر : واتصال علائها .

(٣) في المصادر: ولا تدركه .

(٤) في الريحانة، وصبح الاعشى : السلطان الخليفة، الجليل، الكبير، الشهير الامـام الهمام، الأعلى، الاوحد، الأصعد، الاسمى، الاطهر، الاظهر، الارضى، الأحفل، الاكمل، امير المؤمنين ابي اسحاق (؟) بن الخليفة الامام البطل الهمام، عين الاعيان، وواحد الزمان، الكبير الشهير، الطاهر الظاهر، الاوحـد، الأعلى، الحسيب الاصيل، الاسمى، العـادل، الحافل، الفاضل، المعظم، الموقر، المـاجد، الكامل، الارضى، المقدس امير المؤمنين ابي يحيى، ابي بكر بن السلطان الكبير، الجليل الرفيع، المـاجد الهمام (الشهير الخطير، بطل الميدان، مفخر الزمـان، الطاهر، الظاهر، الامضى، المقـدس، الارضي، امير المؤمنين ابي اسحاق بن الخليفة) الهمام، الامام، ذي الشهرة الجامحة، والمفاخر الواضحـة، علم الاعلام، فخر السيوف والاقلام، المعظم الممجد، المقـدس الارضى، امير المؤمنين، المستنصر بالله ابي عبدالله بن ابي زكريا بن عبد الواحد بن ابي حفص. وما بين القوسين زيادة من ريحانة الكتاب .

الناس من حوله مؤيداً بالله مُعاناً . معظّم قدره العالي على الاقدار . ومقابل داعي حقه بالابتدار . المثني على معاليه المخلدة الآثار . في أصونة [1] النظام والنثـار ، ثناء الروضة المعطار على الأمطـار . الداعي الى الله بطول بقائه في عصمة منسدلة الأستار ، وعزة ثابتة المركز مستقيمة المدار . وختم له بعد بلوغ غايات الآجال ونهاية الاعمار [2] ، بالزلفى وعقبى الدار . (عبدالله الغني بالله امير المسلمين محمـــد ابن مولانا امير المسلمين ابي الحجاج يوسف ابن مولانا امير المسلمين ابي الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر [3]) .

سلام كريم كما حملت نسمات الاسحار أحاديث الازهـار ، وروّت ثغور الأقاحي والبهار على مسلسلات الانهار ، وتجلى على منصة الاشتهار وجه عروس النهار ، يخص خلافتكم الكريمة النّجار ، العزيزة الجار [4] .

اما بعـد حمد الله الذي أخفى حكمته البالغة عن أذهان البشر ، فعجزت عن قياسها ، وجعل الارواح اجناداً مجندة [5] ٢١ / ظ كما ورد في الخبر تحنُّ الى أجناسها ، منجد هذه الملة [6] من أوليائه الجـِلّة بمن يروض الآمال بعـــد شماسها ، وييسّر الاغراض قبـل التماسها ، ويغني بتجديد المودات في ذاته ، وابتغاء مرضاته ، على حين إخلاق لباسها . الملك الحق واصل الاسباب بحوله بعد انتكاث أمراسها ، ومُغني النفوس بطوله بعـــد إفلاسها ، (حمداً [7])

---

(١) الاصونة ج : صوان ، وهو ما صنت به الشيء .
(٢) في الريحانة ، وصبح الاعشى : « غايات الآجال ، ونهايات الاعمار » .
(٣) ما بين قوسين ساقط من النسخ الاخرى . وقـــد اسقط محقق (التعريف) اسم يوسف والد الغني بالله من سلسلة نسبه . انظر التعريف بابن خلدون ص : ١٥٧ .
(٤) في المصادر : ورحمة الله وبركاته .
(٥) يشير الى الحديث الشريف « الأرواح جنود مجندة ، مـا تعارف منهـا ائتلف ، ومـــا تناكر منها اختلف » .
(٦) في الريحانة : الأمة .
(٧) زيادة عن المصادر.

يُدرُّ أخلاف [١] النعم بعد إبساسها [٢] ، وينشر رمم الآمال من أرماسها ، ويقدِّس النفوس بصفات ملائكة السماوات بعد إفلاسها [٣] .

والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، سراج الهداية ونبراسها ، عند اقتناء الأنوار واقتباسها. مطهر الارض من أوضارها [٤] وأدناسها، ومصطفى الله من بين ناسها ، وسيد الرسل الكرام ما بين شيثها وإلياسها ، الآتي مهيمناً على آثارها في حين فترتها ، ومن بعد نُصرتها واستيئاسها ، مرغم الضراغم في أخياسها، بعد افترارها وافتراسها ، ومعفّر اجرام الأصنام٢٢/و ومُصمت أجراسها .

والرضى على آله وأصحابه وأنصاره [٥] وأحزابه ، حُماة شِرعته البيضاء وحرّاسها ، وملقحي غِراسها، ليوث الوغى عند احتدام مِراسها ، ورهبان الدّجى تتكفل مناجاة السميع العليم في وحشة الليل البهيم بإيناسها، وتفاوح نواسم[٦] الاسمار عند الاستغفار بطيب أنفاسها .

والدعاء لخلافتكم المستنصرية بالصنائع [٧] التي تشعشع أيدي العزة القعساء من أكواسها . ولا زالت العصمة الإلهية كفيلة باحترامها واحتراسها ، وأنباء الفتوح المؤيّدة بالملائكة [٨] والروح ريحان جلاسها ، وآيات المفاخر التي

---

(١) اخلاف ج : خلف وهو الضرع .
(٢) ابس الحالب بالناقة : دعاها للحلب .
(٣) في المصادر : ابلاسها ولعله أدق .
(٤) اوضار ج وضر : وسخ .
(٥) في المصادر: وعترته .
(٦) في التعريف : نسيم .
(٧) في صبح : بالسعادة .
(٨) في الاصل : الملائكة .

ترك الاول للآخر مكتتبة الاسطار بأطراسها [1] . وميـــادين الجود مجالاً لجيـاد جودها وباسها . والعدل والعز [2] منسوبين لفسطاطها وقسطاسها . وصفيحة النصر العزيز تقبِـض كفها المؤيدة بالله على رياسها [3] ، عند اهتياج أضدادها وشرة انـكاسها [4] ، لانتهاب البـلاد وانتهاسها ، وهبوب ٢٢ / ظ رياح رياحها وتمرُّد مِرداسها .

فإنا كتبناه لكم – كتب الله لكم من كتائب نصره امداداً ، تذعن اعناق الأيام [5] ، لطاعة ملككم المنصور الأعلام ، عند احساسها . وآتاكم من آيات العناية [6] ، آية تضرب الصخرة الصماء صخر [7] عصاها بعصاها ، فتبادر بانبجاسها – من حمراء غرناطة حرسها الله وايام الاسلام بعناية الملك العـلام تحتفل وفود الملائكة الكرام لولائمهـا وأعراسها . وطواعين المطعان [8] في عدو الدين المهان [9] ، تجدد عهدها بعمواسها .

والحمد لله حمداً [10] يقيد شوارد النعم ويستدر مواهب الجود والكرم ، ويؤمن من انتـكاث [11] الجذوة [12] وانتـكاسها ، ولي الآمال ومكاسها ،

---

(١) في الريحانة : الاسطار بأسطارها .
(٢) في المصادر : والعز والعدل .
(٣) رياس السيف : مقبضه وقائمه .
(٤) انـكاس ج نكس : وهو الرجل الضعيف .
(٥) في صبح الاعشى والتعريف : الأنام .
(٦) في المصادر : آيات العنايات .
(٧) في المصادر : ممن .
(٨) في المصادر : طواعين الطعان.
(٩) في المصادر : المعان ، وما هنا اصح .
(١٠) في الريحانة والتعريف : حمداً معاداً .
(١١) في الريحانة وصبح الاعشى : انتكاب .
(١٢) في التعريف : الجدود .

وخلافتكم هي المثابـــة التي يزهى الوجود لمحاسن [١] مجدها ، زهو الرياض بوردها وآسها ، وتستمد اضواء الفضائل من مقباسها ، وتروي رواة الافـادة والاجادة [٢] غريب الوجادة عن ضحاكها وعباسها [٣] . والى هـذا أعلى الله قدركم [٤] – وقـد فعل – ٢٣ / و وأنطق بحجج فخركم من احتفى وانتعل ، فانـه وصلنا كتابكم الذي حسبناه على صنائع الله لنا تميمة لا تلقع [٥] بعدها عـــين . وجعلناه على حلل مواهبه قلادة لا يحتاج معها زين . ودعوناه من جيب الكناية آية بيضاء للكنانة [٦] ، لم يبق معها شكّ ولا مـين . وقرأنا منه وثيقة ودّ هضم فيها عن غريم الزمان دين . ورأينا منه إنشاء ، خـدم اليراع بـــين يديه وشاء . احتزم [٧] بهميان [٨] عقدته مشاء . وسئل عن معانيه الاختراع ، فقال : « إنا انشأناه إنشاء » . فأهلاً به من عربي اتى يصف السانح والبانة [٩] ، ويبين فيحسن الابانة . أدّى الامانة ، وسئل عن حيّه فانتهى الى كنانة [١٠] . وأفصح وهو لا ينبس . وتهللت قسماته وليل حبره يعبس . وكان خاتمه المقفل على صوانه والمتحف بباكر الورد في غير أوانه ، رعف من مسك عنوانه ، ولله من قـــلم دبج تلك الحلل ونقع بمجاج الدواة المستمدة من عين الحياة الغلل فلقد تخارق في الجود ، مقتدياً بالخلافة التي خلد

---

(١) في المصادر: بمحاسن .
(٢) الوجادة : من طرق رواية الحديث .
(٣) المسمون بالضحاك وعباس من المحدثين كثير ، وانما يريد لسان الدين ان يطابق .
(٤) في المصادر : معارج قدركم .
(٥) لقعه بعينه : اصابه بها .
(٦) في المصادر : بيضاء الكتابة .
(٧) صبح الاعشى والريحانة : اخترع .
(٨) الهميان : النطاق شبه القلم المتخذ من القصب وفي وسطه عقدة بالرجل وقد انتطق .
(٩) السانح : ما أتى عن يمينك من ظبي او طير ، وهو فأل حسن عندهم. والبانة: شجرة ، واحدة البان .
(١٠) كنانة بن خزيمة ابو قبيلة من مضر .

فخرها في الوجود.فجاء بسحر البيان [1] ولبابه، وسمح ٢٣ / ظ - في سبيل الكرم حتى بماء شبابه . وجمح لفرط بشاشته ، وفهامته ، بعد شهادة السيف بشهامته ؛ فمشى من الترحيب في الطرس الرحيب ، على ام هامته .

وأكرم به من حكيمٍ أفصح بملغوز الاكسير [2] في اللفظ اليسير . وشرح بلسان الخبير سرّ صناعة التدبير . كأنمـــا خدم الملكة السّاحرة [3] بتلك البلاد قبل اشتجار الجـــلاد [4] . فآثرته بالطارف من سحرها والتلاد . او عثر بالمعلقة ، وتيك القديمـة المطلقة بدفينة دار ، او كنز تحت جدار . او ظفر لباني الحنايا [5] قبل أن تقطع به عن امانيه المنايا ، ببديعة . او خلف جرجير الروم [6]، قبل منازلة القروم على وديعة. او اسهمه ابن ابي سرح [7] في نشب للفتح وسرح [8] ، او خـتم له روح بن حاتم [9] ببلوغ المطلب ، او غلب على الحظوظ بخدمة آل الأغلب . او خصه زياد [10] الله بمزيـــد . او شارك الشيعة في امر ابي يزيد [11].او سار على منهاج في مناصحة بني صنهاج

---

(١) في المصادر: بسر البيان .

(٢) الاكسير : الكيمياء ، وتطلق على المادة التي زعموا انهـــا تلقى على المعـــادن الخسيسة فتحيلها الى ذهب .

(٣) الملكة الساحرة الكاهنة البربرية،ملكتهم سنة ٣٥ ه ، وكان لها مواقع شتى مع المسلمين.

(٤) جالدوا مجالدة وجلاداً : تضاربوا بالسيف .

(٥) الحنايا : ج حنية وهي القوس ، ويريد بها : فيما يبدو : مجرى المـــاء الذي اجتلب الى قرطاجنة ووضع على اعمدة عالية ، عقدت بأقواس وصلت بين عدة جبال .

(٦) جرجير هو والي المغرب البيزنطي ابان الفتح الاسلامي .

(٧) عبدالله بن سعد بن ابي سرح : صحابي ولي مصر مدة .

(٨) النشب : المال والعقار ، والمسرح: المال السائم .

(٩) في المصادر : من الكرماء والأجواد.

(١٠) في المصادر : زيادة الله، وهو ثاني ملوك بني الأغلب الذين حكموا بتونس .

(١١) مخلد بن كيداد من رؤساء الاباضية بالمغرب ، وكان بينه وبين العبيديين وقائع .

وفصح [١] بتخليد امداحهم كل هاج ٢٤ / و .

واعجب [٢] له وقد عزز منه مثنى البيان بثالث ، فجلب سحر الأسماع واسترقاق الطباع بين مثاني الابداع [٣] ومثالث ، كيف اقتدر على هـــذا المجيد ، وناصح مع التثليث مقام التوحيد. نستغفر الله ولي العون على الصمت والصون . فالقلم هو الموحد قبل الكون . والمتصف من صفات السادة اولي العبادة بضمور الجسم وصفرة اللون . إنمـــا هي كرامة فاروقية وأثارة من حديث سارية [٤] وبقية . سفر وجهها في الاعقاب ، بعـــد طول الانتقاب وتداول الأحقاب ، ولسانُ ناب [٥] عن كريم جناب ، واصابة السهم لسواه محسوبة ، والى الرامي الذي سدده منسوبة . ولا ننكر [٦] على الغمام بارقة، ولا على المتحققين بمقام التوحيد كرامة خارقة . فما شاءه الفضل من غرائب برٍّ وجد . ومحاريب خاق كريم ، ركع الشكر فيها وسجد . حديقة بيان استثارت نواسم الابــداع من مهبها ، واستزارت غمائم الطباع من مصبها . « فأتت اكلها مرتين » بإذن ربها . لا بــل كتيبة ٢٤ / ظ عز طاعنت بقنا الألفات سطورها . فـــلا يرومها النقد ولا يطورها [٧] . ونزعت من قسي النونات خطوطها . واصطفت من بياض الطرس وسواد النفس بلق تحوطها .

---

(١) في صبح الاعشى والتعريف : وفضح . وفي الريحانة : وفصح كل بتخليد .

(٢) في المصادر: وأعجب به .

(٣) في التعريف : مثان للابداع .

(٤) يشير الى قصة سارية بن زنيم الكناني امير المسلمين في وقعة نهاوند ، فقد كمن العدو له في جبل ، فناداه عمر رضي الله عنـــه في المدينة « يا سارية الجبل الجبل ! » فسمع سارية صوت عمر ، وهي حادثة مشهورة .

(٥) في المصادر : ولسان مناب .

(٦) في المصادر : ولا تنكر .

(٧) طار به طوراً وطوراناً : قربه .

فما كأس المدير على الغدير بين الخورنق والسدير [١]، تُقامر بنرد الحباب، عقول ذوي الألباب ، وتُغرق كسرى في العُباب ، وتُهدي وهي الشمطاء نشاط الشباب ، وقد أسرج ابن سريج [٢] وألجم ، وأفصح الغريض ، بعدما جمجم ، وأعرب النـــايُ الأعجم ، ووقّع معبد بالقضيب ، وشرعت في حساب العقد بنانُ الخضيب [٣] ، وكأن الأنامل فوق مثالث العود ومثانيه ، وعنـــد إغراء الثقيل بثانيه ، واجابة صدى الغناء بين مغانيه ، المراود [٤] تُشرع في الوشي، او العناكب تُسرع في المشي. فما الخبر [٥] بنيل الرغائب، او قدوم الحبيب الغائب . لا بـل إشارة البشير ، بكمّ المشير ، على العسير بأجلبَ للسرور ، من زائره الملتقي بالبدور [٦] ، وأدعى للحبور من سفيره المُبهج السفور [٧] ، فلم نر مثله ٢٥/و من كتيبة كتـــاب تجلب الجُرد في الأرسان [٨] ، وتتشوّفُ مجالي ظهورها الى عرائس الفرسان . وتهزُّ معاطف الارتياح من صهيلها الصُّراح ، بالنغمات الحِسان . اذا أوجمت الصريخ نازعت أثناء الأعِنة ، وكاثرت بأسنة آذانها مُسرعة الأسنة [٩] . فان ادعى الظليم أشكالها فهو ظالم، او نازعها الظبي هواديها [١٠] او أكفالها فهو هاذٍ او حالم.

---

(١) الخورنق والسدير : قصران للنعمان بن المنذر بظاهر الحيرة .

(٢) عبدالله بن يحيى بن سريج ، وعبد الملك الغريض ، ومعبد ، من المغنين المشهورين .

(٣) في المصادر : بنان الكف الخضيب .

(٤) المراود ج مرود : الميل يكتحل به .

(٥) في المصادر : وما الخبر.

(٦) في المصادر : الملتقى بالبرور .

(٧) في صبح الاعشى : المبهج للسفور .

(٨) في المصادر : تجنب الجرد تمرح في الأرسان .

(٩) في المصادر: مشرعة .

(١٠) هوادي الخيل : أعناقها .

وان سئل الأصمعيُّ [١] عن عيون الغرر والأوضاح [٢] ، قـــال مشيراً الى وجوهها الصّباح :

« جلدة بين العين والأنف سالم [٣] »

من كل عبل الشّوى [٤] ، مُسابق للنجم اذا هوى . سامي التليل [٥] ، عريض ما تحت الشليل [٦] ممسوحة أعطافه بمنديل النسيم البليل . من أحمر كالمُدام تُجلى من النّدام عقب الفِدام [٧] . أُتحف لونه بالورد في زمن البرد. وحُيّي أُفق مُحيّاه بكوكب السعد . وتشوّف الواصفون الى عـد محاسنه ، فأعيت عن العدّ . بحر يُساحل البحر عن المد.وريح تباري الريح عند ٢٥/ظ الشد بالذراع الأشد . حكم له مدير فلك الكفل باعتدال فصل القد ، وميَّزه قدره المميز يوم [٨] الاستباق بقصب السباق ، عنـــد اعتبار الحد . وولّد مُختطُّ غرته أشكال الجمال ، على الكمال ، بين البياض والحمرة ونقاء الخد . وحفظ رواية الخلق الوجيــه ، عن جـدّه الوجيه . ولا تُنكر الرواية عن الحافظ ابن الجد [٩] .

---

(١) الاصمعي : عبد الملك بن قريب اللغوي المشهور (١٢٢ — ٢١٦) .
(٢) الغرة والوضح : البياض .
(٣) هذا شطر بيت لعبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، وتمامه :
يديرونني عن سالم وأريغهم　　　وجلدة بين العين والانف سالم
(٤) عبل الشوى : غليظ القوائم .
(٥) التليل : العنق .
(٦) الشليل : مسح من صوف او شعر يجعل على عجز البعير من وراء الرحل .
(٧) الفدام : خرقة يضعها الساقي على فم الابريق عند السقي .
(٨) في التعريف : عند .
(٩) ابن الجد : ابو بكر محمد بن عبدالله الفهري (٤٩٦ — ٥٨٦) فقيه اشبيلي . وفي المصادر : الرواية على الحافظ .

وأشقر أبى الخلق، والوجه الطلق ، أن يُحقر ، كأنما صيغ من العسجد، وطُرّف بالدر وأُنعل بالزبرجد . وُسِمَ [1] في الحديث بسمة اليُمن والبركة، واختص بفلج [2] الخِصام عنـد اشتجار المعركة . وانفرد بمضاعف السهام المنكسرة على الهام في الفرائض [3] المشتركة . واتصل [4] فلك كفله بحركتي الارادة والطبع من أصناف الحركة ، أصغى الى السماء بأذن الملهم [5] ، وأغرى لسان الصهيل ، عند التباس الهمز والتسهيل ببيان المبهم . وفُتنت العيون من ذهب جسمه ، ولـُجين نجمه ، بحبّ الدينار والدرهم . فان ٢٦/و انقضّ فرجم ، او ريح لها حجم . وان اعترض فشفق لاح به للنجم نجم .

وأصفر قيـد قوائم الأوابد [6] الحرة ، وأمسك المحاسن وأطلق الغرة . وسئل : مَن انت في قواد الكتائب ، أولي الاخبار العجائب ؟ فقـال : انا المهلب بن ابي صفرة ، نرجس هـذه الالوان ، في رياض الاكوان ، يحيّى به محيا الحرب العوان. أغار بنخوة الصائل، على معصفرات الأصائل فارتداها ، وعمد الى خيوط شعاع الشمس عند جانحة الامس فألحم منها حُلتّه وأسداها. واستعدت عليه ملك [7] المحاسن فما أعداها . فهو أصيل ، تمسّك بذيل الليل عرفه وذيله ، وكوكب يطلعه من القتام ليله ، فيحسده فرقد الأفق وسهيله.

وأشهب تغشّى من لونه مفاضة، وتسربل منه لأمة فضفاضة . قد احتفل زينه لمـــا رُقم بالنبال لجُـينه . فهو الأشمط الذي حقه لا يغمط ، والدارع

---

(١) في المصادر : ووسم .
(٢) الفلج : الظفر والفوز .
(٣) الفرائض : الحصص .
(٤) في المصادر: واتصف.
(٥) في التعريف : بأذن ملهم .
(٦) في المصادر : قيد الأوابد الحرة .
(٧) في التعريف : تلك .

المسارع ، والاعزل الدارع ، وراقي الهضاب الفارع ، ومكتوب الكتيبة البارع . وأكثرمه من مرتاض سالك ومجتهـد على ٢٦ / ظ غايات السابقين الاولين متهالك ، وأشهب يروي من الخليفة ذي الشيم المنيفة عن مالك .

وحباريّ كلما سابق وبارى ، استعار جناح الحبارى. فاذا أعملتَ الحسبة قيل : من هنـا جاءت النسبة . طرد النمر لما عظم امره وأمر ، فنسخ وجوده بعـدمه . وابتزّه الفَروة ملطخة بدمه . وكأن مضاعف الورد نثر عليه من طبقه، او الفلك لما ذهب الحلك مُزج فيه بياض صبحه بحمرة شفقه.

وقرطاسي حقه لا يُجهل « متى ما ترّقى العين فيه تسفـّل »[١] ، إن نُزع عنه جُـلّه فهو نجم كله . انفرد بمـادة الالوان قبل ان تشوبها يد الأكوان ، وتمزجها أقلام الملوان. فيتقدم منه الكتيبة[٢] لواء ناصع ، او ابيض مناصع ، لبس وقار المشيب في ريعان العمر القشيب . وأنصتت [٣] الآذان من صهيله المطيل المطيب ، لما ارتدى بالبياض الى نغمة الخطيب ، وإن تعتّب منه للتأخير المتعتب ، قلنـا : الواو لا تُرتب ما بين فحل وحرّة ، وقهرمانة ودُرّة ، ويا َلله من ابتسام غرة ٢٧ / و ، ووضوح يُمن في طرّة ، وبهجـة للعيون وقرّة . وإن ولع الناس بامتداح القـديم ، وخُصّ الحديث بفري الأديم ، وأوجب المتعصب ، وإن أبى[٤] المنصب ، مزية التقديم[٥] ، وطمح الى رتبـة المخدوم طرف الخديم ، وقورن المثري بالعـديم ، وبُخس في سوق

---

(١) في الاصل وصبح الاعشى : سهل . وهو عجز بيت لامرىء القيس ، وتمامه :
ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه   متى ما ترقى العين فيه تسفل

(٢) في صبح الاعشى : الكتيبة المقبلة .

(٣) في الاصل : وانصبت .

(٤) في الاصل : اتى .

(٥) في المصادر : مرتبة التقديم .

الحسد الكليل ، ودجا الليل ، وظهر في فلك الانصاف الميل ، لما تُذوكرت الخيل ، فجيء بالوجيه والخطار ، والذائد وذي الخمار ، وداحس والسكب ، والأبجر وزاد الركب ، والجموح واليحموم ، والكميت ومكتوم ، والأعوج وحلوان ، ولاحق والغضبان ، وعفزر والزعفران ، والمحبّر واللعاب ، والأغرّ والغراب ، وشعلة والعُقاب ، والفياض واليعبوب[1] ، والمُذهَب واليعسوب ، والصموت والقطيب ، وهيدب والصبيب ، وأهلوب وهدّاج ، والحرون وخَراج ، وعلوى والجناح ، والأحوى ومِجاح ، والعصا والنعامة ، والبلقاء والحمامة ، وسكاب وجرادة ، وخوصاء[2] والعرادة[3] ٢٧ / ظ فكم بين الشاهد والغائب ، والفروض والرغائب ، وفرق ما بين الأثر والعَيان ، غنيٌّ عن البيان ، وشتان بين الصريح والمشتبه . ولله در القائل في مثلها : « خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به[4] » . والناسخ يختلف به الحكم ، و « شر الدواب عند التفضيل بين هذه الدواب الصمُّ البكم[5] » ، إلا ما ركبه نبي او كان له يوم الافتخار برهان خبيّ ، ومفضِّل ما سمع على ما رأى غبي . فلو أُنصفت محاسنها التي وُصفت لأُقضمت حبَّ القلوب علفاً ، وأُوردت ماء الشبيبة نُطفاً ، واتُّخذ[6] لها من عُذر[7] الخدود الملاح عُذَر[8] موشيَّة . وعُلِّلت بصفير ألحان القيان كل عشية ، وأنعلت بالأهلة ، وغطيت بالرياض بدل الأجلة .

---

(١) في الاصل : ايهبوب .
(٢) في الاصل : حوصاء .
(٣) هذه الاسماء ، مما سميت به الخيل المشهورة .
(٤) هذا صدر بيت للمتنبي ، وعجزه : في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل .
(٥) يشير الى قوله تعالى(الانفال ٢٢) ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون.
(٦) في المصادر : واتخذت .
(٧) ج : عذار : وهو جانب اللحية .
(٨) ج : عذار ايضاً : والعذار من اللجام : ما سال على خد الفرس .

الى الرقيق الخليق بالحسن الحقيق ، تسوقه [1] الى مثوى الرعاية روقة[2] الفتيان رعاته ، وتهدي عقيقها من سبجه [3] اشكالاً ، تشهد للمخترع جل وتعالى ، باحكام مخترعاته ؛ وقفت ناظر الاستحسان لا يريم ، لما بهرها منظرها الكريم ، وتخامل الظليم ، وتضاءل الريم [4] . ٢٨ / و وأخرس مفوه اللسان ، وهو بملكات البيان الحفيظ العليم . وناب لسان الحال عن لسان المقال عند الاعتقال ، فقال يخاطب المقام الذي اطلعت ازهارها غمائم جوده ، واقتضت اختيارها بركة وجوده : لو علمنا ايها الملك الاصيل الذي كرم منه الاجمال والتفصيل، ان الثناء يوازيها لكانا لك بكيلك، او الشكر يعادلها او يجاريها ، لتعرضنا بالوشل [5] الى نيل نيلك ، او قلنا هي التي أشار اليها مخاطب سلفك المستنصر ، بقوله : « أدرك بخيلك [6] » حين شرق بدمعه الشرق [7] ، وانهزم الجمع واستولى الفرق، واتسع فيه – والحكم لله – الخرق . ورأى ان مقام التوحيد ، بالمظاهرة على التثليث ، وضربه الخبيث ، هو الاولى [8] والأحق . لكن مذ اغنى [9] الله بتلك المنية عن

---

(١) في التعريف : يسوقه الى .

(٢) روقة (ج) رائق وهو المعجب الحسن .

(٣) السبج : خرز اسود .

(٤) الظليم : ذكر النعام ، والريم الظبي .

(٥) الوشل : الماء القليل .

(٦) يشير الى قصيدة ابن الابار التي رفعها الى المستنصر الحفصي ابي زكريا يحيى ، ومطلعها :

ادرك بخيلك خيل الله اندلساً   ان السبيل الى منجاتها درسا

(٧) شرق الاندلس ، وكان ابن الابار رسولاً يطلب العون لانقاذ بلنسية .

(٨) في التعريف : « الخبيب الاولى » .

(٩) في المصادر : والآن قد اغنى .

الجاد [١] الطوال الردينية ، وبالدعاء مـن تلك المثابة الدينية ، الى رب البنية [٢] ، عن الامداد السّنية ؛ والأجواد تخوض بحار المـــاء ، الى بحار المنية ، وأعنة الجرد [٣] العربية في مقاود ٢٨ / ظ الليوث الأبية . فجدّد برسم هذه الهدية ، مراسم العهود الودّية والذمم الموحدية ، ليكون علامة [٤] عـــلى الاصل ، ومكذبة لدعوى الوقف والفصل ، واشعاراً بالألفـة الـتي لا تزال ألفها بحول الله [٥] الف الوصل ولامها [٦] حراماً على النصل .

وحضر بين يدينا رسولكم فلان فعدّد من فضلكم ما لا ينكره من عرف علو مقداركم واصالة داركم ، وفلك ابداركم ، وقطب مداركم ، وأجبناه عنه بجهد مــا كنا لنقنع من جناه المهتصر ، بالمقتضب المختصر ، ولا نقابل طول طوله بالقصر ، لولا طروُّ الحصر .

وقد كان بين الاسلاف رحمة الله ورضوانه عليهم ود ابرمت من اجل الله معاقـــده ووثرت للخلوص الجلي النصوص ، مضاجعه القارة [٧] ومراقده . وتعاهدً بالجميل ، وتوجع لفقده فيما سلف فاقده . ابى الله إلا أن يكون لـكم الفضل في تجديده ، والعطف بتوكيده . فنحن الآن لا ندري أي مكارمكم نــذكر ، او أي فضائلكم نشرح او نشكر . أصفاتكم التي هي في الحقيقة عندنا فتح ، ام هديتكم وفي وصفها للأقـلام سبح ، ولعدو الاسلام ، بحكمة حكمتها ٢٩/و كبح. انما نكل الشكر لمن يوفي جزاء الأعمال البرة ، ولا يبخس

---

(١) في المصادر: اتخاذ.
(٢) الكعبة المشرفة .
(٣) في المصادر : وعن الجرد.
(٤) في المصادر : لتكون علامة .
(٥) بحول الله زيادة عن المصادر .
(٦) اللأم ج : لأمة وهي الدرع .
(٧) في الريحانة : القرارة .

مثقال الذرة ، ولا ادنى من مثقال الذرة ، وذي الرحمة الثرة ، والألطاف المتصلة المستمرة ، لا إله إلا هو .

وان [1] تشوفتم الى الأحوال الراهنة، وأسباب الكفر الواهية[2] الواهنة، فنحن نُطرفكم بطُرفها، ونطلعكم على الإجمال [3] بطَرفها، وهو أننا منذ[4] أعاذنا الله من التمحيص الى مثابة التخصيص ، من بعد المرام العويص ، كحلنا بتوفيق الله بصر البصيرة ، ووقفنا على سبيله مساعي الحياة القصيرة . ورأينا كما نُقل الينا وكُرّر على من قبلنا وعلينا ، أن الدُّنيا – وان غرّ الغرور وأقام على سرور الغفلة السرور، فلم ينفع الخطور، على أجداث الأحباب والمرور ، – جسر يُعبر ، ومتاع لا يُغبط من حُبي به ولا يُحبر [5] . وانما هو خبر يُخبر ، وان الحسرة بمقدار ما على تركه يُجبر . وان الأعمار أحلام ، وأن الناس نِيام ، وربما رحل الراحل عن الحان [6] ، وقد جلله بالأذى والدُّخان . او ترك به طِيباً ، وثناءً يقوم بعد للآتي خطيباً ، فجعلنا العدل في الامور مِلاكاً، والتفقد للثغور [7] ٢٩/ظ مِسواكاً، وضجيع المهاد حديث الجهاد ، وأحكامه مناط الاجتهاد . وقوله « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة » من حُجج الاستشهاد . وبادرنا رمي [8] الحصون المضاعة وجنح

(١) من هنا يبدأ ما نشره المستشرق (ريبيرو) ، وهو يتخطف ما ينشره من النص تخطفاً.
(٢) في المصادر : الواهية – بقدر الله – الواهنة .
(٣) في صبح الاعشى ، والتعريف : على سبيل الاجمال ، وفي الريحانة : على سبيل الاخبار .
(٤) في المصادر : لما .
(٥) يحبر : يسر ويكرم .
(٦) في المصادر : عن الخان .
(٧) تعد فترة حكم الغني بالله النصري (٧٥٥ – ٧٦١) ، (٧٦٣ – ٧٩٣) على طولها، من فترات الهدوء نسبياً بين غرناطة وقشتالة ، وقد جرد الغني بالله عدة حملات منصورة ما بين ٧٦٧ – ٧٦٩ فاستعاد ثغر بطرنة وبزغه ، وجيره ، وحصن آش وحصن السهلة ، وأطريرة ، وجيان ، وأبدة ، وطرق ابواب اشبيلية (الاحاطة ٢ : ٤٨) .
(٨) في صبح الاعشى والريحانة: من، والتعريف : رمق .

التقية دامس ، وعوراتها لا تردُّ يد لامس[1] ، وساكنها بائس ، والأعصم[2] في شعفاتها [3] من العصمة يائس . فزيّنا ببيض الشرفات ثنـاياها ، وأفعمنا بالعذب الفرات ركاياها [4] ، وغشّينا بالصفيح المضاعف أبوابها . واحتسبنا عنـد موّفي الاجور ثوابهـا ، وبيّضنا بناصع الكلس اثوابها . فهي اليوم توهم حُسن العيان ، انها قطع من بيض العنان تكاد تناول قرص البدر بالبنان ، متكفلة للمؤمن من فزع الدنيـا والآخرة بالاحسان . وأقرضنا الله قرضاً ، وأوسعنا مدوّنة الجيش عرضاً ، وفرضنا أنصابه مع الأهـلة فرضاً . وأشرنا من التوكل على الله الغني الحميد الى ظل لواء ، ونبذنا الى الطاغية عهـده على سواء . وقلنا : ربنـا انت العزيز ، وكل جبار عنيد لعزك ذليل ، وحزبك هو ٣٠ / و الكثير ومـــا سواه قليل . انت الكافي ووعدك الوعد الوافي ، فأفض علينـا مدارع الصابرين ، واكتبنا مع [5] الفـائزين بحظوظ رضاك الظافرين ، وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين .

فتحركنا اولى الحركات، وفاتح مصحف البركات، في خفٍّ من الحشود، واقتصار على من بحضرتنا من العساكر المظفرة والجنود ، الى حصن آش [6] البازي [7] المطل ، وركاب العدو الضال المضل ، ومُهدي نفثـات الصِّل ، على امتناعه وارتفاعه ، وسمو يفاعه ، وما بذل العدو من استعداده ، وتوفير أسلحته وأزواده ، وانتخاب أنجاده . فصلينا بنفسه ناره ، وزاحمنـا عليه

---

(١) في التعريف : وعواريها ، والجملة ساقطة من صبح الاعشى .
(٢) الاعصم : الوعل .
(٣) الشعفات (ج : شعفة) رؤوس الجبال .
(٤) الركايا : ج: ركية وهي البئر ذات الماء .
(٥) في المصادر: من الفائزين .
(٦) في التعريف : آشر .
(٧) في الريحانة : السامي .

الشهداء نصابر أُواره ، ونلقى بالجوارح العزيزة سهامه وجلامده الململومة [١] وأحجاره ، حتى فرغنا . فحوّلنا بحول[٢] من لا حول ولا قوة الا به أبراجه المنيعة وأسواره، وكففنا عن العباد والبلاد أضراره، بعد ان استضفنا حصن السهلة جاره ، ورحلنا منه بعد ان شحنّاه رابطة وحامية ، وأزواداً ناهية . وعملنا بيدنا في رأم ما ثلم القتال ، وبقر من بطون مسابقة ٣٠ / ظ الرجال، واقتدينا بنبينا صلوات الله [٣] عليه ، في الخندق لما حمي ذلك المجال ، ووقع الاتّجار المنقول خبره والارتجال [٤] . وما كان ليقر الاسلام مع تركه القرار وقد كـُتب الجوار ، وتداعى الذّعَرة [٥] وتعاوى الشرار . وقد كنا أغرينا الجهة الغربية من المسلمين مدينـة بَرْغة التي سدّت بين القـاعدة [٦] مالقة ، ورُنـدة الطريق ، وألبست ذلّ الفراق ذلك الفريق ، ومنعتها ان تسيغا الريق . فلا سبيل الى الإلمام لطيف المنام [٧] في الاحلام ، ولا رسالة الا في أجنحة هديّ [٨] الحمام . فيسّر الله فتحها ، وعجل منحها ، بعـد حرب انبلـّت فيها النحور، وزُيّنت للشهداء الحور، وتبع هذه الأم بنات شهيرة ، (ويقَع للزرع والضرع خيرة ، فشُفي الثغر من بوسه ، وتهلل وجه الاسلام بتلك الناحية بعد عبوسه [٩]) .

---

(١) الجلامد الململومة : الحجارة المستديرة .

(٢) بحول : زيادة من المصادر .

(٣) في المصادر : وسلامه.

(٤) في المصادر : الارتجاز المنقول حديثه .

(٥) في المصادر : الدعرة . والذعرة ج ذاعر: الخبيث ؛ والدعرة ج داعر : بمعنى .

(٦) في المصادر : القاعدتين .

(٧) في التعريف : الا في الاحلام .

(٨) في التعريف : هدل الحمام .

(٩) ما بين قوسين ساقط من الاصل .

ثم أعملنا الحركة الى مدينة اطريرة [١] ، عـلى بُعد المدى ، وتغلغلها في بـلاد العدا ، واقتحام هول الفلا – من دونها – وغول الردى [٢] . مدينة تبنتها حمص [٣] ، فأوسعت الدار وأغلت الشّوار [٤] ، وراعت الاستكثار، وبسطت الاعتمار ، رجح قصدَها لدينا على البعد والطريق الجعد ، مـــا آسفت [٥] ٣١ / و به المسلمين من استيطان طائفةٍ من اسراهم ، خرجوا اليها آمنين ، وبطيرها المشؤوم متيمنين ، قد انهكهم الاعتقال ، والقيود الثقال ، وأسرعهم الاسار وجللهم الانكسار ، فجدلوهم في مصرع واحـد ، وتركوهم عـــبرة للرائي والمشاهد ، وأهدوا بوقيعتهم الى الاسلام ثكل الواجد وبرة الماجد [٦] . فكبسناها كبساً ، وفجأناها بإلهـام من لا يضِلُّ ولا ينسى . صبحتها الخيل ثم تلاصق الرّجلُ كما جن الليل، وانحدر السيل [٧]. وحاق بهـا الويل ، فأبيح منها الذّمار ، وأخذها الدّمـار ، ومحقت من مصانعها البيض الأهلة وخسفت الأقمـار ، وشفيت من دماء أهليها الضلوع الحرار ، وسلطت على هياكلها النار ، واستولى على الآلاف العديدة من سبيها الإسار، وانتهى الى اشبيلية الثكلى المغار، فجلـّل من بها من كبار النصرانية الصغار، واستولت الأيدي المسلمة على ما لا يسعه الوصف ولا تقله الأوقار [٨] .

وعدنا والارض تموج سبياً ، لم نـترك بعفرّين شبلاً ولا بوجرة ظبياً ،

---

(١) في صبح الاعشى : الجزيرة .
(٢) في المصادر : هول الفلا وغول الردى .
(٣) هي اشبيلية .
(٤) الشوار : متاع البيت .
(٥) آسفه : أغضبه .
(٦) في المصادر . وترة الماجد .
(٧) ساقطة من المصادر .
(٨) الاوقار ج وقر وهو الحمل .

والعقائـل حسرى ، والعيون يبهرها ٣١ / ظ الصنع الأسرى [١] . وصبح السرى ، قد حمد من بعد المسرى ، فسبحان الذي أسرى . ولسان الحمية ، ينادي في تلك الكنائس المخزية والوادي : يا لثارات الأسرى !

ولم يكن الا ان نفلت الانفال ، ووسمت بسمات الاساخ والاغفال [٢] ، وتميزت الهوادي والأكفال [٣] ، وكان الى غزو مدينة جيان الاحتفال : قدنا اليهـا الجرد تلاعب الظلال نشاطاً ، والأبطال تقتحم الاخطار رضىً بما عند الله واغتباطاً ، والمهندة الذّلق [٤] تسابق الى الرقاب استلالاً واختراطاً ، والرُّدينية السُّمر تشترط حبّاتهـا النفوسَ اشتراطـاً [٥] . واستكثرنا من عُدد القتال احتياطاً . وأزحنا العلل عمن اراد جهاداً منجياً غباره من دخان جهنم ورباطاً ، وناديننا الجهاد الجهاد يا امة الجهاد ! راية النبي الهاد ، الجنـة تحت ظلال السيوف الحِداد . فهز النداء الى الله كل عامر وغامر [٦] . وائتمر الجم من دعوة الحق الى امر آمر . وأتى الناس من الفجوج العميقة « رجالاً وعلى كل ضامر » . وكاثرت الرايات أزهار البطاح لوناً وعدّاً ، وسدت ٣٢ /و الحشود مسالك الطرق العريضة سداً ، ومدَّ بحرهـا الزاخر — والله مكثر القليل [٧] — مداً ، فلا يجد لها الناظر ولا المناظر حداً .

---

(١) الصنع الاسرى : الاشراف .

(٢) في صبح الاعشى : الارضاخ ، والرضخ : العطاء ليس بالكثير . وفي ريحانة الكتاب : الارمـاح ؛ وفي التعريف : الاوضاح ؛ ج وضح : وهو البياض . والاغفال ج غفل : الارض الموات .

(٣) هوادي كل شيء : اوله . والأكفال ج كفل ، وهم الذين يكونون في المؤخرة .

(٤) ذلق السيف : حده وفي صبح الاعشى : الزرق ، والتعريف : الدلق بالدال ؛ والسيف الذلق : سهل الخروج من غمده .

(٥) والردينية . . . اشتراطاً : ساقط من التعريف . وفي صبح الاعشى : تسترط استراطاً — وهو الصواب —

(٦) العامر : المستغل من الارض ، وعكسها الغامر .

(٧) « والله مكثر القليل » زيادة عن المصادر .

وهذه المدينة هي الأم الولود ، والجنة التي في النار لسكانها من الكفار الخلود . وكرسي الملك ، ومجنبة[1] الوسطى من السلك ، باءت بالمزايا العديدة ونجحت ، وعند الوزان بغيرها من أمهات[2] البلدان رجحت. غابُ الاسود ، وجحر الحيات السود ، ومنصب التماثيل المائلة ، ومعلق النواقيس الصائلة . فأدنينا اليها المراحل ، وعبينا البحار[3] المحلات المستقلات منها الساحل . ولما اكثبنا جوارها ، وكدنا نلتمح نارها ، تحركنا ووشاح الأفق المرقوم بزهر النجوم قد دار دائره ، والليل من خوف الصباح على سرحه[4] المستباح قد شابت غدائره ، والنسر[5] يرفرف باليمن طائره ، والسماك الرامح يثأر بعز الاسلام ثائره ، والنعائم راعدة فرائص الجسد من خوف الاسد ، والقوس يرسل سهم السعادة بوتر العادة ، الى اهداف النعم المعادة ، والجوزاء عابرة نهر ٣٢ / ظ المجرة ،والزُّهرة تغار من الشعرى العبور بالضرة. وعطارد يسري في خيل الحروب ، على البلد المحروب فيلحمه ، ويناظر على أشكالها الهندسية فيفحمه . والاحمر[6] يبهر ، وبعلمه الابيض يفري ويقهر ، والمشتري يبدىء في فضل الجهاد ويعيد ، ويزاحم في الحلقات على ما للسعادة من الصفقات ويزيد ؛ وزحل عن الطالع منزحل ، ومن العاشر مرتحل ، وفي لزق السقوط وحل[7] . والبدر يطارح حجر المنجنيق كيف يهوي الى النيق[8].ومطلع الشمس يُرقَّب ، وجدار الافق ، يكاد بالعيون عنها يُنقب .

---

(١) المجنبة : الجوهرة المجاورة لواسطة العقد .

(٢) في المصادر : امات .

(٣) في صبح الاعشى : عينا اتجار ، وفي التعريف : وعنينا ببحار .

(٤) في التعريف : سطحه .

(٥) سوف يكثر لسان الدين من ذكر النجوم ، والكواكب ، ومصطلحات الفلك .

(٦) الاحمر : سهيل ، كما وصفه المعرّي .

(٧) في صبح الاعشى : زلق السقوط ، وفي التعريف : زلق السعود . وفي الريحانة : زلق السعود وجل .

(٨) النيق : أعلى موضع في الجبل .

ولما فشا سر الصباح ، واهتزت اعطاف الرايات ، لتحيات مبشّرات الرياح ، اطللنا عليها إطلال الأسود على الفرائس ، والفحول على العرائس ، فنظرنا منظراً يهول [1] بأساً ومنعة ، ويروق وضعاً وصنعة ، تلفعت معاقله الشُّمُّ للسحاب ببرود [2] ، وأسرعت لاقتطاف ازهار النجوم بين النطاق ، معاصم رُود ، وبلداً يعيي الماسح والذارع ، وينتظم المحـــاني والأجارع ، فقلنا : اللهم نفّله [3] ايدي عبادك ، وأرنا ٣٣/و فيه آية من آيات جهادك . فنزلنا بساحتها العريضة المتون ، نزول الغيث الهتون ، وتيمّنــا من فحصها الأفيـح [4] ، بسورة التين والزيتون ، متبرئة من امان الرحمن للبلد المفتون . وأعجلنا الناس بحميّة نفوسهم النفيسة ، وسجية شجاعتهم البئيسة ، عن أن نبوىء للقتال المقاعد ، وندني بإسماع شهير النفير منهم الأباعـد ، وقبل أن يلتقي الخـديم بالمخدوم ، وتركع المجانيق ركعتي القدوم ، فدفعوا من أصحر اليهم من الفرسان ، وسبق الى حومـة الميدان ، حتى احجروهم في البـلد ، وسلبوهم لباس الجـَلَد ، في موقفٍ يذهل الوالد عن الولد : صابت السهام فيه غماماً ، وطارت كأسراب الحمام تهدي حِماماً ، وأضحت القنا قصداً ، بعـد أن كانت شهاباً رصداً . وماج بحر القتام بأمواج النـُّصول ، وأخـذ الارضَ الرجفان لزلزال الصياح الموصول ، فلا ترى إلا شهيداً تظلل مصرعه الحـُور ، وسريعاً تقذف بـه الى الساحل تلك البحور ، ونواشب [5] تبأى [6] بهـا الوجوه الوجيهة عنـــد الله والنحور ، فالمقضب [7] ٣٣/ظ فوده يخضب ،

---

(١) في المصادر : يروع .

(٢) في المصادر : « ببرود ، ووردت من غدر المزن في برود ، وأسرعت ... »

(٣) في الاصل : نمله .

(٤) الافيـح : زيادة في المصادر .

(٥) نواشب ، سهام ناشبة في وجوه المحاربين او اعناقهم .

(٦) تبأى بها : تنشق .

(٧) المقضب : السيف القاطع .

والأسمر عَضبه [1] يستثمر ، والمخفر حِماه يُخفر ، وظهور القسيّ تقصم ، وعصم الجند الكوافر تفصم ، وورق اليَلب في المنقلب [2] يسقط ، والبيض تكتب والسمر تنقط ، فاقتحم سور [3] الربض الاعظم لحينه ، وأظهر الله لعيون المبصرين[4] المستبصرين عزة دينه ، وتبرأ الشيطان الغويُّ من خدينه . وبُهت الكفار وخُذلوا ، ولكل مصرعٍ جُدلوا ، ثم دُخل البلد بعده غِلاباً ، وجلل قتلاً واستلاباً ؛ فلا تسل إلا الظبا والأسل عن قيام ساعته ، وهول يومها وشناعته ، وتخريب المبائت والمباني ، وغناء الأيدي من خزائن تلك المغاني ، ونقل الوجود الاول الى الثاني [5] ، وتخارق السيف فجاء بغير المعتاد ، ونهلت القنا الردينية من الدماء حتى كادت تورق كالأغصان المغترسة والأوتاد ، وهمَت افلاك القسيّ فسحّت [6] ، وأرنّت حتى بحّت ، ونفدت موادها فشحت ، مما ألحت ؛ وسدت المسالكَ جثث القتلى فمنعت العابر ، واستأصل الله من عدوه الشأفة وقطع الدابر ، وأزلف الشهيد وأحسب الصابر ، وسبقت رسل الفتح الذي لم يسمع ٣٤ / و بمثله في الزمن الغابر ، تنقل البشرى من افواه المحابر الى آذان المنابر. أقمنا بها أياماً نعقر الاشجار ، ونستأصل بالتخريب الوِجار [7] ، ولسان الانتقام من عبدة الاصنام ، ينادي يا لثارات الاسكندرية [8] ! تشفياً من الفجار ، ورعياً لحق الجار . وقفلنا وأجنحة الرايات برياح العنايات خافقة ، وأوفاق التوفيق الناشئة من خطوط

---

(١) في المصادر : غصنه – وهو أصوب – .

(٢) اليلب : الدروع .

(٣) في التعريف : فاقتحم الربض .

(٤) في الريحانة : المبصرين والمستبصرين .

(٥) يعني صارت المدينة في الاذهان صورة ماضية ، بعد أن كانت حقيقة واقعة .

(٦) في التعريف : وسحت .

(٧) الوجار : حجر السبع من الحيوان .

(٨) اشارة الى حادثة فتك حاكم قبرص بأهل الاسكندرية سنة ٧٦٧ .

الطريق موافقة ، وأسواق العز بالله نافقة ، وجـــلاء [1] الرفق مصاحبة ، والحمد لله موافقة . وقد ضاقت ذروع الجبال، عن أعناق الصهب السبال[2] ، ورفعت على الاكفال، ردفاء كرائم الانفـــال، وقلقلت من النواقيس أجرام الجبال ، بالهندام والاحتيال ، وهلك بمهلك هـــذه الأم بنات كن يرتضعن ثدييها الحوافل ، ويستوثرن حِجرهـــا الكافل : شمل التخريب اسوارها ، وعجلت النار بوارها .

ثم تحركنا بعدها حركة الفتح ، وأرسلنا دلاءً [3] قبـل المتح ، فبشرت بالمنح ، وقصدنا مدينة أبـدة وهي الكبرى من الأختين ، وثاني الجناحين ، ومساهمة جيان ٣٤ / ظ في جرّ الحـــين . مدينة أخذت عرض الفضاء الأخرق [4] ، وتمشت فيه أرباضها تمشّي الكتابة الجامحة في صفحة المهرق[5] المشتملة عـلى المتاجر والمكاسب ، والوضع المتناسب ، والفلح التي يعيي [6] ريعها عمل الحاسب ، وكورة الدَّبر[7] اللاسب ، المتعددة اليعاسب[8] . فأناخ العفاء بربوعها العامرة، ودارت كؤوس عقار الحتوف[9] على مديرها المعاقرة. وصبحتها طلائـع الفاقرة ، وأغريت ببطون أسوارها عوج المعاول الباقرة ، ودخلت مدينتها عنوة السيف ، في اسرع من خطرة الطيف ، ولا تسل عن الكيف . فلم يبلغ العفاء مدينة حافلة ، وعقيلة في حلل المحاسن عن المحاسن

(١) الجلاء ، الجميلة ، وفي المصادر : حملاء .
(٢) الصهب السبال : كناية عن الاعداء عامة .
(٣) في المصادر: دلاء الادلاء .
(٤) الأخرق : الواسع .
(٥) في المصادر : الجامحة في المهرق، والمهرق : الصفحة البيضاء .
(٦) في المصادر : المعي .
(٧) الدبر : النحل ، ولسبته النحلة : لسعته .
(٨) اليعسوب : امير النحل .
(٩) في المصادر: « عقار الحتوف ببنان السيوف على متدبريها المعاقرة » .

رافلة ، مـــا بلغ من هذه الباسقة [١] التي سجدت لآلهة النيران أبراجها ، وتضاءل بالرغام معراجها ، وضفت على اعطافها ملابس الخذلان [٢] ، وأقفر من كنائسها كناس الغزلان .

ثم تأهبنا لغزو ام القرى الكافرة ، وخزائن المدائن [٣] الوافرة ، وربة الشهرة السافرة ، والانباء المسافرة قرطبة ، وما أدراك ما هيه ، ذات الأرجاء ٣٥/و الحالية الكاسية ، والاطواد الراسخة الراسية ، والمباني المباهيـــة ، والزهراء الزاهية ، والمحاسن غير المتناهية ، حيث هالة بدر السماء قد استدارت من السور المشيد داراً [٤] ، ونهر المجرة من نهرها الفياض ، المسلول حسامه من غمود الغياض ، قد لصق بها جاراً ، وفلك الدولاب المعتدل الانقلاب قد استقام مـداراً ، ورجّع الحنين اشتياقـاً الى الحبيب الاول وادكاراً ، حيث الطودُ كالتاج يزدان بلجين العذب المجاج ، فيزري بتاج كسرى ودارا ، حيث قسيُّ الجسور المديدة ، كأنهـا عوج المطي [٥] العديـدة ، تعبر النهر قطاراً ، حيث آثار العامري [٦] المجاهد تعبق من تلك المعـاهد شذى معطاراً ، حيث كرائم السحائب تزور عرائس الرياض الحبائب ، فتحصل لها من الدر نثاراً ، حيث شمول الشمال تدار على الارواح بالغـــدوة والرواح ، فترى الغصون سكارى ، وما هي بسكارى . حيث أيدي الافتتاح تفتض من شقائق البطاح

(١) في المصادر : البائسة .

(٢) في الاصل : الخلان .

(٣) في صبح الاعشى والتعريف : المزاين .

(٤) في صبح الاعشى « من السور المشيد البنـــاء ، ونهر .. » وفي التعريف « من السور المشيد داراً ، ونهر .. »

(٥) عوج : ج عوجاء : الابل الضامرة .

(٦) هو محمد بن عبـــد بن ابي عامر ، الحاجب المشهور المتغلب على حكم الاندلس باسم اواخر خلفاء بني امية ، وكانت له مع النصارى وقائع منصورة ، تربو على الخمسين .

أبكاراً. حيث ثغور الاقاحي الباسم ٣٥/ظ يقبلها [١] بالسحر زوار النواسم ، فتخفق قلوب النجوم الغيارى ، حيث المصلى العتيق قد رحب مجالاً وطال مناراً ، وأزرى ببلاط الوليد احتقاراً ، حيث الظهور المنارة [٢] بسلاح الفلاح تُجَبُّ عن مثل أسنمة المهارى [٣] . والبطون كأنها لتدميث [٤] الغمائم بطون العذارى ، والادواح العالية تخترق أعلامها الهادية بالجداول الحيارى . فما شئت من جو صقيل [٥] ، ومعرَّسٍ للحسن ومقيل ، وملك [٦] للعقل وعقيل ، وخمائل [٧] فيها للبلابل من قال وقيل ، وخفيف يجاوب بثقيل ، وسنابل تحكي من فوق سوقها ، ونصب [٨] بسوقها الهمزات فوق الالفات [٩] . والعصافير البديعة الصفات ، فوق القضب المؤتلفات ، تميل بهبوب [١٠] الصبا والجنوب ، مالئة الجيوب بدرر الحبوب ، وبطاح لا تعرف عين المحل، فتطلبه بالذحل [١١] ، ولا تصرف في خدمة بيض قباب الازهار ، عند افتتاح السوسن (و) البهار ، غير العبدان من سودان النحل [١٢] ، وبحر

---

(١) في المصادر: تقبلها .

(٢) في المصادر : المثارة .

(٣) مهارى ج مهرية : وهي الابل المنسوبة الى مهرة بن حيدان .

(٤) دمث الشيء : مرسه حتى لان .

(٥) في التعريف : بقيل .

(٦) في التعريف وصبح الاعشى : ومالك — وهو الصواب — اذ مالك وعقيل نديما جذيمة ايضاً .

(٧) في التعريف : وخمائل كم فيها .

(٨) في التعريف والريحانة : وقصب ، وفي صبح الاعشى : وقضب .

(٩) في التعريف : الهمزات على الألفات .

(١٠) في التعريف والريحانة : لهبوب .

(١١) الذحل : الثأر.

(١٢) في صبح الاعشى: النخل، وفي الريحانة : غير سودان النحل .

الفلاحة الذي لا يدرك ساحله ، ولا يبلغ الطية [١] البعيدة راحله، الى الوادي (وسمر النوادي وقرار دموع الفوادي المتجاسر على تخطيه ، عند تمطيه ، الجسر العادي[٢]) ، والوطن الذي ليس من ٣٦ / و عمرو ولا زيد ، والفرا الذي في جوفه كل صيد ، اقل كرسيه خلافة الاسلام ، وأغار بالرصافة والجسر دار السلام [٣] ، ومـا عسى أن تطنب في وصفه ألسنة الاقلام ، او تعبر[٤] عن ذلك الكمال فنون الكلام .

فأعملنا اليها السُّرى والسَّير ، وقدنا الخيل [٥] ، وقـد عقد الله بنواصيها الخير . ولمـا وقفنا بظاهرها المبهت المعجب ، واصطففنا لخارجها [٦] المنبت المجب ، والقلوب تلتمس الاعانة من منعم مجزل ، وتستنزل مدد الملائكة من منجدٍ منزل ، والركائب واقفة من خلفنا بمعزل ، تتناشد في معاهد الاسلام .

« قفنا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل » .

برز من حاميتها المحامية ، ووقود النـار الحامية ، وبقية السيف الوافرة على الحصاد النامية ، قطع الغمائم الهامية ، وامواج البحور الطامية ، واستجنت بظلال ابطال المجـال ، اعداد الرجال الناشبة [٧] والرامية ، وتصدى للنزال

---

(١) الطية : الناحية .
(٢) ما بين قوسين زيادة عن المصادر .
(٣) الرصافة : قصر بناه عبد الرحمن الداخل ، والجسر هو جسر قرطبة ، ودار السلام : بغداد .
(٤) في المصادر : او تعبر به عن ذلك .
(٥) في المصادر ، قدنا اليها الخيل ، وفي التعريف : في نواصيها .
(٦) في المصادر : بخارجها .
(٧) رامو النشاب .

من صناديدها الصهب السبال، أمثال الهضاب الراسية، يجنها[١] جنن السوابغ الكاسية ، وقواميسها المفادية ٣٦ / ظ للصلبان يوم بؤسها ، بنفوسها المواسية، وخنازيرها التي أعدتها[٢] عن قبول حجج الله ورسوله، ستور الظلم الغاشية[٣] فكان بين الفريقين أمام جسرها الذي فرق البحر، وحلي بلجينه ولآلىء زينه منها النحر ، حربٌ لم تنسج الأزمـان على منوالها ، ولا أتت الأيام الحبالى بمثل أجنة أهوالها ، من قاسها بالفجار [٤] أفك وفجر ، او مثلها بجفر الهباءة (خرف) [٥] وهجر . ومن شبهها بحرب داحس والغبراء ، فما عرف الخبر. فليسأل من جرّب (وخبر) [٦]. (ومن نظّرها بيوم شعب جبلة ، فهو ذو بله او عادلها ببطن عاقل ، فغير عاقل) [٧] ، او احتجّ بيوم ذي قار [٨] ، فهو الى المعرفة ذو افتقار. او فاضل بيوم الكديد [٩] ، فسهمه غير السديد. انمـــا كان مقاماً غير معتاد ، ومرعى نفوس ، لم يف بوصفه لسان مرتاد ، وزلزال جبال اوتاد ، ومتلف مذخور اسلطان الشيطان ، وعتاد : أعلم فيه البطل الباسل ، وتورد الأبيض البـاتر ، وتورد الاسمر العاسل ، ودوم الجلمد المتكاسل، وانبعث من حدب الحنيَّة الى هدف الرَّمية ، الناشر الناهل [١٠] . ٣٧ / و ورويت لمرسلات السهام المراسل ، ثم أفضى امر الرِّماح الى التشاجر

---

(١) في المصادر : تجنها .
(٢) في المصادر : التي عدتها عن .
(٣) في المصادر : وصخور القلوب القاسية – وهو أصوب – .
(٤) الفجار : حروب عدة ، أشهرها بين قريش وكنانة ، وبين هوازن .
(٥) ساقطة من الاصل ، وفي الريحانة : نقص وهجر ؛ وجفر الهباءة : يوم لعبس على ذبيان .
(٦) ما بين قوسين ساقط من الاصل .
(٧) الزيادة من المصادر ، وشعب جبلة : يوم لعامر وعبس على ذبيان .
(٨) ذو قار : يوم للعرب على العجم .
(٩) الكديد : يوم لسليم على كنانة . وفي النسخ : او ناضل .
(١٠) في المصادر: الناشر الناسل . والناشر : المهتز .

والارتباك، ونشبت الأسنة في الدُّروع ، نشب السمك في الشباك، ثم اختلط المرعي بالهمل ، وعزل الرديني عن العمل ، وعادت السيوف من فوق المفارق تيجانا ، بعد أن شقت غــدر السوابغ خلجانا ، واتحدت جداول الدروع فصارت بحراً ، وكان التعانق فـلا ترى الا نحراً يلازم نحراً ؛ عناق وداع ، وموقف شملٍ ذي انصداع ، واجابـــة منادٍ الى فراق الأمد وداع . واستكشفت مآل الصبر الأنفس الشفافة، وهبّت بريح النصر الطلائع المبشرة الهفافة. ثم أمدَّ السيل ذلك العباب، وصقل الاستبصار الألباب ، واستخلص العزم صفوة اللباب ، وقــال لسان النصر : ادخلوا عليهم الباب ، فأصبحت طوائف الكفار حصائد مناجل الشفار ، فمغافرهم قـــد رضيت حرماتها بالإخفار ، ورؤوسهم محطوطة في غير [١] مقـام الاستغفار ، وعلت الرايات من فوق تلـك الابراج المستطرفة [٢] والأسوار ، ورفرف على المدينة جناح البوار ٣٧ / ظ لولا الانتهاء الى الحدود والمقدار ، والوقوف عند اختفاء سر المقدار [٣] .

ثم عبرنا نهرهــا ، وشددنا بأيدي الله قهرها ، وضيّقنا حصرها ، وأدرنا بتلألىء القباب البيض خصرها [٤] ، وأقمنا بهــا اياماً ، تحوم عقبان البنود على فريستها حياماً ، ونرمي[٥] الارواح ببوارها ، ونسلط[٦] النار على اقطارها، فلولا عائق المطر، لحصلنا من فتح ذلك الوطن على الوطر، فرأينا ان نروضها بالاجتثاث والانتساف ، ونوالي على زروعهـا [٧] كرّات رياح الاعتساف ،

---

(١) غير : ساقطة من الاصل، واثباتها ضروري. وفي صبح الأعشى: في غير معالم الاستغفار.
(٢) في التعريف : المستطرقة ، بالقاف .
(٣) في المصادر : الى الحد والمقدار ... سر الأقدار .
(٤) و « أدرنا .. خصرها » ساقطة من صبح الأعشى .
(٥) في المصادر : وترمي .
(٦) في المصادر : وتسلط.
(٧) في المصادر : زروعها وربوعها .

حتى يتهيأ الاسلام لوك طعمتها ، ويتهنأ بفضل الله إرث نعمتهـا ، ثم كانت عن موقفها الافاضة من بعد نحر النحور ، وقذف جمـــار الدمار على العدو المدحور ، وتدافعت خلفنا الساقات المتسقات [1] ، تدافع امواج البحور .

وبعد أن ألححنا على جناتها المصحرة ، وكرومها المستبحرة إلحاح الهزيم وعوّضناها المنظر الكريه من المنظر الكريم ، وطاف عليها طائفٌ من ربنا فأصبحت كالصريم ، وأغرينـــا حلاق النار بجمم الجميم [2] ، وراكمنا في احواف [3] ٣٨ / و اجوائها [4] غمائم الدخان تذكّر ظبية البـــان بيوم الغميم[5] ، وأرسلت الرياح العاديات [6] لا تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ، واستقبلنا الوادي يهول مداً ، ويروع سيفه الصقيل حداً ، فيسّره الله من بعد الاعواز، وانطلقت على الفرصة بتلك الفرضة ايدي الانتهـــاز ، وسألنا من سائله اسد [7] بن الفرات فأفتى برجحان الجواز . فعمّ الاكتساح والاستباح جميع الاحواز، فأديل المصون، وانتُهبت القرى وهدت الحصون ، واجتثت الاصول وحطبت الغصون ، ولم تُرفع عنها الى اليوم غارة تصابحها بالبوس ، وتطلع عليها غررهـا الضاحكة باليوم العبوس . فهي الآن مُجرى السوابق ، ومجرى العوالي على التوالي ، والحسرات تتجدد في اطلالها البوالي،

---

(١) في صبح الأعشى : «المسابقات المستقلات» وفي التعريف والريحانة (السيقات المتسقات). والساقة : مؤخر الجيش .

(٢) في الاصل : بجمم الحميم .والتصويب عن التعريف.

(٣) أحواف ج : حاف : وهو الناحية .

(٤) في التعريف : أجرافها .

(٥) الغميم : موضع بين مكة والمدينـة ؛ والاشارة الى قصيدة للشريف الرضي مطلعها « يا ظبية البان » وفيها :

لو كانت اللمة السوداء من عددي   يوم الغميم لما أفلت أشراكي

والمعنى ان غمائم الدخان تذكرها بالسواد . ويوم الغميم ايضاً كان بين كنانة وخزاعة . وفي التعريف : يذكر ظبيه البان ، وفي صبح الاعشى : ظبية البان.

(٦) في المصادر : الغارات .

(٧) أسد بن الفرات من فقهاء المالكية ، توفي في حصار سرقوسة بصقلية سنة (٢١٣ هـ) .

وكأن بها قد ضرعت [1] ، وإلى الدعوة المحمدية قد اسرعت ، بقـدرة من لو أنزل القرآن على الجبـــال لخشعت من خشية الله وتصدعت ، وعزة من اذعنت الجبابرة لعزه وخضعت ، وعـــدنا والبنود ٣٨ / ظ لا يعرف اللفّ نشرها [2] ، والوجوه الجاهدة لا يخالط التقطيبُ بشرها ، والأيدي بالعروة الوثقى معتلقة [3] ، والألسن بشكر نعم الله منطلقة ، والسيوف في مضاجع الغمود قلقة ، وسرابيل الدروع خلقة ، والجياد من ردها الى المرابط حنقة ، وبعبرات الغيظ المكظوم مختنقة ، تنظر اليها نظر العاتب ، وتعود من ميادين المراح والاختيال ، تحت حلل السلاح ، عود الصبيان الى المكاتب . والطبل بلسان العز هادر ، والعزم الى منادي الحميد[4] مبادر ، ووجود نوع الرماح من بعد ذلك الكفاح نادر ، والقاسم ترتب [5] بين يديه من السبي النوادر ، ووارد مناهل الأجور غير المحلأ ولا المهجور صادر[6] ، ومناظر الفصل الآتي عقب اخيـه الشاتي على المطلوب المواتي مصادر . والله على تيسير الصعاب ، وتحويل المنن الرغاب قادر ، لا إله إلا هو . فما أجمل لنـــا صنعه الحفي ، وأكرم بنا لطفه الخفي ، اللهم لا نحصي ثنـاء عليك ، ولا نلجـــأ منك إلا اليك . ولا نلتمس خير الدنيا والآخرة إلا لديك ، فأعد علينا عوائد نصرك ، يا مبدىء يا معيد ، وأعنا من وسائل شكرك على ما ينثال بـــه المزيد ، يا حيُّ يا قيوم ٣٩ / و يا فعال لما يريد .

---

(١) في صبح الاعشى : صرعت .

(٢) يشير الى اللف والنشر من علم البديع .

(٣) في التعريف : متعلقة .

(٤) في المصادر : منادي العود الحميد .

(٥) في التعريف : يرتب .

(٦) في التعريف : غير صادر .

قارنت رسائلكم لدينا حرف [1] فتح بعيد صيته ، مشرئب ليتـه [2] ، وفخر من فوق النجوم العواتم مبيته ، عجبنا من تأتي أمله الشارد ، وقلنـا البركة في قدم الوارد ، وهو أن ملك النصارى لاطفنـا بجملة من الحصون كانت من مملكة الاسلام قد غُصبت ، والتماثيل فيها ببيوت الله نصبت [3] ، أدالها الله – بمجاولتنا [4] – الطيب من الخبيث ، والتوحيـد من التثليث ، وعاد اليها الاسلام عودة (الاب [5]) الغائب ، الى البنات الحبائب ، يسأل عن شؤونها ، ويمسح دموع الرقة عن جفونها ، وهي الروم خطة خسف قلما ارتكبوهـا فيما نعلم من العهود ، ونادرة من نوادر الوجود ، والى الله علينـا وعليكم عوارف الجود ، وجعلنا في محاريب الشكر من الرُّكع السجود .

عرفناكم بجملات من أمور تحتها تفسير، ويمن من الله وتيسير، اذ استيفاء الجزئيـات عسير ، لنسركم بمـا منح الله دينكم ، ونتوّج بعزة الملة الحنيفية جبينكم ، ونخطب بعده دعاءكم وتأمينكم ٣٩ / ظ فان دعـاء المؤمن لأخيـه بظهر الغيب سلاح مـاض ، وكفيل للمواهب المسؤولة ، من المنعم الواهب متقاض . وأنتم اولى من ساهم في بِر ، وعامل الله بخلوص سِر ، وأين يذهب الفضل عن بيتكم ، وهو صفة حيكم وتراث ميتكم، ولكم مزية القِدم، ورسوخ القدم . والخلافة مقرها ديوانكم [6] ، وأصحاب الامـام مالك [7] ، مقرهـا قيروانكم ، وهجير المنابر ذكر امامكم ، والتوحيد اعلام اعلامكم ، والصحابة

---

(١) في صبح الاعشى والريحانة : حدق . وفي التعريف : حذق .
(٢) الليت : صفحة الخد .
(٣) في المصادر : قد نصبت .
(٤) في المصادر : بمحاولتنا .
(٥) زيادة من المصادر.
(٦) في المصادر : إيوانكم .
(٧) زاد في المصادر : رضي الله عنه .

الكرام فتحة أوطانكم ، وسلالة الفـاروق وشائج سلطانكم ، ونحن نستكثر من بركة خطابكم ، ووصلة جنابكم ، ولولا الاعذار لوالينا بالمتزيدات تعريف ابوابكم .

والله عز وجل يتولى عنا من شكركم المحتوم ، ما قصّر المكتوب منه عن المكتوم ، ويبقيكم لإقامة الرسوم ، ويحل محبتكم محل الأرواح من الجسوم ، وهو سبحانه يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، ويوالي نعمه عندكم ، والسلام [1] الكريم البر العميم ، يخصكم كثيراً أثيراً ، ما اطلع الصبح وجهاً منيراً ، بعـد ارسال الغمام [2] سفيراً ، وكان الوضيـح [3] الباسم ٤٠ / و ازهـــار الكمائم مديراً ، ورحمة الله وبركاته .

ومن كتبه بخطه لأمير المؤمنين [4] ابي عنـان فارس بن امير المؤمنين ابي الحسن علي بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن امير المؤمنين أبي يوسف يعقوب ابن الامير عبد الحق المريني ملك المغرب [5] من مدينة سبتة ، حين انصرف

---

(١) في المصادر : « السلام الزكي المبارك .. ».

(٢) في المصادر : بعد أن أرسل .

(٣) في المصادر : الوميض .

(٤) في الاصل : « ومن كتبه بخط أمير المؤمنين » وما أثبتناه عن حاشية الصفحة. والظاهر أن ابن الاحمر ميز هذا الكتاب من كتب لسان الدين عن سواه لأنه كتبه بخطه ، في حين أنـــه كان يملي رسائله — في العادة — على أحد الكتبة املاء .

(٥) كان بنو مرين يلقبون أمراءهم بأمير المسلمين ، وبالسلطان ، حتى كان عهد أبي عنان فارس (٧٤٩ — ٧٥٩) فاتخذ لقب امير المؤمنين. قال المقري : « وهو الذي تميز بأمير المؤمنين من بني مرين وحـــده » . مخطوطة ازهار الرياض المحفوظة برقم ٢٠١٣ تاريخ — بدار الكتب المصرية — الورقة ٥٢٩/ظ . ولهذا اللقب أصل شرعي ، اذ لا يجوز أن يتقلده اثنان لأنه لا يجوز أن يبايع لخليفتين في وقت واحد . وانظر (التعريف بابن خلدون ٣٣٦) .

عنه من فاس الى الاندلس ، لما أتاه في غرض الرسالة [1] من ابن عمنا امير المسلمين ، الغني بالله محمد المخلوع ، بن امير المسلمين ابي الحجاج يوسف بن امير المسلمين ابي الوليد اسماعيل ، اخي جدي ابن جـدنا الامير الرئيس ابي سعيد فرج امير مالقة ، ابن جـدنا الامير يوسف المدعو بالأحمر ، ابن جـدنا الامير محمد بن احمد بن محمد بن نصر الخزرجي ملك الأندلس . والتزم في كل كلمـة السين المهملة [2] :

بسم السلام استمنح سبل الاسعاد، وأبلس انفس الحساد، وبإرسال التسليم لسيد المرسلين اسد سدة ٤٠ / ظ الفساد ، والتمِسُ لسفري سلامة النفوس والأجساد :

سقت ساريات السحب ساحة فاس سوانح تكسو [3] السرح حسن لباس
وسار بتسليمي لسدة فـــارس نسيم سرى للسلسبيل بكاس
سراج السرى، شمس، سما، قبس السنا كسا ساطيات الأسد لبسة باس
أنست بسرى سيبـه ، وتأنست بساحته نفسي ، وأسعد ناسي
ويسرت لليسرى ، ويسر مرسلي وسدد سهمي ، واستقام قياسي

سلام وسيم ، تستعير نفس مسراه البساتين ، ويحسده الآس والنسرين ، ويستمده النرجس الساجي والياسمين ، يسري لمجلس مستخلف السلام . سل

---

(١) ذكر لسان الدين خبر هذه البعثة في الاحاطة : ٢/٦ ، فقد بعثه الغني بالله الى أبي عنان: « رسولاً على بيعته وتمام أمره ، وخاطباً اثر وده ، مسترفداً .. » وكان وصوله في أواخر ذي القعدة ٧٥٥ ، وعودته في وسط محرم ٧٥٦ . وتذكر بعض الأخبار أن الغرض الحقيقي من هذه البعثة الاعتذار لأبي عنان عن مساعدة أخوية في فتنة كتب لها الاخفاق. (انظر الاستقصاء للسلاوي ٣ : ١٥١) .

(٢) عدّ لسان الدين رسالته هذه في المقامات. وسنقابل النص على ما في ريحانة الكتاب ٢٠٦/و.

(٣) في الاصل : تسكو ، ولا وجه لها .

السعي حسامه . وسدد سنانه ؛ سيف السنة السمحاء ، سحابة سماء السخاء ، أسد المراس، ملبس المفسدين، لباس الباس، ميسر السيرة للناس، يعسوب [1] الخميس مسرح سوائم [2] التسجيع والتسهيم والتجنيس [3] ، سند السنة ، أسد الأسنة . الباسل ، السعيد ، السنيّ ، سلطان السلاطين ، الساطي بأسه بالساطين ، مستند الاسلام والمسلمين ٤١ / و فارس ، سدلت لسيرته الحسنة الملابس ، واستنار بابتسام سعده المسعى العابس ، حسبك باسم ومسمى ، ونفس نفيسةٍ سكنت الاسلام جسما وأسنت [لسعادة المسلمين قسماً ، ينسي السحائب الساكبة ... السنين . وتخرس محاسنه ألسن اللاسنين . ويستبعد [4] احسانه] [5] احسان المحسنين . سما مجـــالسه ، وسعد ملتمسه ، وتسنت سلامتــه ، وحرست سبل السنة استقامته . وسدد سهمه ، وسنّى السعادة للناس بأسه وسلمه ، فسبحان ميسر العسير ، ومسوي الكسير ، ومسهل الاكسير . ومسني سلطانـــه يستوعب محاسن السبعة المستخلفين [6] استيعاب التيسير . فسهلت المسالك العسيرة ، وحسنت السيرة ، ليستبق سر الاستخلاف ، ويتيسر سبب الاستئلاف ، وتستجد ملابس سلطنة

---

(١) اليعسوب : رئيس القوم .

(٢) في الاصل سواح . وما أثبت من الريحانة .

(٣) التسهيم : من صنوف البديع . وفي الاصل : التتميم ، وهو خال من السين .

(٤) في الاصل : ويستبعد ، ولعل ما أثبتناه أقرب .

(٥) ما بين قوسين زيادة من الريحانة .

(٦) أبو عنـــان المريني سابع سلاطين بني مرين ، اذا اعتبرنا بدايتهم ، باعتبارهم اصحاب المغرب أجمع بلا منازع ، منذ القضاء على دولة الموحدين من بني عبد المؤمن ؛ فقد تغلب أميرهم يعقوب بن عبد الحق على أبي دبوس ادريس الموحدي ودخل عاصمتهم مراكش نهائياً سنة ٦٦٨ .

الأسلاف ، وسيطهر مساجـــد المسلمين بالاندلس فيسلب سرب الناقوس ، ويلبس ابليس [باستنقاذها] بسلبه لبــاس البوس ، ويستفتح سيفه القدس بتيسير القدوس. رسمه بسبتة حرست ساحتها، واتسعت باليسر مساحتها(١)، مسترق احسانه [ومستعبد سلطانه، السعيد السفارة والرسالة بسببه، المتوسل بالرسائـل] (١) الحسنة لحسبه . مستملكه سمي ٤١ / ظ الرسول (٢) سليل سعد المنتسب لسلمان ليس (٣) بسلمان الفـارسي وسطره لسلطانكم السامي ، وسفر السفين يتيسر ، وسور التيسير تفسر ، والسمراء ونسيبتها استوعبها الايساق (٤) ، ولسوابق المرسى استباق ، ولمحاسن السلطنة الفارسية اتساق . وسكنت سبتة تسعة بسبب نسيم استأسد مسراه، [واستسبع (٥)] سراه، ينسب لسمت الاسكندرية (٦) ، ويسخر بالسفن السفرية . والساعة استعجلت (السفر) مستغنما سكون نَـفَـسه، وسهو مَرَسه (٧)، واستبت (٨) لاستصحاب الحسنة الفـارسية لساحل البلس ميسوراً ، يسكنه يسمى حسيناً ، وينسب لسالم استنجاحاً بسمة السلامة والحسن (٨) . سلكت سواء السبيل ، وسقت الناس سلاف المسرة بكأس السلسبيل ، ومسترق المجلس السني الفارسي مجلس

---

(١) ما بين قوسين زيادة من الريحانة .

(٢) يشير الى سلطانه : الغني بالله محمد صاحب غرناطة .

(٣) ليس : زيادة من الريحانة .

(٤) أوسق البعير : حمله حمله .

(٥) اشتق من السبع فعلاً ، قياساً على استأسد ، وهي في الاصل : استبع ، ولا وجه لها .

(٦) يعني ريح الشرق .

(٧) في الريحانة : سهو حرسه .

(٨) كذا في الاصل والريحانـة ، والمعنى غامض ، ولعله يشير الى حادثة وقعت له في سبتة ، قبل رحيله .

السنا ، والقدس مسافر بالجسم ، والحسن مستوطن بالسر والنفس . ولسانه باحسانكم سيف مسلول ، ولنفسه بتسني سعادتكم سول . فبسنا ٤٢ / و سعدكم يستصبح ، وببسملة محاسنكم يستفتح ، وسلطانكم ليس ينسى وسيلة متوسل . وسيل الحسنات من سمائكم مسترسل . واستوعبها [١] سينية ، وبسعادة اسمكم سنية ، خلسة مجلس ، ووسع مفلس ، وسمحكم مسؤول ، ومستعبد سلطانكم أسعد رسول ، يسأل السلام ، تقدس اسمه بسني سعادتكم سرور المسلمين . ويسني بسببكم سنة سيد المرسلين ، ووسم تاسع مستفتح سنة ست وخمسين وسبعمائة .

٨ – ومنهم الفقيه الكاتب ابو عبدالله محمد [٢] بن الفقيه الخطيب ابي القاسم محمد بن الفقيه احمد بن محمد بن عبدالله بن يحيى بن الامير ابي بكر عبد الرحمن الثائر بجيان[٣] بن يوسف بن سعيد بن جزي الكلبي الاغرناطي، المتوفى بفاس في عام ثمانية وخمسين وسبعمائة . ادركته ورأيته .

---

(١) الاصل في استوعب : أخذ ، وجمع ، وهو يستعملها هنا بمعنى : خذ ، أو ، تقبل .

(٢) من كتاب الدولتين ، النصرية في غرناطة ، والمرينية في فاس . أديب شاعر أندلسي من أهل غرناطة ، ولد فيها ، واشتهر ذكره على حداثته . استكتبه السلطان ابو الحجاج يوسف بن الاحمر ، ثم ضربه من غير ذنب اقترفه . فانتقل الى المغرب وخدم السلطان أبا عنان المريني وهو الذي أملى عليه ابن بطوطة رحلته ، ومن تأليفه : تاريخ غرناطة الذي أفاد منه لسان الدين . ولد سنة ٧٢١ وتوفي ٧٥٧ . وفي الدرر الكامنة أنه توفي في ٧٥٦ ، وفي الاحاطة ٧٥٨ . (انظر بروكلمان ٢ : ٣٣ . والاحاطة ٢ : ١٨٦ — الكتيبة الكامنة : ٢٢٣ — أزهار الرياض ٣ : ١٨٩ — نفح الطيب : ٨ : ٤٠ — نثير الجمان : ٧٨/ظ) .

(٣) ذكر في أعمال الأعلام (٣٥٩) أن القاضي أبا الحكم يوسف بن عبد الرحمن بن جزي المتوفى سنة ٥٨٩ (رأس في الفتنة بجيان ؛ ثم قال : وعندي أن القاضي المتأمر بها غيره) . وذكر في الحلة السيراء (٢ : ٢٥١) أن لابن جزي ثورة بجيان سنة (٥٣٩) دون تعيين اسم القاضي الثائر . وفي نفح الطيب ٨ : ٢٩ في ذكر نفر من آل جزي نقلا عن الاحاطة : «وعند خلع دولة المرابطين كان لجدهم يحيى رياسة وانفراد بالتدبير » .

حاله : اذا صفقت العقبان في جوهـــا ، فرقت الطواويس في دوّها [١]
٤٢ / ظ ورُغاء [٢] البعير ليس كزأر الاسد ، وحبل الخز ليس كحبل المسد :

ومن كالفتى الكلبي مهما بنظمه [٣] تعاطى بنيات القريض لدى النظم
ومن ذا الذي قاواه [٤] في كتبه الذي يلين الذي ما مال في الغيظ للكاظم
ولابنُ جزي كاسر العي ، جابر من الفهم [قد هاض [٥]] الصحيح من العظم

نظم الفرائد فأتت صباحـاً ، وأنشأ الرسائل فعـاد مساء النثار بهـــا صباحـاً . وهو رب الشعر الذي مر بشاعره ، وكسر بالغلبة رمح مجيده المستعمل من مشارعه [٦] . وببراعة خطه العقول أذهل ، وفي مشرع مورد الحديث روى وأنهل . وكان يحفظ من اشعار الناس ما يناهز ما يزيد [٧] على العشرين ألف بيت . وُسمع ذلك منه ولم يرد عليـه قوله بكيت وكيت . وكان قد شُغف بأهيف وسيم ، نوسي بقسمه الحسن [كل] اغيد [٨] قسيم ،

---

(١) الدو ، المفازة .

(٢) في الاصل : رعاع

(٣) يلاحظ انهم يستعملون (مهما) ، على غير الاصل في استعمالها ، اذ يضمنونها بوضوح معنى الظرفية الزمانية ، حتى تكاد في بعض الأمثلة تخفي معنى الشرطية . قـــال محمد بن قطبة الدوسي (الاحاطة ٢ : ١٨٦) :

ومهما تذكرت الزمان الذي مضى تقطعت الأحشاء من حر ما ألقى

وقال ابن الاحمر « نثير الجمان ٢٥/ظ » : « ومهما أمر بناديه ، أنفجع فأناديه » .

(٤) قاويته فقويته : غلبته .

(٥) في الاصل : مذ .

(٦) كذا في الاصل ، وواضح ان السجعة مختلـة ، وهو لم يخرج عن التزام السجع من اول الترجمة الى آخرها . ولعلهـا (مر بشارعه .. من مشارعه ..) وتكون مشارع الثـــانية بمعنى الرماح المشرعة .

(٧) كذا بالاصل ، ولعل الناسخ أضاف فعلاً .

(٨) في الاصل : بأغيد قسيم ، ولعل اضافة كلمة (كل) تجعل الكلام أوضح ،

رأيته وقد تردى ببرد الشباب القشيب ، ثم بصرت بـه وقد ابيض مسوده في [شرر[1] المشيب] . وقد ناداه الشعر لما ابيض الشعر :

٤٣/و ولما التحى من كنت أشقى بفوده وأصبح مثلي سيء الظن والبـال
وقفت عليه كالمضلل منشداً « ألا عِم صباحاً ايها الطلل البالي »
وقلت أجز يا خـده فأجازني « وهل يعمن من كان في العصر الخالي »

سماه بسلمى في أشماره ، ليلم باخفائه باشماره ، والوسيم بأحمد بن الجنان وسم ، وفي ديوان العشاق بـه اسمه رُسم . وكتب الصكوك في العدوتين ، وقام بأعبائها بالحضرتين ، وبرز في أربابها بالدولتين، وأتى من بدائع البيان باثنتين . وهو وارث الجلالة العلمية عن الآباء والأجـداد ، والمعتمد بنسبه الموروث عن الرياسة للتفاخر غاية الاعتداد ، والمؤم في كرسي الحسب اليفاع الإماري بالاستبداد . ولجده عبد الرحمن بجيان ثورة ، سبقت للامارة فيهـا فورة . وأبوه : ابو القاسم[2] عالم الأندلس، الصائرة فتياه منها الى طرابلس. واستشهد [3] بطريف[4] في الوقيعة الكائنة في النازلة المريعة ، لتدافع شدائد الذريعة ، ومن شعر هذا الوالد ٤٣ / ظ في العفـاف الذي أخـذ منه بالحظ

---

(١) في الاصل : شر المشيب ، ولعل كلمة (شرر) هي المقصودة .

(٢) ابو القاسم محمد بن احمـد بن جزي الكلبي (٦٩٣ — ٧٤١) من اهل غرناطة ، فقيه ، اصولي ، لغوي ، اديب ، شاعر ، وكان خطيب المسجد الاعظم في وقته . ذكر له في نفح الطيب نقلا عن الاحـاطة عدداً من الكتب في فنون مختلفة ، وهو من أساتذة لسان الدين بن الخطيب ونفر من جيله.(انظر نفح الطيب ٨ : ٢٨ ، والكتيبة الكامنة : ٤٦، ونيل الابتهاج : ٢٣٨. والديباج الذهب : ٢٩٥) .

(٣) في الاصل : استشد .

(٤) كانت وقعـة طريف سنة ٧٤١ ، وقد محص الله فيها المسلمين ، وجرت عليهم الهزيمة ، وقتل من اعلام الجيشين المريني والغرناطي نفر عظيم . وقد ألمحنـا اليها في تاريخ غرناطة من الدراسة . (وانظر اللمحة البدرية : ٩٢) .

الرغيب لا بالكفاف [1] :

فكم من صورة كالشمس تسبي ... محاسن وجهها قلب [2] الحزين
غضضت الطرف من نظري اليها ... محافظة على عرضي وديني

وأصيب هـذا الابن في الاندلس بالمحنة ، النازلة من النفس النازلة بالاحنة [3] ، لما ضربه بالسياط السلطان يوسف ابن عم أبينا ، من غير ذنب اقترفه ، بل ظلمه ظلماً مبيناً ، فحين صنع معه ما صنع ، قال يذم ارض الأندلس ، اذ لم يكن من اضرارها منع :

قبّح الله يا خليليَ ارضاً ... بتوالي المحال فيها غررتُ
ولي العذر ان ترحلت عنها ... فلو اني قررت عيناً ، قررت
من يكن سرّه الزمان بشيء ... فأنا ما سررت منذ صررت

وقال[4] في تلك الرحلة لما رام التقويض[5] عن الاندلس بالرحلة :

واني (لمن[6]) قوم يهون عليهم ... ورود المنايا في سبيل المكارمِ
يطيرون مهما ازورّ للدهر جانب[7] ... بأجنحة من ماضيات العزائم

---

(١) البيتان في الكتيبة الكامنة : ٤٧ ، وأزهار الرياض ٣ : ١٨٥ ، ونفح الطيب ٨ : ٣٠ ، وهذه رواية الكتيبة :

وكم من صفحة كالشمس تبدو ... يسلي حسنها قلب الحزين
غضضت الطرف عن نظر اليها ... محـافظة على علمي وديني

(٢) في الاصل : قلبي .

(٣) كذا بالاصل ، والأحنة : العداوة .

(٤) وردت هذه الابيات في نفح الطيب ٨ : ٥٣ .

(٥) التقويض في الاصل : نزع الاعواد والاطناب (استعداداً للرحلة) ، واستعملها هنا بمعنى : الرحيل .

(٦) في الاصل : لان .

(٧) في الاصل : حاقب .

وما كل نفس تحمل الذل ، إنني رأيت احتمال الذل شأن البهائم
٤٤/و اذا أنا لم اظفر بزاد مسافر لديكم فعند الناس تحفة قادم

ثم امر ضاربه بنفيه ، ومزق ما مزق من ثوب عزه ولم [1] يأمر برفيه ، فلما احتلّ من خارج غرناطة بحور الوداع ، حيث القلوب من فرق الفراق تألمت بالانصداع ، نظر الى ملعب صبواته ، ومحل روحاته وغدواته ، فحن حنين الرؤام [2] ، واشرف من الشوق على الموت الزؤام . وقال بديهة في وقع الفراق ، حين لسعه صلُّ البين وعجز عن مداواته ألف راق [3] :

ذهبتْ حشاشة قلبيَ المصدوع بين السلام ووقفة التوديعِ
ما أنصف الاحباب يوم وداعهم صبٌّ يحدث [4] نفسه برجوع
انجد بدمعك [5] يا غمام فانني لم ارض يوم البين فعل [6] دموعي
من كان يبكي الظاعنين بأدمع فأنا الذي ابكيهم بنجيع
إيهٍ وبين الصّدر مني والحشا شجنٌ ، طويت على شجاه ضلوعي
هاتِ الحديث على [7] الذين تحمّلوا تقدحْ بزند الفكر نار ولوعي
من أيّ اشجاني التي جنت الهوى [8] اشكو الغداة [9] ، وهُنَّ في تنويع

---

(١) الواو ليست في الاصل .
(٢) يقال : هي رائمة ورؤوم ورائم وتجمع على روائم ، ولم أقف على رؤام بهذا المعنى .
(٣) وردت القصيدة كاملة في الاحاطة ٢ : ١٩٠ ، وفي ازهار الرياض ٣ : ١٩٧ البيتان: (٧ — ٨) . وأورد في نفح الطيب الابيات (١ ، ٧ — ٨ ، ٢٦ — ٢٧) . وقدم لسان الدين للقصيدة في الاحاطة بقوله : « ومما اشتهر له في هذا المعنى » ، (يعني الغزل) ... الابيات .
(٤) الاحاطة : « صبا يحدث » .
(٥) « : اسعف بغيثك .
(٦) الاحاطة : قل دموعي .
(٧) « : عن .
(٨) « : عندي شجون في التي جنت الهوى .
(٩) النفح : العذاب .

٤٤/ظ من وصلي الموقوف او من هجري[١] الموصول او من نومي المقطوع

ليت الذي بيني وبين صبابتي مثل[٢] الذي بيني وبين هجوعي
يا قلبي ، لا تجزع لما فعل الهوى فالحرُّ ليس لحادثٍ بجزوع
أفبعدَ ما غودرتَ في أشراكه[٣] تبغي النزوع ، ولات حين نُزوع
ومهفهف مهما هفت ريح الصَّبا أبدت لها عِطفاه عطف مطيع
جمع المحاسن وهو منفرد بها فاعجب لحسن مفرد مجموع
والشمس لولا إذنه[٤] ما آذنت خجلاً ، واجلالاً له بطلوع
ان كان يرنو عن نواظر شادنٍ فلرب ضرغام بهن صريع
ما زلت أسقي خده من أدمعي حتى تفتح عن رياض ربيع[٥]
عجباً لذاك الشعر زاد بفَرقه حسناً كحسن الشعر بالتصريع
منع الكرى ظلماً ، وقد منح الضنا فسُميت بالممنوح ، والممنوع
جردتُ ثوب العز عني طائعاً أتراه يعطفه عليّ خضوعي[٦] ؟
لم اقتنع[٧] بسقامي الملبوس في حبي ، ولا بعذاريَ المخلوع
بجماله استشفعت في إجماله ليحوز أجر منعَّم وشفيع
٤٥/و يا خادعي عن سلوتي ، ومصبّري لولا الهوى ما كنت بالمخدوع
اوسعتني بعداً بفضل تقرُّبي وجزيتني[٨] سوءاً لحسن صنيعي

---

(١) الاحاطة : سهدي . وفي هذا البيت تورية بمصطلح الحديث .

(٢) الاحاطة : بعد .

(٣) الاحاطة : غادرت في شراكه .

(٤) الاحاطة : قسرها .

(٥) هذا البيت متقدم في الاحاطة على سابقه .

(٦) الاحاطة : أتراه يولي عطفه لخضوعي .

(٧) الاحاطة : لم انتفع ، وعجز البيت ساقط .

(٨) الاحاطة : اوسعتني بعد الوصال تفرقاً ، وأثبتني ...

أسرعت فيما ترتضي فأثبتني بطويل هجران ، الي صريع
أشرعتَ رمحاًمن قوامك ذابلاً[١] فمنعت في[٢] ماء الرضاب شروعي
خذ[٣] من حديث تولعي وصبابتي خبراً صحيحاً ليس بالموضوع
يرويه خدي مُسنداً عن أدمعي عن مقلتي ، عن قلبيَ المصدوع
كم من ليالٍ في هواك قطعتها قلبي[٤] لذكراهن في تقطيع
لا والذي طبع الكرام على الهوى ويعز سلوان الهوى المطبوع
ما غيرتني الحادثات ، ولم اكن بمذيع سرٍ للعهود مضيع
لا خير في الدنيا وفي لذاتها[٥] ان كان جمعي منك غير جميع

ومن قوله يمدح ابن عم ابينا امير المسلمين يوسف بن امير المسلمين اسماعيل اخي جدي ابن جدنا الامير الرئيس ابي سعيد فرج امير مالقة ابن جدنا الامير اسماعيل ابن جدنا ٤٥ / و الامير يوسف المدعو بالأحمر ابن جدنا الامير محمد بن احمد بن محمد بن نصر الخزرجي ملك الأندلس :

خرجن ولم يتقين القصاصا وأوثقن ثم منعن الخلاصا
اخذن على انفس العاشقين مضايق لم تلف عنها مناصا
شموس اذا ما أمطن النقاب بدور اذا ما حللن العِقاصا
سلبن الرياض ازاهيرها وأودعنها الوجنات الرخاصا
وعطلن من درهن النحور وصيرنه للثغور امتصاصا

---

(١) الاحاطة : وشرعت رمحاً قبل رميك ..
(٢) الاحاطة : من .
(٣) النفح : او من حديث .
(٤) الاحاطة : وانا لذكراهن .
(٥) الاحاطة : وساكنها معاً .

ثغور اذا مـا ادّعى لثمهن غير ... ...[1]
تحوم عليهـا طيور المنى ولكن تروح وتغدو خمـاصا
ولم ار مثلي ومثل الحسان اشد هوى ، او اشد اعتياصا
اذا كن يقنصن اسد الشرى فكيف اروم لهن اقتنـاصا
ويغلبنني بالعيون الضعاف ففيم اقتنائي القنا والدلاصا[2] ؟
لقـد جمع الله في يوسف مكارم ، لم يخش منها انتقاصا
كريم ، يعدُّ شراء الثنـاء بمـا ملكته يداه ، ارتخـاصا
٤٦/و صؤول اذا الحرب دارت رحاها وأرعد خوف الحمام الفراصا[3]
جرى في المعـالي الى غـاية فكم مباريه عجزاً ، وحاصا
وأحيى مآثر آبائه سلوكاً لآثارهم واقتصاصا
هم الناصرون الهدى عندمـا تواصى بخذلانـه من تواصى

ومنها :

يشيدون أبيـاتهم بالنضار اذا فرشوا باللجين العِراصـا
أمولايَ دونك دّراً نضيداً قد احتال فكري عليه وغاصا
... ... قوافيـه بادرنهن افتراصا
... ... اعطى الزمان القصاصا[4]
اذا اخفضت منك آمالنـا الى أيّ بابٍ نحثُّ القلاصا ؟

---

(١) تتمة البيت ساقطة من الاصل .
(٢) الدروع الدلاص : هي الدروع اللينة الملساء .
(٣) الفراص : جمع فريصة .
(٤) الشطران الاولان ساقطان من الاصل .

وقال يوريّ :

جفني غريقٌ في بحار مدامعي قد غال فيه الخوف حسن رجائي
وهو الشهيد بما اكابد في الهوى إن الغريق يعد في الشهداء

وقال موريا :

٤٦/ظ عرضت على قلبي مقالة عاذلي فقال اطّرحها انها قول آفك
ومن مذهبي تقليد قلبيَ في الذي رآه لعلمي انه رأي مالك

وقال يوري :

طرفك البابلي فوّق سهماً فأصاب الفؤاد حين رماني
قال لا تنسبن لبابل طرفي يشهد الناس ان طرفي يماني

وقال موريا :

ومهفهفٍ قد زدت فيه هوى لما تعذّر وانجلى الشك
وقرأتُ خط الحسن مكتوباً على وجناته « وختامه مسك »

وقال موريا (١) :

أبحْ ليَ يا روض المحاسن نظرة الى ورد ذاك الخدّ كنتُ لك الفدا
وبالله (٢) لا تبخل عليّ بعطفةٍ (٣) فاني عهدت الروض يوصف بالندى

---

(١) البيتان في الاحاطة ٢ : ١٩٤ .
(٢) في الاحاطة : ووالله .
(٣) الاحاطة : بقطرة .

وقال مورّياً [١] :

وصديق شكا بمــا حملوه | من قضاء يقضي بفرط العناء
قلت فاردد ما حمّلوك عليهم | قال : من يستطيع رد القضاء ؟

٤٧ / و وقال يوري[٢] :

ويا رب ساجي الطرف يعطفه النوى | على الصب بعض الشيء ثم يميل
عجبت له يشكو الغرام فقال لي | اتعجب ان يشكو الغرامَ جميل

وقال يوري[٣] :

يقولون لي اصبحت بالآسِ مولعاً | فقلت وهل لي في جنى الآس من باس
ألم تعلموا ان الهوى قد اعلّني | وكيف ترى شوق العليل الى الآسي

وقال مورياً [٤] :

افنيت فيه نسيب شعري طامعاً | وأسلت دمعي كالحيا المدرار
وأراه ما حفظ الوداد ولا رعى | دمع النسيب[٥]، ولا حقوق الجار

وقال مورياً [٦] :

وغزال له جفون مراض | تبعث الوجد في القلوب الصحاح
غرّني لحظة وقــد قيل شاك | فاذا هم يعنون شاكي السلاح

---

(١) البيتان في الاحاطة ٢ : ١٩٤ والكتيبة الكامنة : ٢٢٨ .
(٢) البيتان في الكتيبة : ٢٢٨ .
(٣) البيتان في الكتيبة : ٢٢٧ .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) في الكتيبة : ذمم النسيب .
(٦) البيتان في الكتيبة : ٢٢٧ .

وقال ايضاً [1] :

نهـــار وجهٍ وليل شعر بينهما الشوق يستثار
٤٧ / ظ قد طلبا بالهوى فؤادي وأين لي منهما الفرار
وكيف يبغي النجاة شيء يطلبه الليل والنهـــار ؟

وقال يوري :

لا يغرنـــكم خشوع فقير راح في ثوب صوفـه المرقوع
هو لو أدرك الحريريّ يومـــاً مـــا أعار التفاتة للخشوع

وقال ايضاً :

سلطـــان حسن له سجايا تستعبد العـــالم اختيـــارا
أطال في خـــده عذارا أكسب عشاقـــه ازورارا
قالوا ترى خلعَه حقيقاً ؟ فقلت بل نخلع العِـــذارا

وقال ايضاً :

يا شادناً يغزو الورى من حسنه في جحفل لنفوسهم نهّاب
بمثقف من قدّه متأطرٍ [2] وصوارم من مقلتيه عضاب [3]
يصمي [4] الرماياعن قسيّ حواجب جعل السهام لها من الاهداب
خط العذار (بخدّه اهدابـــه فازداد حسناً زاد منه عذابي) [5]

---

(١) الابيات في الاحاطة ٢ : ١٩٣ .
(٢) تأطر الرمح : تثنى .
(٣) السيف العضب : القاطع .
(٤) اصمى الصيد : رماه فقتله مكانه .
(٥) ما بين قوسين هو اقرب ما استوضحته من الخطأ الرديء .

٤٨/و وقال يوري :

أضرمت في صدري شهاباً للاسى — وأرقت ماء مدامعي وشبابي
وقدحتَ نار العتب في قلبي ولم — أرَ من يجيز القدح في ابن شهاب(١)

وقال يوري :

وأهيف من يهودَ يرنو — بمقلتيْ شادنٍ غرير
أقبل كالغصن في تثنٍ — ممتزج الأنس بالنفور
فقلت يا غصن أين تُنمى — فقال لي : في بني النضير

وقال مُوَرِّياً :

سلكت في حبك نهجاً واضحاً — فما الذي أنكرْتَ من مذاهبي
حاسبتني على ذنوب سلفت — مهلاً فقد قمتُ مقام التائب
يا بغية السالك ما احوجني — منك الى رعاية المحاسب (ي)

وقال يوري :

اني بليت بمعشرٍ قد اشبهوا — صمّ الحجارة في القساوة والجفا
وصفوا بإخوان الصفاء نفوسهم — لا شك ان القوم : اخوان الصفا

٤٨ / ظ ومن كتبه والتزم في كل كلمة السين المغفولة ، يجاوب ذا الوزارتين الفقيه الكاتب ابا عبد الله محمد بن الخطيب المتقدم الذكر على رسالته السينية بأمر امير المؤمنين ابي عنان المريني . « بسم السميع نستفتح ، وللقدوس السلام نقدس ونسبح ، وبالسلام المرسل لرسوله نستوهب السعادة

(٤) محمد بن مسلم الزهري المحدث المشهور (. . . — ١٢٤) .

ونستمنح . رسم سلطان المسلمين ، وسيد السلاطين ، أسد الآساد ، وحاسم اسباب الفساد ، راسم سنة البأس والسخاء ، وسابع المستخلفين [١] السعداء، المناسبين بالسنا والسناء، للسبع المستنيرة بالسماء، شمس الاسلام وسراج سنته، وحارس ساحته بسيوفه المسلولة وأسنته ، ميسر سبل الاسعاد للمستنير بسناه فارس سعد بسلطانه الاسلام ، وأشارت محاسنه سافرة القسام [٢] ، وتسنمت السعادات لمجلسه [٣] الاسنى ، واستقامت مراسم السنن بسيرتـــه الحسنى ، ارسال [٤] ... ورسالة سينية ، والمستمنح ٤٩ / و احسانه [٤] ... الاندلس ولسانــه المنتسب اسعيد السلماني السداد والاستقامة سلام [٤] ... السابع ، ويلبسك ملبس السناء السابع [٥] ، وتستبشر نفسك ، ويستميسر انسك . بإسعافنا وسائلك ، واستطلاعنا رسائلك ، واستماعنا سفينتك [٦] المرسومة بسبتة المحروسة ، الموسومة بسمة حسن ليست بالمبخوسة ، استدعينا لمجلسنا الساوي مسطورها، واستوفينا بالسماح سطورها، واستجلبناها، واستحليناها، واستحسناها ، فاستدنيناها . وآنسناها بالسماح ، واسعفناها بالإسجاح [٧] ، ونسبنا سهوهــا للنسيان ، المناسب لاسم الانسان . وستجدها وسيلة يسعدك مسيرها ، ويستخصك لمجالس المجالس تسهيلها وتيسيرها ، وبسبب استحسان

---

(١) انظر ص ٢٩٠ ، التعليق : ٦ .

(٢) القسام : الحسن .

(٣) الاصل : لمجلس .

(٤) بياض بمقدار كلمة .

(٥) الاصل : السابع .

(٦) يشير الى رسالة لسان الدين بن الخطيب السابقة، حيث اشار الى السفينة المحبوسة بسبتة ، ولعل في كلمة « واستماعنا » تصحيفاً .

(٧) اصل اسجح : احسن العفو ، وأراد هنا : حسن القبول .

رسمها ، واستملاح وسمها ، رسمنا لسيد المسارعة لمناسبتها والمساءلة لمجانستها ومناسبتها ، حسنة تكسبك سؤدداً ، وتحسبك سرورك سرمداً ، فسطرها (*) ٤٩/ظ ساحرة الاحسان . ساخرة بلسان سحبان (١) تستجلب انس النفس ، وتسير سير الشمس ، اسلوبها مستغرب ، وسلسالها مستعذب ، ومحاسنها سليمة ، ومسالكها مستقيمة ، وسلكها متسق ، واتساقها متناسب ، وتناسبها متسق . سلكت سبيل السواء لاستيعاب السين واستيفائها ، وسمت مستلزمة (٢) لاستقرائها . مرسومها بستان تنسم نرجسه وآسه ، وسطعت كالمسك انفاسه ، واستعار سنا الشمس طرسه ، وسواد الحندس (٣) نفسه ، ويسر من سلك الأسرى باستصحاب إسعادنا ، واستمرار تيسيرنا لأسباب إبناسه ، واستعداداتنا بمساعينا لحراسة الإسلام سعيدة ، وسهامنا سديدة ، والسفن بالسواحل مستجدة ، وسوابحها للسباق بالايساق مستعدة ، وآساد فرساننا متيسرة للافتراس . وأسلات أسنتهم مسددة للمراس ، والعساكر الفارسية (٤) بفاس السامية وسواها ٥٠/و مسارعة لمواساة الاندلس ، وأسو أساها . مستعدة بالسوابق المسومة ، والسوابغ المستلأمة ، والسيوف السريجية (٥) ، والمداعس السمهرية (٦) ، وسيردونها مستأسدين ، وتسيل سيوفهم بساح المفسدين . ويستفتحون بسعادتنا مستفتح موسى ، ويلبسون استرة الفساد لبوسا . ويسقونهم للباس كؤوسا . تكسبهم سقاماً ليس بوسا ، ويفترسون فوارسهم ، ويسبون اوانسهم ، ويدوسون اسرة سلاطينهم ومجالسهم ، ويسومون استيحاش مآنسهم ،

(*) كذا بالاصل ، ولعلها : فسطورها .

(١) سحبان بن زفر بن اياس الوائلي (٠٠٠ — ٥٤) خطيب يضرب بفصاحته المثل .

(٢) في الاصل : مستزملة .

(٣) الحندس : الليل الشديد الظلمة . وفي الاصل : الحندس انفاسه ...

(٤) نسبة الى ابي عنان فارس .

(٥) سريج : قين تنسب اليه السيوف .

(٦) المدعس : الرمح يطعن به . والاصل : المداعس السهرية .

ويوسعون سوم الكنائس طسما وطمسا ، وسكانها سوءاً ونكساً . ويكسرون النواقيس ، ويستأصلون بالسُّنة السمحاء تلبيس ابليس . وتتسق الساحات الأندلسية، بسلك السلطنة الفارسية. وتتساوى باستملاكها قادس وقسطنطينية تساوي السوس وقسطنطينة ، فتكسد سوق الفساد ، وتسلب نفوس (*) سعادتـــه لباس الأجساد ، وتبسط نفس الاسلام ٥٠ / ظ وينسخ عبوسه بالابتسام ، وتستجد الأندلس سعادة سنية الأقسام ، وتتنسم بنسيم السلام ، بتيسير السلام . فابسط لمرسلك باسعافنا سوله بساط الأنس . وسوغـــه باستحساننا سيرة سرور النفس . وسنرعى سوابق سلفه ، وننسيه بسؤله اسفه بيوسفه [1] . ساعدته السعادة ، وساعفته المسرة المستفادة ، والسلام . سطر وسط مستفتح سنة ست وخمسين وسبعمائة .

ومستعجل للسير عيساً سواهما [2] | تسابقن اسراعاً لساحة فــاس
فسر بمسراه ، وأسعف سؤله | بأفسح ساحاتٍ ، وآنس ناس
وعرس مسروراً بسرحة سؤدد | لإحسانها السيال ليس بنــاس
وأسمــاه تيسير السرور لمجلس | كساه بوسم السعد حسن لباس
لمجلس سلطان السلاطين : فارس | مسابقهم سرواً ، وسطوة باس
سليل سراةساميات سماتهم | وأسعدهم كالراسيات [3] رواس
سحائب احسان ، شموس محاسن | سراة مداريس [4] ، اسود مراس
٥١/و لسيرته الحسنى تسنت محاسن | تسلت سواه ، فاستقل بباس
لأندلس سعد بسلطانه سمـــا | يساعـــده تيسيره ويواسي

(*) كذا في الاصل .

(١) اشارة الى العزاء بوفاة والد الغني بالله محمد : (يوسف الاول ٧٣٣ — ٧٥٥) وفي الكلام تورية .

(٢) الساهمة : الناقة الضامرة .

(٣) الاصل : كراسيات .

(٤) رجل مدرس : مجرب .

« وهذا عنوان كتاب رسول سلطان الأندلس ومستودع سره »[1] .

٩ — ٥٢ / و ومنهم الفقيه الكاتب العلامة ابو علي حسن بن يوسف بن عبد السلام الخزرجي الاغرناطي[2] المتوفى بتونس ، ادركته .

حاله : كاتب امارة جدي والد ابي بأندرش ، وصاحب علامة صكوكه التي اليهـــا الترفيع افترس وافترش ، وهو في الشعر الطود الأشم . روض اجادته العبق له المجتلى والمشم. اتى في شعره بالبيان، وأخرج خفي سر بدائعه الى العيان ، وبراعه في الكتب اتى بأحسن النزعات ، وطلع من بديهة النظم بأرفع التلعات . ولم يزل يكتب لجدي في حضرة امارته الأندرشية[3] مـا خط من الرقاع . حيث ضاءت بأنوار مشرقات رسائله ما رسمت بتلك البقاع الى ان خلع جدي عن تأميره الأندرشي ، وفقد من كرسي ملكه سيف أمره الذي كان بالموشي . وقرىء[4] منـه حرف نافعِه بالحرف الورشي . ففر عن الاندلس هارباً وعاد في ارض العُداة ضارباً ، الى ان استقر ٥٢ / ظ بتونس دار الملك الحفصي ، ومعدن الذكر مع الخصي ، فامتدح ملوكها فيها ، فنال في خدمة حضرتهم ترفاً وترفيهاً ، وبها أتاه حمامه ، بعد ان رددت الهديل بذكر تشوق الأهل حمامه . ومن قوله يلغز في وطنه ، حين ضاق به لفراقه المتسع من عطنه[5] :

---

(١) بعد هذا العنوان بياض الى تتمة الورقة وجهاً وظهراً .

(٢) ذكره لسان الدين بن الخطيب في الكتيبة الكامنة : ٢٠٥ باسم : « حسن بن عبد السلام ابن يوسف الانصاري » ، ولم يضف في ترجمته الى ما في كتابنا اشياء جديدة . وأثبت له الابيات التي اختارها ابن الاحمر .

(٣) جرى ذكر دولة القائم بأمر الله محمد في المقدمة التاريخية من الدراسة . وكان قـــد ثار بمساعدة رئيس الجند الغربي عثمان بن ابي العلاء ، واستمر متـــأمراً في اندرش نحواً من سنتين (٧٢٧ — ٧٢٩).

(٤) في الاصل : (مرى) ، ولعل ما اثبتناه اقرب .

(٥) الابيات في الكتيبة الكامنة ، طبعة بيروت : ٢٠٦ .

أحاجيك ما شيء اذا ما ذكرته «سما لك شوق بعد ما كان اقصرا »
تسير له الركبان شرقاً ومغرباً وشوقاً له ما ان تمل من السرى
يحن له من كان مثلي نازحاً ويهواه حقاً كل من وطىء الثرى
ومن عجب ان ليس يهوى لحسنه ولكن لأمر سره شمل الورى
وأعجب من ذا انـه غير ناطق ويسأل أحياناً فيوجـد مخبراً
فما هو للابصار أوضح من ضحى وأشهر في الآفاق من مَثَلٍ سرى؟

١٠ – ومنهم الفقيه الكاتب ابو اسحاق ابراهيم بن الفقيـه الفرضي **محمد الانصاري الاوسي الغرناطي** المعروف بالساحلي ، وبالطويجن [١] المتوفى بمالي من أرض جناوة في عام اربعة وأربعين ٥٣ / و وسبعمائة ، ادركته .

حاله : شاعر أطال في حوك الكلام ، لمـا عنه قصر الخائف من الملام ، وورّى وجنس ما جنس ، وهو محسن الآداب ومطيبها ، ومجري يعبوبها [٢] وخطيبها . وحامل العلوم بحمل الراية والكامل الفهوم في الرواية ، ورفع في التفنن فيها علم الشهرة . وسلم منه في رهان تحصيلها السبق الى ممتطى صهوة المهرة . وخبره في قصة الكهف يعرف ، ووجوه الضحك به اليه تصرف . إذ دخله مع لمةٍ من اصحابه ، الذين أشاموا [٣] الهـذر من بروق سحابـه ،

---

(١) الكاتب الشاعر ابو اسحاق ابراهيم بن محمـــد الانصاري الغرناطي ، المعروف بالساحلي (... – ٧٤٤) . كان فقيهاً ، متفنناً ، على علم واسع بالفرائض . عمل في حداثته موثقاً بسماط شهود غرناطة ، وانتقل الى المشرق فحج ، ثم استقر بمالي مكرماً عنـــد ملكها . ترجم له في الاحاطة (١ : ١٨٣) ، وذكر انه توفي بتنبكتو سنة ٧٣٩ ، وذكره صاحب النفح مرتين : الاولى في ٢ : ٣٩٣ ، وذكره بلقب الساحلي ، وقال انه توفي سنة ٧٤٧ . ثم ذكره ثانية في ٣: ٤١٠ ، ولم يلقبه بالساحلي، بل توهم انه شخصية اخرى، وقال : توفي بمراكش سنة نيف واربعين وسبعمائة. وترجم له ابن الاحمر ايضاً في نثير الجمان ٥٨/ ظ. والسلاوي في الاستقصا ٣ : ١٥٢ .

(٢) اليعبوب: الجدول كثير الماء ، والفرس السريع .

(٣) كذا بالاصل ، والفعل هو : شام . يقال : شام البرق : نظر اليه اين يقصد واين يمطر.

حين ادّعى النبوة المختومة ، بالرسالة التي هي المحتومة ، لما أكل معجم البلاذر دواء الحفظ [1] ، لاتساع العلوم عند تضايق اللفظ . فأصيب في عقله ، ورُدَّ عليه ما قال في نقله . ثم آب عقله اليه وقدمت وفود اللباب عليه . ادركت من اصحابه ...[2] الواعظ ...[2] من لم يكن في العرب من بني الناعظ . وهو من بيت فقه وأمانة وخطابة ، مع تجارة بأمانة ، ٥٣ / ظ ولي ابوه الفقيه أمانة سوق العِطر [3] ، حيث تكثر النفقات لاحتفال عيد الفطر ، وللسلطان ابي الجيوش منا كتب في الحضرة ، ورونق الحسن بوجهه راق بالنظرة ، إذ كان بارع الجمال فذاً في الوسامة مع الاجمال . وأصابته الغربة التي اسكن في بلاد السودان بها سِربه . ومـا زال يحن الى وطنه ، الذي ضيق (به الشوق [4]) من عطنه . وربما ناح حمام شوقه بالشجو ، من إتيان ذم الزمان بقذع الهجو ، فمن قوله يمدح امير المسلمين ابا الحسن علي المريني ملك المغرب ، ويحرضه على قتال امير المؤمنين ابي تاشفين العبد الوادي ملك تلمسان قاتل ابيه :

خطرت كميـاد القنا المتأطر ... ورنت بألحاظ الغزال الأعفر [5]

وأتتك بين تطاعن وتداعنٍ [6] ... في فتك [7] قسورة وعطفة جؤذر

تسجي [8] على الخد النقاب ، وانما ... تزجي الغمام على الصباح المسفر

---

(١) في الاصل: البلاد دور الحفظ.

(٢) في الاصل : فراغ بقدار كلمة .

(٣) في الاصل : العصر ، وقال في نثير الجمان ان أباه كان امين سوق العطارين .

(٤) رسم فوق كلمتي « من الشوق » اشارتين صغيرتين ، يستعملها عادة في الاضراب عن كلمة أخطأ نقلها ؛ ثم يثبت بعدها الرواية الصحيحة ، ولكنه لم يذكر في الحاشية شيئاً .

(٥) ورد البيت الاول في الاحاطة ٢ : ١٩١ ، وفيه : خطرت كمياس ...

(٦) في الاصل : كلمة غير واضحة ، وأقرب صورة لرسمها « وتداعق » .

(٧) في الاصل : فك .

(٨) سجا : ستر وغطى .

فتخال فوق الروض ظل اراكة   وعلى ثرى الكافور ظـلة عنبر
٥٤/و وبملعب الصدغين مطرد وجنة   زحفت عليـه كتائب ابن المنذر
ويجمع ... (١) منـــه جاحم   اجرى النعيم عليه ماء الكوثر
ولرب دسكرة(٢) هتكت حجابها   عن كل محذور اللحاظ مخـدر
اذ جئتها بسواد شعر فاحم   وأنرتها ببياض وجـــه مقمر
وأمطت برقع دنها عن شيخة   كانت جنيناً في بطون الأعصر
حمراء غـيَّرها المزاج وزفهـا   فأتت عروساً من بنات الأصفر
وافت تقبـل كل ثغر باسم   منا ، وتلهب كل خـــد احمر
وتخب من كفٍ لكف غزالة   لو لم تعلّ بريقها لم تسكر
وكأنمـــا المريخ فارق بيته   وغدا سفير عطارد والمشتري
... ... (٣) والعجاج بأبيض   خضب الترائب بالدم المتموّر
والمرسل الجرد العتاق سفائنا   تزجى من النقع المثار بأبحر
ها فانظري (لي)(٤) عن حنان مرة   او فاجهزي بالله ان لم تنظري
فلقد تجهمني نوى ضاقت لهـا   عرض الفلا ، وذرى الجياد الضمر
ورمت بناصيتي ركابي في مدى   ذعر الحسام له ، وريع السمهري
٥٤/ظ جاريت آمالي فقصر دونها   جود المقل لهـا ، وشحُّ المكثر
وقدحت زنداً للرجاء فـلم يكن   لولا ندى كفي ابي حسن(٥) يَرى
مأوى الطريد وروض ملتف الندى   وموارد الصادي ، وكنز المعسر

---

(١) لم يترك فراغاً في الاصل ، ولعـــل الشطر يشبه ان يكون : « وبمجمع الوجنات منه جاحم » . والجاحم : الجمر الشديد الاشتعال .

(٢) الدسكرة : بيوت الاعاجم يكون فيها الشراب والملاهي .

(٣) في الاصل : بياض بمقدار كلمتين . وهذا البيت والذي يليه في غير موضعهما .

(٤) زيادة لازمة ليست في الاصل .

(٥) ابو الحسن علي المريني سلطان فاس ، الممدوح .

فاذا صدرت، صدرت غير محلأ[١]   واذا وردت وردت غير مكدر
من اسرةٍ زحفوا بعسكر تبع   وتقلدوا بعزيمـــة الاسكندر
الشائمين الصبح من خلل[٢] الظبا   والنجم من طرف السنان الأزور
والمطعمين الأسد من امثالهـا   اشلاء كل مجـــدل ومعفر
والخالعين على الزمـان ملابساً   نظمت مفاخرهم كنظم الجوهر
ركبوا الى الهيجاء كل طمرة[٣]   من نسل اعوج[٤] او بنات الأبجر
من كل مخضوب الشوا[٥] عبل القرا[٦]   عاري النواهد مستدير المحجر[٧]
ألوي بقادمتي جناحي افتخ[٨]   ولوى بسالفتي غزال احـــور
واذا تشفّن اشوسيا[٩] مبصراً   ظل الفوارس في الظلام المعكر
من احمر كالورد او من اصفر   كالورس ، او من اشهب كالعنبر
وبكل صهوة اجرد[١٠] متقطبٌ   إلا اذا ضحك السنان السمهري
٥٥/و غرس القنا شجراً فأثمر بالمنى   وكسا الظبا ثوب النجيع الأحمر
فتراه يجني يانعاً من ذابـــل   وتراه يقدح جمرة في جعفر[١١]

---

(١) حلأه عن الماء : طرده ومنعه .
(٢) الخلل : منفرج ما بين الشيئين .
(٣) الطمرة : الفرس الجواد .
(٤) الخيل الاعوجية : منسوبة الى فحل مشهور اسمه : (اعوج) .
(٥) الشوا : اليدان والرجلان ، ومـا كان غير مقتل . ورسمت في الاصل : الشواع ، وهو تصحيف .
(٦) القرا : الظهر .
(٧) المحجر من العين : ما دار بها ، ومن الوجه : ما لم يستره النقاب .
(٨) الافتخ : العقاب اللين الجناح .
(٩) الأشوس : الجريء على القتال ، وصفة من شاس : نظر بمؤخر عينه ، وكذلك تشفن .
(١٠) الفرس الاجرد : الرقيق الشعر ، قصيره .
(١١) الجعفر : الجدول .

تتلو اسرته الضحى يوم الوغى   فيعيدها بالليل آي العثير [1]
وجيــاده بالعاديات ، وبيضه   بالقارعات ، وكفه بالكوثر
يا ابن المعالي والعوالي والظبا   والسمهرية والقنــا والمغفر
ستحل من غمدان[2] محراب الدمى   مرقى ابن ذي يزن ومرقب حمير
وتنير من بغداد دار رشيدها   وامامها المنصور والمستنصر
وتعل من مــاء الفرات صواديا   خضبت شواها [بالدم][3] المتمور
وتزور مــاء الرافدين مساجلاً   لهـا بعذب من نوالك كوثر
وتعيد الدنيـــا نضارة ملكها الماضي ، ورونق عزها المتغير
نازل برعبك جيش ضدك [4] ينثني   واضرب بعزمك قبل[5] سيفك تنصر
فرؤوس من عاديت اغماد الظبا   ودماء من ناويت ري السمهري
جرع عدوك فضل كأس قد سقي   منها اباه ، فان ابى فليجبر
اخمــد ذبالته التي لم تستنر   وجهـــام مزنته التي لم تمطر
٥٥/ظ ارسل عليه عقاب عزم صادق   يستل [6] روح بغاثه[7] المستنسر
مزق ثياب العز عنه وخلّ في   عصميه حاشية الرداء الأحمر
هذي قواعد ملكه مدت الى   علياك جيد [8] اللائذ المستنصر
ضاقت يداه بها وقلّ نصيره   فيها ، فطلقها طلاق المعسر

---

(١) العثير : التراب والعجاج .
(٢) غمدان : قصر ابن ذي يزن ، وهو قصبة صنعاء .
(٣) موضعها بياض بمقدار كلمة .
(٤) كذا بالاصل ، وهو استعمال مولد .
(٥) في الاصل : نبل .
(٦) في الاصل : يستف .
(٧) في الاصل : بغاية .
(٨) في الاصل : جلد .

١١ — ومنهم الفقيه الكاتب صاحب العلامة ابراهيم بن الفقيه الكاتب عبد الله بن الفقيه الكاتب ابراهيم النميري الغرناطي المعروف بابن الحاج المتوفى بغرناطة ادركته ، ورأيته (*) .

حاله : شاعر حاطم ، وبحر كتب موجه متلاطم ، وجعجعة بها طحن، ومعرب افصاح لم يحلل به لحن . وخد تورد منه صحن . وعلوم بها تعصب وتتوج . وفهوم من ابكارهن تزوج . وأبهة سكنت من (١) الشكل الطريف ببهوه. وجملة جميلة تبرأت من القبح في مضحك لهوه. يملأ العيون بحسن الشارة ٥٦ / و ومن بصر به طولع على بشر البشارة. ان لبس واعتم، خبر مبتدأ كاله ما تم . وزينت بكلامه نحور البيان اذ هو علق ثمين . وببراعة خطه هو بالمدح الموجب للتعظيم قمين . وكتب بالعدوة عن السلاطين المرينية وكتم ، [و] في حضرة التأمير لديهم طبع وختم . وأول ما علم فيمن علم ببجاية . لما دنا قلمها منه لتقبيل راحته . في دولة صاحبنا الموحد المستنصر مولاه (٢) (لا يغب) (٣) في تصريفه اياه . فعلم (٤) بها في دولة ابي عنان ما استحسن

(*) هو ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم النميري : ابو القاسم المشهور بابن الحاج (٧١٣ — ٧٦٨) ، اديب كاتب شاعر اندلسي . ولد بغرناطة سنة ٧١٣ ، واصبح سنة ٧٣٤ من كتاب الانشاء . ثم رحل الى المشرق فحج ، وعاد فخدم عند بعض اصحاب بجاية بافريقية . ثم اجبره ابو عنان المريني على الخدمة لديه حتى توفي ، فعدّى ابو القاسم الى الاندلس وولي القضاء ببعض النواحي . له شعر جيد وعدة تآليف . (انظر : الاحاطة ١ : ١٩٣ ، نيل الابتهاج : ٤٤، المنهل الصافي ١ : ٦٦ ، نفح الطيب ٣ : ٣١٥ ، ٩ : ٣١٥ ، جذوة الاقتباس : ٨٧ ، ورحلة البلوي : الورقة ٢٠٩ ، والكتيبة الكامنة : ٢٦٠) .

(١) في الاصل : سكنت والشكل ، ولعل الصواب ما اثبتناه .

(٢) ذكر في (مستودع العلامة ومستبدع العلامة) ص ٦٩ ابراهيم بن عبد الله بن الحاج النميري ، فقال : « .. كاتب علامة صاحبنا السلطان محمد الموحد البجائي » .

(٣) هذا هو اقرب رسم للكلمة .

(٤) حقه ان يقول « ثم علم » ، الا ان يكون سقط من الناسخ كلام .

من الصكوك ، ولم تنـل من خلوصه الألسنة المتكلمة بالشكوك . ثم حن الى الأندلس حنين العشار، وأظهر من التشوق الأخماس مع الاعشار. فاستعمل لها مـا عرف من الرحلة ، بأشواق المسكن والسكن صادقـة النحلة . فاستقر بسوحهـا فسكن ، والى محبتها ركن . وعومـل بحفظه بالتسليم ، ونظم في عقد قضاتها باقليم الاقليم [١] .

ومن قوله يرثي خاله الفقيه الكاتب ابا ٥٦ / ظ عبد الله محمد بن محمد بن عاصم بن محمد بن ابي عاصم القيسي [٢] ، وهي قصيدة بارعه :

هو الخطب هل عجت به قيس عيلان نشيج[٣] الحجيج استقبلوا شعب نعمان
وهـل تركوا حمر القباب لوقعه سواريَ في ليـلي هموم وأحزان
وهل غادروا الجرد الجياد خوابطاً كملقى سيوف او عوامل مران [٤]
مضى رب[٥] قيس، وابن رافع مجدها ثمـال [٦] معد حيث كان وعدنان
مضى الفارس المغوار يزحف للوغى على كل مسودّ النواشر حسان
مضى العالم البحر الذي خضعت له رقـاب المعاني فهي والجيش سيان
ارى الحي قد اكدى الركائب بعده بمشكل نوحٍ لا يحدو [٧] وألحـــان

(١) قال لسان الدين في الاحـــاطة ٢ : ١٩٥ : « ولي القضاء في الاحكام الشرعية بالقليم بقرب الحضرة » .

(٢) محمـــد بن محمد بن عاصم الانصاري ، ويعرف بابن عاصم . فقيه كاتب ، كتب بالديار السلطانية بالاندلس وولي الحسبة، وناب عن صاحب القلم الاعلى (كاتب العلامة) الدرر ٤ : ١٨٠.

(٣) في الأصل : بسيج، واقرأ «عجيج».

(٤) المران : الرماح الصلبة اللدنة .

(٥) في الاصل : مضاري ، ولعلها « مضى زين ».

(٦) الثمال : الغياث الذي يقوم به الأمر .

(٧) في الاصل : يحد .

وشبوا لمن أموا المفاوز [١] في الدجى ... من الحزن ، والبلوى مواقد نيران
وسال دم الأجفان والكرم حيث لم ... تزل [٢] تزحم الضيفان امواج ضيفان
نشدتكم هل طاب للعيس وردها ... وهل راقها مرعى لحمض وسعدان
وهل ارضعت ام الحوار حوارها [٣] ... وأفهق من رسل على الشول فقهان
٥٧/ووهل رجعت ايدي الكماة [٤] سيوفها ... وقر الأصم الصرف في كف شيحان [٥]
الا ان قيساً بعد يوم ابن عاصم ... لأنضاء [٦] احزان ، وأذواء فقدان
عفاءً ليوم جعجعت فيه بالردى ... قوارع لا يقوى لها جرم ثهلان [٧]
وتبـاً لدهياءَ استطار شرارها ... كما لعبت هوج الرياح بكثبان
فقدن الأغر الندب [٨] لاحت قبابه ... فلست ترى من حولها عينَ [٩] جذلان
ولم أر يا للقوم غير مصابه ... سواء به قحطان او آل عدنان
بكت مضر الحمراء منه ابنها الذي ... مضى كالحيا الهتان عن شعب [١٠] بوّان
وكر الى اخوانه موقظ الاسى ... فما همدت في الحزن آثار همدان [١١]
وعاملة [١٢] لم يلفَ من عمل لها ... سوى رفض سلوان وتجديد اشجان
وأثقل بثُّ الخزرجيين كاهلا ... لكلٍّ صريح الجد في سر كهلان

---

(١) في الاصل : المغازي ، ولم اجد لها وجهاً ، ولعل ما اثبتناه اقرب للمعنى .
(٢) كلمة (تزل) في الاصل ملحقة خطأ بالشطر الاول .
(٣) الحوار : ولد الناقة الى ان يفصل عن امه .
(٤) في الاصل : الكماد .
(٥) الشيحان : الطويل ، والشيحان : الغيور .
(٦) النضو : المهزول .
(٧) ثهلان : جبل .
(٨) الندب : النجيب .
(٩) في الاصل : غير .
(١٠) شعب بوان بفارس : احدى الجنان الأربع الدنيوية .
(١١) همدان : قبيلة باليمن .
(١٢) عاملة : قبيلة .

وفي كلبٍ اصطفت عليـه نوائحٌ   كما زجر العياف (١) منعبَ غربان
فمــن للخيول الاعوجية ضُمّراً   يرَوّي صداها من عبيط الردى القاني (٢)
ومن للسيوف المشرفيات يختلي (٣)   بهــا الهام يوم الزحف في كلّ ميدان
ومن لرماح الخط في حومة الوغى   يقصمها مــا بين مثنى ووحدان
ومن لأيامي الحي تشكو ظما حشاً   صديّ لعرف (٤) لا يُغبُّ واحسان
٥٧/ظ ومن للضيوف الخابطين (٥) له الفلا   على كل ميفــاض (٦) كهمّك مظعان
ومن للعلوم النازعات الى العُــلا   متيحٌ لوردٍ ، او مقرّ باعطان (٧)
ومن لسجال العلم او لغروبهــا   مجيلٌ ، اذا حانت مرنّة اشطان
ومن في النوادي الغر للخطب الــتي   يقصر عــن ادراكها قس سحبان
ومن يكسب الأحلام صنعة ريدة   وشغل سحولٍ ان وشي ذات عنوان (٨)
شهدت لقد ابقى على الملك رونقاً   ولا رونق الصهباء في عين نشوان
وخلف اكباد المــلوك لفقده   تناش لخفاق من البث حران
أخالاه خان الصبر بعدك وانتحت   لواعج وجد بالأسى غــير حران
ولم يبق عندي مذ رزئتك جانبٌ   كأني اخو عتبان من بعد عتبان (٩)

---

(١) العائف : المتكهن بالطير ، وعاف الطير : زجرها ليتفاءل او يتشاءم .
(٢) هكذا ، وحقها ان تكون : من عبيط الدم او من عبيط العدا .
(٣) يختلي : يقطع الرؤوس ، ويحزها .
(٤) في الاصل : « ومن لأيامي الجانساء وطائشاً » ، وهو شديد التصحيف والتحريف .
(٥) في الاصل : الحاطبين .
(٦) الميفاض : الشديد الايفاض ، اي السرعة .
(٧) في الاصل : متح لورد ؛ والأعطان : مبارك الابل ، وأقرها بأعطانها أي أبركها .
(٨) ريدة وسحول : قريتان باليمن مشهورتان بالنسيج؛ يشبه بنسيجها قدرة المرثي على حوك البيان ، وهو ينظر الى قول طرفة :
وبالسفح أبيات كأن رسومها   يمان وشته ريدة وسحول
(٩) عتبان : من أسمـاء الاعلام ، ومنهم عتبان بن أصيلة الشاعر الخارجي ، ولعله يشير الى أخ لعتبان توجع لفقـده ، وظني انه قد يكون « غيلان » أعني ذا الرمة الذي رثاه اخوه بكلمة باكية فقال :
تعزيت عن أوفى بغيلان بعده   عزاء وجفن العين ملآن مترع

وكم قسم الأرزاء في ساحة البـــلى   بنو الحزن ، عجوا بين شيب وشبان
وكان لنـا شر القسيم كأننا   بعين اباغ قاسموا آل شيبان (١)
رزئنا بزاكي الخيم (٢) مبيض طرفه   بأكرم مطعام وأشرف مطعان
جعلت ألوم القلب عنـد نعيه   وقد طار في مهوى الأسى جد ولهان
وأرمي فؤادي بالشجون ربت كما   رمى الشنفرى بالحرب مئزر لحيان(٣)
٥٨/و واستبطيء البلوى وقد جد جدها   كما استبطأ الغارات عمرو بن نعمان
وبالجزع من غرناطة قبر ماجد   به نسيت آثار قبر بحلوان (٤)
سقاه على الامراع كل مجلجلٍ   من الغيث هطال العشيات هتان
اذا حركته في البروق سياطها   رمت بعشار المزن في كل بستان
مكباً بأكناف الرياح دوالحـا   كما ازدحم الركب الخب بعسفان (٥)
ولا زال يندى فوقه كلُّ سجسج   من الظل محفوفٍ بروحٍ وريحـان
ولولا العوادي (٦) المرزيات (٧) لزرته   وعـادت الى تلك الأباطح أظعاني
وصاحبت في خوض البحار عصابةً   همُ مـا هم في الجد ايسار(٨) لقمان

---

(١) في الاصل : قاسموه الى شيبان ؛ وهو خطأ واضح . والاشارة فيالبيت الى قول الشاعر، على العكس :

بعين أباغ قاسمنا المنايا   فكان قسيمها خير القسيم

وفي عين اباغ انتصر الحارث الغساني على امير الحيرة المنذر اللخمي .

(٢) الخيم : الطبيعة والسجية .

(٣) في الاصل : بالسجون رمت كما رحى ... مئزر ؛ ولحيان كان يغزوها الشنفرى مع تأبط شراً ؛ ومئزر ربما كانت مصحفة ، ولعلها « منزل » او « مأرز » .

(٤) لا ادري وجه الاشارة الى حلوان ، ولعله لو قال « بحوران » لكان يشير الى قبر علقمة ابن علاثة وقد رثاه الحطيئة ، او الى قبر الحارث الغساني وقد رثاه النابغة .

(٥) في الاصل : الرحب ؛ والركب الخب بعسفان هم الحجاج ، شبه بهم ازدحام السحاب الدوالح (اي التي تصب المطر) ، وعسفان : على مرحلتين من مكة .

(٦) العوادي : النوائب التي تعوق .

(٧) في حاشية النسخة : المربدات ، اي اللواتي يحبسن المرء عن الحركة .

(٨) الأيسار : الذين يلعبون الميسر ، وهو من قول طرفة :

وهم أيسار لقمان اذا   أغلت الشتوة ابداء الجزر=

ولكنني أغشاه بالروح زائراً وإن لم يزره مذ خبا الحدُّ جثماني
وإني بـــه عما قريبٍ للاحقٌ وظني ان الدار جنةُ رضوان

وقال ايضاً مما كتب على سكين امير المسلمين ابي الحجاج يوسف بن امير المسلمين ابي الوليد اسماعيل اخي جدي ابن جدنا الامير الرئيس ابي سعيد فرج امير مـــالقة ، ابن جدنا الامير اسماعيل ، ابن جدنا الامير يوسف ٥٨ / ظ المدعو بالأحمر ، ابن جدنا الامير محمـــد بن نصر الخزرجي ملك الاندلس ، المتخذ لذبح الاضاحي وورّى [١] :

لي الفضل ان شاهدتني واختبرتني على كل مصقول الغرارين مرهف
وحسبي[٢] فضلاً ان تراني قائمـــاً بسُنّة ابراهـــيم ، في كفّ يوسف

وقال [٣] :

ليَ المدح يروى منذ كنت كأنما تصورت مدحاً للورى وثنـــاء
ومالي هجـــاءٌ ، فاعجبنّ لشاعرٍ وكاتب سر لا يقيم هجـــاء !

١٢ — ومنهم الكاتب ابو بكر محمد بن الكاتب ابي القاسم محمد بن احمد ابن قطبة الدوسي ، رأيته [٤] .

= وكانوا ينسبون التخرق في الميسر ، حتى في وقت الشدة ، الى لقمان ، يرون انه اول من فعله (الميسر والقداح : ٤٧ — ٤٨) .

(١) ورد البيتان في الاحاطة (المخطوطة ٥٥١٩ تاريخ) ص ٣٠٩ ، ونفح الطيب ٩ : ١٨٠ منسوبين لابن الخطيب .

(٢) في الاحاطة : كفاني فضلاً ، والنفح : كفاني فخراً .

(٣) ورد البيتان في نفح الطيب ٩ : ٣١٨ ، والكتيبة الكامنـــة : ٢٧٢ . وجـــذوة الاقتباس : ٨٨ .

(٤) ترجم ابن الخطيب في الاحاطة لعدد من رجال هذا البيت ، كان لهم حظ في الكتابة السلطانية . ومنهم : ابو بكر محمد بن محمد بن قطبة الدوسي هذا . وقد اثنى عليه في الاحاطة ، وشهد له في الكتيبة الكامنة بالاجادة في الشعر ، والهجاء بخاصة . وذكر في الدرر الكامنـة ان ابا بكر ولد سنة ٧١٠ وولي الخطط العلميـة وكتـــابة ديوان العسكر . (انظر الكتيبة =

حـاله : فتح له باب الشعر وهو صغير ، فولجه وهو على ممان مغفلة مغير ، وأتى منه بمـا ملأ الأقطار بالكثرة ، ونظم من سلوكه ما نثر مسك اجادته على النثرة ، كأنهـا من بدائعه الحسنة البسنة [1] من ثدي الخنساء ارتضعه ، ويخيل من رقة حلاوته ٥٩ / و من الاخيلية [2] انتجه ووضعه. لكن بالهجو الدُبريّ اجرى خيله فسبق، الى شذا خرء ما [3] اشتم فيه العبق لما حبق[4]. ولتحليه بالاهاجي[5] ، التي قال: هي منهاجي، سمي بالحطيئة، اذ له في قوافيها الذهاب مع الجيئة . فمن قوله في قصيدة [6] :

لأمر مـا تحملت الحمول   وقلبك في الضلوع له حلول

ومنها :

وقفت بربعهم ابكي اشتياقاً   وصبري مثـل نسمته عليل
اسائل عنهم طللاً محيـلاً   كلانا بعدهم طلل محيـل
كأن الصبر فاض على جفوني   فكان بربعهم دمعـاً يسيل

ومنها :

ويقنع ان يقال له سقيم   لكي يحكيه محزمه الضئيل

= الكامنة : ٢٩٦ ، الاحاطة ٢:١٨٥ ، الدرر الكامنة ٤ : ١٦٧ ،) وفي ضبط لقب هذه الاسرة خلاف . فهي في الدرر الكامنة : قحطبـة الدوسي ، وفي نثير الجمان ٢٠ / و : قطبة الدوسي . وفي الاحاطة : قطبة الرؤسي . وفي مستودع العلامـة : ٢٤ ، قطبة الدويسي . وأكثرها اطراداً : الدوسي . ولم نقع على مرجح .

(١) يقال : حسن بسن على الاتباع .

(٢) قال لسان الدين في الكتيبة الكامنة في ترجمته (ص ٢٩٦) : اتى الشعر صبياً .. كأنما ارتضعه من ثدي الخنساء ، والأخيلية ذات الكساء ، وأمثالها من شعراء النساء .

(٣) في الاصل : مداخزما .

(٤) حبق : ضرط .

(٥) قال لسان الدين فيترجمته (الكتيبة الكامنة:٢٩٦) وتميز بالهجاء،والسلاح في الارجاء .

(٦) اورد لسان الدين القصيدة في الكتيبة من ٢٩ بيتاً .

ومنها :

ومهما رام [1] كفراناً محبٌ (هداه) [2] من لواحظه رسول

١٣ – ومنهم الفقيه يحيى بن احمد بن هذيل التجيبي الاغرناطي ، ادركته (*) .

٥٩ / ظ حاله : هو في الشعر ابن واصله[3] ، إذ لعب في ميدانه بقواضبه ومناصله . يأتي منه بالسحر الحلال ، ويتكلم فيه بالعذب الزُّلال . كاد أن يكون اشعر من حبيب، وأخطب من شبيب [4] ، وأجمع للحكم من اكثم[5] ،

---

(١) في الكتيبة : ومهما ضل كفراناً .

(٢) ساقطة من الاصل .

(*) ابو زكريا التجيبي ، الغرناطي الشهير بابن هذيل (٠٠٠ – ٧٥٣) ، شاعر مبدع ، وطبيب مشهور له مشاركة في الفلسفة ، والحساب ، والهندسة ، والاصول ، والأدب ، قضى معظم حياته مشغولاً بنفسه ، غير مبال بالناس . ثم خدم في اواخر حياته السلطان بطبه ، وقعد بالمدرسة بغرناطة يقرىء الأصول ، والفرائض والطب . (الدرر الكامنة ٤ : ٤١٢ ، نفح الطيب ٨: ٤ ، الكتيبة الكامنة ص:٧٣ ، مخطوطة الاحاطة (٥٠١٨ تاريخ ص ٢٢٦) ، وقد عنونت ترجمة ابن هذيل في الكتيبة الكامنة التي نشرها الدكتور احسان عباس باسم الفقيه ابي عبدالله محمد بن شقرال اللخمي الطرسوني . في حين سقطت ترجمة ابن شقرال . وبالرجوع الى نسخة دار الكتب المصرية المصورة من الكتيبة (٢٣٩٥ أ ز) تبين ان النسخ التي اعتمد عليها في نشر النص قد اسقطت سهواً ترجمة ابن شقرال ، في حين اثبتتها نسخة دار الكتب . ولا تتجاوز هذه الترجمة صفحة من القطع الصغير . وقد اعتمدت في اثبات هذا ، على ما اطرد من نسبة الابيات التالية الى ابن هذيل في مخطوطة الاحاطة ، ونفح الطيب ، وعلى ما جاء في مخطوطة الكتيبة الكامنة .

(٣) المشهور بابن واصل هو : محمد بن سالم بن نصرالله الحموي (٦٠٤ – ٦٩٧) ، وهو مؤرخ عالم بالمنطق والهندسة والاصول . وله (مفرج الكروب في اخبار بني ايوب) و (تجريد الاغاني) .

(٤) شبيب بن شيبة (٠٠ – ١٧٠ ؟) بن عبدالله التميمي ، كان يقال له الخطيب لفصاحته .

(٥) اكثم بن صيفي (٠٠ – ٩) حكيم العرب في الجاهلية .

او عمرها ابن فارسها الاهتم [١] ، او ابن سُمية [٢] زياد المصيب في مريجة [٣] الافكار ، المقول في إثبات عرفانه [٤] بعد الطعن مع الانكار :

عاشت سُمية ما عاشت وما عَلِمت ان ابنها من قريش في الجماهير

او عمرو الاشدق لطيم الشيطان [٥] او القائم بأعبائهـا ابن حطان [٦] ، وأصبح بعلم البيـان مقيم صفا اوزان التبيان ، يسخر في ذلـك بالشيخ ابي عبد الرحمن ، ويخفي فيـه أثر عمرو (ابي) عثمان [٧] . ويضحك بالغلبة من الاخفش علي بن سليمان [٨] فمن البارز لصلابة جندله ، ومن النافح لابداع مندله [٩]. وتكلم من مفاصل التكلم في التعاليم [١٠] ، لما هو حكيم بالتحكيم. حكم بأقلام الاقاليم، وقام بالاقتصاد في الارصاد . وتصرف في صناعة البرهان

---

(١) عمرو بن سنان (ابن الاهتم) (٠٠ — ٥٧) : احد الشعراء الخطباء في الجاهليـة والاسلام .

(٢) زياد بن ابيه (١ — ٥٣) من الدهاة . كان فاتحاً ووالياً .

(٣) في الاصل : مزيجة ، ولعل ما اثبتناه اقوم للكلام .

(٤) في الاصل يعد .

(٥) في « ثمـــار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي » : ٥٩ انه يقال لمن به لقوة او شتر يا لطيم الشيطان . وكان عمرو بن سعيد بن العـاص يلقب بذلك . انظر البيـــان للجاحظ ١ : ٣١٥ .

(٦) في الاصل : حلان ؛ وكان عمران من خطباء الخوارج .

(٧) في الاصل ، اثر عمرو عثمان ، ولعل مـا اثبتناه ارجح . وعمرو بن بحر ، ابو عثمان : الجاحظ .

(٨) الاخفش الصغير (٠٠٠ — ٣١٥) نحوي مشهور من العلماء .

(٩) في الاصل : « ومن الماح لايداع منذله » .

(١٠) في الاصل : التعالم .

بما حسن المقالات في الاذهان [١] . وهو حسنة من حسنات الزمن [٢] في رياضيات ابي معشر ٦٠ / و والمؤتمن [٣] . وهو طب احسن علاج النفوس في اجسادها ، وأصلح بدلائل الصحة ما استبان من فسادها . وفيه تقوّل . وعلى الطعن فيه عوّل . وبه غمزت الاندية . وأُجريت الاودية . في مجال الطعن الشينية لا في رجال المعاني الزينية . ولاستغراقه في العقليات ، واطراحه النجاة بالنقليات ، قيل بما شانه لما اعمل في الشيء (الذي [٤]) شانه . والله يعلم ما في طي الصدور . وما هو عليه المرء في الورود والصدور فمن قوله [٥] :

نام طفل النبت في حِجر النعامى ... لاهتزاز الظل[٦] في مهد الخزامى [٧]
وسقى الوسميُّ اغصان النقا ... فهوت تلثم افواه الندامى
كحل الفجر لهم جفن الدُّجى ... وغدا في وجنة الصبح لِثاما
تحسب البدر مُحيّا ثمِلٍ ... قد سقته راحة الصبح مُداما
حوله الشهب كؤوس قد غدت [٨] ... مسكة الليل عليهن ختاما

---

(١) قال لسان الدين في ترجمة ابن هذيل في الكتيبة الكامنة : « حكم له في رقاب المعارف تحكيم وتصرف لا يعوقه شكيم.. و (هو) يصدع في صناعة البرهان بالحجج المنصورة. ويركض اقلام التعليم جائلة ، ويعطي صور الافلاك مستقيمة ومائلة .. الخ » ص ٧٣ — ٧٤ .
(٢) في الاصل : الزمان ، ولعل ما اثبتاه اقرب ، لضرورة السجع !
(٣) المؤتمن الهودي (... — ٤٧٨) يوسف بن احمد بن سليمان بن هود، صاحب سرقسطة. وكان مولعاً بالعلوم الرياضية ، وصنف فيها كتباً .
(٤) ما بين قوسين زيادة تبدو ضرورية .
(٥) وردت الابيات في نفح الطيب ٨ : ٥ — ٦ ، والكتيبة الكامنة : ٧٤ - ٧٥ .
(٦) في النفح : الطل .
(٧) النعامى : ريح الجنوب ، والخزامى : خيري البر وزهره اطيب الازهار . يقال : « اطيب من نفس النعامى بين ورق الخزامى » .
(٨) في الاصل : كراو غد عدت ، وما اثبتناه من النفح ، والكتيبة .

يا عليل الريح [١] رفقاً علني اشف بالسقم الذي حزت سقاما
وابلغن عني عريباً [٢] بالـلوى همت في ارض بهـا حلوا غراما
٦٠ / ظ فرشوا فيها من الدر حصى ضربوا فيهـا من المسك خياما
كنت اشري زورة من [٣] طيفكم لو اذنـتم لجفوني ان تناما
واستعدت [٤] الروح من ريح الصبا لو اتت تحمل مـن سلمى سلاما

ومنها :

نشأت للصب منهـا زفرة تسكب الدمع على الربع سجاما
طرب البرق مع القلب بهـا وبهـا الأنات طارحن الحماما
طلل لا تشتفي [٥] الأذن بـه وهو للعينين قـد ألقى الكلاما

وقال فأحسن [٦] :

اتمنع ان اقبل منك كفا وقـد حرمت ثغرك بالعفاف
وهـا أنا طائف بك كل حين فمـن لي المقبل للطواف

١٤ – ومنهم صاحبنا الفقيه الكاتب ابو جعفر **احمـد بن عبد العظيم الاوسي الاغرناطي** ، ادركته ، وصحبته (*)

---

(١) في النفح والكتيبة : يا عليل الروح .
(٢) عريب : حي من اليمن .
(٣) في نفح الطيب : كنت اشفي غلة من صدكم ، وفي الكتيبة : اشفي غلة من طيفكم .
(٤) في الاصل : واستفدت .
(٥) في الاصل : لا يشفي ، وهو تصحيف ، والتصحيح من المصدرين الآخرين .
(٦) البيتان في الكتيبة الكامنة : ٨٠ .
(*) لم اعثر له على ترجمة .

حاله : شاعر ، قامت الاندلس بمدحه في الاجادة على ساق . ومدير كؤوس آداب لم يزل لها بساق . وصاحب بديهةٍ نبيهةٍ اتسقت في البراعة اي اتساق . وقائد أعنة الكلام، الصادر منه وارده كالكِلام . انشدني لنفسه :

يا من اختار فؤادي منزلاً بابه العين التي ترمقه
فتحَ البابَ سهادي بعدَكم فابعثوا طيفكمُ يغلقه

١٥ – ومنهم الفقيه ابو الحسن علي بن محمد بن علي العبدري المعروف بـ الوراد الغرناطي ادركته (*) .

حاله : شاعرٌ ، كلامه بالاحسان لا ينفد ؛ ولبيب ، نار نبله تتوقل (١) وتتوقد . وصاحب نادرة للفكاهات متبادرة . ومحاضرةٍ (٢) في الادب مزجها بالهزل . وبديهةٍ شعريةٍ شابها بحلاوة الكلام الجزل . فكان يأتي منه بالمعنى السيال (٣) :

فمن شعره المخترع المستبدع :

مالي اذا غبتم تهمي لفُرقتكم عيني بمنهمر كالغيث هتّان
أشبهتُ نيلوفراً ، والشمس بهجتكم إن غبتم غبت في امواه اجفاني
٦١/ظ الشمس تشهد لي، والدمع برّح بي حتى استوى عندكم سري وإعلاني

(*) لم اقف له على ترجمة ، وفي شجرة النور الزكية ترجمة لمحمد بن محمد بن علي العبدري : رحل عن المغرب سنة ٦٨٨ ولعله أخوه (انظر ص ٢١٦) .

(١) في الاصل : سوقل « مهملة » .

(٢) في الاصل : محاصرة .

(٣) من حقها ان تكون كلمة على وزن « فعل » .

وله وهو مستطرف :

أسافرَةَ القنــاع سحَرت لـمـا أمطتِ الخزّ عــن بدر التمــام
وتيمت القـلوب بفنج طرفٍ كحيلٍ ، مـا يفيق من المنام
لعمرو أبيك مـا بالنوم ِ بعـدٌ عـن الجفن المكحل بالظـلام

وله وهو مليح :

يقولون لاح الشيب فاله عن الصبا وعن قهوة تلهو لهـا [1] وتنيب
فقلت دعوني نصطبحها [2] سلافةً على صبح شيبي ، فالصّبوح عجيب

١٦ – ومنهم الفقيه الكاتب **عبد الله بن محمد بن الشراط المــالقي** ادركته (*) .

حاله : يترامى بعلو الشعر الى نجده ، فيشتم عرف الاجادة من صبا نجده وكان اديباً ماهراً نقاداً ، لا يعطي بالاصابة مقاداً . ولا يستوقف فرس سبقه من جريه وسيره ، فلذلك كان يرى الفضل لنفسه ، ويرى له على غيره .

٦٢ / و فمن قوله البارع [3] :

---

(١) كذا بالاصل . ولعلها : تلهو بها .
(٢) في الاصل : نصطلحها .
(*) ابو محمد عبدالله بن محمد بن الشراط المالقي (٠٠ — ٧٠٠) شاعر مكثر ، وله تقدم في الحساب والبرهان.استدعي الى الكتابة بالقصر السلطاني في غرناطة ، فاختص بولي العهد (؟) واستمر في الخدمة السلطانية حتى توفي . وكان بينـه وبين الوزير ابي عبدالله محمــد بن الحكيم الرندي خصومة . (الاحاطة: مخطوطة دار الكتب رقم ٥٥١٩ تاريخ — ص ٣٨ — ٣٩) .
(٣) في الاحاطة في ترجمة ابن الشراط بيتان . الاول : مؤلف من الشطر الاول من البيت الاول هنا ، والشطر الثاني من البيت الثــاني . والبيت الآخر في الاحاطة : هو البيت الثالث مما لدينا .

حالي وحالك اضحت آية عجبا ان كنت مغتربا او كنت مقتربا
اذا دنوت فـاني مشعر طربا وان نأيت فاني مشعل [1] لهبا
كذلك الشمع لا ينفك حالته الا الى النار مهما فارق الضربا

١٧ – ومنهم الفقيه ابو **بكر محمد بن محمـــد العريف الاغرناطي :** ادركته (*) .

حاله : شاعر بالاصابة متبوع ، وماهر باللبابـة مطبوع . باطنه بالذكاء شيب ، وظاهره شيب ، ونفسه النفيسة بالمجاملة لم يحلل بهـا عيب . وذاته الفاضلة قـــد حمد منها مشهد وغيب . دخل عليه شيخنا ذو الوزارتين ابن الخطيب في مرضه الذي ادركه (فيه) [2] الموت ، وضاق بـه الخروج عن الدنيا ، والقدوم على الآخرة الفوت . فأشار عليـــه بالدواء المعروف بلحية التيس [3] النافع من سحج الامعاء كابلال [الكيس [4]] ، فأنشده :

اني وإن كنت ذا اعتلالٍ رثّ القوى مفرط الهزال
٦٢ / ظ بيني وبين الردي نزالٌ يقلُّ في مثـــله نزال
في لحيـــة التيس لي شفاءٌ فكيف في عارض الغزال ؟

١٨ – ومنهم صاحبنا الفقيه رئيس الكتّاب **ابو عبد الله محمد بن يوسف**

---

(١) في الاصل : مشغل .
(*) لم اقف له على ترجمة .
(٢) في الاصل : « في الموت » ولعل ما اثبتناه اضبط .
(٣) في نفح الطيب ٨ : ٣٢٦ « قال لسان الدين في بعض كتبه . في وصف بعض من عرف به ما نصه : « دخلت عليـــه في مرضه ، وأشرت باستعمال الدواء المسمى بلحية التيس عنـــد الاطباء ، فاستعمله ، فوجد بعض خفة » .
(٤) في الاصل : الكأس . ومن معاني الكيس : الطب . ولعلها اضبط .

ابن زمرك الفرضي الاغرناطي . رأيته (*) .

حاله : تقلد سيف الشعر المحلى ، وبالاجادة فيه تجلى . ومن ادراكه احتل محلاً ، ومن ينبوع ادبه انبجس مـــاء البديهة وانفجر . وطبعه المطبوع على المرمى البعيد ، عند البدائع مـــا حجر . وهو المستخدم باليراع والسيف ، والسفير بين الملوك بزور الجثمان والطيف . وعلى الرياسة العلميـــة استحوذ . ومن وصم المـــذمة المشنوءة (١) تعوّذ . وهو فـــارس الرياسة ونبراس الكياسة . قائد السيادة ، وقائد القيـادة . وعَلم الكتابة بالصولة ، والمكثر من مسائل الفقه حين يقال فيها بالقولة . والقائم بالأصول ، والمتوصل ٦٣ / و للقراءات السبع غاية الوصول (٢) . والمستعمل من معرفة المنطق في ميدانـه رمي النصول . والمسوّد بإدراكه من « بسطة (٣) » الفهم مبيّض النصول . والمتكلم في النحو بما يستملح من الفصول . الطالع في سماء البيان اذ جذبه من ذيله ، حتى تقاربت ثرياه من بعـد سهيله . والنظم والنثر جـاري في ميدانهما

(*) محمـــد بن يوسف بن زمرك الغرناطي (٧٣٣ – ٧٩٣ ؟) شاعر كاتب من مشاهير الدولة النصرية . كتب عن السلطان ابي سالم المريني في المغرب ، ثم رجع مع السلطان الغني بالله الى الاندلس فخصه بكتابة سره . وكان من تلاميذ لسان الدين ، وممن انقلبوا عليـه ، وسعوا فيه . وكانت أيامه عند بني نصر بين اقبـال وادبار . الى ان سعى السلطان يوسف بن الغني بالله في قتله . قال في جذوة الاقتباس : « كان حيـــاً سنة ٧٩٢ » وقال التنبكتي في نيل الابتهاج : « وشعره مترام الى نمط الاجادة ، خفاجي النزعة ، كلف ببديع المعاني » .

انظر : ازهار الرياض ٢ : ٧ — ٢٠٦ ، التعريف بابن خلدون: ٢٧٤ ، جذوة الاقتباس: ١٨٤ ، الدرر الكامنة ٤ : ٤١٢ ، الكتيبة الكامنـــة : ٢٨٢ ، نفح الطيب ٨ : ١٨٤ . وبروكلمان ، الملحق : ٣٧٠ الاحاطة ٢ : ٢٢١ .

(١) في الاصل المثنوة .

(٢) في الأصل : الوصل .

(٣) الكلمة غير واضحة لخرم صغير .

فسبق، وتبرأ من فواحش الغي حين شانيه فيهـا حبق [١]. ومحاضرته الادبية جميلة [٢]، وأحساب اشعاره ما هي خميلة ! وصورته من براعة الحسن جميلة. ومن بارع شعره يخاطب ذا الوزارتين الفقيه الكاتب أبا عبد الله محمد ابن الخطيب [٣].

ذروني فـإني بالعـلاء خبير اسيرُ، فإن النيّرات تسير
وكم بتُّ اطوي الليل في طلب العلى كأني الى نجم السماء سفير [٤]
بعزم اذا مـا الليل مد رواقه يكرُّ على ظلمـائه فتغِيرُ [٥]

ومنها:

وإني، وإن كنت المنّع جاره المسبي فؤادي أعـينٌ وثغور
٦٣/ظ وما تعتريني فترةٌ في مدى العلا الى أن ارى لحظاً عليـه فتور

ومنها:

اسكان نجد [٦] جادها واكف الحيا هواكم بقلبي منجدٌ ومغـير
ويا ساكناً بالأجرع الفرد من منى وأيسر حظٍ من رضاك كثير
ذكرتك فوق البحر، والبعد بيننا فمدتـه من فيض الدموع بحور
وأومض خفاق الذؤابـة بارق فطارت بقلبي انـة وزفير

---

(١) مر شرحها.
(٢) في الأصل حميلة.
(٣) وردت القصيدة في الكتيبة الكامنة : ٢٨٣، ونفح الطيب ٨ : ١٨٨.
(٤) في الكتيبة : سمير.
(٥) في الكتيبة : فتنير. وفي النفح : فينير.
(٦) في الكتيبة : اساكن.

ويهفو فؤادي كلما هبت الصبا | أما لفؤادي من [1] هواك نصير
والله مـــا ادري اذكرك هزني | ام الكاس ما بين الخيام تدور
فمن مبلغ عني النوى مـا يسرها [2] | وللبين حـــكم يعتدي ويجور
بأنا غداً او بعده [3]، سوف نلتقي | ونمسي ومنـــا زائرٌ ومزور
الى كم ارى اكني، ووجدي مصرح | وأخفي اسم من اهواه، وهو شهير
امنجد آمــالي، ومنفق كاسدي | ومصدر جاهي، والحديث كبير [4]
أأنسى ؟ ولا انسى مجالسك التي | بهـــا تلتقيني نضرة وسرور
نزورك في جنح الظلام ونغشي [5] | وبـــين يدينا من حديثك نور
٦٤/و على انني ان غبت عنك فلم تغب | لطائف لم يحجب لهن سفور
فظلك فوقي حيثما كنت وارفٌ | ومورد آمالي لديك نمـــير
وعذراً فاني قـــد أطلت فانما | قصاراي [6] من بعـد البيان قصور

١٩ – ومنهم الفقيه الكاتب محمد بن محمد بن عبد الله اللوشي الغرناطي. ادركته (*) .

---

(١) في الكتيبة : في .
(٢) في الكتيبة والنفح : ما يسؤوها .
(٣) في الكتيبة : من بعده .
(٤) في الكتيبة والنفح : كثير .
(٥) في الكتيبة : نلتقي .
(٦) في الاصل : قصارى .
(*) محمد بن محمد بن عبدالله اللوشي الغرناطي (٦٧٨ — ٧٥٢) شاعر مداح نشأ في حجر الدولة النصرية، وتقلب فيها بين التقريب والخمول. ثم تجنب الابواب السلطانية في اواخر عهده، وتعيش من الفلاحة، وانقطع عن الدنيا وأقبل على الزهد. قـال في الكتيبة : « وشعره شهير الاجادة، وطراز مذهب على عاتق الجـــادة » . انظر : الاحاطة ٢ : ١٩٧ ، والكتيبـــة الكامنة : ١٧٥ .

حاله : شاعر فحل ، وغيث ادراك مـــا به محل ، طبق بحسام لسانه مفاصل الكلام، وصلصل بجزالته فـأودى بموجع الكلام. وهمته سمت برفعتها فوق الشاهد ، مع اخلاق (ليث ناهد [1]). والمفتقر [2] الى من يداريها من الغائب والشاهد [3] . فمن قوله من قصيدة بارعة [4] : يهنىء بها السلطان ابا الوليد اسماعيل عم ابينا ابن جدنا الأمير الرئيس ابي سعيد فرج امير مالقة ، ابن جدنا اسماعيل ابن جدنا الأمير يوسف المدعو بالأحمر، ابن جدنا الأمير محمد ابن احمد بن محمد بن نصر الخزرجي ملك ٦٤ / ظ الأندلس بهزيمـــة ملك النصارى « بطره » [5] بمرج غرناطة ، ويصف الوقيعة عـام تسعة وعشرين وسبعمائة [6] :

وبفج [7] خير قد لقوا شر الوغى　　وهمى عليهم بالمنون [8] سحاب
قصدوا العرين ليغلبوا آساده　　فقضى عليهم بأسك الغـــلاب
اجريت انهـار السيوف على ثرى　　اعناقهم ، فلها الرؤوس حباب

---

(١) في الأصل كلمتان غير واضحتين ، هذا اقرب ما يتبادر الى الذهن منهما .
(٢) لعلها : تفتقر .
(٣) قال لسان الدين في ترجمة اللوشي الغرناطي في الكتيبة : ١٧٥ « وكان ذا همـة تبذ من يباريها ، وأخلاق تفتقر الى من يداريها ».
(٤) وردت الابيات في الكتيبة الكامنة : ١٧٦ ، وسنقابل النص على ما فيها .
(٥) في الاصل : باطره .
(٦) في سنة ٧١٦ هـــاجم القشتاليون أحواز غرناطة وهزموا المسلمين ، وفي سنة ٧١٩ هـ (١٣١٩ م) هزم القشتاليون ، على بريـد من غرناطة ، وعليهم زعيما النبلاء : دون جوان ودون بيـــدرو (بطره) وانتهت بقتلهما وغنائم لا تحصى . (انظر اعمـــال الاعلام : ٢٩٤ — ٢٩٥ ، اللمحـــة البدرية ٧١ — ٧٢ ، نهـــاية الاندلس : ١٥٩) . وقوله (يصف الوقيعة عام تسعة وعشرين وسبعمائة) وهم او تصحيف من الناسخ .
(٧) في الكتيبة : وبسفح . والفج : الطريق الواسع بين جبلين .
(٨) في الاصل : بالهتون .

فكأنها فوق المفــارق منهم شيب عــلاه للدماء خضاب
احسن بــه شيباً بهم منه ردى وبوجـه دين الله منـه شباب
سجدت رؤوسهم لسيفك هيبة اذ يسرتها للسجود رقــاب
مــا كان يعـلم محرب من قبلها انـ الحسام (١) اذا سطا محراب

٢٠ – ومنهم **الفقيه الكاتب ابو جعفر احمد بن علي بن خاتمـــة الانصاري** (*) **المريني** رحمه الله تعالى . ادركته .

حاله : فارس الكتيبة الشعرية ، وعالم القلة الاشعرية . ورب المدح المبرأ من القدح . وزند الادراك لمـــا ورى القدح ٦٥ / و المرسل لنحو العي من الافصــاح بالسرية . المتكلم في فنون العموم بتحقيق النفس السرية . وبـه افتخرت المرية ، إذ ذاتـــه بحسن الثناء هي الحرية . وكتب عن اهل بلده للسلطان ، فبرز في الكتب بتلك الاوطان .

ومن قوله العذب :

فيك الحديث ومورد الانشاد ولك الخطاب اذا أراد الشادي

---

(١) في الاصل : الحسوم .

(*) احمد بن علي بن خاتمة الانصاري (... — بعد ٧٧٠ ؟) كاتب شاعر فقيـه من اهل المرية ، كتب عن الولادة ببلده ، وقعـــد للاقراء ، واتصل بالسلاطين ، وتردد على غرناطة . وله ديوان شعر مخطوط ؛ وتحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافـد ، تحدث فيـــه عن طاعون ٧٤٩ . قال لسان الدين في الاحاطة : « وهو الآن بقيد الحيـاة وذلك ثاني عشر شعبان سنة سبعين وسبعمائة » وفي نيل الابتهاج انـه توفي ٩ شعبان سنة ٧٧٠ » (انظر الاحاطة ١ : ١١٤ ، نيل الابتهاج : ٧٢ ، الكتيبة الكامنة : ٢٣٩ . هدية العارفين ١ : ١١٣ درة الحجال ١ : ٤٠ ، شجرة النور الزكية : ٢٢٩ . وبركلمان ٢ : ٢٥٨ ، والملحق ٢ : ٣٦٩) .

ومنها :

واد دموع العاشقين تمـــده ما للقتيل بشطه من فـــاد
للطير فيـــه مع الأنين تراجعٌ ينبيـك كيف تفتُّت الاكباد
يا سالكاً بالحسن مسلك آمـــن طرح اللحاظ خلال ذاك الوادي
اياك ، واحذر من عيون ظبائه فلقـــد سطت عدواً على الآساد
ان العيون به قواضٍ ، والطُّلى [1] بيضٌ مراضٌ ، والظبـــاء عواد
ومـــن النواظر اسعدٌ لكنها بقدودها محروسة بصعـــاد [2]
اني امرؤٌ مـــا زلت احذر بأسها لكن على حـــذرٍ سُلبت فؤادي
يا سرحة الوادي وظلك وارفٌ من لي يجعلي أفوديـــك وسادي

٢١ – ٦٥ / ظ ومنهم صاحبنا الفقيه الكاتب الخطيب القائد **محمد بن القائد عبدالله بن الجنان اللخمى الغرناطي** . ادركته ورأيته [3] .

حاله : هو المستعمل بين الملوك في السفارة . والعـــالم فيما جنى [4] من العلوم بالقضاء والكفارة . والمقرىء من فن الادب اسفاره . والمغضي عـــن العورات طرفه ، حين اضحى يطرق بالأرض شفاره . المكثر عـن الفواحش الجالبة الحوب [5] نفاره . والساكن من جزالة الشعر معموره وقفاره . وجمع بـــين الخطتين [6] من سيف وقلم . وقدمه في الفصاحة اثبت من عَلم . وهو

---

(١) الطلى : الاعناق .
(٢) الصعاد ، ج صعدة : الرمح .
(٣) لم اقف له على ترجمة .
(٤) في الاصل : حي .
(٥) الحوب : الاثم .
(٦) في الاصل : الخطبتين .

صاحب فروسية وبراعة . ومالك ذكاء وبراعة . والقريض هو الفذ في سبك حليه ، والمستنير من ضوء التحسين بكل جليه . وبذكره ائتمت [١] شعراء الطائفة الاندلسية ، لمـــا ُوهب في كلامه من الحلاوة والجزالة في تلك الجنسية . ٦٦ / و انشدني يمدح الوزير عمر بن الوزير عبـد الله بن علي الياباني [٢] :

فتوحٌ كما شاءت سعودك تنثال ... يهب بهـــا يمن اليك وإقبالُ
وبشرى تعمُّ الشرق والغرب قد غدا ... كفيلاً بما اهدته ، عضبٌ وعسال [٣]
وعزم اذا كل المواضي مصممٌ ... وبأسٌ اذا قــال المحامون ، فعّال
ونفسٌ أبت إلا نزاعاً الى العــلا ... فلم ينههـــا عن منتهاهن اشغال
منعت الكرى حتى ولجت حمى العدا ... ومن دونه مرمى بعيد وأهوال
وجست ، ولم تظلم ، خــلال ديارهم ... فغادرتها من بعدهم (وهي [٤]) أطلال
فتحت بماضي العزم اقصى بلادهم ... وقـــد سدها للبيضِ والسمر إقفال
وكانت بهم تلــك النواحي عليلة ... فعاجلها من طب مرآك إبــلال
منحتهم نعــماء دانوا بكفرها ... فقلص عنها عن حمى القوم اذيال
(وسالمت ابقــاء عليهم فأصبحوا) ... وقد جنحت منهم لحربك آمال [٥]
(جدعتهم بالسلم فازداد جهلهم) ... وقد جنحت منهم لحربك آمال [٥]

---

(١) في الاصل : اعتمت .

(٢) من وزراء دولة بني مرين ، استبد بأمر الدولة، وولى وعزل وقتل من السلاطين نفراً ، الى ان تمكن السلطان عبد العزيز المريني (٧٦٧ — ٧٧٤) منه فقتله (الاستقصاء للسلاوي ٤ : ٥٢ وما بعد) .

(٣) العضب والعسال : السيف والرمح .

(٤) زيادة ، يبدو انها ضرورية .

(٥) تكرر العجز في هذين البيتين . اما صدر البيت الاول فرسمه : « وسالمت عليهم بقـــاء فأصبحوا » وأما صدر البيت التالي فهو: « فذعتهم فازداد جهلهم » وقد حاولت اصلاح الصدرين بما يجعل للكلام معنى . ولعلها بيت واحد تكرر عجزه ، واضطرب لدى الناسخ نقل صدره .

ولمـا ابوا الا اللجاج جهـالة [١] وغرهم من بطء بطشك امهال

٦٦/ظ نهدت اليهم في خميس عرمرم تدوس بـه شم الرواسي فتنهال

تضيق به الأرض الفضاء وتغتدي بحار الميـاه عنده وهي اوشال

يحفك منـــه كل ذمر [٢] مدجج يلوح بـه ثنيا المفاضة رئبال

يخوض غمـار الموت جذلان باسماً ويمشي الى عـين المنية جذلان [٣]

كأنهم (و) الخيل [٤] بالخيل تلتقي ليوث [٥] بأيديها من السمر اصلال

على كل رحب الصدر ، نهدٍ ، مطهمٍ له مرح يوم الـنزال ، وتصهال

فغادرتهم في جوف كل تنوفة [٦] كأنهم عرض السباسب آجـال [٧]

سوام ، رأت منك الهزبر مصمماً فكان لهـا من قبل لقياك إجفال

مضوا يحسبون البيد فرسان بهمة يروعهم عَيرٌ اذا لاح او رال [٨]

ويذعرهم سدر الفـلاة يرونـه وسرب القطا الأرسال [٩] يرفعه الآل

وحين رأوا ان لا مناص يجيرهم وأعيامم وخد [١٠] حثيث وارقال

ونحتهم [١١] البيـــداء من شرق بهم وعادت لهم آزارهم وهي اغلال [١٢]

---

(١) في الاصل : جسالة .
(٢) في الاصل : دفر .
(٣) كذا بالأصل : والقصيدة لامية .
(٤) الواو : زيادة لازمة .
(٥) في الاصل : بيوت .
(٦) التنوفة : المفازة .
(٧) آجال ج اجل : القطيع من بقر الوحش . ورسمها في الاصل : احال .
(٨) في الاصل : « يروعهم هير اذا لاح اروازل » . والرأل : ولد النعام .
(٩) وجهت اليه رسلي ارسالاً : اي متتابعة .
(١٠) في الاصل: وأعيادهم ، ويبدو ان لا وجه لها .
(١١) في الاصل: وتحتهم .
(١٢) في الاصل: اعلال .

توخوك لما لم يكن منك موئلٌ … فقابلهم صفح لديك وافضال
وخالوك أهلاً للجميل ، وموضعاً … فصدقت بالإحسان والعفو ما خالوا
٦٧/و وراحوا،ولم يرزوا قتيلاً،وأُعتقوا … وما ملكوه: النفس، والأهل، والمال
مآثر ما ان يستقل بعبئها [١] … سوى عمر العلياء ، والجد اثقال
لقد عز ملك كنت انت ظهيره … وحالف من ناواك ضيم وإذلال[٢]
هجرت له اللذات حتى توطّأت … قواعده ، واغتال باغيه مغتال
ليهنك هذا الفتح ، والعيد بعده … وعودك في نعمى من الله ، تنثال
ودمت دوام الدهر تجني جنى المنى … ففي ذاك للدنيا ، والدين [٣] آمال

النوع الثاني

في شعراء العدوة

٢٢ – فمنهم الفقيه الكاتب ابو العباس احمد بن شعيب الجزنائي [*] **التازي** [٤] **الدار ،** نزيل [٥] فاس المتوفى بتونس عام خمسين وسبعمائة . ادركته .

---

(١) في الاصل : بعيبها .
(٢) في الاصل : وحالف من نواك ضيم وأذيال .
(٣) في الاصل : والدين .
(*) احمد بن شعيب الجزنائي (٠٠ — ٧٥٠) فيلسوف طبيب ، أديب ، شاعر . رأس ديوان الكتابة في عهد ابي سعيد عثمان المريني ، وابنه ابي الحسن في فاس . وهلك بتونس في الطاعون الجارف سنة ٧٤٩ . وقال فيه ابن خلدون في التعريف: كانت له امامة في نقد الشعر ، وبصر به (نثير الجمان لابن الاحمر ٧٠ / ظ ، نيل الابتهاج : ٦٨ ، جذوة الاقتباس: ٤٧ ، درة الحجال ١ : ٢١ ، التعريف بابن خلدون : ٤٨) .
(٤) في الأصل : التادفي . وقد ذكر في وجة الورقة التالية ، انه من (تازا) .
(٥) في هامش الصفحة : « صح الجزنائي ، بخط المؤلف » وكأن صاحب الملاحظة يعلق على خطأ وقع في كتابة الاسم ، اذ رسم الكلمة « الجزناسي » بدل « الجزنائي » . وهذا يؤكد مقابلة هذا النص ، او اجزاء منه على نسخة بخط المؤلف .

حاله : سابقٌ ، ركض في ميدان الشعر فجلى ، ومـاهرٌ طلع في سماء الإجادة فتجلى ، له في الطب قدم ؛ في صحته وعلته رسخت . وفي احكام النجوم آيـــة بإعجازهـا صُور [1] الكلدانيين نسخت . وبرع في الحساب وأحكامه . وأصاب ٦٧ / ظ في الفقه وأحكامه ، ولديه من الاصول حظ وافر ، كما وجه النحو له سافر . والانشاء اجرى في لوح الاحسان قلمــه . وأطلع بين اجبال تنميقه عَلَمه. ومدينة تازا مسقط رأسه، ومتوقد نبراسه . وطرأ على فاس فحمدت مسراه للطلاوة [2] وقالت مـا اجل سراه للجزالة، وبــه صلصلت . والأحاديث الفخرية به سلسلت وصميم[3] منتسبه في البربر جزنـّاية. حيث الاعتزال عملت به الجناية . ولو كان من الاعراب ، لشمل في شعرائها . وحمل راية الكلام في امرائها . والبربر لا تقـاس بالعرب ، والتبر لا يمـاثل بالترب . والعجب مـــن بربري [4] الاصل ، يـذري مدارك الاعراب ، ويأتي من الفصاحة اليعربية بالإعراب . إلا أن خمر الاتباع بهـا الانتشاء ، إذ قـال الله تعالى : « يؤتي الحكمة من يشاء » . وكتب للسلطان في الحضرة المرينية لعليّها [5] ، فكان بإدراكه يدعى بعليها . وبها ادركته في الكتّاب، في التعظيم المبرأ من الإعتاب .

فمن قوله في قصيدة بارعة :

٦٨/و أحار، سل العتبى فلست بعاتب حنانيك ان الدهر أخبث صاحب
عجبت مـن الايام اني ألفتها مسالمـة الايام احدى العجائب

---

(١) في الاصل : صدور ؛ والمراد : صور الفلك .
(٢) في الاصل : للطاوة .
(٣) في الاصل : وضم .
(٤) في الاصل : بربر .
(٥) يعني أبا الحسن علي المريني سلطان فاس .

عرفت الليالي قبل عرفانيَ النُّهى … وقد اخلدت خلداً [1] وما طر شاربي
ولابست حاليها مع الكره والرضى … وقد شاب رأسي، وهي سود الذوائب
ومارست ابناء الزمان فلم اجد … اخا ثقة يا حار غير التجارب
مليئون بالبغضاء الا تملقاً … وما هو إلا مثل ابساس حالب [2]
يضيق بها رحب الفضاء [3] ، وانها … لجائمة بين الحشا والترائب
اذا ذكرت ملقى عصاها من العلى … ترامت اليه ، دون ذكر العواقب
فان تسألوا صعب الشكيمة قاضياً … فحيَّهلا بي ، او بسعد بن ناشب [4]
وسعت الليالي عفة وقناعة … وقد ضقن ذرعاً عن تسني مآربي
وقضيتها خمساً وعشرين حجة … اصدّق ظني بالأماني الكواذب
فمالي والأوطان هل يطلب الجدا … من القطر ، إلا كائناً في السحائب
وما كنت ارضى ان اقيم بذلة … فكيف ، وما سدت عليّ مذاهبي ؟
وما يطّبيني [5] أين نيطت تمائمي [6] … عليّ فأوطاني ظهور الركائب [7]
٦٨/ظفان مح ّعن فوديّ جون شبيبتي … فلا مح عن عطفي جون الغياهب
ستألف مني البيد طلاع أنجد … قليل هموم النفس ، جم المطالب
وشيحان [8] ، لا تثني المهابة عزمه … يخوض غمارات الردى غير هائب
حليف سرى، لا يسأم البيد والسرى … طوال الليالي في عراض السباسب
أزجي بها من عزمتي متوقداً … فأحسبني بعض النجوم الثواقب

---

(١) هكذا في الاصل .
(٢) ابس بالناقة : دعاها للحلب .
(٣) الحديث هنا عن نفسه ، ويبدو أن هنا نقصاً .
(٤) سعد بن ناشب المازني (٠٠٠ — ١١٠ هـ) شاعر ، من الفتاك المردة
(٥) اطباه : استماله .
(٦) بالاصل : يطت .
(٧) الشطر الثاني في الاصل : علي فأوطاني في ظهور الركائب .
(٨) الشيحان : الحازم الغيور .

حثيثاً ، وترعاني النجوم كأنما　　　تسابقني من خشية للمغارب
تقدمني حتى اقول : شمائلي　　　وأقدمها حتى اقول : جنائبي
بمنخرَق [1] يثني العيون كليلة　　　طروح النوى جم السرى غير لاحب[2]
كأن جنى الظلماء فيه ابن دأية [3]　　　لأمن فراق البيد ، ليس بناعب
تخال بـه زهر الكواكب جثماً　　　وتحسب فيه البرق نار الحباحب
فلا جهوري [4] الرعد فيه بنابس　　　من الرعب الا مثل صر الجنادب
ولا ناجم ، الا قتاد كأنـه[5]　　　براثن اسد ، او حمـاة عقارب
وفي شُعَبِ الاكوار شعث كأنني　　　بهم في ذرى دو [6] سليك المقانب[7]
اذا اعتكر الليل البهيم تنوروا　　　اضاءة مشقوق العقيقة [8] قاضب
٦٩ / و ألا علمت سبل المعالي بأنني　　　سريت اليها حين كلّ مصاحبي[9]
مع الليل إلا بارقـاً متنوراً　　　كطرفة[10] جفنٍ او كغمزة[11] حاجب
وبين جفوني والكرى فيه جازمٌ　　　بهمٍّ على خفضٍ من العيش ناصب

---

(١) المنخرق : مهب الرياح؛ ولعله «بمخترق».
(٢) اللاحب : الطريق الواضح .
(٣) ابن دأية : الغراب . شبه سواد الليل بالغراب ولكنه لا ينعب .
(٤) في الاصل : جوهري .
(٥) في الاصل : قتاذ .
(٦) الدو : المفازة .
(٧) سليك المقانب : هو سليك بن السلكة احد الشعراء العدائين الصعاليك .
(٨) العقيقة : البرق . وفي الاساس : « ولقد اكثروا استعارتها للسيف ، حتى جعلوها من اسمائه » .
(٩) في الاصل : مصاحب .
(١٠) في الاصل : لطرفة .
(١١) « « : مكرأة .

فان ثاب نحوي[1] موهناً قعقعت له   خطًى من عشارٍ [2] كالقسيّ لواعب
قد استلبتها [3] البيد إلا بقية   وكانت منيفات الذُّرى والغوارب
ألا يا اسلمي يا ناق ثم تقدمي   بنا تصدري بالرِّفد ملأى الحقائب
فلي أملٌ في آل فِهر [4] ابن مالك   خلا أن حيّي في لؤي بن غالب

وله يوري في الاست والذكر [5] :

ومولع بالكتب يبتاعها   بأرخص السَّوم وأغلاه
في نصف الاستذكار أعطيته   مختصر العين فأرضاه [6]

وله في جاريةٍ توفيت :

يا غائباً في الضمير ما برحا   داني محل الهوى اذا نزحا
لم تضمر الصبر عنك جارحةٌ   ولا فؤادي لسلوةٍ جنحا
مستعبر المزن فيك أدمعه   يظل يبكيك كلما سفحا
٦٩ / ظ ولا أرى البرق عاد مبتسما   بعدك ، بل زند شوقه قدحا
وما تغنى الحمام من طربٍ   بل يعلن النَّوح كلما صدحا

---

(١) في الاصل : نحو .
(٢) « « : نثار ، ولعل ما اثبتناه اقرب للرسم والمعنى .
(٣) « « : اصطلبتها .
(٤) « « : آل فهم ؛ (لؤي بن غالب بن فهر بن مالك) .
(٥) في الهامش : عله في الاستذكار .
(٦) نسب المقري البيتين في نفح الطيب ٩ : ١٩٨ الى لسان الدين قال : « ومن مداعباته رحمه الله تعالى قوله » ... البيتان .

ومن كتبه البارع :

يا موحشي والبعد دون لقائه | أدعوك من شحطٍ وان لم تسمع
يدنيك مني الشوق حتى انني | لأراك رأي العين لولا ادمعي
وأحنُّ شوقاً للنسيم اذا سرى | بحديثكم وأُصيخ كالمستطلع
كان اللقاء ، فكان حظي ناظري | وأتى الفِراق فصار حظي مسمعي
فابعث خيالك تهده نار الحشا | ان كان يجهل من سقامي موضعي
واصحبه من نومي بتحفةِ قادم | فمذ [1] استقل ردّى [2] بكم لم اهجع
كيما اطارحه حديث صبابتي | وتصدّق البلوى مقال المدّعي
موقوف آمالي ، ومسند لوعتي | وبلاغ اشواقي ، ومرسل ادمعي

قد كان حنيني الى سيدي اطال الله بقاءه ، وسنّى لقاءه ، موصولاً مع الاتصال ، ودائماً مع البكر [3] والآصال . لا تلحقه فترة فأضلّ فيها عن هديه الواضح الأَمم ، وأظل فيها من سواه عاكفاً ٧٠ / و بأعلى صنم . ومنظر العيش انيق ، وغصن الشبيبة وريق . والدهر جمع ، ولم يحسن التفريق . ومسك العذار تحت ختامه . وماء الشباب في عوده، لم تفض العين بانسجامه . والدار حرية بما تهوى الأنفس ، واليد ملية بنضار العقار، تصرفه في لجين الأكؤس [4] وشملنا المنتظم عقد على لبة الزمان . ولياليناا في مقلته كحلٌ ، وفي وجنته خيلان . فكيف وقد عاد الدهر بجوره وسطاه ، فشت

---

(١) في الاصل : فمدا .
(٢) كذا بالاصل ، ولعلها : نوى .
(٣) البكر : ج بكرة : الغدوة .
(٤) في الاصل : الكؤس.

عقد شملنا وأذهب وسطاه. وأرانا من حدثانه عجباً: برد الشباب [بيد] مزيقياء[١] وشمل الاحباب ايدي سبا. فهل كان الا مثل ظل القناة طولاً ؟ هزته اريحية الشباب فالتقى طرفاه، وكصفح الحسام صقيلاً، فانقلب[٢] بصفحه حرفاه. ورمـانا الفراق مراميا، وصرت شآما[٣]، فانفردت يمانياً. حتى لا نلتقي إلا بالفكر[٤]، ولا نجتمع إلا في الذكر. اللهم الا طيف الخيال، كالبدر[٥] المتوهم، والليل في شية الجواد الأدهم، قـد نظم الكوكب ٧٠ / ظ لجيده عقداً. والتحف الظلماء برداً. فكتمت منه صبحاً مسفراً، وسراً عرفه في سوادها، فكانت مسكاً اذفراً[٦]. واعتسف المسافة الزيزاء[٧]، والأفق متشح بصارم الفجر، والجو معتقل عصا الجوزاء. والرامح قد اشرع سنانه، فخفق قلب الأسد ذعراً، وجرى دمع الغميصاء على العبور[٨] فكانت بـه المجرة نهـراً. وذهبت تستبق الكواكب المغارب، فجاء الفجر على قميص الليل بدم كذب فقيل فجر كاذب، وافى فكان من تباشير الصباح، والنوم متخبط في حبائل الأجفان يجاذبها وقد علق الجناح. اعتياداً لطروقه مثواه، لا عيـاداً لمشوقه من بلواه. وقـد طبع في طينة القلب، واعتورته نار الحب. فأقام ماثلاً بين الجوانح، لا تمقتيه الأنفاس العواصف، ولا الدموع

---

(١) مزيقياء: لقب جد الانصار، كان يمزق كل يوم حلة.

(٢) كذا بالاصل، ولعلها: فانفل.

(٣) في الاصل: وصرنا سيئاما.

(٤) في الاصل: الكفر.

(٥) في الاصل: البرد.

(٦) مسك اذفر: جيد الى الغاية.

(٧) الزيزاء: الأكمة الصغيرة او ما غلظ من الارض.

(٨) في القاموس: « الغميصاء: احـدى الشعريين، ومن أحاديثهم: ان الشعرى العبور قطعت المجرة، فسميت عبوراً، وبكت الاخرى على إثرها حتى غمصت ».

السوافح . لا ينزل به طارق السلو وان كان محل كريم ، ولا يقدم فيه رسول العذل ، وان كان فترة بين طوفان نوح ، ونار ابراهيم . ٧١ / و ولو شاء لكانت برداً وسلام [١] ، بردّ السلام . او هبّة شمال ، وبرود الليل اسمال . بليلة الجناح ، عليلة تنعش الارواح . كليلة المسرى ، قد تطوفت معاهد حسّان بين جلق وبصرى[٢]. وبثّت لبثينة حال جميل ، وجالت بالحمى ، فأذكرت اذخراً [٣] وجليل[٤]. وقضت لقيس من لبناه لبانة . فخلع عليها « لقد كان فيها للأمانة » . وألمت بالخمائل الماما ، فمنحت الغصون اعتناقاً ، والأزهار التثاما . وأطارت السجف عن الخدور ، بل السدف عن البدور ، فالتمس الصحب تلك الغرة ، فاختلس منها نظرة . حتى خلصت الى مثواي ، وما تخلصت من بلواي . فظننتني من خوافيها نُسالا ، فغلبتني في الشمال يميناً وشمالاً . فلما [٥] تنسمت نشرك في طيها ، وتوسمت بشرك من حليها ، قلت اسعيدية فأسعدي . اني لأجد ريحه لولا ان تفندي . والا فما عطر شذاك؟ اصدقي فقالت: هو ذاك ٧١ / ظ فقلت لها بعد هذا الترحيب والتحية ، وسكون هذه الاريحية : ما حال تلك الشيم المرضية ، التي لو كانت نسيماً لكانت الصبا ، او عصراً لكانت ايام الصبا . قالت : كالزهر اشرقه الندى بمائه ، والأقحوان غداة غب سمائه . قلت : فالهمم العلية التي لا تبصر العلياء اختلاسها ، ولا تدركها التماسها . قالت : ما كنت اقفو ما ليس لي به علم ، فمالي ولأخيات النجم ؟ فمن لي بالمجرة اوافيها ، فأعلم من فيها ، فاسأل

---

(١) كذا بالاصل ، ولعله سكن آخرها لتستقيم السجعة .

(٢) جلق وبصرى : مدينتان بالشام .

(٣) في الاصل : ادخرا .

(٤) اذخر وجليل : نباتان طيبا الرائحة . والاشارة الى تشوق بلال لموطنه بعد الهجرة .

(٥) في الاصل : فلا .

الكواكب عن عدادها ، فأنت حلفُ سدادها . قلت فما حالك ؟ الكمال والسيادة [1] ؟ ، قالت : بالحسن وزيادة . قلت : جعلت فداك ، انــك خالطت سقيماً [2] فأعداك ، فجئت سموماً ، وستعودين نسيماً لمن اهداك ، فينكر سماك [3] . ويقول ما وراءك وأين خلعت نصيفك ورداءك ؟ فقولي : على يعقوب هواك ، الذي لا يفتر عن ذكراك ، المستشعر مع يأس السلو عنك ٧٢ / و رجاء الدنو منك ، فلان . والسلام الكريم يخص ذلك الحسب الصميم ورحمة الله وبركاته .

٢٣ – ومنهم الفقية الكاتب ابو الحسن علي بن دلفة الهمـداني المكناسي الدار المتوفى بأرض افريقية عام تسعة وأربعين وسبعمائة [4] . ادركته .

حاله : شعر فاستلب الالبـــاب وخلخلها . وَأَسْوَقَ جواري القوافي بالزينة [5] خلخلها . ومهر فظهر ، ولفظ فأسمع ، وحفظ فأجمع . وفيالعلوم افتن ، وبإقرائها امتن . وله في كل مشرب منها ، الطعم والذوق . وحاز من الادراكات ما كلّ عن حمله الطوق . وخصلته دقائق جلائل الرقائق ، لمـــا خلصته من كدرات الطبائع ما حمل من الحقائق. والعلماء تحت لوائه يمشون. والى ضوائه [6] يعشون . والخط في كتبـه برع ، وفي طرة [7] صكوكه

---

(١) لعلها : فما حال الكمال والسيادة ؟
(٢) في الاصل : مستقيماً .
(٣) بالاصل: سماك.
(٤) لم أقف له على ترجمة .
(٥) في الاصل : « الزينة » .
(٦) الضواء : النور او الضياء .
(٧) في الاصل : حرة .

برز وفرع . وأجرى القلم جريَ لسانه ، بالافصاح في مقالات ٢ / و إحسانه. لكن راعه الزمن بإملاقه ، ونثر سلك ادراكه من اعلاقه . اخبرني صاحب ميمون بن غفيلة ، من لم يكن في النسبة من قَيلَة، انه كان بالفقر يتضور[١]، وعلى سور الطلبات يتسور [٢] ، حتى قيل فيـه يتنور . فمرة يلبس الرقيق من السندس ، ومرة يلبس الخشن كالزاهد النفس . وأخبرني انه تغرّب على المغرب فاستقر بالمشرق المشرق المغرب في حـــالة كذا ... ...[٣] منـه على حمول ، ولم يكن الصبر منه بجمول . وقد لبس الممزق من الاطمار ، في اعسار اذهب اليسر بالدمار. فاستقر بالقاهرة، بنفس لم تكن لوسواسها بالقاهرة فجال بأزقتها جولان الهائم ، السالك من شعاب الاملاق بالنجود والتهائم . فمر بصبي لم يكن بالافصاح بغبي ، وهو يدور بدولاب ماء ، كأنه البـــدر المكمل في سماء ، فرق له رقة الحنان، وقال له: امثلك يخدم دولاب الجنان ؟ وصغر ٧٣ / ظ سنك وضع عليك الحسرة بالجنان . فقـال الغلام يجيبه وقد تصعد بالبث وجيبه : أنا اخبرك بنسبي ، وكريم حسبي : اني من بني هاشم من ذؤابة الشرف . وجدي رسول الله ﷺ في منتهى الطرف ، ورسالة ابن ابي زيد في حفظي ، والقراءات [٤] السبع هي على لفظي، والنحو بضاعتي ، وبه في البلاغة اذاعتي. [قال]: فذهبت السورة الفورة مما سمعت من حكيه[٥]، وبصرت من حلميه . ورجعت الى حسي بالأسوة ، وفارقت افعال اقوال [٦] النسوة .

فمن قوله بديهة يخاطب امـــير المسلمين أبا الحسن علي بن امير المسلمين

---

(١) في الاصل : يتطور .
(٢) « « : يتصور .
(٣) كذا بالاصل ، والبياض في السطر يستوعب نحواً من اربع كلمات .
(٤) في الاصل : القراءة .
(٥) « « : يلبه .
(٦) كذا بالاصل .

ابي سعيد عثمان ، بن امير المسلمين ابي يوسف يعقوب ، بن الامير عبد الحق المريني ، ملك المغرب ، وقد وشى اليه به رئيس كتّابه : الفقيه القاضي صاحب العلامة عبد المهيمن الحضرمي السبتي [1] ، وقال للسلطان [2] ٧٣ / و انه لا يحسن العلوم :

أنا إن شعرت نهاية الشعراء | أنا بالحساب وبالكتابة عارفٌ
واذا نطقت ، فأفصح الفصحاء [3] | واذا خططتُ بدا الصواب مطاوعاً
أنا بالفرائض واحد العلماء | أنا بالمساحة أي حَبر مُكتَنَف
ترضيك ، واحسبني من الفقهاء | ولديَّ من نحو الخليل كفايةٌ
لا منكرٌ أني من القراء | وتتبعي الأركان [4] منك مصرحٌ
لما يدلي به مثلي من النبهاء | ولذاك ، دار الملك طالبةٌ
كره الزمان تظاهر العلماء | وأراه عاراً أن اقول انا ، وان
عدلوا عن الإكبار للازراء | لكن اذا ما كنت [5] عني سائلاً
فانه ليثُ العرين يساق نحو الشاء | دعهم أمير المؤمنين

٢٤ – ومنهم الفقيه الكاتب ابو زيد عبدالرحمن بن ابراهيم بن الاشقر (*) التازي الدار ؛ ادركته ورأيته.

---

(١) عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمي (٦٩٦ – ٧٤٩) ولد ونشأ بسبته ، ثم انتقل الى خدمة ابي الحسن المريني فتولى كتابة الانشاء والعلامة . له مشيخة ضاعت وشعر . وهو من مشاهير كتاب الدولة المرينية (جذوة الاقتباس : ٢٧٩ – التعريف بابن خلدون : ٢٠ ، نثير الجمان في شعر من نظمني واياه الزمان : ١٦٢و ، نفح الطيب ٣ : ٢٤٣ ، مستودع العلامة لابن الاحمر : ٥٠) .

(٢) في الاصل : لسلطان .

(٣) « « : العلماء ، ولعلها كما اثبتناه ، حتى لا يقع الشاعر في (الايطاء) .

(٤) « « : اركان .

(٥) « « : اذ .

(*) لم أعثر له على ترجمة .

حاله : رشح[1] للعلامة مع من وسم لهـا بالعلامة ، لشروطها الموفرة ٧٤ / و فيه ، من القدرة في اسبابهـا والترفيه : من ادب يقتنى ، وكتب بـه يعتنى . الى صباحة الشيبة وجميل الحضور والغيبة . والعلامة[2] لم يقلد خطها ، وفي صكها لم يظهر خطها[3] ، لعدم الجد مع الأدب والجد . وكتب للملوك من مرين في دار الملك ، وانخرط بين صدورها واسطةً في ذلك السلك .

فمن قوله يمـدح امير المؤمنين المنصور بالله أبا الحسن عـلي المريني ملك المغرب :

نوالك مزنٌ للغمائم[4] باعثُ ... ووجهك خدنٌ للمنيرين ثالث
وبابك كهف للأنام ، وملجـأ ... اذا ناب خطبٌ او تفاقم حادث
ملأت بلاد الشرق عدلاً وطهّرت ... ُعلاك بهـا مـا دنسته الخبائث
وجئت بما لم تألف العرب فانتزت ... وأبدى القِلى منها َخؤون وناكث
فقمت بأمر الله مجتهداً ، ولم ... تصدّك من اهل النجوم الاحادث
فكان الذي قالوه إفكا وقد مضى ... وسعيك مشكور ، وسعدك لابث
فهنأت الدنيـا حلولك تونساً ... وانك منهـا للبسيطة وارث
٧٤/ظ وقد عاد ماعودت من نصرك الذي ... تعاد على العادين منـه الكوارث
توافيك اقيـال الأقاليم خضعا ... فكلهم عبـد ببابك ماكث

---

(١) كذا بالاصل .
(٢) في الاصل : لا عن العلامة .
(٣) « « : خطتها .
(٤) « « : للغمام .

ومنها :

يميناً بوخد الراقصات الى منى ومن طاف أسباعاً [١] وما انا حانث
لقد آن ان يأتيك كل معاند على الدم يطيهم عليهن باعث

ومنها :

اذا افتخرت تيجان اذواء حمير سمـــا بك فخر للغمائم لائث
علوت عليـا في المآثر كل من نمـاه من الاملاك سام ويافث
وقمت على السبع المثاني تهجداً اذا ما المثاني اطربت والمثالث [٢]

٢٥ – ومنهم الفقيه الكاتب **ابو يعلى حمزة بن الفقيه الكاتب شعيب بن الفقيه الكاتب صاحب العلامة محمد بن ابي مدين العثماني** [*] الفاسي المقتول بها عام اثنين وخمسين وسبعمائة . ادركته ورأيته .

حاله : كرع من الجمال في حوضه ، واشتم نوار البهـار من روضه ٧٥ / و وأدهش بوضاءة المحيا ، فلذلك بياه الحسن وحيّا . الى حياء في كثرة عمد . وجمال مدى امداد روائه ليس له امد. وعقد مورده هو غمر لا ثمد . وحسن شارة يزينها سمت . ومقول له عن الهجر صمت . ووقار وحدانيته تأتي على الخبر بالعيان . وسكون نحر الثعبان [٣] . اوصافه سحرت البيان. بصرت به فرأيت الجمال في مفرد علم جمع . وظرف الشكل ممن علمـه سمع . ومعرفته

---

(١) في الاصل : اسبعاً .
(٢) المثاني : آيات القرآن الكريم ، والمثاني والمثالث : من اوتار العود .
(*) حمزة بن شعيب العثماني الفـــاسي (٠٠ – ٧٥٢) كتب لأبي عثمان المريني ، ثم امتحنه بسبب الحاجب محمد بن محمد التميمي ، ومات في سجنه قتيلاً سنة ٧٥٢ . وكان كاتباً وشاعراً مجيداً (ترجم له في نثير الجمان في شعر من نظمني واياه الزمان : ٧٣ / ظ) .
(٣) كذا بالاصل .

بالآداب بحارها تزخر ، واجادته في القريض بهـا في الشعر يفخر . وأصيب بالمحنة التي نازلته بالاحنـــة . فوقعت السياط بجسم النضارة ، حتى جرت[1] الدماء من حامل الغضارة . وقطع منـه اللسان النـاطق بإفصاح الحضارة . اقول السبب بفعل الأسباب . في سلطان ابي عنـان الآمر بجلده ، المعنف له على جلده ، فمات من سياطه ، لعدم احتياطه :

يا من لنفسٍ تشتكي فراقها　　من جيرة غيرهم ما راقها
٧٥/ظ طوتهم عني البلاد فانطووا　　مذ اعملت حداتهـا نياقها
سيقت مطايا زينب ، فأصبحت　　نفسي هناك عالجت سياقها
وأودعتني حرقاً لا تنطفي　　آهاً لبلوى تشتكي احراقها
تفيض عيني ابحراً زواخراً　　يرهب كل عـائم اغراقها
مراكش طوتهم فاترك لهـا　　شآمها ، واترك لهـا عراقها
منازل حلت بها اقمارها　　كاملة لا تختشي محاقها
بعدهم حمـل جسمي سقمه　　فعيشتي لم استطب[2] مذاقهـا
لو حنت الورق حنيني نحوهم　　لمزقت من طرب اطواقها
ولو يذوق عـاذلي صبابتي　　صبا معي ، لكنه مـا ذاقها
ولو يرى الأنفس طارت ولهـاً　　نحو الحمى ، الى الحبيب شاقها
لذاب وجداً ، واستطار لبّه　　وأرسلت أدمعه آماقهـا
قد حنت العيس فمالت طرباً　　نحو الحمى ، وطأطأت اعناقها
شوقاً لجيران النقا والمنحنى　　يا لنفوسٍ اصبحت عشاقها

٢٦ – ومنهم صاحبنا الفقيه ٧٦/و الكاتب ابو العباس احمد بن الفقيه

---

(١) في الاصل : جردت .

(٢) في الاصل : استصب .

الخطيب [1] والي الخراج يحيى بن القائـد والي الخراج احمد بن يحيى بن عبد المنان [*] المكناسي الدار الاندلسي الاصل المتوفى بفاس عـــام اثنين وتسعين وسبعمائة . ادركته .

حــاله : كنت اردت الا اذكره في هذا الكتاب ، مع من فيه من الفقهاء والكتاب . لموجب مواقع الإعتاب . لكونه لم يحفظ صحبة استقل بهـــا للخلوص الرسم ، وقسماتها تهللت اذ عـدل في الصفــاء القسم ، ووضح من تفصيل الود وتجميله الوسم ؛ ورجع عن المصافاة الى الإكدار، وهرول للطعن في جنابي بالابتدار . وأبواب المضرة المستغلقة فتحها ، وشرع أرشية رماح الأذية [في] قُلُب السلامة فمتحها ، ثم رجع الى وداده، وقام به باستبداده ، وحرك في سفينة الاخلاص يجري المحبــة مجادفها مع السكان . ولازم الخضوع لي اذ انا في ربع ٧٦ / ظ الإخاء من احب السكان . بـــه تشرف المصر ، وتظرف العصر ، وحيط الصقع ، وخيط الرقع ، وتباهى الكلام باقدامه ، وحط رأس التطوع بين اقدامه. وقام حبيب من رمسه ، وزها اليوم بأمسه. وسل سيفه ، وتخوف خيفه . وقيل للآداب مرحباً بقائلك المتروج من ابكار عقائلك . الساجع بالأفراح حمامه ، البارع بالإفصاح زمامه . وهو ان وصف بيّن، وان حلّى زيّن، وان جنّس انسّ، وان ورّى اغرب، وان تدرّى اعرب.

---

(١) في الاصل : الطيب ، ولعل ما اثبتناه أرجح .

(*) احمد بن يحيى بن عبد المنان الخزرجي (٠٠٠ — ٧٩٢) من كتـاب الدولة المرينية . وكان مقرباً من السلطان ابي عنان المريني ، ونفر كبير من سلاطين بني مرين . وأصل أجداده من الاندلس . قال في نثير الجمان : « له نظر في علم الطب ، مع المشاركة في الطلب ، والاجادة في الشعر » . وقال في درة الحجال : « له نظم رائق » . (انظر : جذوة الاقتبـاس : ٦٠ ، نثير الجمان في شعر من نظمني واياه الزمان : ٨٦ / ظ ، درة الحجال لابن القاضي ١ : ٢٤) .

باهت به الدول ، وتاهت به الأول ، وخدم الملوك ، ونظم السلوك (*) .

وابوه كان والي الخراج ، طلع من مصعد الترف بشاهق الأدراج ، وفي الادب والطب شارك ، والميل الى محبتها تدارك . وجده احمد الاندلسي ، والد يحيى الذي لم يزل به عرف ميت المعارف يحيا ، هو الذي ارتحل للعدوة عن بلاده ، وترك بها الطارف من متاعه وتلاده. ثم ان الايام ٧٧ / و بالعدوة رفعته ، وأخلاقه الحسنة بها نفعته ، وقدم بمكناسة على خراجها والياً ، فلم يزل الجد له موالياً . ثم اضيفت له القيادة بقصبتها ، فألقى العزُّ في يديه قياده مع عصبتها ، وكان بالأندلس خديماً لجدي سلطان العدوة الاندلسية ، مرتفع الشأن لديه بين العمال من تلك الجنسية .

انشدني لنفسه هذه المقصورة (١) : يمدح امير المؤمنين المتوكل على الله أبا

(*) قال في ترجمة ابن طاوس العراقي : ٧ / و : « ونثر نظام المدح من سلوكه » .

(١) هذا وصف طريف ، ما أظنه ورد فيما بين أيدينا من آثار اندلسية او مغربية . وقد اورد ابن الاحمر هذه الابيات في نثير الجمان : ٩٤ / و ، وقدم لها هناك بما يلي : « وأنشدني (ابن عبد المنان) ايضاً يمدحه (ابا عنان) ويصف قتل الأسد بين يديه ، وكان السلطان مولعاً بقتل الاسود ، فسيق اليه يوماً اسد ، فقتل بين يديه بقصره ، من دار الامارة بالمدينة البيضاء . والسلطان المتوكل (ابو عنان) جالس بأعلى القصر ينظر الأسد ، وانا اذ ذاك جالس في ذلك الموضع ، اتنزه في قتل الاسد ، في جملة من حضر ذلك الموضع مع السلطان . ووصف فيها ايضاً اكرة الاسد ، وهي اكرة مستدارة من خشب معددة ، يدخل فيها رجل يحركها ويمشي بها ، فيرى الاسد الرجل فيهمّ به ، ويدور بها ، ويضرب الاكرة بيده ، فلا يكسرها لشدتها . ووصف ايضاً شبكة صيد الاسد في الفلاة ، نصبت في ذلك اليوم بالقصر ، واصطادوا بها الاسد بين يديه . ووصف فيها ايضاً الثور الذي كان من عادته قتل الاسود في ذلك الموطن . ووصف ايضاً بعد فراغه من قتل الأسد ، الناعورة الكبيرة ، والنهر والروض المسمى بالمصارة ، وهو بازاء القصر » . وقد اختصر ابن الاحمر في كتابنا ما قاله في كتابه الآخر كما يبدو من مقابلة المقدمتين . وفي نفح الطيب ٩ : ١٦٥ وصف لاحتفال من نوع آخر جرى في غرناطة ، في قصيدة للسان الدين بن الخطيب .

عنان فارس المريني ملك المغرب ، ويصف قتل الأسد بين يديه بالقصر القديم من المدينة البيضاء من فاس ، ودخول المختال في الاكرة المعدة للأسد ، وهي اكرة مستدارة من خشب ، يحركها رجل. في وسطها يطعن الأسد بجديدة، فيضربها الاسد طامعاً في المختال ، فتدور به وهو لا يقدر على المختال . بمنع الاكرة . ويصف فيها شبكة صيد الاسد في الفلاة ، نصبت لأخذه بالقصر ٧٧ / ظ ووصف النهر والدولاب الكبير والروض المسمى بالمصارة :

ألف الجوى مذ بان سكان اللوى صب يهيج غرامه نفس الصبا
وشجاه ان قيل الألى قد ودّعوا شط المزار بها ، وعز الملتقى
حفظ الإله عهودهم وسقاهم صوب العهاد (١) ولا سقى يوم النوى
ماذا افادوا مصحرين بسحرة تظما وتضحّى عيسهم رأدَ الضحى
ولقد كفتهم واكفات مدامعي لمــا ثووا من اضلعي بالمنحنى
قسماً لمــا راعوا بوشك نواهم روحي، وقد عبثوا بشكوى منشكا
الا وقد نذروا دماء حرمت ظلمــاً ، اراق الظلم منها واللمى
وبمهجتي منهم محجبة حمت قلبي السلو ، ومقلتي طيب الكرى
حُسانة نجلاء باهرة السنا خمصانة جيداء عاطرة (٢) الشذا
وقوامها كالغصن إلا انــــه يهتز بين البدر حسناً والنقا
قالت وقد ودعتها متجملاً ايه بعيشك عن فؤادي هل سلا ؟
فأجبتها وأبيك لا اسلو ، ولا حل الفؤاد هوى سوى هــذا الهوى
حتى يرى فقراً بساحة بلدة وبها الخليفــة فارس مغني الورى
٧٨/و ملك نمته الى المكارم عصبة كرمت اواصرهم وعزوا منتمى

(١) العهاد : امطار الربيع بعد الوسمي .
(٢) في الاصل : عطارة . والتصويب من نثير الجمان .

ورث المعالي عن عليّ المجد عن ... عثمان عن يعقوب اعلام الهدى [1]
متهلل ضاهى الغمام مواهباً ... ورغائباً ، فونى الغمام وما ونى
قطعاً حبالَ رجاك ممن دونه ... ملكاً فكل الصيد في جوف الفرا
ألق العصا بجاهه ، وامتط سابغاً ... امداحــه غراً [2] ، فنعم الممتطى
وأبي [3] معارفه الجليلة ، انها ... بحر فرات لا تكــدره الدّلا
والشمس من انواره والفجر من ... بتاره ، والطود [4] من ذاك الحجــا
والنجم في [5] ظلم الوغى من رمحه ... ما ضل من اثنى عليه ، وما غوى
غمر ، جواد ، يستضاء بهديه ... وافى كما تهوى المكارم والتقى
متوكل ، بحر ، وليس بجعفر ... افضاله ، بل زاخر جم اللُّهى [6]
تتضاءل الاملاك دون مقامه ... والشهب تخفى ان بدت شمس الضحى
يخشى ويرجى ، عابساً او باسماً ... وكذاك ذو البأس المصمم ، والندى
يا غيث انت كجوده متبجساً ... لكن خصصت وعم اقطار الدنى
يا بدر انت كوجهه متهللاً ... لكن نقصت ودام مكتمل السنا
٧٨/ظ كم من جواد راجياً اولى الغنى ... عفواً ، ولا كأبي عنـان مرتجى
ولكم يرى يوم الوغى من فارس ... وكفارس يوم الوغى مـا ان يرى
ذلت لبطشته الاسود وإنها ... لتذل اذعـاناً لبطشته [7] الطلا

---

(١) هو ابو عنـان فارس بن ابي الحسن علي ، بن ابي سعيد عثمان ، بن ابي يوسف يعقوب المريني .

(٢) في نثير الجمان : أمدحه غراً .

(٣) في الاصل : وأبا ، والتصويب عن نثير الجمان .

(٤) في الاصلين : والطور.

(٥) في نثير الجمان : في ، وفي الاصل : من .

(٦) اللهى ج لهية : العطية .

(٧) في الاصلين : لولا عن بطشته . (او : عز) . ولعل مـا اثبتناه اقرب ، والطلا : الاعناق .

وُضبارمٍ رحب اللَّبان تقــلـه ... صهبٌ متينٌ خَلقها ، عبل الشوا
يفترُّ عن ناب كأطراف القنـا ... أيضاً ، وينضو مخلبا حدَّ الشبا
فتكت [1] بـه بالقصر سُمر رماحه ... بأكفِّ أسدٍ ، دوَّخت أسد الشرى
أمسى صريعاً والدماء سُلافـة ... أتراه سُكراً مال من تلك الطلا [2]
وثنى على زأراته كشحاً ، وقـد ... كانت يردّدها فرادى او ثنى
لكن ألسنة القواضب أظهرت ... ما أضمرت جنباه من سرّ الحشا
ولقد رماه ، قبل مصرعه ، الرّدى ... من معضلات مكابديه [3] ، بما رمى
ومخاتـل في جوف دائرةٍ طوت ... اضلاعها منــه على شهم [4] فتى
يحكي بها رألا [5] ببيضة سبسب ... لم تنفرج عنه فأنفذها كوى
يمشي الهوينا وسطها ، فتقــله ... عدواً ، وما ان تشتكي ألم الوجى
حسب الغضنفر مرتقاهـا كعبة ... فدنا يطيل بها الطواف ، وقد سعى
٧٩ / و ولربمـا ألقى عليها لامساً ... بأكفه ؛ وسما ، وقبَّل إذ سما
لكنه خبثت سرائره فــلم ... يحمد على الإلمام منه بهـا الجزا
عجباً له ولجاش طفل لم [6] يهب ... أسد الشرى ، وقد استشاط وقرددا [7]
هــذا ولم يُبصر هناك بملجأ ... واقٍ ، وقـد تركوه منفرداً سدى
قد كان طلَّ دم له لمــا رنا ... أسد العرين له غضوباً ، وارتمى
لو لم تقم بالثار منــه اساودٌ ... كانت هنالـك كامنات لا ترى

---

(١) في الاصل : فتكب .
(٢) الطلاء : الخمر .
(٣) في نثير الجمان : من معضلاه مكابده . وقد يرسم الناسخ – هناك – التاء هاء .
(٤) في الاصل : شيم .
(٥) الرأل : ولد النعام .
(٦) ساقطة من الاصل .
(٧) في الاصل : (وقدا) ، وفي نثير الجمان : وقرددا . وفعل قردد بمعنى : سكت وسكن، وهنا نعطفه على لم يهب .

منهن فاغرةٌ له افواهها بأكفّ كركبة [1] ومنها ما التوى
لم يُرخ شد وثاقه حتى ثوى تابوت مقبور وقد ظن الثوا [2]
ومذرب [3] الروقين اصفر فاقع راق النواظر نظرة ، لما بدا
ما زال يدعو للنزال اسامة ولقد اشار بلفظه لما دعا
ولقد أراه مكان مصرعه وقد ادمى بساح القصر ينكتُ في الثرى
ولقد أطال وقوفه مستقبلاً حذر الهزبر مبارزاً ، حتى انبرى
وعدا له ، والظن يقضي ان يرى وقد اعتلاه ، فكان عكساً ما قضى
حالت عليه صدمة من حارث تنسيك صدمة حارث يوم الوغى
٧٩/ظ اعجب بها من صدمة قد عفرت لبد الهزبر وأوهنت [4] منه القوى
لا تلح روق الثور ان ابصرته عن جانب الليث الطعين ، وقد نبا
ما كلٌّ دون كلاه [5] ، لكن ساعة بقيت له ، ولكلِّ عمر منتهى
فدعته في دعة الى امثالها ولتعذرن الليث يا ملك الهدى
اعدى فريسته عليه قولك : ابق لذا ، وقولك للغضنفر : لا لعا [6]
عاجلت ذا هلكاً فلم يعجز وقد ابقيت ذا مناً فجاء به المنى
ان الإله قضى بأن يجري القضا طوعاً كما شاء المطيع المرتضى
وعلاكم ما حارثٌ [7] بمقاوم لأبيه لولا ان اردت به الردى

---

(١) في الاصلين : كركبة ، ولم اعثر لها في المعاجم على استعمال .
(٢) الثوا : الموت والهلاك .
(٣) في الاصل : مدرب ، وفي نثير الجمان : مدبر ، ومذرب القرنين : مدبب القرنين .
(٤) » » : لبد الهزبر مبارزاً واوهنت منه القوى . ولا شك في ان كلمة مبارزاً من اقحام الناسخ .
(٥) ج كلية .
(٦) لعا لك : دعاء بالانتعاش .
(٧) ابو الحارث : الأسد ، والحارث هنا : الثور الذي يحرث ؛ وفيه تلاعب ، لأن هذا الحارث قتل اباه (اي الاسد) .

ولقد رأت منه العيون عجيبة راقت وقد ابلى النواظر والنهى
فأبحْه جنّات المصارة خالداً فيها فبالجنات يُجزى ذو البلا
احسن بها من روضة غناء قد غنّى الحمام بها طروباً او شدا
حاكت لها الانواء مطرف سندس ارج وشاه يد الربيع بما وشى
ويجانب البيضاء منها مُرتقى جبارة الارجاء سامية الذُرا
كرحى الصياقل ما سمت لتديرها رجل ، ولا نسبت لإمهاء [1] المدى
٨٠ / و أترى حسام النهر جلّل متنه صدأ فما تنفكُ تجلوه جلا
ناعورة ، لا بل ابثك انهٌ وغدت [2] تكنفه البروج وقد رقا
فلكٌ مضى في الروض ما حكمت به أدواره ، والقطب منه وما اقتضى
فقضى برفع الماء الا أنه قد خفّض الادواح عيشاً والرُبى
حُسن بديعٌ في حمى ملك له حُسن الزمان ، وقام في أبهى حُلا
يا أيها الملك الذي اضحى [3] به دينُ الإله قرير عين والعُلا
هيهات لا يجدي عدوّك جده يأبى وحقك ذاك جدك والقضا
وعلاك لو ناواك أجدلُ [4] كاسرٌ لتخطفت اشلاءه كدر القطا
ان الذي لما تزل متوكلا قدماً عليه لكافلٌ لك بالمنى
الله أولاك السعادة فليفض كمداً حسودكها ويأبى من ابى
أغرق بطوفان الكتائب عصبة عاذت بمتصم [5] الجبال من العدا
اشفي صدور السمر واردةً دما تلك الصدور ، وسم هواناً من عتا
انهد لأرض الروم ، وارم غُواتهم بالشُهب من أطراف ميّاد القنا

---

(١) الامهاء : الشحذ .

(٢) في الاصلين : وعدت ، ولعله : « لا بل تبثك أنة ، وغدت ... » .

(٣) ساقطة من الاصل .

(٤) الاجدل : الصقر .

(٥) في الاصل : عادت لمتصم ، وما اثبتناه من نثير الجمان .

فكأنني بِلاذهم ، وأبحت (١) ما ... لم يلف للاسلام منها للبــلى
٨٠/ظ وسبيت بيض ظباهم قسراً (٢) على ... حــكم الظبا وتفرقت ايدي سبا
واستشرفتك لمرتجى إنقاذها ... اعلام ذات النهر حمص (٣) ، والقرى
قسماً لئن نسأ المهيمن لي مدى ... حتى تحل بأفقها ، بدراً بـــدا
المسوغني من بديع جنابهـــا ... مـــا بزّ آبائي (٤) بها ، فيما مضى
واليكها درراً فــــاني منتقٍ ... مــا راقَ منها للنظام ، ومــا غلا
مقصورة بخيام فكري اعرضت ... عمّن سواك ، وأمّمتك على حيا
حسناء يهوى كل عضو لو غدا ... اذناً ، وقد تليت تصيخ لمن تلا
تثني عليك ُعلاً بأطيب نكهة ... مما به اثنى الرياض على الحيـا
لا زلت ، والاقدار جارية بما ... تهواه ، ما كرّ الصباح على الدّجى
وبلغت ما ترجوه من أمل ، على ... عجل ، ودام لك السعادة والبقا

٢٧ – ومنهم صاحبنا الفقيه الكاتب ابو عبدالله محمد بن الفقيه الكاتب احمد بن الفقيه الكاتب محمد بن مصادف (*) التجيبي الفاسي الاندلسي الاصل، المتوفى بفاس عام اثنين ٨١ / و وتسعين وسبعمائة ، ادركته ورأيته .

حاله : فارس البراعة ، وحارس اليراعة ، وشاعر افصاح وماهر انصاح. وشعره راق ورق كحاشيته ، والبــدائع تولدت عن ناشئته . وأرباب الكلام اضحوا من خدمته وحاشيته . ان وصف بيّن . وان فوّف زين ، وإن تغزل اصبى . وإن مدح اسبى . وإن نثر أسحر ، وفي بدائعه استبحر . وبطالع

(١) على تقدير قد .
(٢) في الاصل : بيض ضباهم قصراً ..
(٣) اشبيلية .
(٤) يشير الى اصله الاندلسي .
(*) لم اقف له على ترجمة .

الادراك اطلع على الكاشف. إذ كان لثغر البحث في الآداب بالراشف؛ وكتبه لزمه ، فأظهر المسترسل والمرسل ، وقد نتج عقيم الكلام به وأنسل. تفتحت في الاجادة كائمه ، وسحت في الجادة غمائمه . وذهبت بـه الرقة التي هي المسترقة ، الى ان حط بقلبه رحل الهوى ، لما به في مهاوي الشغف هوى . فكان لا يتكلم الا بأخبار العشاق ، لما اشتم عرف نسيم المحبة بالانتشاق . ما سايرته قط الا وهو يسألني عن أخبار من تتيم ، وفي افق الصبابة متراكم غرامه ٨١ / ظ غيتّم . وقلبه لم يخل من محبة وشغف ، بربات الحجال من رأس وشعف [١] . ومداعبته أحلى من مجـاج النحل ، وأشهى من الشبع في زمن المحل . وفهمه مـا وقف في استرسال الاصابة ولا أقر ، وذكاء طبعه صك المسامع ، وكل عين أقر . وكان رفيع الهمة كثير الطوع في الامور المهمة . وهو في بعـد الهمة كعمرها ، المتأبط مع التوشح ، بأبيضها (و) بأسمرها لا يتلفت بالنفس النفيسة الأبية ، الى ذي الأفعال المذمومة الغبية .

وجالس السلطان في حضرة الملك ، مع من انخرط من الندماء في ذلك السلك . وهو كان من سراة القوم ، بالارتفاع عن خفض القوم . وكان يتقضى حاجات الناس من سلطانه ، فعمرت الاندية بمدحه بأوطانه . انشدني لنفسه يجاوب صاحبنا الفقيه الكاتب الرئيس ابا عبد الله محمـد بن يوسف بن زمرك ٨٢ / و الصريحي الغرناطي ، على قصيدة بعث بها لكتاب الحضرة المرينية :

لمن طلل طلت [٢] به دمعها السُّحب ونمت برياه الأزاهر والترب
تجافى [٣] البلى عنه، فأضحت رسومه سطوراً ، ولكن لا تضمنها كتب

---

(١) الشعف : رأس القلب .
(٢) في الاصل : طل .
(٣) « « : تجاف .

عهدت بـه الآساد تصرفها (١) المها ... وتطلع أقماراً بها الحقب(٢) والعضب(٣)
وتعدو(*) بها سرب الظباء حواليا (٤) ... وتلك بهـا غفل ، فما فعل السرب ؟
اظنُّ الليالي غيّرت شعب اهلها ... فـلا آهلٌ منهم لديها ، ولا شعب
اعـد نظراً ، أما الظباء فمثلها ... ولكن فأين الحجل منهن والقلب (٥)
وكم ليلةٍ قـد نالها الخيل ضمَّراً ... على رقبـــة منها ، وموعدنا الشعب
فأسفرن من تحت السجوف كأنها ... شموس ، ولكن الشماس (٦) لها ترب
وقد كاد أن يعشي سناها جفوننا ... ولم يثنه عنا حجال ولا حجب
فلمـا أجزنا الحيَّ اعرضن دوننا ... وقلن لنا : ان الهوى مركبٌ صعب
فمـــا سلبت تلك الوجوه براقعاً ... عن الحسن ، الا والقلوب لهـا سلب
ابا عربيات وللعرب ذمـــة ... أحلٌّ لكنَّ الحبُّ(٧) ان تسلب العرب
٨٢ / ظ ألا عطفة منكنَّ تبقي صبابة ... وينعم منها في الهوى الواله الصب
ويا ربة القلب اللموع (٨) ترفقي ... له بالهوى قد ضاع في حبك القلب
واني لأغشى الخيل تدمى نحورها ... وأرهب أن تبدو لي الخمر والنقب
صِلي مغرماً بالطيف منك ، ومَن له ... بطيف ، ولم تطبق على جفنه الهدب
وورقاء في الأوراق تدعو هديلها ... طوال الليالي ، والنحيب لها صحب

---

(١) في الاصل : تصريفها .
(٢) الحقب ج احقب : وهو حمار الوحش .
(٣) العضب : ولد البقرة اذا طلع قرنه .
(*) في الاصل : وتعد .
(٤) حوالي ج حالية : وهي المتزينة .
(٥) الحجل : الخلخال . والقلب : سوار المرأة .
(٦) الشماس : الإباء والتمنع .
(٧) في الاصل : الحلب .
(٨) كذا بالاصل . واللموع : السريع الاختطاف .

بكت غير ان الدمع لم يجر جفنها [1] ... وأبكي ، وجفني لا يجف له غرب
ومـــا شاقني إلا تألق بارق ... اضاء بوادي القبط[2] ، اذ بعد الحب
فذكرني من ساكن الغور مبسماً ... تجول به الصهباء والخطر [3] العـذب
وإني لظمآن اليـــه على النوى ... ومن لي بأن يُقضى اليّ به شرب
ولي بين هاتيك القباب عقيلة ... ممنعة من دونها السمر والقضب
هلالية ذاتاً ، وبعداً ، ونسبة ... فسيان عندي البعد منها او القرب
تحفّ بها آساد حرب بواسل ... تقوم على ساق ، اذا ركبوا ، الحرب
اذا طاعنوا او ضاربوا فسيوفهم ... وخرصانهم [4] ليست تفل ولا تنبو
حمى ريقها لحظ الجفون وإنما ... حمى مورداً عذباً لها ، صارم عضب
٨٣/و ومن عجب ان الجوانح اجدبت[5] ... لهيباً وفوق الخد من أدمعي خصب
وقد انبتت شوك القتاد مضاجعي ... وأسهرني ألَّا يُلِمّ بهـا جنب
ولا عجب ان حل في القلب شخصها ... نزيلاً فان البدر منزله القلب
اثرت لها حمر الدموع سوابغاً ... وقد قصرت من قبل عن شأوها الشهب
وجدّت بها حباً رسوم عراصها ... فألبسها من حليها النور والعشب
كقطعة شعر للرئيس محمـد [6] ... أتتنا ومن ألفاظها اللؤلؤ الرطب
معان كما رقّ النسيم لطافـــة ... يقصر عن ادراكها الفهم واللب
لهنّ قوافٍ نظمت درّ عقدها ... هي الشهب، لكن لا تغيب ولا تخبو

---

(١) في الاصل : جفننا .

(٢) كذا بالاصل . وقد وردت كلمة القبط في قصيدة لابن الخطيب . نفح الطيب ٩ : ١٦٥ :

شحطت وفود الليل بان به الوخط ... وعسكره الزنجي همّ به القبط

(٣) الخطر : العارض من السحاب ، ج : خطار . جج : خطر .

(٤) الخرص : الرمح .

(٥) اجدب الامر : اشتد .

(٦) الوزير الكاتب : ابن زمرك . وقد ترجم له ابن الاحمر في هذا الكتاب .

ادارت علينا من سلافـة سحرها فملنا بها سكراً، وما ضمّنا[1] الشرب
ولولا مشيب لاح في الفود عاجلاً صبوتُ، وعارٌ بي مع الشيب[2] ان اصبو
وأهدت لنا من وشي صنعا[3] مطارفاً منمنمة من دونهـا الوشي والعصب
فما روضة بالحزن طيبة الثرى تجول بها خيل النسيم، فما تكبو
تغازلها عـين الغزالة ضحوةً ويسحب فيها ذيله الوابل السكب
وتوقظها انفاس دارين[4] سحرة فينبت في ادواحها الحب والحب
٨٣ / ظ تُراح بهتّان الشآبيب، ما هما مع السحب الا قيل ايهما السحب
ترقرق دمع المزن في جنباتها فأخصب من ارجائها النجم والشهب
بأحسن من شعرٍ اتى منه طارقاً ولا عجب في الليل أن تطلع الشهب
تلقيته بالسهل والرحب قارئاً[5] وقلٌ لنا في حقه السهل والرحب
وان اخذت منا الكرى قلت منشداً الا ايهـا النوام ويحكم : هبوا
فقد لاح من غرناطة لذوي النهى سناً ليس يخبو لاقتباسٍ اذا يخبو
وإن ابا عبد الإله محمـداً لبحرٌ من الآداب، مورده عذب
فان شاء شعراً كان أشعر شاعر وان رام كتب العصر قدمه الكتب[6]
اذا ما انتضاها في يديه يراعة لصعب شرودٍ راض واستصحب الصعب
ولو طلعت في الشرق الجمُ فكره لتاه به زهواً على شرقه الغرب
ولو في عكاظ أنشدت بين محفل لأشمخها عُجْب، وحق لها العجب

---

(١) في الاصل : ضمن ، ولعل ما اثبتناه اقوم . والشرب : جماعة الشاربين .
(٢) « « : النسيب .
(٣) صنعاء ، وهي مشهورة بالبرود .
(٤) دارين : فرضة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند ، ويباع منها الى الجهات .
(٥) في الاصل : قارفاً .
(٦) الكتب مصدر كتب ، ويستعملونها بمعنى الكتـابة (الرسائل) الديوانية . وقال ابن الاحمر في لسان الدين : « لا يدافع مدحه في الكتب » ١٣ / ظ . وقال في ابن عبد السلام : « ويراعه في الكتب أتى بأحسن النزعات » ٥٢/ و ، وانظر : ٤٨/ ظ ، ٦٤/ ظ ، ٦٩ / ظ، ٨١ / و من هذا الكتاب .

ولو رامها قسٌّ وسحبان (١) سلّما   بأنك قطب الشعر لا عدم القطب
فجُل في ميادين البلاغة اوحداً   مُشيحاً ، فلا بغيٌ لدينا ولا حرب
وإن سمتنا عتباً بديهـــاً فانما   لدينا لك العُتبى جواباً ، ولا عتب
٨٤/و ومالك منا غير (ود)(٢) مواصل   يدوم ، ولا تُبلي اذمّته الحقب
فجود من المولى (٣) ابي سالم الرضا   تكفّـلنا دهراً ، وتممه العقب
وقد قلت مولانا حباك بتحفة   وليس له في الحسن شبه ولا ضرب
عقيلة شعر من عقــائله التي   يقصّر عنها حاتم الجود او كعب(٤)
فبشراك قد نلت التي ليس فوقها   لذي مفخر فخر، وحسبك ذا حسب
وما الشعر ممـــا يستزيد به عُلا   وكسباً ، وأشتات المعالي له كسب
مليك اذا ناواه غاو مضلل   يسير له من قبل عسكره الرعب
وإن امير المسلمين لجامع   مناقب مجد دونها الجمع والضرب
ففي السلم بدر شأنه الجود والندى   وفي الحرب ليث(٥) دأبه الطعن والضرب
وإن حل مرتاد ففي روضه الكلا (٦)   وأزمن إقلال ففي يـده الطب
وإن نبت الاوطان يوماً بذي سُلى   وضاقت به الدنيا فمنزله رحب
وإن لم يكن للدين درب يحوطه   فإن مريناً (٧) دونه ، والظبا درب
وان عظم الخطب الجليل بكلكل   فباسم ابي العباس (٨) ينفرج الخطب
وان كنت قد خاطبتَ تخطبُ ودّنا   فيا حبذا منك المخاطب والخطب

---

(١) قس بن ساعدة الايادي ، وسحبان وائل : خطيبان مشهوران .
(٢) زيادة لا بد من مثلها ، لإقامة الوزن وتمام المعنى .
(٣) السلطان المريني : ابو سالم ابراهيم بن علي بن عثمان (٧٦٠ — ٧٦٢) .
(٤) حاتم وكعب : ممن يضرب المثل بكرمهما (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : ٩٨) .
(٥) زيادة لا بد من مثلها ، لإقامة الوزن وتمام المعنى .
(٦) الكلا : العشب ، كناية عن الرزق .
(٧) مريناً : يعني بني مرين اسرة الممدوح .
(٨) السلطان المريني ابو العباس احمد بن ابي سالم (٧٧٥ — ٧٨٦) ثم (٧٨٩ — ٧٩٦) .

٨٤ / و ان بنيّات الحِجا انت كفؤها وكافلها الكافي وسيّدها الغلب
وما كان ذاك المطل منّا تعمُّداً فتحسبه ذنباً ؛ أما يُغفر الذنب ؟
فظنّ بنا خيراً ، فما الظنُّ شأننا فأشعارنا في كلّ ناحية نهْب
وان شئت أتحفناك منه بكل ما تقر به عينٌ ، ويصبو له قلب
فقد طلعت في الأرض شرقاً ومغرباً وسارت بها منا السّفائن والنُّجب
تحمّلها الرُّكبان زاد مسافرٍ فلم يخلُ منها لا خضيضُ ولا اصب[1]
فدونك منه كل عذراء لا يرى يو ّلدها يوماً زهيرٌ ولا كعب
فلا زلت في غرناطة خير ملجأٍ اذا راع أبناء الذّكاء بها لزب[2]
ولا غاض بحرٌ من بيانك زاخرٌ ولا فلّ بالغرب الغريب له غرب

٢٨ – ومنهم صاحبنا الفقيه الكاتب ابو عبد الله محمد بن الفقيه القاضي علي بن الفقيه الكاتب عمر الزناتي التجاني (*) النفاوي الدار . المتوفى بفاس سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ؛ ادركته وصحبته .

حاله : رافع راية الأشعار ، السالك في طرق اجادتها ٨٥ / و بالفهم والاشعار . وهو فحلها الذي في شؤونها هدر ، وبذّ من على بسالتها قدر . كانت شيمه في ادراكها سنية حميدة التفهيم [3] . وبديع علمه بتجنيس لفها ونشرها ، مفوفاً ، بالتوشيح والتسهيم [4] . والفقه فيه نجم . ووجه تحصيله في فنونه ما وجب ولا وجم . وكانت له معرفة بالكتاب الفرعي لابن الحاجب ، ولحصوله اشار بعين التحقيق والحاجب . وهو في شعراء المائة

(١) الخضيض : المكان المتترب ، تبله الامطار . واللصب : الشعب الصغير في الجبل .
(٢) في الاصل : « لدب » . واللزب : الضيق .
(*) لم اقف له على ترجمة .
(٣) في الاصل : التفهم .
(٤) من انواع البديع .

الثامنة فخر الصقع ، وكاشف عار الغي في تراكم النقع . والقطر به صلصل ، وحديث مدحه اصل. لكن المنيّة نحوه اسرعت، ورماح الموت له بأسلتها[1] اشرعت . فذهبت بشبابه ، وعفّرته بجلبابه ، وفتحت له ابوابها ، وكسته اثوابها ، وله ثلاث وعشرون سنة ، لم تكمل ، وشمل الألفة بالتأخير لم تشمل.

انشدني لنفسه يمدح امير المسلمين المستنصر بالله ، ابا العباس احمد المريني ملك المغرب :

٨٥/ظ لذكرك احلى في اللسان وأعذب — وقربك اشهى للفؤاد وأطيب
لمدحك خليت النسيب ، ومن يجد — لمدح علاء[2] قائلاً كيف ينسب ؟
فمنذ اهتدى فكري لمدحك لم اكن — بهند ، وأتراب لهند اشبب[3]
اجدُّ بقولي فيك جدي كلما — مدحت اذا كان المغزّل يلعب
وأطرب حلماً بامتداحك وحده — وغيري سفاها بالتغزل يطرب
وما غلظة[4] في الطبع مني ألفتها — ولكنه طبع الى المجد يحدب
اميل الى العلياء ميل صبابة — وحظ الغواني بعد مني التجنب
اذا نُسبت لي خلة فهيَ العلى — اليهن اصبو ، لا سعاد وزينب
طلبت المعالي باجتهاد فنلتها — وليس ينال الشيء من ليس يطلب
اذا فاتت المرء العُلى في شبابه — فكيف له ادراكها وهو اشيب
أيا ربة الطرف الكحيل تعرضي — لغيري فإني عن طريقك اقلب[5]
بوصفي من مولاي خلقاً وشيمة — بشعريَ ، من وصفيك اولى وأوجب

---

(١) في الاصل : بأرشيها .
(٢) « « : علا .
(٣) « « : اشب .
(٤) « « : غلطة .
(٥) قلب واقلب : حوّل .

فلولاه لم انظم قريضاً ، ولم يكن — لسانيَ عما في ضميريَ يعرب
لقد زاد حسناً وجهه وهو بارز — على وجهك المعشوق وهو محجب
٨٦/و فلا تطمعي ان تسلبيني ،فجوده — لقلبيَ من عينيك اسبى وأسلب
حكى المزن لكن وجه مولاي باسمٌ — ضحوك ، ووجه المزن جهم مقطب
ارحت فؤادي فيك من لوعة الهوى — وحرقته ، فليسترح من يؤنب (١)
اليك فكم اعرضت عن مقبل الهوى — يغذ به (٢) سرب ويعرض ربرب
فما تطبيني بالجمال خريدة (٣) — ولو انــه من سحر بابل يجلب
وما الحسن الا ما افاد الثنا ، ولا — لبـــانٌ محلى ، او بنان مخضب
كفى المرء زيناً كل يوم بدوره (٤) — حسام صقيل (٥) او سنان مصلب
وما ليَ في تقويم رمح اهزه — على السيف ،او سيف على الرمح مذهب
سوى انني مهما انثنى قلت ان ذا — بسيط لدى المرأى ، وذاك مركب
وللرأي سبق في الوغى اذ بحده — ارى الرمح والهندي يمضي ويغضب
وكم صحف اغنت غنــاء صفائح — وكم قلم ان غالب الرمح يغلب
بهذي يقضّي المرء كل لبانة — فما أعملت يوماً وأعوز مطلب
اذا لم انل ما ابتغي كيف ينبغي — فشأني اني عازفاً عنه ارغب
فما الناس الا زاهد وأخو غِنى — وآخر ملقى بين ذين (٦) مذبذب
٨٦/ظ وإن بان زهدي في الأنام فانني — الى الزهـــد فيما يملكون لأقرب
فلا طمع يـــدني اليهم مودتي — ولا انا من سوراتهم (٧) اتهيب

---

(١) في الاصل : يولب .
(٢) « « : يعذبه .
(٣) « « : حديدة .
(٤) بدر الى الشيء بدوراً : اسرع .
(٥) في الاصل : سقيلا .
(٦) « « : دين .
(٧) « « : سوارهم .

كفاني مليكي ان اوكل راضياً كما قد وقاني خوف من [1] يتغضب
تأدبت من قربي لخـــدمة بابه وهذا وقوفي ، كيف لا اتأدب
لئن نلت مجداً او حصلت على ُعلا فاني من مولاي امنو وأكسب
حلبت زماني (شطره[2]) فغرفت من اماني ٌ فيه مـا اصر وأحلب
ارى باطناً من حاله مثل ظاهر فسيان عندي حاضر ومغيب
خليلي مـــا للجود قل وجوده فأصبح وهو اليوم عنقاء مغرب
لقد مات جود الناس قبل ُ بموتهم فقـام عليه الشعر يبكي ويندب
وقـــد ذهب الإنصاف الا بقية ويوشك يوماً أنهـــا سوف تذهب
لقـــد تعبت نفس ٌ تجود تكلفاً ومن يرتجي منهـــا المكارم أتعب
اذا النفس لم تدر السخاء طبيعة وان راضها ذو الإرب، فالطبع اغلب
رأيت أناساً ينسبون الى الوفـا غلاظاً ، وهم بالله للغدر [3] أنسب
فكم خفروا عهداً ، وخاسوا بذمةٍ وحـالوا لذا الوانهم ، وتقلّبوا [4]
٨٧/واذااستمطرت ارضي حيامن سمائهم بـــدا لي برق ٌ للمواعد خلب
وما اشبهوا الا الزمان ابامم [5] فمن ذا أُلاحي او لمـن اتعتّب
فقد قـل ّ منهم من الوم فيرعوي ومن كلمـــا عاتبته ، فهو معتب
تعوضت من هـــذا الزمان وناسه بعزة ملـــك للملائك ينسب
محا نوره صبغ الليالي ، وهديـه ضلال بنيها ، فهو شمس وكوكب
مليك نماه محتد ٌ ، وسما بـــه الى الغاية القصوى من المجـد منصب
له اسم ٌ من الحمد الكريم اشتقاقه فأحمـد [6] موعٍ المحامد موعب

---

(١) في الاصل : مني .
(٢) في هذا الموضع كلمة غير واضحة ، رسمها (استطىءا) .
(٣) في الاصل : العذر .
(٤) « « : وتقلب .
(٥) « « : آباهم .
(٦) السلطان ابو العباس احمد .

له خلق كالأري في حالة الرضى   ولكنه كالشري ساعة يغضب [1]
له همـــة تعلو السماك ، ونهية   اذا طاشت الألباب ترسو وترسب
هو القمر الوضاح ان تم محفـل   هو الأسد الفرّاس ان سار موكب
وهالته الدست الرفيـع ، وغابه   لدان العوالي ، والحديد المذرب [2]
يطيف بهـا من ولده كل واضح   يدلك ان الاصل في النسل منجب
له منهمُ في السلم نجم وكوكب   ومنهم له في الحرب ناب ومخلب
ويفديه من خـير القبائل معشر   كرام ، يفدّيهم نزار ويعرب
٨٧/ظ ومن بعدهم سواس ملك اطاعهم   على امره المتبوع شرق ومغرب
فللحرب فيما ليس يدركه الحجا   بتدبيره السهم الاريب المدرب
وللرأي فيما ليس تملكه القنـا   بسطوتها الشيخ اللبيب المجرب [3]
بصير بتأسيس السياسة ، حُوّل   خبير بتدبير السياسة ، قلب
وللقلم الماضي المترجم عنهما   بتبيانه الحرف الاديب المهذب
وكلهم في قصده ناجح الخُطا   سعيد المساعي ، ليس فيهم مخيب
وأنت الذي علمتهم وأفدتهم   فكلهم ممـــا لديك يسبب
فذو الحرب ان لاقى عداك فانه   بعزمك ، لا حدّ المهند ، يضرب
وذو الرأي ان قادت له الرأي فطنة   فحرفك يستقري وحدسك ينصب
وذو القلم المـاضي اذا خط انما   يخط الذي تملي [4] عليه ويكتب
ولم انس سهماً في الكنانة لم تزل   تصيب به الاغراض تنأى [6] وتقرب

---

(١) الأري : العسل ، والشري : الحنظل . يقال : « لفلان طعمان : أري وشري » .
(٢) ذرّب الحديد : أحدّه .
(٣) في الاصل : المحرب .
(٤) « « : نملي .
(٥) « « : تنثا .

لقد سار في[1] الاملاك[2] انك ضيغم ... وباقي ملوك الارض ذئب وثعلب
قضى الله في الدنيا على كل من رأى ... غناءك ، فاعلم انه سوف يعطب
بخطية ان يمتـــه وراية ... تخطىء من آرائه ما يصوب
٨٨/و تركت بسعد الجد كل معاند ... يصعد طرفاً في الردى ويصوّب
فكفك سهم المعاند ، صائب ... كما هي غيث المؤمل صيب
جمعت بها الضدين بأساً ورحمة ... فصارت بها الأمثال في الأرض تضرب
عجبت لقلبي فيك يحسد ناظري ... بلى[3] انني من غير ذلك اعجب
ارى الطرف يزهى ما استويت بمتنه ... فيحسده فيك الذي انت تجنب[4]
ولم أرَ حسناً مثل حسنك جالساً ... ويزداد ايضاً بهجة حين تركب
حسنت ولكن عظمة ان ترى وقد ... اقلك ملء الجو اجرد سلهب[5]
حكى الوحش تفصيلاً ففي العين جؤذر[6] ... وفي الإطل[7] سرحان، وفي الأذن ارنب
امين ، متين المتن ، رحب[8] لبانـــه ... له حافر صلب النواحي مقعب[9]
قصير النسا عبل القوائم ، لم تكن ... شواهده في العتق والسبق تكذب
بثيس[10] المطا، رحب[11] الخطا، مشرف القطا[12] ... اذا امتـــدّ شأو الحضر فهو معقب

---

(١) في الاصل : سارت ، ولعل ما اثبتناه اقرب .
(٢) الاملاك : الملوك .
(٣) في الاصل : بل .
(٤) جنبه : قاده الى جنبه ، والطرف : الكريم من الخيل .
(٥) السلهب من الخيل : ما عظم وطالت عظامه .
(٦) زيادة لا بد من مثلها ، لإقامة الوزن وتمام المعنى .
(٧) الإطل : الخاصرة .
(٨) في الاصل : وخق . ولبان ذي الحافر : صدره .
(٩) حافر مقعب : مدور او مقعر .
(١٠) البثيس من البأس : القوة .
(١١) المطا : الظهر .
(١٢) القطاة : العجز ، ومقعد الرديف من الدابة .

« مكرٌ مفرٌ مقبل مدبر معاً » [1] سريع لأقصى غاية الشوط منهب

مؤخره نهد ، وهاديه [2] باسق واسفله جدب ، واعلاه مخصب

تجلى لنا في حالتين فخلقه كما شاءه التطهيم والحسن : معجب

٨٨ / ظ فغرته من فضة كحجوله [3] وباقيه في حسن الصياغة مذهب

تجرد عن عنف موطأ [4] خلقه ، فيسجو ، وان أحميته يتلهب

يطيعك مأموراً كأن عنانه بكفك في الإرسال واليد لولب

يجيد التفاتاً يسرة بعد يمنة ولكنه طوعاً لكفك مسحب

افاضت عليه ثوبها خيلاؤه فراح يجرُّ الذيل منها ويسحب

به نخوة ، او نشوة تستفزه فيهتز زهواً منه عطف ومنكب

فلو كان ذا فهم وعقل مميز لأصبح من عجب [5] به يتعجب

ترى ركضه كالرقص حين تجيله وتصهيله ضربٌ من اللحن مطرب

يسرك إدوام [6] له ، وتمهُّل ويرضيك اسراع له ، وتوثب

فلو أنه جارى [7] الرياح الى مدى لوافى وكانت دونه الريح تغلب

يعيد النهار الطلق ان شد بالذي يثوّر من نقع به ، وهو غيهب

ويطلع بالشمس المنيرة وجهه ويسبقها جرياً الى حيث تغرب

---

(١) من معلقة امرىء القيس ، وتمامه : — كجلمود صخر حطه السيل من عل — .

(٢) هوادي كل شيء : أوائله .

(٣) الحجل ، ج حجول : الخلخال .

(٤) في الاصل : توطىء .

(٥) في الاصل : من حجب .

(٦) أدوم : تأنى .

(٧) في الاصل : جرى .

اذا انحط يهوي للحضيض فجندل … يصب والا أجدلٌ يتنصب
تزلزل منك الأرض عند ركوبه … كأنك رضوى فوقه وهو كبكب (١)
٨٩/ و عنيت به ما ان تغب ركوبه … وبعد ، فان اغببته فهو مغرب
تقلدت اعلاه من الهند ماضياً … كعزمك ، لا ينبو له الدهر مضرب
يمان ، كريم الاصل ، ابيض ، صارم … حسام ، رقيق الشفرتين مشطب (٢)
قد أرهفه قين وجلاه (٣) صيقل … وطال به بين الخميسين محرب (٤)
تحير في صفحيه ماء فرنده … فحاكى غديراً لم يغيره طحلب
ينال من الاعداء ارغد عيشة … له مأكل منها لذيذ ، ومشرب
ولكنه يهوى الحضور ، كأنه … مدى الدهر لا ينفك يظما ويسغب
لديه وبال للعدا حين ينتضى … وفيه جمالٌ رائقٌ حين يُقرب
يقوم خطيباً عنك في جمع العدا … فتنصت اعناقٌ لهم حين يخطب
ويقدمه فيه سياق كأنه … منادٍ عليهم بالوعيد يثوّب
على سمهريٍّ ذابلٍ قد تناسقت … لديه انابيبٌ طوال واكعب (٥)
ملكت بها ظهر البسيطة كلها … وسهلت منها كل ما كان يصعب
ايا مرسل الجيش العرمرم آخذاً … بآفاقها ، ما للعدا منه مهرب
بخيل كرام المنتمى ، اعوجية … تطير بأقطار الدنا (٦) ، وتسرب
٨٩/ظ تخال عقوداً في انتساق نظامها … تقلد اجياد الربا ، وتلبب
فمن اشقر كالتبر ، يتلوه ادهم … أمام كميت (٧) سار ، يقفوه اشهب

---

(١) كبكب : جبل بعرفات .
(٢) سيف مشطب : ذو شطب ، والشطبة : الواحدة من الخطوط التي في نصل السيف .
(٣) في الاصل : وجله .
(٤) رجل محرب ومحراب : شديد الحرب .
(٥) اكعب ، جمع كعب : ما بين الانبوبين من القصب .
(٦) في الاصل : تصير .
(٧) « « : كبيت .

عليها من الفرسان كلُّ مصمم ... لدى(1) الحرب من طعن القنا ليس يرهب
تقلد للأعداء كل مهند ... يبيح حمى الارواح منهم ، وينهب
لقد جئت هذا الملك اين جيئة ... وقدماً بدا صدع به وتشعب
فما زلت تُبريه وتحسم داءه ... وتشعب منه كل صدع وترأب
الى ان بدا في صحة واستقامة ... وقد كان عنه يعجز المتطبب
لقد نال طرفي منك بعض نصيبه ... ولكن فؤادي لم يزل فيك ينصب
وقد نعمت عيني إليك بنظرة ... على ان قلبي بالبعاد معذب
أتُبعدني من رتبة او مكانة ... وحبك من قلبي المكين المقرب
تغربت عن اهلي اليك ، ولم يكن ... ليحسن بي الا اليك التقرب
على انني شوقاً احن اليهم ... حنيناً كما قد حن للبرء اجرب
وإن كنت قد خلفت اميّ او ابي ... فرحماك لي ام وبرُّك لي أب
وما شفني إلا هوى لك مؤثرٌ ... وانك موموقٌ(2) اليّ محبب
٩٠/ظ واني يقيناً غرس كفك ارتجى ... بروضك سقياً من نداك فأنجب
وأنبأني اني ألاقي مسرة ... بقربك زجرٌ فيك بالسعد يعقب
فلم ار فيما مر بي قط بارحاً(3) ... ولا شاحجاً(4) يعلو التراب وينعب
ألا أيها المولى الرؤوف بعبده ... متى يرجع الحظّ الذي كاد يعزب(5)
فأقتطف الآمال وهي نواضرٌ ... وأرشف ثغراً المنى ، وهو اشنب
ويا تاركي حول المشارع(6) حائماً ... متى يلحق الصادي الورود فيشرب

---

(١) في الاصل : لذا .

(٢) « « : مومون .

(٣) البارح من الطير : ما جاء عن يمينك فولاك مياسره ، والعرب تتطير به .

(٤) الشاحج : الغراب ، وجمعها شواحج .

(٥) عزب : بعد وذهب ، وفي الاصل : كان يعزب .

(٦) المشارع، ج مشرع: مورد الشاربة، وفي الاصل: حولي المشارع.

ولو ابصرت عيناك عينيَ خاليـاً وقد طفقت تذري الدموع وتسكب
لزحزحت (١) من همي وأيقنت انني لفقد نصيري منك ، ابكي وانحب
فقد صار حقي عند عدلك يدّعى وأصبح ملكي تحت ظلك يُغصب
ابيت ، وغيري نائم مــلء جفنه كـأني على جمر الغضا (٢) اتقلب
ومن لي بأن أكرى وتسكن اضلعي وجفني مقروح ، وجنبي مندب
اروح بهم ، ثم اغــدو بمثله فأمسي واضحي خائفـاً اترقب
ودونكها بكر المعاني وانهـا (٣) اذا مـا تقفيت القوافي ثيب
يلوح بهـا بشرٌ لقربك ضاحكٌ ويذكو لهـا نشرٌ بذكرك طيب
٩٠/ظ تجلت(٤) رجاء في التجاوز،انها تـكاد اذا ناقشتها (٥) تلنقب
وأمنها (٦) خطب انتقادك علمها بأنـك للذات لا تتعقب
فان تحتبس فيما اسأت فانها لمـا احسنته من مديحك ، توهب
ومـا مدح الأجواد الا عرائس تبرقـع من نعمائهم ، وتجلبب
اذا قابلت وجـه الكريم فحظها لديـه ببر القول : أهلٌ ومرحب
على دأبها في شرعة المجد لم تزل تعظم في نادي الندى ، وترحب
تخالف فيهـا سامعوها ، فمائب يشرق في وجـه ، ومثن يغرب
حلت وأمرّت ، فهي شهد وحنظلٌ لسخط وودٍ مـا تمر وتعذب
اذا رزقت منك القبول فانها سواء لديها حاسر ومعصب

---

(١) في الاصل : لزحزت .
(٢) خشب الغضا من اصلب الخشب ، وجمر فحمه يبقى زماناً لا ينطفىء .
(٣) يريد : قصيدة .
(٤) جلا العروس : قدمها الى زوجها مجلوة .
(٥) في الاصل : نانشتها .
(٦) في الاصل : وأمناً .

وما كُنت بالمصغي الى قول نابز ولو انه بالخيل والرجل يجلب [1]
وشاحتبه عن خاطر كذا [2] للذي يعاني به [3] به ماء القريحة ينضب
مدحتك لا أبغي لمدحك غـاية وإن جل فيه ما اطيل وأطنب
فما جئت إلا اسأل العفو منك لي كأني بتقصيري وعجزيَ مـذنب

٢٩ – ومنهم صاحبنا الفقيه الكاتب **محمد بن ٩١/و الفقيه العدل يوسف ابن الفقيه الصوفي احمد ابن الفقيه الصالح محمد بن الفقيه الصالح ولي الله تعالى ابي يعقوب يوسف الشبوكي** (*) **الفاسي** . ادركته وصحبته .

حاله : صغير السن كبير القريض ، ومتنسم من نوار روض الاجـادة الاريض . وهو الذكي برقة طبعه ، ومنه اخذت النجـابة بضبعه . وخطه اسكت ابن مقلة بيراعته ، لما خطه بأسطار الاحسان ببراعته . وكان يفترع عرائس الآداب من النفس الاسدية بالبراثين[4] ، ومع ذلك فمات ولم يبلغ من السنين الثلاثين . وبيته بيت علم سحب منه الصلاح ذيلاً . وتضوعت من عرف عرفانه ، نواسم الجلال نهاراً وليلاً . وطوقته المفاخر طوقاً ، وأذاقه الفهم من حلاوة العلوم ذوقاً ؛ وكان بأحد بنات عمه قد تعشق ، وريح الهيام بها قد تنشق ، حتى شهدت بها حاله ، واستعظم انحاله ، واستُغرب انتحاله .

اخبرني انه مر بها وهي من فتيات ، فلمـــا بصرت به قالت: تعرض له

---

(١) اجلب القوم : تجمعوا من كل وجه للحرب .
(٢) كلمة كذا من الاصل ، ويضعها الناسخ حين تستعصي عليه قراءة كلمة او جملة .
(٣) كذا بالاصل ، ولعل الناسخ ارتبك في النقل .
(*) ترجم له ابن الاحمر في نثير الجمان : ١٢٤ / و ، وأورد قصيدته اللامية التي اثبتها هنا . ونقــل صاحب ازهار الرياض ترجمة الشبوكي من نثير الجمان كاملة ، ولكنه وهم فنسبها الى نثير فرائد الجمان . (انظر ازهار الرياض ١ : ٢٩١) .
(٤) البرثن ، ج براثن : وهي من السباع والطير بمنزلة الأصابع من الانسان .

بكلمات مستويات ، اني منذ ست ليال آخرها البارحة ساهرة . قال : فضحكت ، وقلت : مقالاتي في مثل ذلك هي ظاهرة . قال : ثم لما وجدت الخلوة ، قالت: ما الذي اضحكك ؟ هي السلوة ؟ قال فقلت : ضحكت من التعجب في امري ، وأمرك [1] . لأني سهرت مثلك تلك الليالي الست ، اذ شربت من كأس خمرك . فوقعت الموافقة ، وسممت المرافقة .

وقال وهو بفاس يتشوقها وهي بشبوكة ، قرية آبائه ، حيث معاهده التي تلاعب بها في مواطن احبائه :

الا مبلغ عني مغاني شبوكة سلاماً كعرف المندل الرطب والند
ديار بها قلبي مقيم ، وان نأت بجسميَ عن اطلالها اينق البعد
عهدت بها عهد الهوى لا يشوبه من الصفو تكدير من الغمر السعد[2]

وأنشدني لنفسه يمدح امير المسلمين ابا فارس عبد العزيز المريني ملك المغرب [3] ٩٢ / و ويحرّضه بعد قتله وزيره المتغلب عليه عمر بن عبدالله بن علي الياباني [4] ، على قتال الشيخ عامر بن محمد الهنتاني ، صاحب جبل هنتانة من حوز مراكش حين خرج عليه [5] بالسلطان المعتمد على الله ابي الفضل محمد بن اخي السلطان [6] :

---

(١) في الاصل : وامر ما ، ولعل ما اثبتناه اقرب .

(٢) كذا بالاصل .

(٣) السلطان المريني ابو فارس عبد العزيز بن ابي الحسن علي (٧٦٧ — ٧٧٤) وهو الذي ألجأ لسان الدين بن الخطيب لما غادر غرناطة سنة ٧٧٣ .

(٤) ورد ذكره في الورقة ٦٦ / و ، وانظر الحاشية .

(٥) انظر في هذه الحادثة ، واخرى مشابهة لها (الاستقصا للسلاوي ٣ : ١٨٤) .

(٦) وردت القصيدة في ازهار الرياض ١ : ٢٩٢ — ٢٩٤ ، ونثير الجمان في شعر من نظمني واياه الزمان : ١٢٤ — ١٢٥ .

أبان في حبه ما قال عاذله … دمع (١) جرى فوق صفح الخد هامله

فبات من وطأة التفريق ذا وجل … يستنجد الصبر عوناً ، وهو خاذله

صب اذا ما بدا بالرقتين له … وميض برق الحمى ، هاجت بلابله

يبكي لمنزل انس بأن آهله … وظاعن عنه قد شطّت منازله (٢)

يا حسن عصر بهم قضيته زمناً … رقت حواشيه إذ رقت اصائله

كأن صوب دموعي بعد بُعدهم … سيب المليك (٣) اذا وافاه سائله

عبد العزيز الذي عزّت بدولته … صنائع (٤) الحق، وانهاعت (٥) دلائله

وأصبح الملك في امن وفي دعةٍ … من بعد ما كان غالته غوائله

عادت بعيدٍ عنا (٦) منه نضارته … فعاد يافعه ، واشتد كاهله

كالروض باكره طلٌ على ظمأٍ … وجاده بعد ذاك الطلّ وابله

٩٢/ظ هو الإمام الذي من أمّ ساحته … جادت عليه بجدواها أنامله

ومن تخلّف جهلاً عن إجابته … سارت اليه على علم صواهله

قل للذي عنه اقصته (٧) جرائمه … وعقلته عن العليا معاقله

زر حضرة الملك الميمون طالعه … تحظى (٨) بما انت في دنياك آمله

فطبعه الصفح ، والمعروف شيمته … والحلم والصون والتقوى شمائله

وابلغ (٩) جميع العدا أن سوف يشملهم … من الظبا كل ماضي الحد فاصله

---

(١) في الاصل : دمعي ، وفي نثير الجمان والازهار : دمع .

(٢) « « : بلابله ، وهو من خطأ الناسخ من نقلة نظر .

(٣) في الاصل : الملوك .

(٤) في الازهار : مراتب .

(٥) في الازهار : التاحت . وفي القاموس : هاع يهيع : انبسط ، وانهاع الشراب : جرى.

(٦) في الازهار : عادت بعيد لنا .

(٧) في الاصل : اقتصته ، وهو تصحيف .

(٨) اشبعت حركة الظاء لضرورة الشعر .

(٩) في الازهار : ابلغ .

هــذا المليك اتاهم في كتائبه   لنسخ آجالهم [١] ، تنضى رواحله
بكل خرق طويل البـاع متئد   مقصر عمر مــن تلقى مناصله
وجحفلٍ فيه سمر الخط مشرعة   قد حجبت النجم الشعرى قساطله [٢]
سيعلم الغمر عقبى [٣] ما جناه اذا   كلت مواضيه وانفضت كلاكله [٤]
وحاط بالجبل البحر المحيط ولا   حت فوق ارؤسهم منه جداوله [٥]
فانهض اليهم امير المسلمين فقد   اعطيت كل المنى فيما تحـاوله
من ذا ينازل جيشاً انت قائده   يوم الكريهة او من ذا ينـاضله
ألا ترى المائق الرعديد حين عتا   وأضمر المكر صادته حبائله
٩٣/و ظن الظنين [٦] بأن يسمو ويعلوَ في   دنيا سمت وعلت فيهــا بواطله
فغادرته الصعاد [٧] الزرق منجدلاً   فوق الصعيد تناجيه جنادله
دنياه تضحك من احواله عجباً   بـه وفي الحي تبكيه اراملـه
فليهن دين الهدى من بعد مدته   ان انت [٨] ياذا المحيا الطلق كافله
لم ينتصب قط في الدنيا لواء ُعلا   الا ومن آل عبد الحق [٩] حامله
مولايَ مولاي دم ما عشت مصطحباً   ُعلاً وفخراً وعزاً لا تزايله
ان سار جيشك فالتأييد يقدمه   والنصر عاجله يقفوه آجله

---

(١) في الاصل : آجلهم ، وفي نثير الجمان : اجلالهم . وما اثبتناه عن ازهار الرياض .
(٢) القسطل : الغبار ، وقيل هو خاص بغبار الحرب .
(٣) الغمر : الجاهل الذي لم يجرب الامور .
(٤) الكلاكل : الجماعات .
(٥) كذا في الازهار ونثير الجمان . وفي الاصل : عوادله .
(٦) في الازهار : الضنين .
(٧) الصعاد ، ج صعدة : الرمح .
(٨) في الازهار : ان انت ، وفي الاصل : ان صرت .
(٩) عبد الحق بن محيو (... — ٦١٤) من أمراء بني مرين في أوائل عهد ظهورهم . وفي عقبه استمر حكمهم الى آخر عهدهم .

٣٠ – ومنهم شيخنا الفقيه الكاتب **احمد بن الشيخ الصوفي محمد الدباغ الخزرجي الفاسي** (*) . صحبته .

حاله : اهتز المغرب لفصاحة اشعاره ، وتعجب المشرق من صباحة اشعاره ، لما غرب (١) بالاصابة عن ادبه ، وأعرب باللبابة عن أربه. والجزالة بها يتكلم . مع بعض الحلاوة التي صبيحه منها لا يتألم . وهو شيخي الذي به تعلمت ، وقال اني لسان المقاويل اليك سلمت . ومـــا عن التقديم ٩٣ / ظ اخّرته ، إلا لأني لهذا الموضع ادخرته .

انشدني لنفسه :

أتحسب طرفي بعـد بُعدهم اغفى ... لقد خانك الظن الكذوب وما وفّى
سروا ، فالكرى من بعض من يخبط السرى ... لديهم ، ودمع العين يتبعه رجفا
وفي طي ما تحوي الضلوع لواعج ... قضى الشوق ان تذكى وأقسم (٢) لا تطفا

ومنها :

ولله من ازرارها فلك بـــدت ... بـــه شمس حسن لا تنهنهها خسفا
اضاءت فمحى صبغة الليل ضوؤها ... سوى ما حوته في عقائص قد كفا

ومنها في المدح :

علوا بأبي حفص مقاماً تود لو ... تعلقت الجوزاء من اذنـه شنفا

(*) لم اقف له على ترجمة . وقد ذكره ابن الاحمر عرضاً في كتابه نثير الجمان ، واورد له بيتين من الشعر في الباب الثاني عشر ، الذي خصصه لما قيل : « من الشعر في السيف الذي بصومعة جامع القرويين من مدينة فاس » . الورقة ١٢٨ .

(١) كذا بالاصل . ولعلها : اغرب .

(٢) في الاصل : وأنسم .

قال اسماعيل بن الاحمر مبرز هذا الإبريز الاحمر : لما كنت من هذه الفئة الشعرية وانتظمت في سلك فقهائها الاشعرية ، وممن في نادي الشعراء الفحول زاحم ، حين مأزق ميدانه بكفاح اسوده تلاحم . وقلت فسمعت ، وتقدمت فتبعت ، وفي انواع الشعر اتصرف ، ونظمه بي يتشرف ، وتلاعبت بفنونه، وما جنّ جناني بجنونه ، وارتفعت ٩٤ / و بالخطة العلمية، وانتفعت بالخطة العلمية ، وكنت من ابناء ملوك اساودة ، واكتحلت من اثمد إجادته بمراوده ، استشهدت ببيت المتقدم ، ومما قلت بكيت المتندم :

فخير الشعر اشرفه رجالاً   وشر الشعر ما قال العبيد (١)

وعلى ما من حالي (٢) وصفت . ومما من بنائها رصفت . فالتواضع بي اجدر . وإن كنت على الكلام اقدر ، فالمرء لا يسلم من الخطل ، وان وسم في الإدراك بالبطل :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها   كفى المرء خبراً ان تعد معايبه

ومن قولي (٣) هذه المولدية النبوية الشريفة :

---

(١) البيت للفرزدق .

(٢) كذا بالاصل .

(٣) تداخلت هذه القصيدة ، والقصيدة التالية لها ، بعضها ببعض ؛ فقد ورد ٢٨ بيتاً من هذه القصيدة في التالية ، و ٣٠ بيتاً من التالية في هذه . والظاهر ان ورقتين في المخطوطة التي تنقل نسختنا الوحيدة عنها قد تبادلتا أمكنتها . وقد يدل على ذلك ان الابيات المختلطة بينها متقاربة العدد .

ورفعتها في عام تسعة وتسعين وسبعمائة بالمدينة البيضاء من فاس للسلطان[١]
ابي عامر عبد الله [٢] :

تراءت بباب السرحتين ديارهـا فروّض روض الود حيث ازديارها[٣]
ديارٌ بها قد ارسلت دمعي هوى غداة بهـا نفسي اطيل اعتبارها
٩٤/ظ وقفت بها مستوقداً نار لوعتي وقد اججت في ساحة الشوق نارها
وكم جئتها خلف البروق لأن أرى وقد اججت في ساحة الشوق نارها[٤]
وما خفت فيها من زيارة خلسة عياراً[٥] حمـاها لا يرام ذمارها
أزور ولو أن السيوف شواهر وادنو ولو ان الجحيم مزارها[٦]
يمر بريح البان مسرى نسيمها فيعبق نشراً اذ يهب انتشارها
وقالوا : شبيه [٧] مهجتي بلحاظها سواداً[٨]، ولكن ذاك منها انكسارها
وقالوا : حمامات الهوى قد تطايرت فقلت : بجو القلب ، وهو مطارها
وقالوا : ثغور الغانيـات تبسمت فقلت : لتعذيبي ابين افترارها[٩]

---

(١) في الاصل : رفعتها السلطان .
(٢) السلطان ابو عامر عبد الله بن ابي العباس احمد المريني (صفر ٧٩٩ — جمادى الآخرة ٨٠٠) .
(٣) ازدار : بمعنى زار .
(٤) نقل الناسخ عجز البيت الاول ثانية واثبته للبيت الثاني. وهذه ظاهرة تكررت في المخطوطة.
(٥) عيار : جسارة .
(٦) ورد هذا البيت في مقدمة نثير الجمان ، واوله : ازورها ، وهو يخل بالوزن .
(٧) في الاصل : سيفه .
(٨) « « : سواد .
(٩) اضطربت المخطوطة هنا ، فاضطررنا الى اعادة ترتيب القصيدة حسب السياق .

اقمت بتسآل الديار متيماً ... لأن بين ذي بين ابينت ديارها
وأعربت في عجم الطلول عن الهوى ... بأنفاس [1] نفس قد اثير اوارها
فعيت جواباً والجوى بي مقيد ... عليها وأشجاني اقر قرارها
ركبت خيول الوجد وهي صلادم [2] ... أبيحت له لما استبيح مغارها
تطاول ليلي في قصير منامه ... فعيني أنيلت بالسهاد غرارها [3]
٩٦/ظ واشغلت نفسي في امتداح محمدٍ ... وتلك معالٍ قد اقيم منارها
قرأت بها منه الهداية بدأة ... بمرشدة راضت وطاب ادكارها
اتى ومحيّا الدين يبسم ثغره ... بآيات صدقٍ مستطاب صدارها
وجاء وبرهان الرسالة واضحٌ ... كما وضحت شمس اضاء نهارها
وأبدى من الآيات ما بهرت ، وما ... تردّد منها في البرايا اشتهارها
فمن ليلة الاثنين حدّث بفضلها ... فقد فاض عن فضل الشمار دثارها
بمولده في صبحها وظهوره ... مواهب رب العرش عمّ اختبارها
وقد أشرفت عنها ببُصرى قصورها ... وأضحت مضيئات أُثير استنارها
وأعمى الشقا عنها هشاماً وعتبة [4] ... وعاينها سلمانها وضرارها
كما صح من إخماد نيران فارسٍ ... ومن بدء دين الكفر كان شرارها
ورج به الايوان لما تركمت ... شرافاته [5]، في حين صلى جدارها [6]
وما صح من نطق الحصى وسط كفه ... بغير استتار حين اجري جمارها
وللقمر المنشق ذلت عداته ... بمعزازه ، اذ ريع منه كبارها
لدعواه اهوى ، ثم نصفين قد غدا ... بكميه ، والاعداء بان صغارها

---

(١) في الاصل : وأنفاس .
(٢) » » : صلاد من .
(٣) كذا في الاصل . والغرار : القليل من النوم . وهو جمل الغرار فاعل أنيلت .
(٤) في الاصل : هشام .
(٥) لم أجد « شرافات » بمعنى شرفات .
(٦) في الاصل : انجدارها ، ولعلها بالحاء المهملة .

وبيتـــه الكفار وهو منوم		فخابت مكيدات اشين شنارها
وقـــام عليٌّ في فراش نبيّه		يفدّيـــه بالنفس النفيس انتصارها
ومرّ رسول الله للغـار فاختفى		عن الأعـين الرُّمد الهزال ازورارها
وأبدت بـه من حوكها عنكبوتها		نسائج للمختار سيق استتارها
فجاء وقـد جد السرى بسراقة		له من رسول الله كان ادخارها
وتلك التي ابدت عجائب طرفها		سِباقـاً بأرض قـد اثير غبارها
غداة جرى اثر الرسول فأدخلت		بهـا منـه أقداح أُطيـع ائتمارها
وفي قبضة الرمل التي [1] قد رمى بها		فعمّ جموعَ المشركين اقتـدارُها
وخدّت بخدّ الارض لما (...) [2] بها		ثمار وجـاءته وبان ابتدارها
وناجته أجناس السّلام [3] ، وسلّمت		وصلّى عليه [4] رملهـا وحجارها
وحنّ له جذع من النخل يابسٌ		كما حنّ في نُوق الفراق عِشارها
اناملها امواهها قـد تفجرت		فروّت عِطاشاً قد أتاها انفجارها
كأن عجـاج الاعوجيات فوقه		دياج على بدر امـــد إزارها
أليس عجيبـاً بين لحم ومن دم		تسيل ميـــاه لا يُرام انهارها
اليك رسول الله ما زلت شائقاً		أحنُّ فتهمي من دموعي غزارها
وأهفو لذكراك الكريم محبـة		فيخلع من نفسِ الغرام عذارها
ولولا اعتـلاقي بالنبي محمـــد		لصدّت يميني عن كتابي يسارها
وإني لراجٍ منّـة منـه في غدٍ		يعمُّ احتياجي وافتقاري اعتبارها
شفيع اذا ما النار كُبّ شَرارها		وأنجي أخيـار ، وشُبّ شِرارها
نمَته من الغرّ البهاليل عصبـــة		أطيل على سَمك السماك نجارهـــا

---

(١) في الاصل : الذي .
(٢) في الاصل : فراغ بمقدار كلمة .
(٣) السلام ، ج سلمة : الحجارة .
(٤) في الاصل : عليها .

بمدحك يا خير الورى الوحيُ قد اتى فأشجار ذاك المدح تجنى ثمـارها
اذا نطق القرآن فيك بمـــدحة فأمداحنا بالعجز سيق اضطرارها
نعمنا بميلاد النبي لأنـــه به النفس في عفو يقـال عثارها
لدى حضرة للملك فيها خلافة اقر على تقوى القوي قرارها
هم جالدوا قرنـــاً فماد لدى الوغى فأجري من تلك الدمـــاء مُمارها
من القوم قد فضّوا ببيض سيوفهم سواد صفوف قد اقيم مغارها
مطاعين ، والصبح استضاء اتضاحه مطاعيم ، والجُـلـّى اجيل اعتكارها
طِوال القنا ، شُم الأنوف ، وإنهم أباحوا المطايا حين تحمى ذمارها
وملكهم السامي الذؤابة فخره بـــه رص في بيت الملوك افتخارها
ابو عامر فخر الملوك اقيم [١] في مراقي عُلاهم ، حيث حل [٢] كبارها
مقام [٣] طروب الخيل والشرب من دم الاعادي مباح حين يُردى عقارها
كأن رماحاً هزّها في طعانهم اراقم لسع حين هيـــل غمارها
كأن الظبا منه ، وهام عداته جداول ترمي بالحصى وهو ثارها
وقد افرخت من حينها بنتائج اقامت كباراً اقعدتها صغارها
ابا عامر كمت لديك فوارس بأشمارها في الحرب يُرضى شمارها [٤]
تغلبت فيهم باحتكام حماسة على قطبك السامي ادير مدارها
امام الهدى : الدنيا اليك تخضعت وأوجهها طوعاً اميط اعتجارها [٥]

---

(١) في الاصل : انيم .
(٢) في الاصل : حل حيث .
(٣) « « : منام.
(٤) اشمر إشماراً : قتل . والشمار : العلامة في الحرب ، ولعـــل المقصود : كمت لديك فوارس يرضي شعارها ، باشمارها في الحرب .
(٥) أماط : ابعد ونحى . والاعتجار : َلي الثوب على الرأس ، او لف العمامة .

وسيق الى مغناك معتاد اهلها[1] وأملاكها قيدت وسيق تجارها
وبايعك الاعداء منها ، وحبّبت حبائبها ، اذ منك طاب جوارها
بأنصاح[2] سيف الملك حاجبك[3] الذي به راق آصال ، ورق ابتكارها
يقدم للمولى ابيك انتصاحه بتحبيب ايام اطيل اختصارها[4]
وهل احمد الا حسام به العِدا ابيدت مساعيهم ، وأُذهب عارها
ينبه مهما ايقظت حرب محرب لأنْ هو في حالاتها مستشارها
تحمّل في الاخوان قول ابيهم وصاة عليها طاب فيها يسارها
ابوك الرضا بالملك وصاه فيهم فأنجم ذاك السؤل ضاء ازدهارها
ومن بينهم من قاد خير خلافة اليك على طوع فأردي نفارها
حبوت برفع لا بخفض عواملاً نصبت ... [5] لما اقيم اختيارها
وخذها فآداب الدُّنى قد سمت بها وقد طاب منها نظمها ونثارها
أليست سيوف الملك سُلّت بها ، فما تطاق مضاء حين تنضى شفارها؟!
حوت من كثير المجد أبهى نهاية بما ليس نزراً حين يعلى نزارها

وقلت في ذلك المولد النبوي الكريم ورفعتها للقائم بالدولة الحاجب الفقيه الكاتب صاحب الاشغال السلطانية ابي العباس احمد بن الفقيه صاحب العلامة

---

(١) في الاصل : وساق الى معناك معناك أهلها .

(٢) تجمع نصيحة على نصائح ، مثل مديحة : مدائح . ولكنه جمعها هنا – كما يبدو – على انصاح كما فعل في امداح . انظر انصاح : ٨١ / و ، امداح : ٣ / ظ .

(٣) يشير الى حاجب السلطان ابي عامر : القائد احمد بن علي القبائلي . وسيمدحه ابن الاحمر في القصيدة التالية .

(٤) في الاصل : الميل اختصارها .

(٥) لم يترك فراغاً ، ولعل الكلام : نصبت بها ...

والاشغال السلطانية ابي الحسن علي بن علي القبائلي [1] :

تراءى [2] بجنب الحلتين نجيبها ... فجـد بمسيار الغرام نجيبها
٩٧/ظ ومرّت بليلى منه أينق سهده ... وشمس العشايا قد أبين مغيبها
فردّد من أخبـاره خبر لوعة ... غريبَ هواها قد أُذيق [3] غريبها
وإن الصَّبـا مهما تنسَّم عَرفُها ... يذوب فؤادي حين يهدي هبوبها
قريبة عهـد بالديار ، وانمـا ... مُنى كل نفس حيث حلّ حبيبها
أيا سرحة الوادي نـداءٌ مؤكَّدٌ ... فهل عطفةٌ للنفس ممن يجيبها
ضمنتُ على قلبي توقُّد وقده ... اذا ما جفوني يُستفاض غروبها [4]
ويستنجد النجديّ وجدي فينثني ... بنيران حُبٍّ ليس يُطفا لهيبها
وبين المغـاني من أغاني صبابتي ... تردَّد أنواع الهوى وضروبها
وأبكيت غيلان الطلول ، وإن بكى ... بما أعجز الباكين حيث خطوبها
أما آن من ليلى تعطُّف ساعة ... ليُدنى مع الإبعـاد منها قريبها
نظرتُ اليها والنوى زمّ [5] رحلها ... على حسرة والنفس زيدَ وجيبها
فأرسلتُ في إثر الركائب مهجةً ... عليهـا توالى شجوُها ونحيبها
أليلتنا بالسفح من سفح ادمعي ... مواطر أمـواه أسيل صبيبها

(١) ابو العباس احمد بن علي القبائلي « ... — ٨٠٢ » تولى الحجابة عن نفر من سلاطين بني مرين ، واستبد بالسلطة ، وحابى بالمناصب اقاربه — كما قال صاحب جذوة الاقتباس — الى ان اوقع به وبابنه عبد الرحمن السلطان ابو سعيد عثمان المريني . «جذوة الاقتباس لابن القاضي: ٦١ » . وذكره ابن الاحمر في روضة النسرين حين ذكر حجاب السلاطين ، ومدحه ومدح ابنه بعدد من القصائد ، ورفع اليه بعض الرسائل ، فيما يلي من صفحات هذا الكتاب .

(٢) في الاصل : ترءى .

(٣) بالاصل:أديق.

(٤) الغروب : الدمع .

(٥) زم : شد .

ولي بتعاليل اليعاليل [١] لوعـة ... اذا أُجريت لي بالقبول جنوبهـا
اذا لاح من ليلى تبرقع وجهها ... فذاك لحسن مـا به مـا يعيبها
٩٨/و ولو لم تكن تخفي الجمال لأدهشت ... برايا الدُّنى حسناً وشق جيوبهـا
أما كان كندي الجمال مبرقعاً [٢] ... مخافـة شبان تراع ، وشيبها
هـل الحسن الا رائع في ظهوره ... اذا انفس بالحسن هامت قلوبهـا
فأردافها كثبان عالج [٣] عالجت ... بها حسداً ، اذ هيل منها كثيبها
وقـد نصبت ألحاظها شرك الهوى ... فسيق لهـا من كل صب نصيبها
تغزلت في ليـلى ؛ ومدح محمدٍ ... معاليـه يسمى في السماء دؤوبها
اذا مـا جسوم بالذنوب تمارضت ... فمـا هو في برء الذنوب طبيبها
اذا الرسل بالافصاح طال مقامهم ... يطول رسول الله ، وهو خطيبها
وإن اظهروا بالمعجزات عجائباً ... فقد ريىء بالمختار منها عجيبها
اذا ما عصا موسى اعيدت يقودها [٤] ... له حية تسمى ، وخيف مصيبها
ففي الماء لما من اصابعه انهمى ... لمعجزة ، مـــا في البرايا ضريبها
وفي النهر لمــا جازه ومياهه ... به الأرض يروى حزنها وسهوبها
فلم تنـدَ أخفـــاف المطيّ بمائه ... وأمواهه مـا خيف منها رسوبها
وإن ميّتٌ أحياه عيسى ، فأحمـدٌ ... به حييَ الاموات إذ خر نيبها [٥]
٩٨/ظ وفي القمر المنشق ، إذ شقّـه به ... ثغور المنى راقت ورقٌ شنيبها
وفي البئر لمـا مجّ فيها حلت ، وقد ... أُزيل بهـا مرٌّ ، فطُـيِّب طِيبها
وما جــاء عن ظبي الفلاة وضبّها ... وأغنـامها إذ ذكره نال ذيبها

---

(١) اليعاليل : السحب او حباب الماء .

(٢) في الاصل : مبرقع . كندي : نسبة الى المقنع الكندي ، وكان يتبرقع لجماله .

(٣) عالج : موضع به رمل .

(٤) كذا بالاصل .

(٥) كذا بالاصل . وقد تداخلت الكلمتان الاوليان .

وفي طاعة الأشجار لما دعا بها فخدٌ بخدٍّ الارض منها قضيبها
وفي الشاة اذ ذابت عقارب سمها فخافت ، ولم يضرر هناك دبيبها
وفي السنّة الشهباء جاء دعاؤه فأحيا به ما قد أمات جديبها
وألزم بعد القطع كفاً فأعجبت نفوس بها في الله طال منيبها
وفي العين اذ سالت بخد قتادة وقد ردها لما ابين لغوبها
وسمّن من بعد السقام جسوم من بتقصير إتراف أُطيل شحوبها
اليك رسول الله نيران لوعتي فها هو شوقي الخارجي شبيبها (*)
يحنُّ الى مثواك قلبي علاقة (١) اذا ما نِداد (٢) العيس لب لبيبها
ويُرسل في الكف الخضيب مدامعاً يسيب (٣) بحناء النجيع خضيبها
هي النفس في آمال زورك سُؤلها ورغبتها في ان يتاح رغيبها
وللقلب تقليب على نار شوقه فتهتاج وقداً هيل منها قليبها
٩٩/و تحرّكه (٤) الاشواق وهي سواكن بنفس لجوج في الذنوب مريبها
هل الصب الا في سرى العيس قلبه يسير ، اذا يزجى اليك نجيبها
اثبني ولا منٌ عليك بمدحتي فجاه علاك الرحب جود اثيبها
بمولدك السامي اعتنى احمدٌ لأن بمليلته منه ابين وجوبها
صنائعه التقوى ، مصانعه العلا منائحه ترضى ، ويرضى وهوبها
اشار بألحاظ الحجابة طرفه فنودي منها بالتي يستطيبها
فحل بها كالشمس في دار ملكها فما يختشى فيها عليها غروبها
لخطة سيف الملك والقلم انتمى فنسبته من ذين يعلى نسيبها

(*) شبيب بن يزيد الشيباني (٢٦ — ٢٧) من كبار الثائرين على بني أُمية .

(١) العلاقة : الحب اللازم للقلب .

(٢) ند البعير نداداً : شرد ونفر .

(٣) في الاصل : مشيب .

(٤) في الاصل : يحركه .

ويملي على الاقلام من فضل فضله ... فيملى من الافصاح منها أريبها
قبائــله فرعـاً وأصلاً تهابيت ... كما طال منها في المعـالي شعوبها
تنادَوْا لدى[1] التوحيد أسيافَ نصرة ... اذا هيج يوم الحرب منهم عصيبها
مساميح بسّامون للضيف ان عرا ... اذا مـا وجوه قـد ابين قطوبها
اذا سدّد الحجاب من سؤدد السّنا ... فسؤدده قد طال ، وهو حسيبها
وان قد تعدت أنفس عن مديحه ... فرب الـبرايا في التعدي حسيبها
٩٩ / ظ اذا ما بأغصان العلا نمّ مندل ... له بـين اغصان المعالي رطيبها
وان طربت للجود ابنـاء منّةٍ ... فأحمدهم بـين البرايا طروبها
بـه جاءت الأشعار يعذب طعمها ... فمـا هو منك آكل وشروبها
اذا جاء ذو الإحسان فيها لشاعر ... تساق القوافي حيث يسعى اديبها
أنا فارس الآداب لا ريب بي لأن ... افوق سباقاً حـين يجري خطيبها
تقر القوافي انني بحتريهـا ... واني على رغم العـدو ، حبيبها
وبالسهل اردي الصعب منها ولم اقل ... مقالاً بـه الآداب يردى دروبها
اذا لم يكن الا الأسنة مركبٌ ... فليس على المضطر إلا ركوبهـا

وقلت فيه :

من وقفة الحيّ رابتـه ربائبه ... وفي مساربـه سابت [*] مشاربه
وساقه من وسام الدار سائقه ... الى التتيم إذ قادتـه كاعبه
وما هفا البرق نجديّ الوميض له ... إلا وذكـّر من حب حبائبـه
وان للبان [2] فيه من ابانته ... وجد جديد (فما) [3] تبلى مآربه

---

(١) في الاصل : ينادو الذي .
(*) ساب الماء سيباً : جرى وذهب كل مذهب .
(٢) في الاصل : لبنان .
(٣) زيادة لا بد من مثلها ليستقيم الوزن .

ومن دوين وديّ البان بان له ... مذ بان (١) حين نوى تزجى ركائبه
١٠٠/و حي الحيام عهود الرمل معهد من ... يجدد الشوق ، والذكرى ملاعبه
في رمل عالج عالجت العنا وعنا ... مـــني الفؤاد لظبي طر شاربه
وفي الرياح تعاليل العليل بها ... من شوق شوق هوى فيها يواكبه
اسكت قيساً وقيساً في الهيام به ... والوجد غالبني اذ لا اغالبه
وغل غيلان دوني حين عروته ... ماء الوتين به قد حل ساكبه
والحق يوحشني تفريق مبعده ... لكن بـه الأنس مهما رد آيبه
وإن طوى الركب منه فيح مهمهه ... فالقلب يسر ما تطوى ركائبه
مبلبل اللحظ ، بالي لا يبل به ... غليله ، وفؤادي لا يجانبه
ابدى بسالفتي خديه نونهما ... لما بخديه خط الحسن كاتبه
طلت نحور مناه من ثنيته ... فما انثنى لي من سخط يصاحبه
وظل يعذلني فيه العذول فما ... أُرى على سخطه فيه اعاتبه
وأحمد ايد التمليك منه لأن ... أُقيم الملك لحظ وهو حاجبه
حوى السياسة لما كان اوسطها ... والطبـع منه ذكي الذهن ثاقبه
ودبّر السيف ، والأقلام دبّرها ... فرفع الملك من هذين جانبه
١٠٠/ظ وبابن مقلة (٢) يزري خطه وبه ... انس ابن حسون (لما) (٣) راق صائبه
وان تفاصح يُنسى دغفلا (٤) حكماً ... بها (لدى) (٥) الفخر لم تدرك مراتبه
وبابن بلبل (اذ) (٦) يزري مبلبله ... لحظ الحجـابة من عين تراقبه

---

(١) في الاصل : متى بان ، وهو يخل بالوزن .
(٢) محمـد بن علي بن الحسين (٢٧٢ — ٣٢٨ هـ) وزير من الشعراء الأدباء ، يضرب بحسن خطه المثل .
(٣) زيادة عما في الاصل ، ولم يترك فراغاً .
(٤) دغفل بن حنظلة الشيباني (٠٠٠ — ٦٥) يضرب به المثل في معرفة الانساب .
(٥) في الاصل : لذا .
(٦) زيادة عما في الاصل ، ولم يترك فراغاً .

مشارقُ العز قد ضاءت بمغربه   من الفخار الذي ابدت مغاربه

فيه ولمت بديوان الصبابة اذ   تترى على رغد .. (١) مراسبه

وبهجة النفس منه قد قرأت بها   قطب السرور الذي راقت عجائبه

سرى الى العدل في طرف ابان بها   (نهج)(٢) الرشاد الذي قد ضاء لاحِبه

تُحصى مناقب من اسدى النوال بها   وما تعد وما تحصى مناقبه

سل عنه ماء السما لما تورّد من   نعمائه الخد اذ تهمي سحائبه

ضحاكه الجود ، والعباس سطوته   اذا يقام بأمر الله واجبه

اعيا بسحب ذيول الجود سابغها   فكيف تدرك في العليا ذوائبه

جفن التقى منه مكحول باثمده   ومذهب العلم زانته مذاهبه

وفي الحساب ارى الاحصاء من عدد   عنه تقاصر محصيه وحاسبه

كأن ما ملكت يمناه من كرم   جود به انهب الاحسان ناهبه

١٠١/و كأن شيباً تبدّى من سبلته   خط اللجين تراءى منه شائبه

كأن قامته من طول طائلها   غصن تقاوم لا شيء يجاذبه

كأن منه محياه ببهجته   بدر تكامل لا نقص يحاربه

كأن إذ نحف الجسم الجسيم علا   منه نحافة جسم راق شاحبه (٣)

وأي شيء بمذموم سوى سمن   كمثل ثور أثار الشحم طالبه

وجاء ان سمين العلم يبغضه   رب البرية اذ تترى مكاسبه

سيف افتخار أبي العباس فاصله   حد الشباة ، ولا تنبو مضاربه

وجزم حامله من نحو صائله   اقام حرف مضاء مد ناصبه

زمانه بالندى يثني عليه كما   تثني على هذه (٤) الدنيا حقائبه

---

(١) فراغ في الاصل .

(٢) زيادة عما في الاصل ، ولم يترك فراغاً .

(٣) يدافع عن رقة الممدوح ونحوله .

(٤) في الاصل : تثني عليه هذا الدنيا ، ولعل ما اثبتناه اقرب .

اما تراني خطيب العصر فيه لأن | بالشكر والحمد من ورد أخاطبه
يا فارس الخيل والأقلام حزت علا | سمت بأفق السنا منه كواكبه
اما حسودك لما مات من حسدٍ | اصابه من عذاب الله واصبه
ومن يكن لك ينوي ضر ضائرة | عليه قد ندبت هلكاً نوادبه
من قال انك بالقعقاع مقترن | لغا ، لأنك من فلّت ضرائبه
١٠١/ظ أو قال انك في حسن مقنّعه | الحسن حسنك لا شيء يناسبه
يا مخجل الديمة الهطلاء من كرم | عم البرية إذ [١] ابداه واهبه
حتى تورّد خد البرق من خجل | كأنك السيف إذ تدمى جوانبه
لي في امتداحك اشعار إذا ذكرت | تشرّف المدح ، واعتزت مناصبه
إذ لي ببيت ملوك العرب منتسب | ماء الفخار به سالت مذانبه
تحدو الحداة به والطي ينشره | بحيث تعطو بناديه ربار به
والعقل يعقل من معقول جودته | والصبر يصبر إن بانت اسالبه [٢]
خذ من نظام ابن ملك خزرجي به [٣] | ذل الأعاجم إذ عزت اعاربه
وفي ذؤابة قحطان يمتُّ الى | ملك تعصبت العليا عصائبه

وقلت فيه :

له في لبانات التتيم آمال | بأسما ، وأثواب التصبر اسمال
وان سجعت ورقاء في فنن بكى | وحنّ لأطلال بها الدمع هطال
رسوم بها رسم الغرام مقيد | به قيد من قاضي المحبة اعمال
ألفت بها ظبي الخميلة سانحاً | وبارح وجدي غصنه منه ميال
١٠٢/ و تعلقت منه قده وهو اسمر | بأبيض جيد منه ما هو معطال

---

(١) في الاصل : اذا .
(٢) كذا بالاصل .
(٣) كذا .

وشاوس مـن عينيه اسهمها التي ... بهـا شفرها اصمى الحشا وهو نبال
ولا كالتي تاهت بوصفي شعرها ... واردافها ترتـج إذ هي تنهال
بها استروحت بانيّة نسمة الهوى ... بمن بان لمـا بالنوى بلي البال
تولد من خاليه مـا عمه جوى ... تورد خد فيه قـد خلل الخال
امسرى الصبا من دار ليلى صبابتي ... صبوت بهـا لما تأصل ايصال
ويا تلعات (١) الحي هـل بكر اللقا ... تعـاود من شاقتـه بالتوق آصال
أفي دار ليـلى وقفة مستعادة ... وهل ركب تقريبي ، فها هو محلال
هي الدار لا انفك عن سيلاتها (٢) ... سؤالاً وتسآلي لمـا هو آمال
حديثي لهـا سلسلت في سند الهوى ... صحيحاً بـه قد طيب القيل والقال
أليلى ندائي في هواك اليك لي ... بـه صحة من مسقم فهو ابـلال
ألا في ضمان الله هودجك الذي ... يخد بـه البيداء وخد وإرقال
حمته الظبا دوني ومن أعين الظبا ... حواليـه اشباه لهن وأمثال
سعين على الاقـدام ، كل خديرة ... امامك تزهى بالجمـال وتختال
١٠٢/ظ ويمنع ان يأنفن ما قد صنعنه ... وفاء لما يعجزن عنه وإجلال
اذا لم تقربني وسائل لوعتي ... اليك ولم تقبل لدمعي ارسال (*)
فان حديثي سوف يأتيك مرسلاً ... تسلسل فيـه القول عندك اقيال
فان كنت قد أنسيت عهدي (٣) سأعتري ... ببالك ، لا يألوك عنيَ تسأل
انا ابن الوغى ان كنت جاهلة فما ... وعيشك اهلوك الجمـاهير جهال
نمتني من قحطان ازكى عصابة ... اذا عد ابطال ، وأسقط بطّال (٤)

---

(١) التلعة : القطعة المرتفعة من الارض .
(٢) كذا بالاصل .
(*) الرسل : القطيع من كل شيء ، والجمع ارسال .
(٣) زيادة لا بد من مثلها .
(٤) في القاموس : البطال : ذو الباطل ، المتعطل .

فلا تحسبي ريح الهياج عقيمة   فإن لها يوم الوقيعة انسال
وإن ركمت سحب القتام فإنما   بوارقها مما اجرد نصال [1]
لئن طوّحت بي في البلاد طوائح   وأودى بسربي في المهامه إجفال
وألقت بي الأيام كل عظيمة   فجاءت كأمثال المواكب تنثال
فمن قــدر لا يستطاع دفاعه   وقد يعجز الحول[2] الفتى وهو محتال
وقد يُذعر الضرغام وهو ضبارم   وتأتي عليه بالغوائل [3] اغيال [4]
ويدركه عن بعض آرابه الونى   ويعوزه ادراكها وهو رئبال
على انني مـا قلت يوماً لعثرة   لعاه ، ولا حلّت عرى عزمتي حال
١٠٣/و ولم اتعلل بالأماني احوزها   بذل ، ولو علّ الجوانح إعلال
كفتني هذا كله اي همة   لها غرر في المعلوات وأحجال
تلفعت من ظل المعلّى بسابغ   فلي فوق عُلوي الكواكب اذيال
وحسبي متى رُمتُ المزيد جنابه   علا أزدهي تيهاً لديه ، واختال
يسربله الامداح منيَ مقول [5]   عليــه له من كل نعماء سربال
صرفت عنان المدح عن غيره له   فلم يلقني إلا نجاح وإقبال
والقيت رحلي من حمـاه بأوحدٍ   تقول بني الافضال مـــا هو قوال
اقــل عطاياه متى جئت زائراً   وأنزرها ألا يروعك إقــلال
له ان تشأ جودٌ خضم غطامط [6]   ولكنه عــذب المشارب سلسال
تود الغمار الطاميات لو انهــا   ثماد لمــا ينساب منه ، وأوشال

---

(١) النصل ج نِصال ، بتخفيف الصاد : حديدة السهم والرمح .
(٢) الحول : الحذق وجودة النظر .
(٣) الغوائل : الدواهي .
(٤) الغيل ج اغيال : الأجمة .
(٥) المقول : اللسان .
(٦) بحر غطامط : عظيم الموج .

له حرم لا يستضام نزيله ... فاحرام من يـأوى هنالك إحلال
نمته من التوحيد من ثُلمت بهم ... سيوف لئام جسّموا ، وهو تضلال[1]
من الباذلين الرفد والبذل من هم ... بحار كما تهوى المعالي وأجبال
زكوا منبعاً قدماً وطابوا ارومة ... وطابت فعال من لدنهم وأقوال
١٠٣/ظ بعاد اذا ريعوا قراب اذا دعوا ... غيوث اذا استجدوا ، ليوث اذا جالوا[2]
أآل العلا مدت خطاكم ، وقلصت ... ظلال معاديكم ، وهالته اهوال
بنى لكم بالجد شاهق صولة ... من اختار منكم احمداً وهو صوّال
وسدد [3] منه للخلافة حاجباً ... إذا جاد لا يكدي ، وان جد لا يالو
اقاليمه اقلامه صرصرت بها ... مضاء ورعد[4] السيف ان راع صلصال
اذا ما بغابات اليراع اسوده ... تحل ، فأقلام له هي اشبال
وان هز منها وسط كف قناتها ... بها يعتني ، ما منه فضل وإجمال
وتبدو عليه نخوة علوية ... بعلويها تسمو [5] القرابة ، والآل
وان غازلت بدر الثنا فيه بدرها ... فجمل منها بالإنارة إجمال
وما بين سوح المجد منه مجادة ... تساق نياق إذ تنوّخ اجمال
وإن عرّس الوُفّاد في ربع بذله ... تقاد المنايا منهم وهي قُفّال
وتلقى به الاعداء في نكباتها ... عقارب لدغ حيث تُلسع اصلال [6]
ويعروهم منه بتعزاز سطوه ... لدى[7] الملك في التحجيب ، ضيم وإذلال

---

(١) كذا بالاصل . والتضلال : الباطل .
(٢) في الاصل : حال .
(٣) » » : وسد ، ولعل الصواب ما اثبتناه .
(٤) » » : وعد ، ولعل ما اثبتناه اقرب .
(٥) في الاصل : علمية لعلميها ، ولعل ما اثبتناه اقرب .
(٦) اصلال ج صل : الحية .
(٧) في الاصل : لذا .

١٠٤/و دعوت له سراً وجهراً بعزه ... كذاك دعاء المرء للمرء فعّال
حجابته قد امنت بي تفاؤلاً ... من الخوف لما بالدعا أُيد الفال
وغزلان مدحي فيه تعطو تمادحاً ... وقد زينت منها صدور وأكفال
بمرآه هللنا جمالاً اذا بدا ... ومـا إن لنـا بالمالكية اهلال
وقور سكون لا يطيش بعقله ... اذا ما اخو طيش يحركه الخال (١)
ويرتاح في بذل الندى اسؤوله ... اذا غيره للمعتفي ماله خال (٢)
ويعطي الكسا من وشي صنعاء معلم ... بها طرزها ، فيها برود هي الخال (٣)
وُسحب نداه ليس يخلف قطرها ... بها المزن وكـّافٌ هما ساقه خال (٤)
يخالون من مرآه حسن وسامه ... لقد صدقوا فيما بمرآه قد خالوا (٥)
عِـداه من الارهاب منـه تماوتوا ... وسجّوا على ارماحه اذ هي الخال (٦)
يضعضع من رصّ الفخـــار يلملم ... وينحط اعظاماً لمفخره الخال (٧)
تسامى بسيماء الفضائل كلها ... كما ساد في عليائه العم والخال (٨)
ألا (يا) أبا (٩) العباس، ضحاك (١٠) من حبا ... جدا الجود حلت منك اذ ليس إقفال

---

(١) الكبر .
(٢) الرجل السمح .
(٣) برد يمني .
(٤) سحاب لا يخلف مطره .
(٥) ظنوا .
(٦) البرق .
(٧) الجبل الضخم .
(٨) اخو الام .
(٩) زيادة ، وهي ساقطة من الاصل .
(١٠) يكنى احمد بن علي القبائلي بأبي العباس ، وقد استفاد الشاعر منه هذا الطباق .

بقيت على الأيام يهنـا بك العلا ويلقى احتفاء ما تروم وإحفال [1]
١٠٤/ظ وعُمّرت حتى تحتوي الأمر كله وتشغل حُجّاب الدُّنى لك أشغال

وقلت في التجنيس :

لي في التغزل في هواك قصائـــد ... [2] الشعراء في تهذيبهـــا
تركت بأكباد النحاة وساوساً من حسن رقتها ، غدت تهذي بها

وقلت فيه :

سقاني خمرة الأشواق لمـــا بفعل الصد دان ، وبالنوى لي
وأبدى البخل في قرب على من ببـــذل الود جاد وبالنوال

وقلت فيه :

سقى ليالي قـــد فزنا بألفتها والقلب مـا إن عراه كسر تنوين
لذا [3] التقارب فيها منك ، ثم بهـا رميت سهم النوى في حين تنويني

وقلت في التكرار من علم البديع :

هيامي والغرام بـــكم وشوقي عذابٌ في عذابٍ في عذاب
وقربي والتعطف والتداني صوابٌ في صوابٍ في صواب
وطردي والقطيعة والتنائي عقابٌ في عقابٍ في عقاب

---

(١) لعله يريد احتفاء واحتفال . ولم أقف على احفال .
(٢) كذا بالاصل ، ولعل المقصود : قد امعن الشعراء في تهذيبها .
(٣) كذا بالاصل ، ولعلها : لذّ .

١٠٥ / و وقلت في رد العجز على الصدر من علم البديع :

من دمه في دينه صانه بالبر ما إن يخش من مندمه
والمحرم المقطوع إيصاله من جاءه حلت به المحرمه

ومرض السيد الحاجب الفقيه الكاتب احمد بن الفقيه الكاتب صاحب العلامة والاشغال السلطانية علي بن علي القبائلي الموحد ، فقلت اخاطبه :

نشر الله يا عمادي جلالك وسقى بهجة الجمال خلالك [١]
كيف اصبحت في المساء ببرء لك يأتي ملازماً إبلالك
كحلت بالسهاد منك جفون إذ بسهد السقام خرتَ اكتحالك
وكتاب الشفاء تقرأ لما كان برء العليل يملي اعتمالك
لم اكن صابراً غداة اتاني مخبرٌ [٢] بالسقام ، ابدى اعتلالك
جيد حالي عليك ليس بحال اذ تشكيت ، اصلح الله حالك !
وجلا عنك ظلمة السقم حتى من يمين الشفاء تُدني شمالك
١٠٥/ظ كيف بالصبر لي عليك وإني ضائع الحال ، من يعد عيالك
انا من لم أرى سواك عماداً بين من في الورى تدرّ ظلالك
كم مريض رفعته لك وداً مستميلاً اليك ... [٣] مالك
يا عمادي محبتي لك صفو ودُّها لم يشب ، وسائل كالك
لم يُسلَّم لغيرك الفخر إرثاً عن ذوي الفخر والعلا ما خلا لك
ما خلا عصر سيد من نظير وعدمناه مذ رأينا خلالك
دمت في رفعة ففوق الثريا لا تروم الخطوب فيها اغتيالك

(١) في الاصل : حلالك .
(٢) في الاصل : مخبراً .
(٣) في الاصل : فا.. ، ولعلها مقتطفة من كلمة .

وعثرت به فرسه الشهباء بجسر باب السلسلة من فاس وهو راجع من زيارة قبر الفقيه ابي حيدر المدفون بباب بني مسافر فقلت اخاطبه :

(و)[1]ما عثرت شهباء خيلك من عنا سوى خيفة من راسخ العلم والفهم
لهذين ألقت نفسها اذ كبت على اديم الثرى عجزاً عن الحمل للشهم
ولا بأس في ذاك العثار لأنه يفديك من سوء يردد في الوهم
وإن الذي ينوي اليك عداوة يهان بضرب الأصبحية[2] بالجهم[3]

١٠٦/و وقلت اهنئه : بهلك النصارى – دمرهم الله تعالى – في بحر سبتة على يد ابنه القائد الفقيه الكاتب النحوي عبد الرحمن :

ولما بدرٌ العدل مهدت بره بعثت ابنك السامي فطاع له البحر
رمى ثغرة البأساء منه بسلم اصيب بذاك الرمي من كافر نحر
فمن احمد ، قل للنصارى ، ونجله : رميتم فمنكم مُزّق النحر والسحر[4]
وإن جمعوا كيداً وجاؤوا بسحرهم جعلت عصاك السيف فانبطل السحر

ولدغته العقرب بخبائه عن محلة سلطانه أمير المسلمين ابي العباس المريني[5]..

ومن بعض ما صدر عني في التورية واللزوم بالكتب العلمية : من ذلك قولي اهنىء به الحاجب عماد الدولة الفقيه الكاتب صاحب الاشغال السلطانية

---

(١) زيادة عما في الاصل .
(٢) الاصبحي : السوط .
(٣) وجه جهم : غليظ كريه . قال في اساس البلاغة : ويوصف به الاسد .
(٤) السحر : الرئة .
(٥) سقط هنا أسطر لا ندري عددها .

أبا العباس احمد بن الفقيه الكاتب صاحب العلامة والأشغال السلطانية : علي ابن علي القبائلي الموحد ، في عبور ابنه الفقيه الكاتب عبد الرحمن البحر الى ١٠٦ / ظ الأندلس في غرض [١] الرسالة الى ابن عمي السلطان المستغني بالله محمد عن [٢] السلطان المستنصر بالله احمد المريني : [*]

هناؤك بعابر البحر الزاخر ، هو قطب السرور للمفاخر ، والقدح المعلى للمفاخر ، والتاج المحلى للفخر الفاخر . والتهنئة به قد وجبت عن التيسير ، والتسهيل من نحوها لم يعد بالعسير . وهو المحفوظ بعرفان العوارف ، المكلوء بعيون المعارف.فابعث له من دعائك الصالح بالحلية، وامدد من زاهره برجاله العلية . فدعاؤك زاد المسافر ، والمصباح السافر . فمن كثب يحل بك تحفة القادم ، وغنى الفقير العادم . ويطلع بين يديك كالشهاب ، ويبرد من قلبك الزند بعد الالتهاب . فهو بهجة المجالس ، ومؤنس المجالس، وجليس الغريب ، وأنيس الأريب ، وابن الحاجب الأصلي ، وواسطة قلائد العقيان بالافصاح الفصلي ، وأنت جمهرة الحسب اليفاع الوسيط ، والخلاصة اسراج الملوك بالمغرب والبسيط . وجواب [٣] نطقك هو استيعاب الكلام ، وجميل هديك ١٠٧/و وهو تقصي مآثر الأعلام، وذكر ربك هو قوت القلوب،وبعيد فرائدك هو غاية المطلوب . وموطأ جنابك هو لأحاديث الفضائل مالك ،

---

(١) في الاصل : عرض .
(٢) في الاصل : بن ، وهذا تصحيف لا شك فيه .
(*) وليالمستعين بالله محمد بن يوسف النصري عرش غرناطة من٧٩٧ حتى٨١٠ ، اما ابوالعباس احمد المريني فقد توفي في محرم ٧٩٦ . ومعنى ذلك انه لم تجر مراسلة بينهما ، بداهة. وجاء بعد ابي العباس ابنه عبد العزيز ، ولقبه ايضاً المستنصر بالله مثل ابيه ، وحكم ما بين محرم ٧٩٦ وصفر ٧٩٩. وجاء بعده اخوه عبدالله ، وتلقب بالمستنصر بالله مثلهما ، وحكم ما بين صفر ٧٩٩ وجمادى الآخرة ٨٠٠. ولعل السلطان المذكور هو الغني بالله محمد النصري ، وليس في بنيالاحمر من تلقب بالمستغني .
(٣) في الاصل : وجوابها . وما اثبتناه اصح ، بدليل الفقرة التالية .

ومدارك فهومك هي تهذيب المسالك . فـاذ (١) حويت تكملة العلم الشامل ، وقرأت تيسير محكمـه الكامل ، فمقالك في المعقولات هو الباهي والباهر ، وكلامك في المنقولات هو الزاهي والزاهر . وهداية رعايتك قائمـــة باحياء علوم الدين ، وارشاد ايضـــاح نصحك هو منهج العابدين ، وثناؤك روضة الأزهار ، وطرق محامدك سُبل الخيرات ، والجمل من اعرابك هو المقدمـات للمسرات ، والجمل من بدائعك قام به التفصيل، واتساع باعك في المذهب هو البيان والتحصيل . وبذكرك تعطرت النوافح الطيبية ، وتزين رقم الحلـــل الخطيبيـة ، ووشيت عرائس الأمراء ، ونشئت نفائس الوزراء . ورددت فرائد الأذكار ، وقرئت مسائل الاستذكار ، واستملحت خريـدة القصر ، واستملحت جريـدة النصر . وحسن الوجيز ١٠٧/ظ والوافي . واستطيب حديث علم القوافي. واستثر خبر (٢) الأشعار، وافتخر بحماسة الأشعار، ورقت انباء صبا نجـــد ، وبردت الجوانح من قبس الوجد . وانك من سنا شرفه المستضي، وسائل جوده الرضي، وخادم حقه الجازم المهتدي، ومطيع تحصيل فضله المقتدي . وجود كفه الفياض نهره بالسفاح . وطهارة كفه ما صافحتها يد السفاح . وحاز حوزة (٣) المأمون مـع المعتصم ، ويربط جاشه المستوثق غير المنفصم.ورأيه للسداد الرشيد والموفق ، الذي مذانب اجادته تتدفق(٤). فلا زلت في حرز الأماني محفوظاً . مرعياً بالرعاية التي عـــاد منها من ناواك ملفوظاً . والألطاف الآلهية بـك ألقت رحلها . وروضة النسرين بناديك الندي أذهبت محلهـــا ، وريحانة الكتاب تهديك نشرها ، وأوجه مشارق

---

(١) وردت هذه الصيغة في عبارة المؤلف في الصفحة ٢ من الكتاب . انظر الهامش (١) .
(٢) كذا بالاصل ، ولعلها استوثر بمعنى استكثر .
(٣) في الاصل : حوزته ، ولعلها تصحيف .
(٤) لابن الاحمر ولع في استخدام ألقاب الخلفاء والسلاطين . انظر روضة النسرين ٧ — ٨ ، ومستودع العلامة : ١٩ .

الأنوار تبدي اليك بشرها ، والتحف والطرف مع عيون الاخبار ، تأتيك بمزيدات السرور بالاعظام والاكبار .

١٠٨/و وقلت أهنئه فيه موريا بأسماء الكتب :

هنيئاً بعنوان الدراية . والكافي بالجراية. الموضّح الواضحة ببيان الرسالة. ومورد الظمآن بالمستعذبات المُسالة . المصباح المسرج . الآيب بالمدارك عن الخزرج . الواصل بصلة العائد للعائد، ومسنّي أسنى المسائل، للسائل السائد . فهناؤك به المقصد الأسنى ، الناظر عن عين التبصرة بالأسماء الحسنى . ولما أتتك منه المقدمات بالبشائر ، بعثت له بالأجوبة من خير العشائر . وقد صحّ عقد اتصالكما عند قاضي الاجتماع بالاكتفاء . ومؤلم الشوق أتاه من تحفة القادم برء العليل بالشفاء . ولطالما أورَت جوانحك لنا به سقط الزند ، واشتمّ أنف شوقك روضة المشتاق ، من دون العرارة والرّند . فأخمدت نار قبس الوجد ، بعذب المعونة ، وجانبتَ تلبيس إبليس ، ١٠٨ / ظ في وساوسه الملعونة . وكان مقدمه عليك سلوة الأحزان ، واستيفاء الوافي في القوافي والأوزان. وقُرىء منكما الشامل والجامع ، وحُفظت في طول عمركما الألفية، فطُيّبت المسامع . فقرّ عيناً بابن الحاجب، والمستصفى من المناجب ، وافخر فأنت صفوة الصفوة . وملقى التلقين لذي الهفوة . ومن زهر البستان منك تعطرت النفحات النجدية، ومن الولوع بالخلوص اليك توّقلت النفحات الوجدية. وأنت مقمع الملحدين ، ومجمع الموحدين ، وان علمك لهو البسيط والمُحصّل . وخصر حبك فيه زيّنه الوشاح المفصّل . والقواعد منك بها هُذّب التهذيب. والروض المريع منك ما هو الجديب . وأنت ملمح الأبصار . والمطمح للانتصار ، والمنة الراقية [1] . واليك من الخلاصة التّحف مع الطُرف ،

---

(١) لعل جملة سقطت .

هناء في طلوع الشهاب بسماء الشرف. ففروعك طهّرتها أُصول البيان، وإقامة الحجّة بنجباء الأبناء، على محاسن الأعيان. وتعصّبتَ بالتاج المحلى، وازدهيت برصائع قلائد العقيان ١٠٩ / و . فلا زال الارشاد من ابي المعالي ابن رشد، ولسان القدح المعلى بلسان أدب الكتّاب ينشد :

أنا المثــل السائر المنتقى   من الجود لما هو المستجاد
اهنّي به ُطرفة العصر مَن   اذا ُقلّد الفضل فهو اللّحاد

وقلت أهنئه بإبراز فرش عرس ابنته للنُّظار بشور مخدومه امير المسلمين المستنصر بالله عبدالعزيز المريني من المدينة البيضاء من حضرة فاس في عــام سبعة وتسعين وسبعمائة، وهي لزومية :

اهـنىء سيدي بابراز فرش العرس للعيان . بحيث اشرقت شمس الأنوار القبائلية على الأعيان . وأمدت يد الضراعة في دوام أضوائها الى الملك الديان. وصلصل لسان إفصاح امداحها المعرب بالبيان، وورد من علم بديعها التعريف بكناية البيان . وافتر ثغر السرور بالفرح في كل الأحيان . ورفــع تأمير حجابتها ملــك الوليد بن الريان . وسكر من خمر العزة ١٠٩ / ظ مفخرها فهو بالطافح الريان . فهو الإبراز الذي فاق بالمفاخر، وأرغم بفخره الفاخر انف المفاخر . او ليس البيت الموحدي والنسب القبائلي مثواه ؟ ونفس صبا التشريف ارسله مسراه، ولسان المعلوات يقول ما اسراه ! وأغصان سرحة الحجابة عليه قد انعطفت، وأيدي اشغالها وعلامتها من ثمارها قطفت . فالله يجعــل ايام سيدي ممتازة بالأعراس والولائم، كما جعله لخرق العسر باليسر الراتق الملائم .

وقلت اخاطبه، حين انشأ الاجفان بوادي سبو من فاس في عـــام سبع

وتسعين وسبعمائة :

لما عام الجفن في الماء بالأسماء ، تلاعب التجنيس بالعقول تلاعب الأفعال بالأسماء. واحتل من صدر الوادي بسحره، نفث لسان ابداعه بحلال سحره. وجرى جريان السلامة الى نحره . فخاض خضارة [1] بقدم حد نحره . وراهن المراكب ففاز بخطر السباق [2] . والقاعد به هو ١١٠ / و القائم بثبوت الطاعة بعد نفي الإباق . سيأتي بيمن منشئه الأسرى ، بالغنائم من زمر الأسرى . وهو الطائر بأجنحة المجادف . المستعملة اقلاماً لخطوط الماء من القاذف . ان شبه بالهلال فهو الشبيه ، او نبه على انه كقزح فهو التنبيه. وان جعل في النعت كالقوس ، وفي الجري كالأوس [3] ، شهدت بذلك الخزرج مع الأوس.فافخر ايها الجواد العماد، الذي حمد من ورده الغمر والثماد. السقي في الوادي ، حيث الفحص الأفيح النوادي ، ومقر الفخر في ذلك للبادي بالوادي : من عصابتك الموحدية ، وإصابتك الأبدية ، ونفاستك الاحمدية ، وبأستك الأمدية . فالفخر لما تقدم للآباء من اشرف الحباء ، وسيرهم في ذلك اقتفيت ، وبوعد هديهم وفيت . وانك لمبتدأ خبر الفضائل، ونعت حال تمييزك فيه ليس بالضائل [4] . وواو عطفه عليك عائدة، وذات جودك لمن يضر الفقر بالغنى عائدة . وحمام رعايتك صداح ، وزناد مواهبك قداح ، فلسان الشكر به بواح ، ونسيم عطر الثناء عليه فواح ١١٠ / ظ والهناءَ الهناءَ ! جئت اليك اهرول ، وعلى خط رحلته بسدتك اعول .

---

(١) خضارة : علم للبحر .
(٢) في الاصل ، بخطل .
(٣) الأوس : الذئب .
(٤) ضؤول الرجل : صغره .

وقلت اخاطب صاحبنا الفقيه العدل أبا عبدالله محمد بن علي الصباغ العقيلي الغرناطي :

الخليل الذي عرضت سور فضائله فما صدت ، وجليت صور محامـده فما ُردت ، ولم تزل من انهى انهار الواردين ، وأزهى ازهار الرائدين ، وأفرع حياض المتخلقين ، وأمرع رياض المتأنقين . ان استروحت خمـــائل الأعلام كانت انـدى بليلا ، او استملحت دلائل الأعلام كانت اهـدى دليلا . بل احواله استغنى بها اهل الرقائق عن حالهم ، ولازموا التشبيه بهـا في ِحلهم وترحالهم . وأجهد نفسه الطالب اللبيب في انتسابها ، وأبعد انسه الكاسب المصيب في اكتسابها . وعدها ذوو العلم من انهى مفاخرهم وأعدها اولو الحلم من ابهى متاجرهم، حين تشرفوا بعلائق اصلها ، وتشوّفوا الى خلائق فضلها. وراهنوه في حليتهـــا باللطيم والسكيت . وخاطروا طامعين في ادراكها ١١١ / و بالكيت . فجاء طرف تقدمه عليا ، وأقبل قوس طمعهم في طرقها نضيّا [١].والمدرك الذي باعه في العلوم راسخ،وحسام ِمقوله لعرف الحيّ هو حاسم فاسخ ، وحديقة علمه نثرة الزهر ، وتفننه المفتن نظم النجوم الزهر ، وإصابته في حججه بهـا ينادى بالمناضل المناقش . ولم تبرز كمالاته للنقص في ألوان أبي البراقش [٢] . المستعطف للاخوان ، بود لم يحلل بساحته ما ُيكره من العدوان ؛ لو حصل المروع زياد بن عمرو [٣] ، ما سكن من فرق النعمان بغير خمر . ولو أتى بمثله وعيد ابي قابوس ، ما حل به في بأسه لباس بوس .

أما بعد :

ايها المغرب بالإصابة عن أدبه ، والمعرب باللبابة عن اربـه ، فإن الدهر

---

(١) السهم النضيّ : الخلق ، الذي فسد من كثرة الرمي .

(٢) ابو براقش : طائر صغير كالقنفذ ، اذا هيج انتفش فتغير لونه ألواناً شتى .

(٣) زياد بن معاوية (النابغة الذبياني . . . — ١٨ ؟ ق. ه) شاعر جاهلي من الطبقة الاولى.

كدر شربي ، وروعت خطوبه سربي . وهو الدهر ليس له رقـة ، ولا يقبل بقبول السلامة وهي مسترقة ، بل يترك الفاضل دوامـاً رهين الأين ، وغريم القفر [ين] البيد والبين ، تتهاداه الهوادي المستغربة والغوارب ، وتتقاذف به مشرقة المشارق والمغارب . فلا يقر به من عدوانه في موضع ١١١/ ظ واحد ما حمد من قرار . ولقد يقول لسان حاله قد آن الترحال ، فما بعـد العشية من عرار [١] . فتضحى امهات يطوّفن في البلاد [٢] . وما انتج لها الممنوع الولادة من عقيم ، ولا نبّه كثرة تائه [٣] للاقامة قائمـاً من رقيم . والدهر كما هو معروف ، وجهه بالتقطيب للكرام مصروف . لكن المخلّص الذي اظهر لي محـــاسن الصحبة مائسات الاعطاف ، وخلوص وداده وروضه مستعذب الجنى في القطاف ، يبعث لي برسالة من رسائله التي اسفرت للبدائع عن نقاب، وعيون أعيان أهل الترسيل لسماء طلوعها ذوات ارتقـاب . حيث بهرت في الرتب رتبتها، وظهرت فوق النسب نسبتها،وقرت بها عين خاطبها، وشرفت بها نفس مخاطبها ، ليذهب بهـــا من الغم عطفه وتوكيده ، ويزيح بجمل تفصيلها عن الواله تنكيده . فابعث لي بها ايها الماهر الذي انقادت له ركائب الآداب بأزمتها ، وتجلت له شمس البديهة عن ظلمتها. فهي رقيـة السليم [٤] . وبغية ذي القلب السليم . ١١٢ / و ومُمسكتة صولة ابن السليم .

ولتكن لزوم ما لا يلزم ، فكل ذي قدم في الانشاء بهـــا هو الحزم . وإنشاؤك قد وشيت ابراده ، وغشيت اوراده ، وتميلت في حديقة الاجادة

---

(١) يشير الى قول الشاعر :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

(٢) في الاصل : « ... امها مطوفة ... » ، ولعل في العبارة نقصاً ، لعدم استيفاء السجعة واضطراب المعنى .

(٣) كذا بالاصل .

(٤) الملدوغ .

قدوده ، وتوردت من إصابتـــه خدوده . فصرفه مُلزم القوافي ، تكن في الأدب مزيد الخوافي ، والسلام .

* * *

هذا آخر مخطوطة نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان لمؤلفه اسماعيل بن يوسف
ابن القائم بأمر الله محمد ، النصري المعروف بابن الاحمر .
وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين .

محتويات الكتاب

١ ــ دراسة في حياة ابن الأحمر وأدبه

١ – مدخل الدراسة	٧
٢ – الفصل الأول : مقدمات عامة	١١ – ٥٩
١ – غرناطة	١١
٢ – بنو نصر في غرناطة	١٣
٣ – دولة بني نصر	١٦
٤ – المغرب في القرن الثامن الهجري	٢٤
٥ – دولة بني مرين	٢٦
٦ – بنو مرين	٢٨
٧ – الصلة بين بني نصر وبني مرين في القرن الثامن	٣٥
(أ) خطة الجهاد	٣٥
(ب) العلاقات السياسية	٣٨
(ج) اللجوء السياسي	٣٩
٨ – الحياة الاجتماعية في غرناطة والمغرب	٤١
(أ) أهل العدوتين	٤٢
(ب) المعاش والعمران	٤٣

٩ – الحياة الدينية	٤٥
(أ) سيادة الروح الدينية في القرن الثامن	٤٥
(ب) الاحتفال بالمولد النبوي	٤٧
(ج) بعض الظواهر الأخرى	٤٨
١٠ – الحياة الفكرية	٥٠
(أ) علوم الاوائل	٥٣
(ب) العلوم الاسلامية	٥٤
(ج) علوم العربية وآدابها	٥٦
(د) الكتاب والشعراء	٥٧
٣ – الفصل الثاني : سيرة ابن الأحمر	**٦١–٩٢**
١ – اوهام الدارسين حوله	٦١
٢ – اسرته ونسبه	٦٥
٣ – ولادته ونشأته	٦٩
٤ – ابن الأحمر عند بني مرين	٧٢
٥ – وفاته	٧٧
٦ – مع اعلام عصره	٧٧
٧ – مع لسان الدين بن الخطيب	٧٨
٨ – ثقافته وشيوخه	٨٢
٩ – تلامذته	٨٦
١٠ – عمله	٨٧
١١ – لقبه وكنيته	٨٨
١٢ – إعجابه بأدبه	٨٨
١٣ – ابن الاحمر في عصره	٩٠
٤ – الفصل الثالث : آثار ابن الاحمر	**٩٣–١٤٨**
عرض عام	٩٣

تفصيل في أهم آثاره ٩٩
١ – مقارنة بين نثير الجمان ونثير فرائد الجمان ٩٩
٢ – كتاب نثير الجمان ١٠٤
٣ – نثير فرائد الجمان ١١٢
٤ – روضة النسرين ١٢٥
٥ – مستودع العلامة ١٣٢
ابن الاحمر وكتب التراجم الادبية ١٣٧

٥ – الفصل الرابع : نثر ابن الاحمر وشعره وآراؤه في النقد ١٤٩–٢٠٢
– مقدمة في نثره ١٤٩
النثر الفني في الاندلس في القرن الثامن ١٥٠
أغراض نثر ابن الاحمر ١٥٣
خصائص نثره ١٥٧
– شعر ابن الاحمر ١٦٩
١ – نظرة في الشعر في عصره ١٦٩
٢ – أغراضه الشعرية ١٧٨
المديح ١٧٩
الغزل ١٨٢
الشعر الديني ١٨٦
الاخوانيات ١٨٨
٣ – خصائص شعره ١٨٩
– آراؤه في النقد والبلاغة ١٩٣
فضل الشعر ١٩٤
قوام الشعر ١٩٨
آراء متفرقة ٢٠٠
ذوقه في المختارات ٢٠١

٢ ـــ نثير فرائد الجمان

مقدمة التحقيق ٢٠٧ – ٢١٣

مقدمة المؤلف ٢١٥

الفصل الاول : في شعراء المشرق ٢٢١

١ – صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي ٢٢١

٢ – الشريف عبد العالي بن طاوس العراقي ٢٢٧

٣ – شهاب الدين احمد بن يحيى بن عبد الواحد بن ابي حجلة التلمساني ٢٢٨

الفصل الثاني : ٢٣١

النوع الاول من الفصل الثاني : في شعراء الاندلس ٢٣١

٤ – الشريف ابو القاسم محمد بن احمد الشريف الغرناطي ٢٣١

٥ – الشريف علي بن احمد الحسني الاحيمر المالقي ٢٣٥

٦ – ابو الحسن علي بن محمد بن سليمان بن الجياب ٢٣٩

٧ – ابو عبدالله محمد بن عبدالله لسان الدين بن الخطيب ٢٤٢

٨ – ابو عبدالله محمد بن محمد بن احمد بن جزي الكلبي ٢٩٢

٩ – ابو علي حسن بن يوسف بن عبد السلام الخزرجي ٣٠٧

١٠ – ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الساحلي ٣٠٨
١١ – ابراهيم بن عبدالله بن ابراهيم النميري الغرناطي ٣١٣
١٢ – محمد بن محمد بن احمد بن قطبة الدوسي ٣١٨
١٣ – يحيى بن احمد بن هذيل التجيبي ٣٢٠
١٤ – احمد بن عبد العظيم الأوسي الغرناطي ٣٢٣
١٥ – علي بن محمد بن علي العبدري ٣٢٤
١٦ – عبدالله بن محمد بن الشراط المالقي ٣٢٥
١٧ – محمد بن محمد العريف الغرناطي ٣٢٦
١٨ – محمد بن يوسف بن زمرك الغرناطي ٣٢٧
١٩ – محمد بن محمد بن عبدالله اللوشي الغرناطي ٣٢٩
٢٠ – احمد بن علي بن خاتمة الانصاري ٣٣١
٢١ – محمد بن عبدالله بن الجنان اللخمي الغرناطي ٣٣٢
النوع الثاني : في شعراء العدوة ٣٣٥
٢٢ – احمد بن شعيب الجزنائي ٣٣٥
٢٣ – ابو الحسن علي بن دلفة الهمداني ٣٤٣
٢٤ – ابو زيد عبد الرحمن بن ابراهيم بن الاشقر ٣٤٥
٢٥ – حمزة بن شعيب بن ابي مدين العثماني ٣٤٧
٢٦ – احمد بن يحيى بن عبد المنان الخزرجي ٣٤٨
٢٧ – محمد بن احمد بن محمد بن مصادف التجيبي ٣٥٦
٢٨ – محمد بن علي بن عمر الزناتي التجاني ٣٦٢
٢٩ – محمد بن يوسف بن احمد الشبوكي ٣٧٢
٣٠ – احمد بن محمد الدباغ الخزرجي ٢٧٦
[ترجمة مؤلف الكتاب اسماعيل بن الأحمر] ٣٧٧

فهرس التراجم حسب الترتيب الهجائي

١ – ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم النميري الغرناطي ٣١٣
٢ – ابراهيم بن محمد الساحلي ٣٠٨
٣ – احمد بن شعيب الجزنائي ٣٣٥
٤ – احمد بن عبد العظيم الأوسي الغرناطي ٣٢٣
٥ – احمد بن علي بن خاتمة الانصاري ٣٣١
٦ – احمد بن محمد الدباغ الخزرجي ٣٧٦
٧ – احمد بن يحيى بن احمد بن عبد المنان ٣٤٨
٨ – احمد بن يحيى بن عبد الواحد (ابن ابي حجلة التلمساني) ٢٢٨
٩ – اسماعيل بن يوسف بن محمد بن الأحمر ٣٧٧
١٠ – حسن بن يوسف بن عبد السلام ٣٠٧
١١ – حمزة بن شعيب بن ابي مدين العثماني ٣٤٧
١٢ – عبد الرحمن بن ابراهيم بن الأشقر ٣٤٥
١٣ – عبد العالي بن طاوس العراقي ٢٢٧
١٤ – عبد العزيز بن سرايا (صفي الدين الحلي) ٢٢١
١٥ – عبد الله بن محمد بن الشراط ٣٢٥
١٦ – علي بن احمد (الأحيمر المالقي) ٢٣٥
١٧ – علي بن دلفة الهمداني ٣٤٣

١٨ – علي بن محمد بن سليمان بن الجياب ٢٣٩
١٩ – علي بن محمد بن علي العبدري الوراد ٣٢٤
٢٠ – محمد بن احمد بن محمد (الشريف الغرناطي) ٢٣١
٢١ – محمد بن احمد بن محمد بن مصادف ٣٥٦
٢٢ – محمد بن عبد الله (لسان الدين بن الخطيب) ٢٤٢
٢٣ – محمد بن عبد الله بن الجنان الغرناطي ٣٣٢
٢٤ – محمد بن علي بن عمر الزناتي التجاني ٣٦٢
٢٥ – محمد بن محمد بن احمد بن جزى الكلبي ٢٩٢
٢٦ – محمد بن محمد بن احمد بن قطبة الدوسي ٣١٨
٢٧ – محمد بن محمد بن العريف ٣٢٦
٢٨ – محمد بن محمد اللوشي الغرناطي ٣٢٩
٢٩ – محمد بن يوسف بن احمد الشبوكي ٣٧٢
٣٠ – محمد بن يوسف بن زمرك ٣٢٧
٣١ – يحيى بن هذيل الغرناطي ٣٢٠

ثبت بمراجع الدراسة والتحقيق *

١ – ابن الخطيب من خلال كتبه – بقلم الاستاذ محمد بن ابي بكر التطواني – ١٩٥٤ تطوان .

٢ – الاحاطة في اخبار غرناطة – لسان الدين بن الخطيب – الطبعة الاولى – ١٣١٩ هـ . (شركة طبع الكتب العربية بالقاهرة) .

– الاحاطة : مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٥٥١٩ تاريخ، ونسخة اخرى رقم ٥٥١٨ تاريخ .

٣ – ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض – شهاب الدين احمد بن محمد المقري بتحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي – طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة .

٤ – الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى – للشيخ ابي العباس احمد بن خالد الناصري – نشر دار الكتب – الدار البيضاء بالمغرب ١٩٥٤ .

٥ – الاعتصام لابراهيم بن موسى الشاطبي الغرناطي – المكتبة التجارية بالقاهرة ١٩٣٢ م .

٦ – الأعلام (قاموس تراجم) : خير الدين الزركلي – الطبعة الثانية ١٩٥٤ – ١٩٥٥ .

(*) انظر أهم مصادر التحقيق ص ٢٠٩ – ٢١٠ من هذا الكتاب .

٧ – اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام – لسان الدين بن الخطيب – نشره ليفي بروفنسال بعنوان (تارايخ اسبانية الاسلامية) – دار المكشوف – بيروت – لبنان (آذار ١٩٥٦) .

٨ – الأغاني : لأبي الفرج الاصبهاني – طبعة دار الكتب المصرية – القاهرة.

٩ – اللمحة البدرية في الدولة النصرية – لسان الدين بن الخطيب – القاهرة ١٣٤٧ هـ .

١٠ – إيضاح المكنون (الذيل على كشف الظنون) لاسماعيل باشا البغدادي.

١١ – البديع في وصف الربيع لاسماعيل بن محمد الحميري – نشر هنري بيريس – الرباط ١٣٥٩ هـ – ١٩٤٠ م .

١٢ – بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد – لأبي زكريا يحيى بن محمد بن خلدون – طبعة الجزائر ١٣٢١ هـ – ١٩٠٣ م .

١٣ – بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – جلال الدين السيوطي – الطبعة الاولى – مطبعة السعادة بالقاهرة .

١٤ – تأسيس مدينة فاس – مجهول – مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم « ٩٧٣٢ ح » .

١٥ – تاج المفرق في تحلية علماء المشرق – مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٤٠٠ جغرافية . وهي رحلة ابي البقاء خالد بن عيسى البلوى .

١٦ – تاريخ آداب اللغة العربية – جرجي زيدان – دار الهلال بالقاهرة – مراجعة الدكتور شوقي ضيف ١٩٥٧ .

١٧ – تاريخ الأدب الاندلسي – الدكتور احسان عباس – نشر دار الثقافة – بيروت – لبنان « جزء عصر سيادة قرطبة » وجزء عصر الطوائف والمرابطين » .

١٨ – تاريخ الشعوب الاسلامية – كارل بروكلمان – نقله الى العربية نبيه امين فارس ومنير بعلبكي – بيروت – الطبعة الاولى ١٩٤٩ – نشر دار العلم للملايين .

١٩ – تاريخ العرب مطول – فيليب حتي ورفاقه . الطبعة الثالثة بيروت ١٩٥٣ ، الطبعة الاولى ١٩٥٥ – نشر مكتبة النهضة – القاهرة .

٢٠ – تاريخ الفكر الاندلسي – آنخل جنثالث بالنثيا – ترجمة الدكتور حسين مؤنس – الطبعة الأولى ١٩٥٥– نشر مكتبة النهضة – القاهرة.

٢١ – التبيان في علم البيان لابن الزملكاني – مطبعة العاني – بغداد – ١٣٨٣ : ١٩٦٤ .

٢٢ – التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً – لعبد الرحمن بن خلدون – تحقيق محمد بن تاويت الطنجي – نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة – ١٣٧٠ هـ – ١٩٥١ م .

٢٣ – ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور عبد الملك الثعالبي – طبعة القاهرة ١٣٢٦ .

٢٤ – جذوة الاقتباس في من حل من الاعلام بمدينة فاس : احمد بن محمد بن القاضي – طبعة حجرية بفاس ١٣٠٩ هـ .

٢٥ – جمهرة انساب العرب : لابن حزم ، نشره ليفي بروفنسال – طبع دار المعارف بمصر ١٩٤٨ .

٢٦ – الحلة السيراء : لابن الابار ، حققه الدكتور حسين مؤنس – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٦٣ .

٢٧ – الخلاصة النقية في امراء افريقية لأبي عبدالله محمد التونسي الباجي . تونس ١٢٨٣ .

٢٨ – الدر السني في بعض من بفاس من اهل النسب الحسني . لعبد السلام بن الطيب القادري – فاس – ١٣٠٩ هـ .

٢٩ – الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ، طبع حيدر آباد الدكن .

٣٠ – درة الحجال في غرة اسماء الرجال ، لأحمد بن محمد المعروف بابن القاضي ، نشره : ى. ش. علوش برباط الفتح – المطبعة الجديدة – ١٩٣٤ م .

٣١ – الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب – لابن فرحون – الطبعة الاولى طبعة عباس بن شقرون بالقاهرة – ١٣٥١ هـ .

٣٢ – ديوان شهاب الدين احمد بن يحيى بن ابي حجلة التلمساني – مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٢٥ أدب .

٣٣ – ديوان صفي الدين الحلي – طبع حبيب خالد بدمشق ١٢٩٧ .

٣٤ – ديوان المتنبي – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – تحقيق عبد الوهاب عزام ١٣٦٣ – ١٩٤٤ .

٣٥ – ديون ملك غرناطة يوسف الثالث – تحقيق عبدالله كنون – تطوان – ١٩٥٨ .

٣٦ – الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية – لمجهول – نشره محمد بن ابي شنب ١٣٣٩ هـ – ١٩٢٠ م .

٣٧ – ذكريات مشاهير رجال المغرب – عبدالله كنون – تطوان اعداد متفرقة مثبتة في مواضعها من الكتاب .

٣٨ – رقم الحلل في نظم الدول – لسان الدين بن الخطيب – طبع تونس ١٣١٦ هـ .

٣٩ – الروض المعطار في خبر الاقطار ، عبـــد المنعم الحميري – نشر ليفي بروفنسال قسماً منه بعنوان « صفة جزيرة الاندلس » طبع لجنـــة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٨ .

٤٠ – روضة النسرين في دولة بـــني مرين : لأبي الوليد اسماعيل بن يوسف ابن الأحمر -- الرباط ١٩٦٢ .

٤١ – سفارة سياسية من غرناطة الى القاهرة – الاستاذ الدكتور عبد العزيز الاهواني (مجـلة كلية الآداب – المجلد السادس عشر –الجزء الأول – ١٩٥٤ م) .

٤٢ – سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس: لمحمد بن جعفر الكتاني – فاس – ١٣١٦ هـ. (طبعة حجرية) .

٤٣ – شجرة النور الزكية لمحمد بن محمـــد مخلوف – طبع المطبعة السلفية بالقاهرة .

٤٤ – صبح الاعشى فيصناعة الانشا –لابي العباس احمد بن علي القلقشندي– طبع دار الكتب المصرية .

٤٥ – طبقات المفسرين : لجـــلال الدين السيوطي – طبع ليدن ١٨٣٩ . وجدد بالأفست بطهران ١٩٦٠ .

٤٦ – كتاب العبر (تاريخ ابن خلدون) بولاق – مصر ١٢٨٤ .

٤٧ – الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئـــة السابعة لابن سعيد – تحقيق ابراهيم الابياري – دار المعارف بمصر – ١٩٤٥ .

٤٨ – الفن ومذاهبه في الشعر العربي الدكتور شوقي ضيف – طبعة بيروت. الثانية .

٤٩ – الفن ومذاهبه في النثر العربي ، الدكتور شوقي ضيف – طبعة بيروت. الثانية .

٥٠ – فهرس الفهـــارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحي الكتاني – المطبعة الجديدة – فاس ١٣٤٦ هـ .

٥١ – كتب برامج العلمــاء في الأندلس للدكتور عبـــد العزيز الأهواني – فصلة من مجلة معهد المخطوطات العربية – المجلد الأول – الجزء الأول والثاني .

٥٢ – الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة ، لسان الدين بن الخطيب – تحقيق الدكتور احسان عباس – بيروت ١٩٦٣.

٥٣ – مجلة البحث العلمي – جامعة محمـــد الخامس – السنة الأولى . العدد الثاني – ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م .

٥٤ – مجلة العربي – اصدار الكويت – العدد ٧٠ – ايلول ١٩٦٤ .

٥٥ – مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني النيسابوري – بولاق ١٢٨٤ هـ .

٥٦ – مدخل الى تاريخ المغرب لعبد الله كنون . تطوان ١٩٤٤ .

٥٧ – المرقبـــة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا . لأبي الحسن النباهي – نشره ليفي بروفنسال بعنوان (تاريخ قضاة الأندلس) . دار الكاتب العربي بالقاهرة .

٥٨ – مسالك الأبصار في اخبار ملوك الأمصار لشهاب الدين احمد بن فضل الله العمري نسخة مصورة بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٧٧ .

٥٩ – مستودع العلامة ومستبدع العلامــة لأبي الوليد اسماعيل بن يوسف بن الأحمر . طبع الرباط ١٩٦٤ بتحقيق محمد بن تاويت التطواني . ومحمد التركي التونسي .

٦٠ – معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي للمستشرق زامباور – أخرجه الدكتور زكي محمد حسن ، وحسن احمد محمود – الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية – مطبعة جامعة فؤاد الاول ١٩٥١ .

٦١ – معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة – المكتبة العربية بدمشق عبيد اخوان – مطبعة الترقي ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م .

٦٢ – نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان ، لأبي الوليد اسماعيل بن يوسف بن الاحمر – مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم (ادب ١٨٦٣).

٦٣ – النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لأبي المحاسن بن تغري بردي – طبع دار الكتب المصرية .

٦٤ – نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، لأحمد بن محمد المقري – طبع محمد محيي الدين عبد الحميد – الطبعة الاولى ١٣٦٩ هـ – ١٩٤٩ م ، المكتبة التجارية بالقاهرة .

٦٥ – رسالة نقط العروس ، لابن حزم ، أعاد نشرها الدكتور شوقي ضيف في مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، ديسمبر ١٩٥١ – المجلة ١٣ – الجزء ٢ .

٦٦ – نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، لمحمد عبد الله عنان – الطبعة الاولى .

٦٧ – نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، للتنبكتي – طبع بهامش الديباج المذهب. ونسخة مخطوطة من الكتاب ، محفوظة بدار الكتب المصرية – رقم ١٣١٥ تاريخ .

٦٨ – هدية العارفين ، لاسماعيل باشا البغدادي .

٦٩ – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأحمد بن خلكان – نشر محمد محيي الدين عبد الحميد – مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة – الطبعة الاولى ١٣٦٧ هـ – ١٩٤٨ م .

٧٠ – تاريخ الادب العربي ، لبروكلمان .

٧١ – تكملة المعاجم العربية ، لدوزي .

72 — History of Mohammadan Dynasties in Spain - « Pascal de Gayangos » .

73 — Les Manuscrites Arabes de l'Escurial .

74 — Gorrespondencia Diplomatica Entil Granada y Faz . « M. Gaspar Remiro ».

75 — The Encyclopaedia of Islam (1927) .

مطبعة النجوى — بيروت — تلفون : ٢٩٣٥١٤

NATHĪR FARĀ'ID EL - JUMĀN

Edited by

Mohammed R. El - Dayeh

(With an Introduction On The Life and Letters of Ibn el - Ahmar)

DAR ASSAKAFA

BEYROUTH - LIBAN

الثمن : ٧٠٠ ق. ل. او ما يعادلها